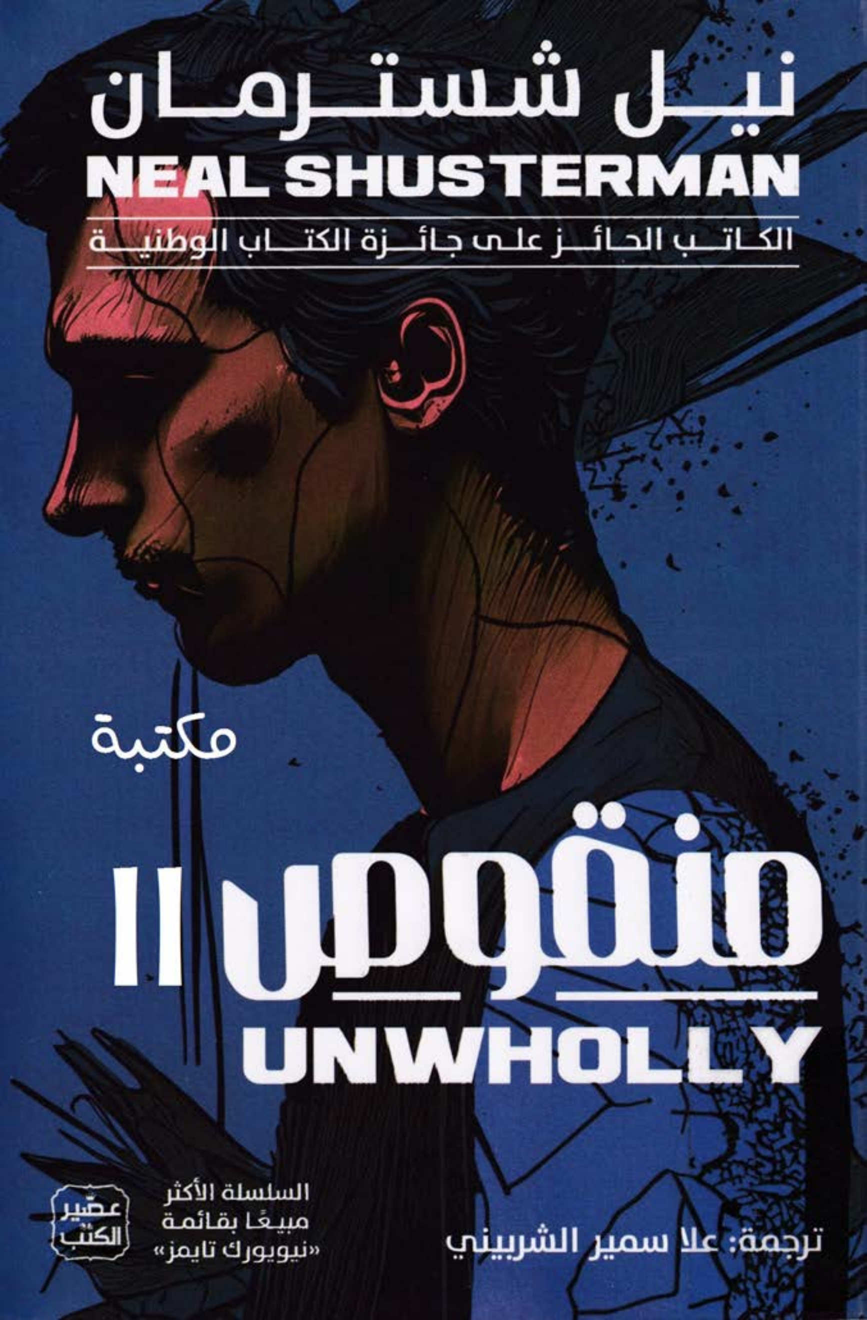

نيل شسترمان
NEAL SHUSTERMAN

الكاتب الحائز على جائزة الكتاب الوطنية

مكتبة

منقوص II
UNWHOLLY

السلسلة الأكثر مبيعًا بقائمة «نيويورك تايمز»

عصير الكتب

ترجمة: علا سمير الشربيني

انضم لـ مكتبة .. امسح الكود

انقر هنا .. اتبع الرابط

telegram @soramnqraa

منقوص

UNWHOLLY

إقرأ مفكك قبل هذا

إدارة التوزيع

00201150636428

لمراسلة الدار:

email:P.bookjuice@yahoo.com

Web-site: www.oseeralkotb.com

- العنوان الأصلي: Unwholly
- العنوان العربي: منقوص
- طُبِع بواسطة: Simon & Schuster
- حُقوق النشر:
Copyright © 2012 by Neal Shusterman
- حقوق الترجمة: محفوظة لدار عصير الكتب
- ترجمة: علا سمير الشربيني
- تدقيق لغوي: كارم أحمد
- تنسيق داخلي: معتز حسنين علي
- الطبعة الأولى: يناير/ 2024م
- رقم الإيداع: 2023/26678م
- الترقيم الدولي: 978-977-992-349-9

مكتبة
t.me/soramnqraa

نيـــل شســتــرمــان
NEAL SHUSTERMAN

الكاتب الحائز على جائزة الكتاب الوطنية

مكتبة
t.me/soramnqraa

منقوص
UNWHOLLY

السلسلة الأكثر مبيعًا بقائمة «نيويورك تايمز»

عصير الكتب

ترجمة: علا سمير الشربيني

إهداء إلى شارلوت روث شُسترمان

أحبك يا أمي.

والإجابة هي...

لما كانت روايتاي «مُفكك» (Unwind) و«ناقص» (UnWholly) تمثلان عالمًا مقلوبًا رأسًا على عقب، فلا توجد طريقة أفضل من منحكَ الإجابة قبل السؤال، لإبقائكَ مطلعًا على الأحداث المتلاحقة، كما يحدث في بعض برامج المسابقات! اقرأِ الإجابات، وانظرْ كم عدد الأسئلة التي أمكنكَ تخمينها بشكل صحيح! استنتجْ ما يكفي من الأسئلة، وقد تتمكن من تمزيق أمر التفكيك الصادر بشأنك! (تحذير: تخطي اللعبة قد يؤدي إلى شعورك ببعض الارتباك في أثناء القراءة).

هذه هي العملية التي يُنتزَع من خلالها أعضاء الفرد. بموجب القانون، يجب استخدام 44,99 في المائة من محتويات جسد الإنسان وإبقائها حية من خلال عملية زرع الأعضاء.

ما هو التفكيك؟

انتهتِ الحرب الأهلية الثانية في أمريكا -والمعروفة أيضًا باسم «حرب الجوهر» (Heartland War)- عندما توصلتِ الجيوش المؤيِّدة لحق الحياة وحق الاختيار إلى هذه الاتفاقية التي جعلت الحياة غير قابلة للانتهاك منذ الحمل وحتى سن الثالثة عشرة، لكنها سمحت بــ«الإجهاض الرجعي» للمراهقين ممن يواجهون صعوبات في التكيف مع المجتمع.

ما هي اتفاقية التفكيك؟

عندما لا ترغب إحدى الأمهات في الاحتفاظ بمولودها الجديد، يكون لديها الخيار القانوني لترك الطفل على عتبة منزل شخص آخر. يصبح ساكنو ذلك المنزل عندئذٍ مسؤولين قانونيًّا عن هذا الطفل. النقل هو المصطلح الشائع للتخلي عن الطفل.

ما هو النقل؟

عندما يُفكَّك أحد الأشخاص، ولأن المفككين كلهم تقريبًا يُعتبَرون افتراضيًّا أحياء، لا يشار إليهم كمتوفين، بل إنهم ما زالوا أحياء في حالتهم المنقسمة.

ما هي الحالة المنقسمة؟

إنها منشآت مرخصة، يُعَدُّ فيها المفككون للحالة المنقسمة. رغم أن لكل منشأة شخصيتها الخاصة، فإن جميعها مصمَّم لتوفير تجربة إيجابية للشباب المقرر تفكيكهم.

ما هي مخيمات الحصاد؟

بسبب نشاط إرهابي، أُغلِق مؤخرًا مخيم حصاد شمال أريزونا، في بلدة «هابي جاك»، التي سُمِّيَتْ كذلك تيمنًا بالحطَّابين المبتهجين الذين أسسوها.

ما هو مخيم حصاد «هابي جاك»؟

هذا هو المصطلح العامي للعيادة الواقعة داخل مخيم الحصاد التي يُجرَى فيها التفكيك.

ما هو مرأب التفكيك؟

لقد أدخل هؤلاء الإرهابيون الشباب في أجهزتهم الدورية مادة كيميائية غير قابلة للكشف، تجعل دماءهم قابلة للانفجار. أُطلِق عليهم هذا الاسم، لأنهم ينفجرون عندما يصفقون بقوة.

من هم المُصفِّقون؟

هذا هو المصطلح الشائع لضباط الشرطة الذين يعملون في السلطة الوطنية للأحداث؛ والمسؤولين عن حفظ الأمن المتعلق بحالات التفكيك.

ما هي شرطة الأحداث؟

هي إفقاد شخص وعيه كيميائيًّا باستخدام رصاصات أو سهام مُخدِّرة. إنها الطريقة المفضَّلة التي يستخدمها ضباط شرطة الأحداث، لأن استخدام الرصاص الحي في مواجهة المفكَّكين غير قانوني ويسبب الضرر لأعضائهم الحيوية، ومن ثَمَّ يقلل من قيمتها.

ما هي التهدئة؟

هذا هو المصطلح الشائع الدال على الجندي، أو المراهق مفتول العضلات الذي ينتهج الطريق الصحيح للعمل العسكري. المصطلح جاء من الكلمة الفرنسية الدالة على «اللحم البقري»، وقد يكون أصل التعبير العامي (buff) الدال على الجسد الجذاب أو مفتول العضلات.

ما هو البوف؟

هو في الأصل مصطلح عسكري، يعني «الهارب من الخدمة من دون إجازة»، لكنه استُخدِمَ مؤخرًا للتعبير عن الهاربين من التفكيك.

ما معنى إوُول؟

هذه المنظمة تناهض التفكيك، من خلال إنقاذ المفككين الهاربين. ومع ذلك، فهي ليست كيانًا منظَّمًا بالشكل الذي يعتقده الناس.

ما هي الـ «إيه دي آر» أو مقاومة الانقسام؟

هذا الملاذ السري -ليس سريًّا للغاية- للهاربين من التفكيك يقع في ساحة ضخمة لتخزين الطائرات في صحراء أريزونا.

ما هي المقبرة؟

يُعرف أيضًا باسم كونور لاسيتر، ويُعتَقد أن هذا الهارب من التفكيك القادم من ولاية أوهايو مسؤول عن التمرد في مخيم حصاد «هابي جاك»، ويُفترَض أنه ميت.

مَن هو إوُول آكرون؟

لفظ (Tithe) مشتق من المصطلح الذي يعني «عشرة بالمائة»، وهو طفل نُذِرَ منذ ولادته للتفكيك، عادةً لأسباب دينية.

ما هو العُشر (Tithe)؟

هذا العُشر أصبح مُصفِّقًا لا يُصفِّق، وبفعله هذا لفت الانتباه إلى حركة المقاومة.

من ليف كالدر؟

هذا هو لقب الأسرة الذي يُمنَح للأطفال الذين لا آباء لهم، والذين نشأوا في الملاجئ التابعة للدولة.

ما هو وورد؟

هي إحدى الناجيات من مخيم حصاد «هابي جاك»؛ أصيبت بشلل نصفي، لأنها رفضت استبدال عمود فقري لأحد المفككين بعمودها الفقري التالف.

من هي ريسا وورد؟

أتمنى لك قراءة تقضم خلالها أظفارك، وتُحرَم من النوم، ويستثار تفكيرك!

نيل شُسترمان

الجزء الأول

انتهاكات

«الطريقة الوحيدة للتعامل مع عالم مُستعبَد، هي أن تكون حرًّا للدرجة التي يصبح معها وجودك في حد ذاته تمردًا»

ألبرت كامو

1 - ستاركي

إنه يحارب كابوسًا يراهم فيه يطاردونه.

طوفان عظيم يبتلع العالم، وفي وسط هذا كله، يتعرَّض هو للهجوم من دُب. إنه يشعر بالانزعاج أكثر من شعوره بالرعب. كما لو أن الطوفان ليس كافيًا، أرسل عقله العميق المظلم دُبًّا بنيًّا غاضبًا ليمزقه.

ثم سحب قدميه أولًا من بين فكي الموت ونهاية العالم غرقًا.

- استيقظْ! حالًا! لنذهبْ!

فتح عينيه على غرفة نوم ساطعة الإضاءة، بدلًا من أن تكون مظلمة. يتعامل معه اثنان من رجال شرطة الأحداث بخشونة، ويمسكان ذراعيْه، ليمنعاه من رد الهجوم، قبل أن يستيقظ بما يكفي للمحاولة.

- لا! توقفا! ما هذا؟

وضعا الأصفاد، في البداية على معصمه الأيمن، ثم الأيسر. ثم أمراه: «قفْ».

أخذا يسحبانه عَنوة، ليقف على قدميه، كما لو كان يقاوم، وهذا ما كان ليفعله فعلًا لو كان أكثر استفاقة.

- اتركاني وشأني! ماذا يحدث هنا؟

لكنْ في لحظةٍ تيقَّظ بما يكفي ليعرف بالضبط ما يحدث: إنها عملية اختطاف. لكنْ لا يمكنك تسميتها هكذا عندما توجد أوراق نقل موقَّعة من ثلاث نسخ.

- أكدْ شفهيًّا أنك مايسون مايكل ستاركي.

إنهما ضابطان، أحدهما قصير مفتول العضلات، والآخر طويل ومفتول العضلات أيضًا. من المحتمل أنهما كانا من جنود البوف، قبل أن يتولَّيا وظيفتهما كضابطي ملاحقة في شرطة الأحداث؛ يتطلَّب الأمر أن تكون من سلالة خاصة بلا قلب لتصبح شرطيَّ أحداث، لكنْ لكي تتخصص كضابط ملاحقة، ربما تحتاج إلى أن تكون بلا روح أيضًا. شعر ستاركي بالصدمة والرعب من حقيقة أنه يُطارد لتفكيك أعضائه، لكنه رفض إظهار ذلك، لأنه يعلم أن ضباط الملاحقة يُستثَارون من خوف الآخرين.

اقترب الرجل القصير -الذي من الواضح أنه المتحدث الرسمي لهذا الثنائي- من وجهه وكرر: «أكدْ شفهيًّا أنك مايسون مايكل ستاركي!».

- ولِمَ أفعل ذلك؟

قال الملاحِق الآخر: «يمكن لهذا الأمر أن يكون سَلِسًا أو صعبًا يا فتى، ولكنه سيحدث في كلتا الحالتين».

تكلم الشرطي الثاني بشكل أنعم، من خلال شفتين من الواضح أنهما لا تنتميان إليه. في الواقع، يبدو أنهما شفتا فتاة: «الأمر ليس بهذه الصعوبة، لذا عليك فقط مسايرة البرنامج المحدد».

تحدث كما لو كان على ستاركي أن يعرف أنهما قادمان، لكنْ ما الذي يعرفه المفكَّك حقًّا؟ يؤمن كل مفكك في أعماق قلبه أن هذا لن يحدث له؛ وأن والديه -بصرف النظر عن مدى توتر الأمور- سيكونان بما يكفي من الذكاء لعدم الوقوع في فخ إعلانات الإنترنت والتلفاز واللوحات الإعلانية التي تقول أشياء مثل: «التفكيك هو الحل المنطقي». لكنْ مَن يحاول أن يخدَع؟ حتى دون الهجوم الإعلامي المستمر، كان ستاركي مرشحًا مُحتمَلًا للتفكيك منذ لحظة وصوله إلى عتبة الباب. ربما عليه أن يُدهَش من أن والديه انتظرا هذا الوقت كله.

الآن أصبح المتحدث الرسمي قريبًا منه للغاية، بشكل ينتهك مساحته الشخصية.

- للمرة الأخيرة، أكدْ شفهيًّا أنكَ...

- نعم، نعم، مايسون مايكل ستاركي. والآن ابتعد عن وجهي؛ رائحة أنفاسكَ كريهة.

مع تأكيد هُويَّته شفهيًّا، أخرج صاحب الشفاه الأنثوية نموذجًا من ثلاث نسخ: بيضاء وصفراء ووردية.

سأل ستاركي، وقد بدأ صوته يرتجف: «أهكذا يتم الأمر إذن؟ هل تقبضان عليَّ؟ ما جريمتي؟ أنني في السادسة عشرة من عمري؟ أو ربما مجرد وجودي في الحياة من الأساس؟».

«اهدأ وإلا سنهدِّئكَ» قالها المتحدث الرسمي، كما لو كانت كلها كلمة واحدة.

رغب جزء من ستاركي في أن يُهدَّأ؛ ليستسلم للنوم فحسب، وإذا كان محظوظًا، فلن يستيقظ أبدًا. وبهذه الطريقة لن يُضطرَّ إلى مواجهة الإذلال المطلق بسبب انتزاعه من حياته في منتصف الليل. لكنْ لا، يريد أن يرى وجهيْ والديه. أو -بالأحرى- يريدهما أن يريا وجهه، وإذا خُدِّر، فإنهما سيتجاوزان الموقف بسهولة. لن يضطرًا إلى النظر إلى عينيه.

حمل صاحب الشفاه الأنثوية أمر التفكيك أمامه وبدأ في قراءة الفقرة التاسعة سيئة السمعة، «شرط النفي»: «مايسون مايكل ستاركي، بتوقيع هذا الأمر، يكون والداك و/أو الأوصياء القانونيون عليك قد أنهوا بأثر رجعي مدة حضانتك، منذ ستة أيام، وهذا ما يجعلك تنتهك قانون الوجود رقم 390. في ضوء ذلك، سيُعاد توجيهك إلى سلطة الأحداث في كاليفورنيا للتقسيم الموجز، والمعروف أيضًا باسم التفكيك».

- إلخ إلخ إلخ.

- أي حقوق ممنوحة لك سابقًا من قِبل المقاطعة أو الولاية أو الحكومة الفيدرالية بوصفكَ مواطنًا، تُبطَل الآن رسميًّا وبشكل دائم.

ثم طوى أمر التفكيك، ووضعه في جيبه.

قال المتحدث الرسمي: «أتقدم لكَ بالتهنئة يا سيد ستاركي. الآن ليس لكَ وجود».

- لماذا إذن تتحدث معي؟

- لن نواصل الحديث أكثر من ذلك.

ثم جذباه نحو الباب.

- هل يمكنني على الأقل انتعال الحذاء؟

سمحا له بالذهاب، لكنهما ظلَّا على أُهبة الاستعداد.

استغرق ستاركي بعض الوقت في ربط حذائه. ثم أخرجاه من غرفته ونزلوا السلم. يرتدي رجال شرطة الأحداث أحذية ثقيلة تُحدِث صريرًا على خشب الدرج. بدا الثلاثة كأنهم قطيع من الماشية وهم ينزلون.

والداه ينتظران في البهو. إنها الثالثة صباحًا، لكنهما ما زالا يرتديان ملابسهما كاملة. لقد كانا مستيقظيْن طوال الليل استعدادًا لهذا الحدث. رأى ستاركي الألم على وجهيهما، أو ربما هو الارتياح، من الصعب الحكم على ذلك. تمالك شعوره، وأخفاه خلف ابتسامة وهمية.

قال بمرح: «مرحبًا يا أمي! مرحبًا يا أبي! خمِّنا ماذا حدث لي للتو؟ سأمنحكما عشرين احتمالًا لمعرفة ذلك».

أخذ والده نفسًا عميقًا، واستعدَّ لإلقاء خطاب التفكيك العظيم الذي يعده كل والد لطفل سيجري إبعاده. حتى لو لم يلقِ الآباء هذا الخطاب قطُّ، فهم يُعِدُّونه في جميع الأحوال، ويديرون الكلمات في أذهانهم خلال استراحة الغداء، أو في أثناء الجلوس في السيارة عند ازدحام الطرق، أو في أثناء الاستماع للحديث السفيه المُطوَّل لبعض المديرين الحمقى عن نقاط الأسعار والتوزيع، وأي حماقات أخرى يجتمع الأشخاص في مكاتب العمل لمناقشتها.

ما الإحصائيات؟ رآها ستاركي في الأخبار مرةً واحدةً. في كل عام، تمرُّ فكرة التفكيك بذهن واحد من كل عشرة آباء. من بين هؤلاء، واحد من كل عشرة فقط ينظر إليها بجدية، ومن بين هؤلاء، واحد من كل عشرين ينفذها فعلًا، وتتضاعف قيمة هذه الإحصائية مع كل طفل إضافي تُنجبه الأسرة. لتلخيص هذه الأرقام الواعدة، سيُفكَّك سنويًّا واحد من كل ألفيْ طفل تتراوح أعمارهم بين ثلاثة عشر عامًا وسبعة عشر. احتمالات أعلى مما يحدث في مسابقات اليانصيب، وهذا لا يشمل حتى الأطفال في الملاجئ.

حافظ والده على المسافة بينهما، وبدأ في سرد الخطاب: «مايسون، ألا ترى أنك لم تتركْ لنا أي خيار؟».

شدَّد ضابطا الأحداث قبضتيْهما عليه أسفل الدرج، لكنهما لم يتحركا لإخراجه. إنهما يعرفان أن عليهما السماح لطقوس الوالدين بالاستمرار؛ فحديثهما هو الذي سيدفعه دفعًا إلى الخارج.

- الشجار والمخدرات والسيارة المسروقة، والآن طردك مرة أخرى من مدرسة جديدة. ماذا بعد، يا مايسون؟

- مم، لا أعرف يا أبي. يوجد الكثير من الخيارات السيئة التي يمكنني اختيارها.

- ليس بعد الآن. إننا نهتم بك كثيرًا، لذا سنعمل على إنهاء اختياراتك السيئة، قبل أن تقضي عليك.

لم يصدرْ عنه أي رد فعل سوى الضحك بصوت عالٍ. ثم جاء صوت من أعلى الدرج، قائلًا: «لا! لا يمكنكما أن تفعلا هذا».

إنها أخته جينا -الابنة البيولوجية لوالديه- تقف أعلى الدرج مرتدية منامة منقوشة برسوم الدببة، وتبدو غير مناسبة لعمرها البالغ ثلاثة عشر عامًا.

قالت والدتهما: «عودي إلى فراشك يا جينا».

- إنكما بصدد تفكيكه لمجرد أنه قد تُخلِّي عنه، وهذا ليس عدلًا! وقبل عيد الميلاد مباشرة أيضًا! ماذا لو كنتُ أنا من تُخلِّيَ عنها؟ أستفككاني أنا أيضًا؟

صرخ الأب، في حين بدأت الأم في البكاء: «لن نخوض مثل هذه المناقشة. عودي إلى فراشك!».

لكنها لم تمتثل لأمره. طوت ذراعيها وجلست على قمة الدرج، لتشاهد كل شيء. حسنًا فعلت.

دموع والدته حقيقية، لكنه غير واثق أعليه كانت تبكي، أم على بقية أفراد الأسرة. قالت: «كل هذه الأفعال التي تفعلها، أخبرنا الجميع أنها تعني طلب المساعدة، فلمَ لا تدعنا نساعدك؟».

أراد أن يصرخ. كيف يمكن أن يشرح لهما لو أنهما لا يريان؟ إنهما لا يعرفان كيف تكون الحال عندما تعيش ستة عشر عامًا من عمرك، وأنت تعلم أنك شخص غير مرغوب فيك؛ طفل غامض من عرق غير مؤكد؛ تُخلِّيَ عنه عند عتبة باب منزل زوجيْن ببشرة سيينا[1] شاحبة للغاية، حتى إنهما كان من الممكن أن يكونا مصاصي دماء. أو أن تظل متذكرًا ذلك اليوم، عندما كنت في الثالثة من عمركَ، وكانت والدتكَ تحت تأثير مسكنات الألم التي تتعاطاها منذ

(1) سيينا: لون البشرة السمراء الشاحبة، المائلة إلى الأصفر. "المترجم".

ولادتها أختَكَ قيصريًّا، فأخذتكَ إلى مركز إطفاء وتوسلت إليهم أن يأخذوك لتسليمك لإحدى دور رعاية الطفل التابعة للدولة. أو ماذا عن إدراكك كل عام في صباح عيد الميلاد أن هديتك لم تُقدَّم لك بفرحة، وإنما من باب الالتزام فقط؟ وأن عيد ميلادك ليس حقيقيًّا، لأن أبويك لا يستطيعان حتى تحديد موعد ولادتك، ولا يعرفان سوى اليوم الذي تُركتَ فيه على سجادة الترحيب الصغيرة، التي اتَّبعتْ سيدة حديثة العهد بالأمومة المكتوب عليها حرفيًّا، وظنت أن أهل البيت سيرحبون بك؟ وماذا عن التهكم عليك من جانب الأطفال الآخرين في المدرسة؟

في الصف الرابع، استُدعِيَ والدا مايسون إلى مكتب مدير المدرسة. لقد دفع صبيًّا من أعلى منصة في صالة الألعاب الرياضية، فسقط في الغابة. أصيب الطفل بارتجاج في المخ وكسر في ذراعه. سأله والداه هناك أمام المدير: «لماذا يا مايسون؟ لِمَ فعلت ذلك؟».

أخبرهم أن الأطفال الآخرين يدعونه بـ «ستوركي» أي المنبوذ، بدلًا من ستاركي، وأن هذا هو الصبي الذي بدأ بالتهكم عليه. لقد اعتقد بسذاجة أنهما سيتفهمان دافعه، لكنهما رفضا الأمر، كما لو أنه لا يهم.

قال والده: «كان من الممكن أن تقتل ذلك الصبي. ولماذا؟ بسبب الكلمات؟ الكلمات لا تؤذيك». كان ذلك القول من أضخم الأكاذيب الإجرامية التي يرتكبها الكبار ضد الأطفال في هذا العالم. لأن الكلمات تجرح أكثر من أي ألم جسدي. كان ليتقبل برضا أن يتعرض لارتجاج في المخ، وكسر في ذراعه، لو أن أحدًا لم يتنمر عليه، ناعتًا إياه بالمنبوذ مرة أخرى قطُّ.

في النهاية، أُرسِلَ إلى مدرسة مختلفة، مع أمر بالحصول على استشارة نفسية إلزامية. قال له مدير المدرسة السابقة: «عليك أن تفكر في ما فعلت».

وهذا ما فعله بالضبط، كصبي صغير طيب. لقد فكَّر كثيرًا في ما فعل، وقرر أنه كان يجب أن يجد منصة أعلى.

كيف إذن يمكنك أن تبدأ حتى في شرح ذلك؟ كيف تفسر حياة كاملة من الظلم، في الوقت الذي يستغرقه شرطيا الأحداث لإخراجك من باب المنزل؟ الإجابة سهلة: لا تحاول حتى.

قال والده، بعينيْن دامعتيْن أيضًا: «أنا آسف يا مايسون، لكنَّ هذا أفضل للجميع، حتى أنت».

يدرك ستاركي أنه لن يستطيع إفهام والديه الأمر أبدًا، لكنْ لمَّا كان لم يبقَ له شيء آخر، فستكون له على الأقل الكلمة الأخيرة: «بالمناسبة يا أمي.. الليالي التي يتأخر فيها والدي في المكتب، لا يقضيها هناك في الواقع، بل مع صديقتكِ نانسي».

لكنْ قبل أن يبدأ في الاستمتاع بتعبيرات والديه الصادمة، خطر على باله أن معرفته بهذه المعلومة السرية كان من الممكن أن تكون ورقة مساومة. لو كان قد أخبر والده أنه يعرف، لربما صار ذلك بمنزلة حماية قوية من التفكيك! كيف يمكن أن يكون غبيًّا، لدرجة أنه لم يفكر في ذلك في حينه؟

وهكذا، لم يتمكن في النهاية حتى من الاستمتاع بفوزه الصغير المرير، في حين دفعه شرطيَا الأحداث إلى الخارج في ليلة باردة في ديسمبر.

إعلان

ألديك مراهق مضطرب؟ لا يبدو متكيفًا مع الأسرة؟ لا مبالٍ وغاضب؟ في الغالب ما يكون عرضة لنوبات من السلوك الاندفاعي الذي يكون خطرًا في بعض الأحيان؟ هل يبدو أن ابنك المراهق غير قادر على التعايش مع نفسه؟ قد يكون الأمر أكثر من مجرد تمرد مراهق. ربما يعاني طفلك اضطرابَ اختلال النظام الحيوي، أو اضطرابَ التشوه الجسدي.

حسنًا، الآن لديك أمل!

تمتلك «هافن هارفست سرفيسس» (Haven Harvest Services) مخيمات شبابية من فئة الخمسة نجوم في جميع أنحاء البلاد، وستضم الأكثر غضبًا وعنفًا، ومن يعانون اضطرابَ التشوه الجسدي واختلال النظام الحيوي، وتُريحهم بعناية، من خلال إدخالهم في حالة منقسمة مهدئة.

اتصل الآن للحصول على استشارة مجانية - المستشارون في حالة استعداد!

«هافن هارفست سرفيسس». عندما تحبهم للدرجة التي تدفعك إلى التخلي عنهم.

غادرتْ سيارة فرقة شرطة الأحداث الممر المؤدي من المنزل إلى الطريق العام، في حين عُزِلَ ستاركي في المقعد الخلفي خلف حاجز مضاد للرصاص.

تولى المتحدث الرسمي قيادة السيارة، وأخذ صاحب الشفتين الأنثويتيْن يُقلِّب صفحات ملف سميك. لا يستطيع ستاركي أن يتخيل أن حياته يمكن أن تحتوي على هذا القدر من البيانات.

- مذكور هنا أنك بين العشرة في المائة الذين حصلوا على أعلى الدرجات في اختبارات الطفولة المبكرة.

هزَّ المتحدث الرسمي رأسه في اشمئزاز، قائلًا: «يا للخسارة».

قال صاحب الشفتين الأنثويتين: «ليس حقًّا، فالكثير من الناس سيستفيدون من ذكائك يا سيد ستاركي».

أثار الاقتراح في جسده قشعريرة مزعجة، لكنه حاول عدم إظهار ذلك. قال ستاركي: «يروق لي مظهر شفتيْك المعدَّل يا صاح. ما الأمر؟ هل أخبرتكَ زوجتك أنها تفضل أن تُقبِّلها امرأة؟».

لم ينبسَّ أيهما ببنت شفة، فقال ستاركي: «لكنْ كفانا ثرثرة. ألستما جائعيْن؟ إنني أستطيع تناول وجبة خفيفة في منتصف الليل الآن. ما رأيكما في طعام من مطعم «إن آند أوت»؟».

لا إجابة من المقعد الأمامي. لا يعني ذلك أنه توقع جوابًا، لكنْ من الممتع دائمًا العبث مع سلطات تطبيق القانون، ومعرفة مقدار ما يثير غضبهم. لأنهم إذا غضبوا، فإنه يفوز. ما هذه القصة عن إوُول آكرون؟ ماذا كان يقول دائمًا؟ آه، نعم. «جوارب جميلة» عبارة بسيطة وأنيقة، لكنها دائمًا ما هدمتْ ثقة أي شخصية ذات سلطة زائفة.

إوُول آكرون، لقد فُكِّكَ الآن! بالتأكيد، مات في الهجوم على مخيم حصاد «هابي جاك» منذ عام تقريبًا، لكنَّ أسطورته ما زالت قائمة. يتوق ستاركي إلى هذا النوع من الشهرة التي يمتلكها كونور لاسيتر. في الواقع، يتخيَّل ستاركي شبح كونور لاسيتر جالسًا إلى جواره، مُظهِرًا تقديره لأفكاره وكل تصرفاته، لا يؤيد فقط، لكنْ يوجِّه يدي ستاركي وهو يدني الأصفاد نحو فردة حذائه اليسرى، ويخفض يديْه بما يكفي لإخراج السكين من بطانة الحذاء. السكين التي احتفظ بها لمناسبات خاصة كهذه.

قال صاحب الشفتين الأنثويتين: «فلنفكر في الأمر، يبدو برجر «إن آند أوت» مناسبًا في الوقت الحالي».

قال ستاركي: «ممتاز. هناك فرع في الأمام على اليسار. اطلب لي شطيرة مزدوجة «أنيمال ستايل»، وبطاطس مقلية «أنيمال ستايل» أيضًا، لأنني حيوان».

أصيب بالدهشة عندما توقفا فعلًا عند ممر الخدمة الللية للسيارات. شعر ستاركي بأنه سيد الإيحاء اللاشعوري، رغم أن اقتراحه لم يكن لا شعوريًّا إلى هذا الحد. ما زال يسيطر على شرطيي الأحداث.. أو على الأقل يعتقد أنه كذلك، إلى أن يطلبا وجبات لنفسيهما، ولا شيء له.

مال بكتفه على الزجاج الذي يفصل بين عالمه وعالمهما، وقال: «هاي! ما الأمر؟».

قال صاحب الشفتيْن الأنثويتيْن: «سيطعمونك في مخيم الحصاد».

الآن فقط اصطدم بالواقع، لأن الزجاج المضاد للرصاص لا يفصله فقط عن رجلي الشرطة؛ إنه حاجز بينه وبين أي جزء من العالم الخارجي. لن يتذوق أطعمته المفضلة مرة أخرى. لن يزور أماكنه المفضلة أبدًا. على الأقل ليس كمايسون ستاركي. فجأة يشعر بالرغبة في تقيؤ كل ما تناوله من طعام، بأثر رجعي منذ ستة أيام.

موظفة تلقي الطلبات في النوبة الليلية لخدمة السيارات بالمطعم فتاة يعرفها ستاركي من مدرسته الأخيرة. عندما يراها، تتلاعب بعقله فوضى كاملة من الشعور. ليس أمامه سوى أن ينكمش في ظلال المقعد الخلفي، على أمل ألا تراه، لكنَّ هذا سيجعله يشعر أنه مثير للشفقة. لا، لن يكون مثيرًا للشفقة. إن كان عليه أن يسقط، فستكون هناك ألسنة لهب مشتعلة على الجميع رؤيتها.

صرخ بصوت عالٍ بما يكفي لتسمعه من خلال الحاجز الزجاجي السميك: «مرحبًا يا أماندا، هل يمكن أن تذهبي معي إلى حفل التخرج الراقص؟».

حدَّقت أماندا إلى اتجاهه، وعندما أدركتْ من هو، رفعتْ أنفها، كما لو كانت تشم شيئًا كريهَ الرائحة على الشواية، ثم أجابت: «ليس في هذه الحياة يا ستاركي».

- لِمَ لا؟

- أولًا، أنت ما زلتَ طالبًا في السنة الثانية، وثانيًا، أنت فاشل محتجَز في مؤخرة سيارة شرطة. وعلى أيِّ حال، أليس لديهم حفل تخرج في المدرسة البديلة؟

- أيمكن أن تكون أكثر غباءً؟ آه، كما ترون، لقد تخرَّجتُ.

قال المتحدث الرسمي: «اخرس، وإلا سأحوِّل أعضاءك التي ستُفكَّك إلى برجر».

أخيرًا، فهمتْ أماندا الأمر، وفجأة بدا عليها القليل من الخجل، وهي تقول: «أوه! أوه، أنا آسفة يا ستاركي. أنا حقًّا أشعر بالأسف».

الشفقة شيء لا يستطيع مايسون ستاركي أن يتحمله، فردَّ عليها: «لِمَ تأسفين؟ أنت وأصدقاؤك لم تعيروني أيَّ اهتمام في السابق، لكنكِ الآن تشعرين بالأسف من أجلي؟ وَفِّري أسفك».

- أنا آسفة. أعني أنني أعتذر لشعوري بالأسف.. أعني...

قطعتْ حديثها، وهي تتنهد في سخط وتستسلم، بينما تُسلِّم صاحبَ الشفتين الأنثويتين كيسًا من الطعام، قائلة: «أتحتاجان إلى كاتشب؟».

- لا.

صرخ ستاركي، وهم يبتعدون: «يا أماندا! إذا كنتِ تريدين حقًّا أن تفعلي شيئًا من أجلي، أخبري الجميع أنني قد ذهبتُ للقتال، أيمكنكِ ذلك؟ أخبريهم أنني مثل إوُول آكرون».

قالت: «سأفعل يا ستاركي. أعدك».

لكنه يعلم أنها ستنسى بحلول الصباح.

بعد عشرين دقيقة، اتجهوا إلى الزقاق الخلفي لسجن المقاطعة. لا أحد يدخل من الباب الأمامي، ناهيك بالمفككين. يوجد في سجن المقاطعة جناح للأحداث، وفي الجزء الخلفي من جناح الأحداث يوجد صندوق خاص داخل صندوق آخر، حيث يحتفظون فيه بالمفككين في انتظار نقلهم. كان ستاركي يتردد بانتظام على جناح الأحداث بالسجن، وهذا ما يجعله مدركًا أن بمجرد أن تصبح في زنزانة احتجاز المفككين، ينتهي أمرك. حتى المحكوم عليهم بالإعدام لا يحظون بمثل هذه الإجراءات الأمنية المشددة.

لكنه لم يصل إلى هناك بعد. ما زال هنا في السيارة، في انتظار نقله إلى الداخل. هنا هو الموضع الذي يكون فيه هيكل هذه السفينة الصغيرة من الحمقى أضعف، وإذا كان سيُغرِق خططهم، فيجب أن يحدث ذلك بين السيارة والباب الخلفي لسجن المقاطعة. بينما يستعدون لاقتياده إلى الداخل، فكَّر في فرصه في التحرر، لأنه بقدر ما تخيل والداه كيف ستسير هذه الليلة، فعل هو أيضًا، وقد وضع العشرات من خطط الهروب الباسلة. الأمر المقلق

هو أن حتى أحلام يقظته تكون مميتة؛ كل تخيل يمتلئ بالقلق، ودائمًا يخسر، ويُخدَّر، ليستيقظ على طاولة العمليات. يقولون طبعًا إنهم لا يفككونك على الفور، لكنَّ ستاركي لا يصدق ذلك. لا أحد يعرف حقيقة ما يدور في مخيمات الحصاد، ومن اكتشفوا، لم يعودوا لمشاركة التجربة.

أخرجاه من السيارة وأحاطا به من الجانبين، وقبضا على ذراعيه من أعلى بإحكام. إنهما متدربان على تلك المسيرة. صاحب الشفتين الأنثويتين يمسك ملف ستاركي السميك بيده الأخرى، فقال ستاركي: «هل يذكر هذا الملف هواياتي إذن؟».

ردَّ صاحب الشفتين الأنثويتين دون اهتمام حقيقي: «على الأرجح».

قال ستاركي بابتسامة عريضة: «ربما كان عليك القراءة عنها باهتمام أكبر، لو فعلتَ، لكان لدينا شيء نتحدث عنه. أتعلم؟ أنا ماهر جدًّا في السحر».

قال المتحدث الرسمي بسخرية خبيثة: «حقًّا؟ من المؤسف أنك لا تستطيع أن تختفي».

- من قال إنني لا أستطيع؟

ثم -بأجمل حركات هوديني- رفع يده اليمنى، مُظهِرًا أن الأصفاد لم تعد عليها، بل تتدلى من يده اليسرى. قبل أن يتمكنا حتى من إبداء أيِّ رد فعل، استل ستاركي السكين التي استخدمها لفتح القفل من كمه، وأمسكها بيده، ممزقًا بها وجه صاحب الشفتين الأنثويتين.

صرخ الرجل، وتدفق الدم من جرح طوله أربع بوصات. أما المتحدث الرسمي، فللمرة الوحيدة في حياته البائسة التي قضاها في إيذاء العامة، ظلَّ صامتًا. وصل إلى سلاحه، لكنَّ ستاركي انطلق هاربًا فعلًا، وأخذ يعدو بشكل متعرج في الزقاق الغامض.

صرخ المتحدث الرسمي: «أنت! إنك فقط تجعل الأمور أسوأ بالنسبة إليك».

لكنْ ماذا سيفعلون؟ توبيخه قبل تفكيكه؟ يمكن للمتحدث الرسمي أن يقول ما يريد، لكنه ليس في موقف يسمح له بالمساومة.

اتجه الزقاق إلى اليسار، ثم إلى اليمين كالمتاهة، وطوال الطريق بجواره جدار سجن المقاطعة الطويل المبني من الطوب.

أخيرًا انعطف إلى ركن آخر، ورأى شارعًا أمامه. تقدم إلى الأمام، لكن بمجرد خروجه إلى ذلك الشارع، أمسكه المتحدث الرسمي. بطريقة ما وصل

إلى هناك قبل ستاركي. كانت مفاجأة له، لكنْ يجب ألا تكون كذلك، أليس من الطبيعي أن يحاول كل مفكك الهروب؟ ألا يستطيعون بناء زقاق ملتوٍ مصمم خصوصًا لإضاعة وقتك، ومنح رجال شرطة الأحداث مزية لم يفقدوها حقًّا؟

سحق الضابط معصم ستاركي بقوة كافية لإفلات السكين، ولوَّح بمسدسه في غضب شديد، قائلًا: «لقد انتهى أمرك يا ستاركي! اهبط على الأرض، وإلا سأطلق رصاصة التهدئة على عينك مباشرة!».

لكنَّ ستاركي يرفض الهبوط على الأرض. لن يتذلل أمام رجل العصابات هذا الذي يحمل صبغة قانونية، وقال: «افعلها! تسبَّبْ في إصابة عيني، ثم اشرح لمخيم الحصاد سبب تلف البضائع».

لفَّ المتحدث الرسمي جسد ستاركي، ودفعه بقوة كبيرة نحو جدار الطوب، ليُكشَط وجهه ويصاب بالكدمات.

- لقد سئمتُ منكَ يا ستاركي. أو ربما ينبغي أن أدعوك «ستوركي».

ثم ضحك المتحدث الرسمي، كما لو كان عبقريًّا. كما لو أن كل معتوه في العالم لم يلقبه بذلك فعلًا! أصدر الشرطي صوتًا من أنفه، قائلًا: «هذا اسم أفضل لك يا ستوركي، أليس كذلك؟ أيروق لك ذلك يا ستوركي؟».

عندما يغلي الدم، يكون أكثر حرارة من الماء. ستاركي يمكن أن يكون خير دليل على ذلك، لأن الغضب ضخ الأدرينالين في دمه، فضرب المتحدث الرسمي بمرفقه في بطنه، ثم دار حوله، وأمسك السلاح.

- أوه.. لا، لا تفعل ذلك!

كان المتحدث الرسمي أقوى من ستاركي، لكنَّ الشجاعة قد تتغلب على القوة. أخذ السلاح يتحرك بينهما. يُصوَّب إلى وجنة ستاركي، ثم إلى صدره، ثم إلى أذن المتحدث الرسمي، ثم أسفل ذقنه. كلاهما يتصارع للضغط على الزناد و.. بلام!

الصدمة الارتجاجية للانفجار دفعت ستاركي مجددًا نحو الحائط. الدم! أصبح الدم في كل مكان! الطعم الحديدي له في فمه والرائحة النفاذة لدخان المسدس و...

لم تكن تلك رصاصة تخدير! لقد كانت حقيقية!

وظنَّ أنه على بعد أجزاء من الثانية من الموت، لكنه أدرك فجأة أن الدم ليس دمه؛ وأمامه، رأى وجه المتحدث الرسمي مُصطبِغًا باللون الأحمر، وتسوده الفوضى. سقط الرجل ميتًا، قبل أن يصطدم بالرصيف و...

- يا إلهي، كانت تلك رصاصة حقيقية. لماذا يمتلك شرطي أحداث رصاصات حقيقية؟ هذا غير قانوني!

سمع خطوات أقدام حول المنعطف، والشرطي ما زال ميتًا، فأدرك أن العالم كله قد سمع صوت الرصاصة، وكل شيء يتوقف على حركته التالية.

إنه شريك إوُول آكرون الآن. إن القديس الراعي للهاربين من التفكيك يراقب من أعلى، في انتظار أن يتخذ ستاركي خطوة ما، وهو يفكر، ماذا كان كونور ليفعل في مثل هذا الموقف؟

بعد ذلك، استدار شرطي آخر حول المنعطف.. شرطي لم يرَه ستاركي من قبل وعزم على ألا يراه مجددًا. رفع ستاركي مسدس المتحدث الرسمي ليطلق النار، محوِّلًا ما حدث من مجرد حادث عارض إلى جريمة قتل.

بينما يهرب -يهرب حقًّا- كل ما أمكنه التفكير فيه هو المذاق الدموي للنصر، ومدى سرور شبح كونونر لاسيتر.

إعلان

هل يواجه طفلك صعوبات في التعلم؟ يستذكر دروسه لساعات، لكنه يظل عاجزًا عن رفع درجاته؟ لقد جربتَ الدروس الخصوصية، وحتى تغيير المدارس، ولم تحصل حتى الآن على نتائج. إلى أي مدى ستترك طفلك وحيدًا يعاني؟

الجواب: ليس بعد الآن! لأن لدينا الحل!

التعزيز المعرفي الطبيعي من خلال النسيج العصبي. نسيج الذاكرة العصبي ليس بعض عقاقير تنشيط العقل المشكوك في جدواها. إنها أنسجة دماغية حية بُرمجتْ سلفًا بالمادة الدراسية التي تختارها. الجبر وحساب المثلثات وعلم الأحياء والفيزياء، والمزيد من المواد في الطريق!

التكلفة في متناول اليد، لذا لا تنتظر تقرير الدرجات السيئة التالي. اتخذ إجراءات عملية الآن! اتصل بمعهد النسيج العصبي اليوم للحصول على عرض أسعار مجاني. نتائجنا مضمونة مائة بالمائة أو يمكنك استرداد أموالك.

معهد النسيج العصبي: عندما يُخفِق التعليم، سنقدم لك التفوق مباشرة!

أن تكون هاربًا من التفكيك هذا شيء، لكنْ أن تكون قاتلًا لشرطي هو شيء آخر. أصبحتْ مطاردة ستاركي أكثر من مجرد مطاردة معتادة للمفككين. يبدو أن العالم كله في حالة تأهب. في البداية، غيَّر ستاركي مظهره، وصبغ شعره البني المتموج باللون الأحمر، وقصَّه ليصبح قصيرًا، وحلق لحية الماعز الصغيرة التي كان يطلقها منذ أن كان في المدرسة الإعدادية. الآن عندما يراه الناس، قد ينتابهم شعور بأنهم قد رأوه من قبل، لكنهم لن يعرفوا أين رأوه، لأنه الآن لا يبدو كوجه يظهر على ملصق كشخص مطلوب للعدالة، بل أصبح أكثر شبهًا بوجه إعلاني تراه على عبوات حبوب إفطار «ويتيس». الشعر الأحمر لا يبدو متناسبًا مع لون بشرته السمراء الشاحبة، لكنْ في النهاية، كونه يحمل مزيجًا وراثيًّا قد أفاده جيدًا طوال حياته. لقد كان دائمًا كالحرباء يمكن أن يتلون وينتمي إلى أي عرق. الشعر الأحمر دوره هو إضافة مستوى آخر من التضليل.

تجنب المدينة، ولم يبقَ في مكان واحد لأكثر من يومين. السر هو أن شمال غرب المحيط الهادئ أكثر تعاطفًا مع الهاربين من التفكيك من جنوب كاليفورنيا، لذا فهو المكان الذي يتجه إليه.

إن ستاركي مؤهل للحياة كهاربٍ، لأنه عاش دائمًا في نوع من جنون الارتياب الوقائي. لا تثق بأحد، ولا حتى بظلك، وابحثْ عن مصلحتكَ فقط. قدَّر أصدقاؤه نهجه الواضح في الحياة، لأنهم عرفوا دائمًا موقفه منهم. إنه مستعد للقتال حتى النهاية من أجل أصدقائه.. ما دام ذلك في مصلحته.

قالت له إحدى المعلمات ذات مرة: «تحظى بروح مؤسسية». قصدتْ إهانته، لكنه اعتبرها مجاملة، فالمؤسسات تحظى بقوة كبيرة، وتفعل أشياء جيدة في هذا العالم عندما تختار ذلك. لقد كانت معلمة رياضيات تهوى معانقة الأنهار الجليدية، وفُصِلَتْ في العام التالي؛ فمن يحتاج إلى مدرسي رياضيات، عندما يمكنك الحصول على نسيج عصبي؟ إنها تذهب فقط، لتريك أن احتضان قطعة من الجليد لا يجعلك تشعر بشيء سوى البرد.

الآن، وجد ستاركي نفسه في جبهة واحدة مع معانقي الأنهار الجليدية، لأن هذا النوع من الناس هو الذي يدير جبهة المقاومة ضد الانقسام، ويوفرون المأوى للهاربين من التفكيك. بمجرد أن يصبح بين يدي المقاومة، يعلم أنه سيكون بأمان، ولكنَّ العثور عليهم هو الجزء الصعب.

يقول طفل قبيح له وجه أشبه بوجه كلب «بولدوج»: «إنني هارب من التفكيك منذ أربعة أشهر تقريبًا، ولم أرَ أي أثر للمقاومة». التقاه ستاركي في

أثناء التسكع خلف أحد فروع مطاعم «كنتاكي» للدجاج المقلي عشية عيد الميلاد، في حين كان كل منهما ينتظر إلقاء العاملين بالمطعم لبقايا الدجاج. إنه ليس من ذلك النوع من الصبية الذي كان ستاركي سيتسكع معه في واقع حياته، ولكنِ الآن بعد أن انقلب واقع حياته إلى وقت مُختَلَس، تغيرت أولوياته.

قال له وجه الكلب: «لقد نجوتُ لأنني لا أسقط في الأفخاخ».

يعرف ستاركي كل شيء عن الأفخاخ. إذا كان مكان الاختباء يبدو جيدًا للغاية، لدرجة يصعب تصديقها، فمن المحتمل أن يكون فخًا. منزل مهجور به فراش مريح؛ شاحنة مقفلة تصادَف أنها مليئة بالطعام المعلب. إنها الأفخاخ التي نصبها رجال شرطة الأحداث للهاربين من التفكيك. حتى إن بعض عملاء شرطة الأحداث يتظاهرون بانتمائهم إلى المقاومة ضد الانقسام.

قال له وجه الكلب، وهما يملآن معدتيْهما بالدجاج حد التخمة: «تُقدِّم شرطة الأحداث الآن مكافآت للأشخاص الذين يُسلِّمون الهاربين من التفكيك، وهناك صائدو الجوائز أيضًا الذين يُطلِقون عليهم قراصنة الأعضاء. إنهم لا يهتمون بجمع المكافآت؛ إنهم يبيعون الهاربين من التفكيك -الذين يقعون في أيديهم- في السوق السوداء، وإذا كنت تعتقد أن مخيمات الحصاد العادية سيئة، فلك أن تتخيل ما يحدث في مخيمات الحصاد غير القانونية».

ابتلع الصبي قضمةً كبيرةً للغاية من الطعام، أمكن لستاركي أن يراها وهي تنزلق في حلقه، كفأر ابتلعه ثعبانٌ. قال وجه الكلب: «لم يوجد في السابق قراصنة أعضاء، لكن لأن المراهقين البالغين سبعة عشر عامًا لم يعدْ من الممكن تفكيكهم، أصبح في الأعضاء المطلوبة للزرع نقص، ووصل سعر الهاربين من التفكيك إلى أثمان باهظة في السوق السوداء».

هزَّ ستاركي رأسه. من المفترض أن يؤدي جعل تفكيك المراهقين في سن السابعة عشرة أمرًا غير قانوني إلى إنقاذ خُمس الأطفال المحكوم عليهم بالتفكيك، لكن بدلًا من ذلك أُجبِر الكثير من الآباء على اتخاذ قرارهم في وقت مبكر. تساءل ستاركي هل كان والداه ليغيرا قرارهما، لو كانا يملكان عامًا آخر لاتخاذ القرار.

قال له وجه الكلب: «قراصنة الأعضاء هم الأسوأ على الإطلاق. أفخاخهم ليست جميلة كتلك التي تنصبها شرطة الأحداث. سمعتُ قصة عن صياد فقد مصدر رزقه، عندما أصبح بيع فراء الحيوانات غير قانوني. لذا أخذ أثقل مصايده التي كان قد أعدَّها للحيوانات، وأعاد تجهيزها لاصطياد الهاربين من

التفكيك. أحد تلك الأفخاخ يا رجل لو التفَّ حول ساقك، يمكنك أن تودع تلك الساق إلى الأبد». حطَّم عظمة دجاجة إلى نصفين للتأكيد، فارتجفَ ستاركي رغمًا عنه.

قال وجه الكلب وهو يلعق شحم الدجاج من أصابعه القذرة: «هناك قصص أخرى، مثل تلك القصة عن صبي في منطقتي القديمة. كان والداه فاشليْن تمامًا. كانا من المدمنين المنغمسين في المخدرات، وكانا يستحقان أن يُفكَّكا، لو كان التفكيك معمولًا به عندما كانا مراهقيْن. على أيِّ حال، في عيد ميلاده الثالث عشر، وقَّعا على أمر الفتكيك، وأخبراه بذلك».

- لماذا أخبراه بالأمر؟

شرح وجه الكلب، قائلًا: «حتى يهرب، لكنْ كما تعرف، كانا يعرفان جميع مخابئه السرية، وأخبرا أحد قراصنة الأعضاء بالأماكن التي سيعثر عليه فيها، فأمسك بالصبي، وباعه وتقاسم العائد مع والديِ الفتى».

أطلق ستاركي سبابًا بذيئًا، فهزَّ وجه الكلب كتفيه، وألقى عظمة دجاجة من يده، مُضيفًا: «كان الصبي من المنقولين على أيٍّ حال، لذا لم يكن ما حدث له خسارة كبيرة، أليس كذلك؟».

توقف ستاركي عن المضغ، لكنْ للحظة واحدة، ثم ابتسم، محتفظًا بأفكاره لنفسه. «هذا صحيح. ليست خسارة كبيرة».

في تلك الليلة، أخذ الصبي -ذو الوجه الشبيه بوجه الكلب- ستاركي إلى نفق الصرف الصحي، حيث كان يختبئ، وبمجرد أن نام الصبي، بدأ ستاركي يعمل. خرج متجهًا إلى حي قريب وترك دلو دجاج عند الباب الأمامي لمنازل بعض الغرباء، وأخذ يقرع جرسَ الباب، ويركض.

لم يكن هناك أي دجاج في الدلو. لكن بدلًا من ذلك، كانت توجد خريطة مرسومة يدويًّا، ومعها الملاحظة التالية:

أتحتاج إلى المال؟ إذن أرسل رجال شرطة الأحداث
إلى هنا، وستحصل على مكافأة كبيرة. إجازة سعيدة!

وعندما اقترب الفجر، راقب ستاركي من سطح مبنى قريب، في حين اقتحم رجال شرطة الأحداث نفقَ الصرف الصحي وسحبوا الصبي صاحب وجه الكلب خارجًا، كما لو كانوا يستخرجون الكثير من شمع الأذن.

وهنا قال ستاركي لنفسه: «أهنئك أيها الأحمق لقد تُخُلِّيَ عنك».

إعلان

«عندما وقَّع والداي على أمر التفكيك، شعرتُ بالخوف. لم أكن أعرف ماذا سيحدث لي. فكرتُ: «لماذا أنا؟ لماذا أُعاقَب؟» لكن بمجرد وصولي إلى مخيم حصاد «بيج سكاي»، تغيَّر كل ذلك. وجدت أطفالًا آخرين مثلي وقُبِلْتُ أخيرًا على ما أنا عليه. اكتشفتُ أن كل جزء مني كان ثمينًا وذا قيمة. بفضل القائمين على مخيم حصاد «بيج سكاي»، لم أعدْ خائفًا من التفكيك بعد الآن.

«الحالة المنقسمة؟ رائع. يا لها من مغامرة!».

كل هارب من التفكيك سيسرق. إنها حجة ترغب السلطات في استخدامها لإقناع الجمهور بأن المفككين هم بمنزلة ثمار تفاح فاسدة بدءًا من قشورها حتى قلبها، وأن الإجرام جزء من طبيعتهم، والطريقة الوحيدة لفصلهم عنه، هي فصلهم عن أنفسهم.

ومع ذلك، فإن السرقة لا تتعلق بالاستعداد بالنسبة إلى المفككين. إنها ببساطة مسألة ضرورة. فالصبية الذين لا يسرقون أبدًا بنسًا واحدًا، يجدون أصابعهم أكثر لزوجة من العسل الأسود، فتلتصق بها جميع أنواع البضائع المسروقة، من الطعام، إلى الملابس، إلى الأدوية، باختصار، الأشياء المختلفة التي يحتاجون إليها للبقاء أحياء. وأولئك الذين كان لديهم فعلًا استعداد لارتكاب الجرائم، يصبحون ببساطة أكثر ميلًا إلى ذلك.

النشاط الإجرامي ليس غريبًا على ستاركي، رغم أن معظم جرائمه كانت – حتى وقت قريب– من النوع المرتبط بالتمرد. كان يسرق من المتجر، إذا نظر إليه صاحب متجر بريبة. لقد وضع علامات تمثِّل أجزاءً من فلسفته الشخصية -والتي عادةً ما تضمَّنت بعض الكلمات المختارة المكونة من أربعة أحرف- على المباني التي تمثل الأشياء ذاتها التي أثارته. حتى إنه قد سرق سيارة من أحد الجيران الذي كان دائمًا ما يجعل أطفاله الصغار يدخلون إلى المنزل

كلما خرج ستاركي. أخذ سيارة ذلك الرجل في نزهة مع اثنين من الأصدقاء. استمتع الجميع. على طول الطريق، حكَّ صفًّا من السيارات المتوقفة، وفقد اثنين من أغطية الجنوط ومصدًّا للصدمات. انتهتْ رحلتهم عندما قفزت السيارة أعلى الرصيف، لتدخل في صندوق بريد غير مستخدم. كانت الأضرار كافية للغاية لتصنيف السيارة بأنها خارج الخدمة بالكامل، وهذا بالضبط ما أراده ستاركي.

لم يتمكنوا قطُّ من إثبات أنه هو الفاعل، لكنَّ الجميع كانوا يعرفون. اضطُرَّ إلى أن يعترف لنفسه أن هذا لم يكن من المواقف التي يفخر بها، لكنه أدرك أن عليه أن يفعل شيئًا لإيذاء رجل ظن أن ستاركي لا يستحق أن يتنفس الهواء الذي يتنفسه أطفاله. ببساطة، كان لا بدَّ من معاقبة الرجل على هذا النوع من السلوك.

بدا كل شيء فعله سابقًا ضئيلًا الآن، بعد أن أصبح قاتلًا. لكنْ لا.. التفكير في نفسه بهذه الطريقة، لن يفيده في شيء. من الأفضل أن يعتبر نفسه محاربًا: جندي مشاة في الحرب ضد التفكيك. يُمنَح الجنود ميداليات لإخراجهم العدو من الوطن، أليس كذلك؟ لذلك، فرغم أن تلك الليلة في الزقاق ما زالت تغرقه في لحظات من الشك في ذاته، فإنه يشعر بارتياح الضمير في معظم الأوقات. لم يشعر بتأنيب الضمير أيضًا عندما بدأ في سرقة حافظات نقود الناس.

اعتاد ستاركي -الذي تخيل أنه سيصبح ساحرًا شهيرًا في لاس فيجاس يومًا- أن يُدهِش الأصدقاء ويرعب الكبار، بإخفاء ساعاتهم من معاصمهم، لتظهر في جيوب الآخرين. كانت خدعة بسيطة، لكنها استغرقت الكثير من الوقت لإتقانها. إخفاء حافظات النقود والحقائب يعتمد على الطريقة نفسها. مزيج من الإلهاء والأصابع الماهرة والثقة في الأداء.

في هذه الليلة، كانت ضحية ستاركي رجلًا يخرج من الحانة، وهو في حالة سكر بيِّن، ويضع حافظة متخمة بالنقود في الجيب العريض لمعطفه. أمسكَ السكيرُ بمفاتيحه، وهو في طريقه إلى سيارته، ليمر ستاركي، مصطدمًا بالرجل بقوة كافية للإطاحة بالمفاتيح، وإسقاطها على الأرض. قال ستاركي، وهو يلتقط المفاتيح ويسلِّمها إليه: «أعتذر يا رجل». لم يشعر الرجل قطُّ بأصابع يد ستاركي الأخرى، وهي تتسلل إلى جيبه، وتُخرِج حافظة النقود، في اللحظة نفسها التي يسلمه فيها ستاركي المفاتيح. تسكع ستاركي بعدها في الطرقات، وهو يطلق صفيرًا منغَّمًا، مدركًا أن الرجل سيكون قد وصل إلى

منتصف طريقه إلى المنزل، قبل أن يدرك أن حافظة نقوده قد اختفت، وحتى عندما يحدث ذلك، سيظن أنه قد نسيها في الحانة فحسب.

اتجه ستاركي إلى أحد المنعطفات، وتأكد أنه بعيد عن الأنظار، قبل أن يفتح الحافظة، وبمجرد أن فعل، تدفقتْ في أنحاء جسده شحنة من الكهرباء، بقوة شديدة للغاية، جعلتْه يفقد السيطرة على ساقيه، ليسقط شبه فاقد الوعي، وهو ينتفض على الأرض.

حافظة نقود صاعقة. لقد سمع عن مثل هذه الأشياء، لكنه لم يرَها على أرض الواقع إلا الآن.

في خلال ثوانٍ، جاء المخمور -ليتضح أنه ليس مخمورًا على الإطلاق- مع ثلاثة آخرين بوجوه غير واضحة الملامح. رفعوا ستاركي، ودفعوه في مؤخرة شاحنة كانت تنتظر.

بينما انغلق الباب، وأسرعتِ الشاحنة على الطريق، رأى ستاركي -الذي بالكاد يحتفظ بوعيه- وجه الرجل المخمور/غير المخمور ينظر إليه، من خلال ضباب مشحون كهربائيًّا، ويسأله: «هل أنت مفكَّك، أم هارب من أسرتك، أم مجرد لص؟».

شعر ستاركي أن شفتيْه كالمطاط، وهو يجيب: «مجرد لص».

قال غير المخمور: «عظيم. هذا يُضيِّق دائرة الاختيارات. أأنت مُفكك أم هارب؟».

غمغم ستاركي: «هارب».

قال الرجل: «ممتاز. الآن بعد أن تأكدنا أنك من المفككين، نعرف ما يجب أن نفعله معك».

تأوَّه ستاركي، فيما تضحك امرأة ما خارج مجال رؤيته المحدود.

- لا تُدهَش. المفككون جميعهم تبدو هذه النظرة في عيونهم؛ نظرة لا يملكها الهاربون والمجرمون. لقد عرفنا الحقيقة دون أن تقول شيئًا.

حاول أن يتحرك، لكنه بالكاد استطاع رفع أطرافه. قالت فتاة لا يستطيع أن يراها من خلفه: «لا تفعل.. لا تتحرك، وإلا سأصعقك بشكل أسوأ مما فعلتْ حافظة النقود». أدرك ستاركي أنه قد وقع في فخ قراصنة الأعضاء. اعتقد أنه أكثر ذكاءً، فلعن حظه في صمت، إلى أن قال الرجل الذي تظاهر بالسكر:

«سيروق لك هذا المخبأ. الطعام جيد، حتى إن كانت رائحته كريهة إلى حد ما».

- ما.. ماذا؟

ضحك من كل مَن حوله. ربما كان هناك أربعة أشخاص أو خمسة في الشاحنة. لكنَّ رؤيته ظلت غير واضحة بما يكفي لإحصائهم بدقة.

قالت المرأة: «أحب تلك النظرة على وجوههم». ثم دخلتْ في مجال رؤيته، وابتسمتْ له، مضيفة: «هل تعلم كيف يهدئون الأسود الهاربة، حتى يتمكنوا من إعادتها إلى أقفاصها الآمنة، قبل أن تقع في مشكلات كبرى؟ حسنًا، اليوم أنت الأسد».

إعلان خدمة عامة

«مرحبًا يا أطفال! المخبر والتر هنا، بعينين مفتوحتين وأنف على الأرض ككلاب الحراسة! لا يمكن لأي شخص أن يكون بارعًا مثلي في التعقب، لكنِ الآن يمكنك الانضمام إلى نادي المخبرين الصغار التابع لي! ستتلقى مجموعة أدوات المخبر الصغير الخاصة بك، ورسالة إخبارية شهرية تحتوي على ألعاب، ونصائح عن اكتشاف الجريمة في منطقتك، بدءًا من الغرباء المشتبه فيهم وحتى «البيوت الخطرة» التي تؤوي المفككين!

بوجودكم في العمل، لن يحظى الأشرار والهاربون من التفكيك بفرصة للإفلات! لذا انضموا اليوم! وتذكروا أيها المخبرون الصغار: عيون مفتوحة وأنف على الأرض!»

برعاية «مؤسسة مراقبة الأحياء»

إن المخبأ محطة ضخ للصرف الصحي. تعمل آليًّا. العمال لا يظهرون على الإطلاق، ما لم ينكسر شيء ما.

قالوا لستاركي وهم يُدخِلونه إلى المكان: «ستعتاد الرائحة»، وهذا ما وجد صعوبة في تصديقه، لكنِ اتضح أنه صحيح. من الواضح أن حاسة الشم لدى المرء تدرك أنها ستخسر المعركة، فتساير الأمر فحسب، وكما أخبروه في الشاحنة، فإن الطعام يُعوِّض ذلك.

المكان كله مزرعة للترقب والخوف من الآخر، نتجت عن أطفال تخلى عنهم آباؤهم، وهذا الشعور كان في أسوأ حالاته على الإطلاق. كانت هناك مشاجرات ومواقف سخيفة يوميًّا.

لطالما كان ستاركي قائدًا بالفطرة بين الشخصيات غير المستقرة والحدية، والبيت الآمن لم يكن استثناءً لذلك. سرعان ما ارتفع في الرتب الاجتماعية. كانت أخبار هروبه قد انتشرت فعلًا، وتضخمت بفعل الشائعات، وهذا ما ساعده منذ البداية.

- أحقًّا أطلقت النار على اثنين من رجال شرطة الأحداث؟

- نعم.

- أصحيح أنك أطلقتَ النار بمدفع رشاش في طريقك للخروج من الحجز؟

- طبعًا، لِمَ لا؟

وأفضل ما في الأمر هو أن الصبية المنقولين، الذين تُخلِّي عنهم، والذين عُومِلوا -حتى بين المفككين- كمواطنين من الدرجة الثانية، أصبحوا الآن من النخبة، بفضله!

هل أمر ستاركي بأن يُقدَّم الطعام للمنقولين أولًا؟ إذن فليُخدَموا أولًا. هل أمر ستاركي أن يحصل المنقولون على أفضل الأسرَّة، بعيدًا عن الفتحات النتنة؟ إذن فليحصلوا على أفضل الأسرَّة. كلمته قانون. حتى أولئك الذين يديرون المكان يعرفون أن ستاركي هو أعظم من لديهم، وهم يعلمون أن عليهم إسعاده، لأنه إذا أصبح عدوًّا، فكل مفكك في المكان سيكون عدوًّا أيضًا.

بدأ يستقر في المكان، معتقدًا أنه سيظل هناك حتى يبلغ السابعة عشرة من عمره، لكنْ في منتصف ليلة جُمِعُوا ونُقِلُوا بمقاومة الانقسام، ثم وُزِّعوا -كمجموعة من أوراق اللعب- على منازل آمنة مختلفة.

قيل لهم جميعًا: «هذه هي الطريقة التي يتم بها الأمر». والسبب -كما فهم ستاركي- له شقان. الأول، أنه يجعل الأطفال يقتربون من وجهتهم، أينما كانت. ثانيًا، يُفصَل بينهم لمنع دوام التحالفات. الأمر يشبه نوعًا ما تفكيك التجمعات، بدلًا من الأفراد؛ لإبقائهم تحت السيطرة.

ومع ذلك، جاءت خطتهم بنتائج عكسية مع ستاركي، لأنه في كل مخبأ يتمكن من كسب الاحترام، وبناء مصداقيته بين المزيد والمزيد من الأطفال. في كل موقع جديد، يصادف مفكَّكين ممن يتوهمون أنفسهم ذكورًا متفوقين،

فيحاولون تولي المسؤولية، لكنْ في الحقيقة هم مجرد تابعين ينتظرون قائدًا لإخضاعهم.

في كل لحظة، يجد ستاركي فرصته للتحدي، والانتصار، والارتقاء إلى أعلى. ثم تكون هناك جولة أخرى في منتصف الليل، وتوزيع جديد، ومخبأ جديد. في كل مرة يتعلم ستاركي مهارة اجتماعية جديدة، شيئًا يخدمه، شيئًا ما يجعله أكثر فعَّالية في جمع هؤلاء الأطفال الخائفين والغاضبين وتحفيزهم. ليس هناك برنامج قيادة أفضل من البيوت الآمنة التابعة لمقاومة الانقسام.

ثم أتت التوابيت.

ظهرتْ في آخر مخبأ: شحنة من صناديق دفن الموتى الخشبية المزوَّدة ببطانات ثمينة من الستان. معظم الأطفال أصابهم الرعب. وحده ستاركي كان مستمتعًا.

أمرهم مقاتلو المقاومة المسلحة الذين يشبهون إلى حد كبير رجال العمليات الخاصة: «ادخلوا! دون أسئلة، ادخلوا فحسب. اثنان في كل صندوق! هيا تحركوا!».

تردد بعض الصبية، لكنْ سرعان ما وجد الأطفال الأذكى شريكًا، كما لو كانت رقصة ميدانية مفاجئة، ولم يرغب أحد في أن يَعْلَق مع شخص طويل للغاية، أو سمين للغاية، أو قذر للغاية، أو شهواني للغاية، لأن أيًّا من هذه الأشياء لن يجعل الوضع مريحًا في حدود التابوت، لكنْ لم يدخل أحد الصناديق فعليًّا، إلى أن أعطى ستاركي الإشارة.

قال لهم: «لو كانت نيتهم دفننا أحياء، لفعلوا ذلك فعلًا». اتضح من ذلك، أنه أكثر إقناعًا من الرجال المسلحين.

اختار أن يتقاسم صندوقه الصغير مع فتاة نحيلة متحمسة لاختياره إياها. لا يعني ذلك أنها قد راقت له بشكل خاص، لكنها ضعيفة للغاية، حتى إنها بالكاد ستشغل أي مساحة. بمجرد أن يلتصق كل اثنين معًا متمددَيْن كالملاعق في علب ضيقة، يُسلَّمان أسطوانة أكسجين ثم يُغلَق الغطاء عليهما معًا في ظلام التابوت.

قالت الفتاة التي لا يستطيع تذكر اسمها: «لطالما أحببتكَ يا مايسون». أصابتْه الدهشة، لأنها تعرف اسمه الأول الذي لم يعدْ يستخدمه بعد الآن.

أضافت: «من بين كل الصبية في البيوت الآمنة، أنت الوحيد الذي يجعلني أشعر بالأمان».

لم يُجِبْ. فقط قبَّلها على مؤخرة رأسها، ليحافظ على صورته باعتباره أكثر الموانى أمانًا في عاصفتها. إنه شعور يمدك بالقوة، أن تعرف أنك تجعل الآخرين يشعرون بالأمان.

قالت بخجل: «نحن... يمكن أن، كما تعلم...».

ذَكَّرها أن رجال المقاومة كانوا واضحين للغاية. لقد قالوا: «ممنوع فعل أنشطة تخرج عن النص، حتى لا تستهلكوا الأكسجين سريعًا وتموتوا». لا يعرف ستاركي هل كان هذا صحيحًا، لكنه بالتأكيد حجة جيدة لضبط النفس. إضافة إلى ذلك، حتى لو أن شخصًا ما غبي بما يكفي ليحاول، فليستْ هناك مساحة كافية للتحرك، ناهيك بعمل أي نوع من الاحتكاك، ومن ثَمَّ فالأمر غير قابل للتطبيق. تساءل هل كان ما يحدث نوعًا من المزاح الملتوي الذي يفعله الكبار، بحيث يدفعون المراهقين بهرموناتهم الثائرة داخل أماكن ضيقة، مع التأكد أنه من المستحيل فعل أي شيء سوى التنفس.

قالت الفتاة: «أرحب بالاختناق، ما دمتُ معك»، وهو قول أشعره الإطراء، لكنه جعله أقل اهتمامًا بها، فقال: «سيكون هناك وقت أفضل»، قالها وهو يعلم أن ذلك الوقت لن يأتي أبدًا -على الأقل ليس بالنسبة إليها- لكنَّ الأمل محفز قوي.

في النهاية استقرَّ بهما الوضع في نوع من التنفس التكافلي الإيقاعي. يشهق هو عندما تزفر هي، حتى لا يتصارع صدراهما على الهواء المتاح في المساحة الضيقة.

بعد مدة، تغيَّر الوضع بحركة مفاجئة فعلها ستاركي، إذ لفَّ ذراعه حول الفتاة، فازداد احتضانه إياها قوةً إلى حد ما، بعدما أدرك أن تهدئة خوفها، سيقلل خوفه هو أيضًا بطريقة ما. سرعان ما أصبح خارج التابوت نوع غريب من الحركة المتسارعة، كما لو كانا على متن سيارة مسرعة، لكنَّ الزاوية تتغير، وتجعل التابوت يميل.

سألتِ الفتاة: «أنحن على متن طائرة؟».

- أعتقد ذلك.

- وماذا سيحدث الآن؟

لم يُجِبْ، لأنه لا يعرف. بدأ ستاركي يشعر بالدوار، وتذكر خزان الأكسجين، أدار الصمام حتى أصدر صوتًا حادًّا وبطيئًا. التابوت ليس مفرَّغًا تمامًا من الهواء، لكنه مغلق بإحكام، بحيث يختنقان دون هذا الأكسجين، حتى في الطائرة التي يُحافظ على ثبات الضغط بداخلها. في غضون دقائق قليلة، نامت الفتاة نتيجة للإجهاد الناجم عن التوتر العصبي، لكنَّ ستاركي لم يستسلم للنوم. وأخيرًا -بعد مرور ساعة- أدى الاهتزاز الناجم عن الهبوط إلى إيقاظ الفتاة التي سألت: «في اعتقادك، أين نحن الآن؟».

توترتْ أعصاب ستاركي بسبب ضيق المكان، لكنه حاول عدم إظهار ذلك، مجيبًا: «سنكتشف بعد قليل».

مضتْ عشرون دقيقة من الترقب، وأخيرًا فُتِحَ الغطاء، ليُبعَث الاثنان من الموت، إذ وجدا صبيًّا يضع تقويمًا للأسنان، ينظر إليهما مبتسمًا من أعلى، قائلًا ببشاشة: «مرحبًا بكما، أنا هايدن، وسأكون منقذكما اليوم. أوه.. انظرا! لا يوجد قيء أو سوائل جسدية أخرى غير سارة. يا لكما من محظوظين!».

انضم ستاركي إلى موكب العُرْجِ الخارجين من طائرة شحن البضائع، وهو لا يكاد يشعر بأي دماء تسري في قدميه، وغُشِيَتْ أبصار الجميع بضوء النهار الساطع، بعد احتجازهم طويلًا داخل توابيت معتمة. وعندما بدأتْ عينا ستاركي تعتادان الضوء، بدا أول ما رآه أقرب إلى السراب منه إلى الحقيقة. كانت صحراء تمتلئ بآلاف الطائرات.

سمع ستاركي عن أماكن كهذه، ساحات لتخزين الطائرات التي توقفت عن العمل وتكهينها. في الأرجاء مراهقون يرتدون أزياء عسكرية مموَّهة، ويحملون أسلحة. إنهم لا يختلفون عن البالغين في آخر مخبأ؛ إنهم أصغر سنًّا فحسب. قادوا مجموعة الصبية في تشكيل فضفاض أسفل المنحدر.

اقتربتْ من المكان سيارة جِيب. من الواضح أن راكبها شخص مهم، شخص سيخبرهم سبب وجودهم هنا.

توقفتِ السيارة، ليترجَّل منها مراهق غير مميَّز المظهر، يرتدي الزي الأزرق المموه. إنه في عمر ستاركي، أو ربما أكبر قليلًا، ويمتلك ندوبًا على النصف الأيمن من وجهه.

وبينما يلقي الحشد نظرة فاحصة عليه، بدأ الناس يهمهمون في حماس. رفع الصبي يده مشيرًا لهم بالهدوء، فرأى ستاركي وشم سمكة قرش على ذراعه.

قال صبي سمين بجوار ستاركي: «مستحيل! أتعرف من هذا؟ إنه إوُول آكرون! إنه كونور لاسيتر».

قال ستاركي ساخرًا: «لا تكن سخيفًا، لقد مات إوُول آكرون».

- لا، لم يمت! ها هو أمامك!

دفعتِ الفكرة ذاتها موجةً من الأدرينالين في أنحاء جسد ستاركي، لتعود دورته الدموية أخيرًا إلى الانتظام، وتصل الدماء إلى أطرافه. لكنْ لا، فبينما ينظر إلى هذا المراهق الذي يحاول السيطرة على الفوضى، أدرك أنه لا يمكن أن يكون كونور لاسيتر. هذا الفتى لا يشبهه على الإطلاق. شعره مشعَّث، وليس مصفَّفًا بنعومة إلى الخلف، كما تخيله ستاركي دائمًا. هذا الفتى يبدو منفتحًا للغاية وصريحًا؛ ليس بريئًا تمامًا، لكنْ لا يقترب بأي حال إلى مستوى الغضب المتراكم الذي من المفترض أن يملكه إوُول آكرون. الشيء الوحيد فيه الذي يمكن أن يشبه إلى حد ما الصورة التي رسمها ستاركي لكونور لاسيتر، هو الابتسامة الخفيفة التي تبدو دائمًا على وجهه. لا، هذا الصبي الواقف أمامهم، محاولًا أن يكسب احترامهم، ليس شخصًا مميزًا. إنه شخص تافه لا يُذكر.

قال الفتى، وهو يلقي ما لا بدَّ أنه الخطاب نفسه الذي يلقيه على مسامع دفعات الوافدين الجدد: «اسمحوا لي أن أكون أول من يرحب بكم في المقبرة. اسمي الرسمي هو إلفيس روبرت مولارد.. لكنَّ أصدقائي يدعونني كونور».

تعالتْ هتافات المفككين، وقال الفتى السمين: «ألم أقلْ لكَ؟».

قال ستاركي، وهو يكز على أسنانه في غضب: «هذا لا يثبت أي شيء».

في حين واصل كونور حديثه: «أنتم جميعًا هنا لأنكم قد تقرَّر تفكيككم، ولكنكم هربتم، وبفضل جهود مجموعة كبيرة من الأشخاص مع المقاومة ضد الانقسام، نجحتُم في الوصول إلى هنا. سيكون هذا منزلكم حتى تبلغوا السابعة عشرة، ولا يمكن إخضاعكم للتفكيك بعدها، وهذا هو النبأ السار».

كلما تحدث أكثر، خفق قلب ستاركي، وأصبح أكثر إدراكًا لحقيقة الأمر. إنه إوُول آكرون، وهو ليس كائنًا خرافيًّا على الإطلاق. إنه -في الحقيقة- بالكاد يرقى إلى مستوى الواقع.

- النبأ السيئ هو أن شرطة الأحداث تعرف أمرنا. إنهم يعرفون أين نحن وماذا نفعل، لكنهم يتركوننا وشأننا حتى الآن.

تعجَّب ستاركي من غياب الإنصاف في هذا الأمر. كيف يكون ذلك؟ كيف يمكن أن يكون البطل العظيم في نظر المفككين الهاربين، مجرد صبي عادي؟

قال كونور: «بعضكم يرغب في البقاء حيًّا حتى سن السابعة عشرة فحسب، وأنا لا ألومهم، لكنني أعلم أيضًا أن كثيرين منكم مستعدون للمخاطرة بكل شيء للقضاء على التفكيك إلى الأبد».

رفع ستاركي قبضته في الهواء، وصاح، وهو يتأكد من أن صوته مرتفع بما يكفي لجذب انتباه الجميع بعيدًا عن كونور: «نعم! «هابي جاك»! «هابي جاك»! «هابي جاك»!». فتلقى استجابة من كل المراهقين المحتشدين، وردَّدوا خلفه، فصاح ستاركي مجددًا: «سننسف مخيمات الحصاد على بكرة أبيها!». ورغم نجاحه في تأجيج شعورهم، فإن نظرة واحدة من كونور كانت كافية لإسدال ستار مُبلَّل، أطفأ الثورة المتأججة، فصمتوا جميعًا.

قال هايدن، وهو يهز رأسه: «يوجد شخص كهذا في كل تجمُّع».

قال كونور، وهو ينظر مباشرة إلى ستاركي: «يؤسفني أن أخيِّب ظنك، لكننا لن نفجر متاجر التقطيع. إننا في نظرهم فعلًا قوم يستخدمون العنف، ورجال شرطة الأحداث يستخدمون حالة الخوف العامة، لتسويغ التفكيك. لا يمكننا مساعدتهم على ذلك. نحن لسنا مُصفِّقين. لن نرتكب أعمال عنف عشوائية. سنفكر قبل أن نتصرف».

لم يتقبل ستاركي التوبيخ بسعة صدر. من يكون هذا الرجل ليخرسه؟ إنه يواصل الحديث، لكنَّ ستاركي توقف عن الاستماع، لأن كونور ليس لديه ما يقوله له. لكنَّ الآخرين يستمعون، وهذا جعل ستاركي يشتعل غضبًا.

وبينما يقف هناك، في انتظار المدعو إوُول آكرون ليصمت، بدأت بذرة تنبت في عقل ستاركي. لقد قتل اثنين من رجال شرطة الأحداث. لقد تبلورت أسطورته فعلًا، وعلى عكس كونور، لم يكن مضطرًّا إلى التظاهر بالموت، حتى يصبح أسطورة. على ستاركي أن يبتسم. إن ساحة تخزين الطائرات هذه تمتلئ بالمئات من المفكَّكين، لكنها في النهاية، لا تختلف عن البيوت الآمنة ومثل تلك البيوت الآمنة، فالموجود هنا ليس سوى تابع آخر فحسب، ينتظر قائدًا مثل ستاركي، ليضعه في مكانه.

2 - ميراكولينا

لا تذكر الفتاة منذ متى، لكنها تعرف أن جسدها منذور للرب.

كانت تدرك دائمًا أن في عيد ميلادها الثالث عشر، ستصبح من الأعشار، وستخضع للتجربة الغامضة المجيدة، المتمثلة في أن تصبح جسدًا مُقسَّمًا وروحًا تتحول إلى شبكة. ليست شبكة بالمعنى المقصود في عالم الكمبيوتر، لأنَّ بثَّ روح المرء في الأجهزة الآلية يحدث فقط في الأفلام، ولا تكون له نتائج جيدة أبدًا. لا، ستكون هذه شبكة حقيقية داخل أجساد حية. امتداد لروحها بين عشرات الأشخاص الذين حصلوا على جزء من جسدها المنقسم. هناك من يقولون إنه موت، لكنها تعتقد أنه شيء آخر، شيء صوفي، وهي تؤمن به بكل ذرة في روحها.

قال لها القس ذات مرة: «أفترض أن المرء لا يمكنه أن يعرف كُنه هذا الانقسام، حتى يخوض التجربة فعلًا». من الغريب أن القس، الذي كان دومًا شديد الثقة في عقيدة الكنيسة، تحدث عن عدم اليقين كلما تعلَّق الأمر بنذر العُشر. أوضح القس: «الفاتيكان لم يتخذ موقفًا بعد بشأن التفكيك، وإلى أن يُمرَّر أو يُدان، يمكن أن تكون لي شكوكي حول ذلك الأمر كما يحلو لي».

لقد أشعرها حديثه دومًا بالقشعريرة، كلما أطلق على نذر العُشر تفكيكًا، كما لو كانا الشيء نفسه. إنهما ليسا كذلك. إنها ترى أن المفككين هم الملعونون وغير المرغوب فيهم، لكنَّ المباركين والمحبوبين هم المنذورون كأعشار. قد تكون العملية هي نفسها، لكنَّ النية مختلفة، وفي هذا العالم، النية هي كل شيء.

اسمها ميراكولينا، مشتق من الكلمة الإيطالية «ميراكولو» التي تعني معجزةً. سُمِّيَتْ بهذا الاسم لأنها وُلِدَتْ لتنقذ حياة شقيقها. شُخِّصَ شقيقها ماتيو بسرطان الدم عندما كان في العاشرة من عمره. كانت الأسرة قد انتقلت

من روما إلى شيكاغو لتلقي العلاج، لكنْ حتى في وجود بنوك أعضاء في جميع أنحاء البلاد، لم يُعثَر على نخاع مطابق لفصيلة دمه النادرة. كانت الطريقة الوحيدة لإنقاذه هي إنشاء تطابق، وهذا بالضبط ما فعله والداه. بعد تسعة أشهر من ولادة ميراكولينا، أخذ الأطباء نخاعًا من فخذها، وأعطوه لماتيو، وأُنقِذَ شقيقها.. بهذه السهولة. يبلغ شقيقها من العمر الآن أربعةً وعشرين عامًا، وهو في عامه الأخير بالجامعة؛ بفضل ميراكولينا.

حتى قبل أن تفهم ما يعنيه أن تكون عُشرًا، كانت تعلم أنها تمثل عشرة بالمائة من كيان أكبر. قالت لها والدتها ذات مرة: «كان لنا عشرة أجنة في المختبر. أحدها فقط كان مطابقًا لفصيلة دم ماتيو، وكان أنتِ. ولادتكِ لم تكن مصادفةً يا «ميكارينا»، لقد اخترناكِ».

كان القانون محددًا للغاية عندما يتعلق الأمر بالأجنَّة التسعة الأخرى. كان على أسرتها أن تدفع لتسع نساء ليحملنهم حتى الولادة. بعد ذلك، يمكن للأمهات البديلات أن يفعلن ما يحلو لهنَّ، إما تربية الأطفال وإما نقلهم إلى منزل جيد. قال لها والداها: «مهما بلغت التكلفة، كان الأمر يستحق، أن يكون لدينا كلاكما ماتيو وأنت».

والآن -مع اقتراب موعد الوفاء بنذر العُشر- شعرتْ ميراكولينا بالراحة لمعرفتها أن لها تسعة توائم بيولوجيين، ومن يدري؟ ربما يذهب جزء من جسدها المقسَّم لمساعدة أحد هؤلاء التوائم المجهولين.

أما سبب النذر، فلا علاقة له بالنسب المئوية.

أخبرها والداها عندما كانت صغيرة: «لقد أبرمنا ميثاقًا مع الرب، إذا وُلِدْتِ، وشُفِيَ ماتيو، فسوف نعبِّر عن امتناننا من خلال إعادتك إلى الرب بنذر العُشر». أدركتْ ميراكولينا -حتى في سن مبكرة- أن مثل هذا الاتفاق القوي لن يُفسَخ بسهولة.

في الآونة الأخيرة، أصبح والداها يفكران في الأمر بعاطفية أكثر. توسَّلا إليها مرارًا وتكرارًا، في كثير من الأحيان وهما يبكيان: «سامحينا. أرجوكِ سامحينا على ما فعلنا». وكانت تسامحهما دائمًا، رغم أن الطلب يربكها. لطالما شعرت ميراكولينا بأنها مباركة بأن تكون عُشرًا، ولأنها تعرف بالتحديد مصيرها ومغزى وجودها. لماذا يشعر والداها بالأسف لذلك؟

ربما يشعران بالذنب لعدم إقامة حفل كبير لها، ولكنَّ ذلك كان اختيارها. قالت لوالديها: «أولًا، نذر العُشر يجب أن يكون مهيبًا وليس صاخبًا مبتذلًا. ثانيًا، من سيأتي؟».

لم يستطيعا مجادلة منطقها. ففي حين أن معظم الأعشار يأتون من المجتمعات الغنية، وينتمون إلى أنواع الكنائس التي تتقبَّل نذر العُشر، فإن حيَّهم من أحياء الطبقة العاملة، التي لا تتقبل نذر العُشر في الغالب. عندما تنتمي إلى مثل تلك الأُسَر الثرية، تحيط نفسك بأشخاص متشابهين في التفكير، ويكون هناك الكثير من الأصدقاء لدعمك في حفل نذر العُشر، بشكل يكفي لتعويض الضيوف الذين لا يشعرون بالراحة تجاه هذا الأمر. لكنْ إذا أقامت ميراكولينا حفلًا، فسيشعر جميع الحضور بالغرابة. هذه ليست الطريقة التي أرادتْ أن تقضي بها ليلتها الأخيرة مع أسرتها.

لذا لا يوجد حفل. وبدلًا من ذلك، قضتِ المساء قبالة المدفأة، جالسة بين والديها، وهي تنتقي مشاهدها المختارة من أفلامها المفضلة لتراها. حتى إن والدتها أعدَّت لها وجبتها الإيطالية المفضلة، مكرونة «ريجاتوني أماتريشيانا». قالت والدتها: «إنها أكلة جريئة وحارة، مثلكِ تمامًا».

نامت في تلك الليلة، دون أن ترى أي أحلام مزعجة -أو على الأقل لم تتذكر شيئًا من هذا القبيل- وفي الصباح، استيقظتْ مبكرًا؛ ارتدت ملابسها البيضاء اليومية البسيطة، وأخبرتْ والديها أنها ذاهبة إلى المدرسة.

- الشاحنة لن تأتي لاصطحابي حتى الرابعة عصرًا، فلِمَ أهدر اليوم؟

رغم أن والديها كانا يفضلان أن تبقى في المنزل معهما، فإن تحقيق أمنياتها واجب في هذا اليوم.

في المدرسة، جلست خلال الحصص الدراسية، وهي تشعر فعلًا بمسافة حالمة تفصلها عن الواقع. في نهاية كل درس، سلَّمها كل معلم بإحباط جميع فروضها المدرسية والدرجات التي حصلت عليها، والتي احتُسِبَتْ مبكرًا.

قال كل معلم بطريقة أو بأخرى: «حسنًا، أعتقد أن هذه هي النهاية». معظمهم لم يبدُ مُرحِّبًا، وتعجَّل خروجها من غرفته. لكنَّ مدرس العلوم كان الأفضل، فقد استغرق بعض الوقت الإضافي في الحديث معها.

قال لها: «نُفِّذَ نذر العُشر في ابن أخي منذ بضع سنوات. كان فتى رائعًا. إنني أفتقده بشدة، (توقف مؤقتًا عن الحديث، وبدا شاردًا في أفكاره) قيل لي

إن قلبه قد ذهب إلى رجل إطفاء أنقذ عشرات الأشخاص من مبنى محترق. لا أعرف أكان هذا صحيحًا أم لا، لكني أودُّ أن أصدق ذلك».

كانت ميراكولينا تودُّ أن تصدق ذلك أيضًا.

على مدار اليوم، كان زملاؤها في الفصل يتصرفون بغرابة كمعلميها. بعض الصبية قالوا لها وداعًا. حتى إن بعضهم عانقها بشكل غير مريح، لكنَّ البقية ودَّعوها من مسافة آمنة، كما لو كان نذر العُشر مُعديًا بطريقة ما.

ثم هناك الآخرون. القساة.

قال صبي من خلف ظهرها في أثناء الغداء والأطفال يضحكون من حوله: «أراكِ هنا وهناك». استدارتْ ميراكولينا، وحاول الصبي الاختباء وراء مجموعة أصدقائه، معتقدًا أنه آمن وسط مجموعة من تلاميذ المدرسة الإعدادية، لكنها تعرَّفت صوته وعرفت بالضبط من هو، واندفعتْ تشق طريقها وسط أصدقائه، لتواجهه ببرود، قائلة: «أوه، لن تراني يا زاك راسموسن.. لكنْ إذا رآك أي جزء مني، فسأخبرك بالتأكيد».

شحب وجه زاك قليلًا، وهو يقول: «اغربي عن وجهي، فلتذهبي لتفي بنذر العُشر».

لكنْ ظلت هناك -تحت شجاعته الحمقاء- تلك النظرة الدالة على الخوف والانزعاج.

قالت ميراكولينا لنفسها: «هذا جيد، آمل أن يرى بعضَ الكوابيس كلما تذكر كلماتي».

كانت مدرستها ضخمة، لذا فرغم أن الأعشار غير شائعين في حيها، كان يوجد أربعة سواها في المدرسة، كلهم يرتدون الزي الأبيض مثلها. كانوا ستة في السابق، لكنَّ الاثنيْن الأقدميْن ذهبا فعلًا. هؤلاء الأعشار المتبقون هم أصدقاؤها الحقيقيون. هؤلاء هم الذين شعرت بالحاجة إلى توديعهم للمرة الأخيرة. الغريب أنهم جميعًا من خلفيات وديانات مختلفة. كل منهم عضو في طائفة منبثقة عن دينه الأصلي؛ طائفة تأخذ على عاتقها -بمنتهى الجدية والالتزام- التضحية بالنفس. من الغريب -كما فكرت ميراكولينا- أن هذه الأديان نفسها قد تصارعت لآلاف السنين بسبب الاختلافات بين بعضها، ورغم ذلك، فإنها جميعًا اتفقت في ما يخص نذر العُشر.

قال صديقها نيستور، أقرب الأعشار لها سنًّا، والمتبقي له شهر واحد قبل أن يُنفَّذ فيه نذر العُشر: «علينا جميعًا أن نهب أنفسنا، حتى نكون خيِّريين ومؤثِّرين». أمسك يديْ ميراكولينا، وودعها بحرارة، مضيفًا: «إذا كانت التكنولوجيا تتيح لنا طريقة جديدة للعطاء، فكيف يمكن أن يكون ذلك خطأً؟»

لكنْ في الواقع، هناك من يقول إن هذا خطأ. المزيد والمزيد من الناس يقولون ذلك هذه الأيام. حتى إن هناك ذلك العُشر السابق الذي أصبح مُصفِّقًا، والذي يأخذه الناس كمثال. حسنًا، ما مدى توازنه العقلي؟ بحق الله! لقد أصبح مُصفقًا في النهاية. اعتقدتْ ميراكولينا، أنه إذا كان شخص ما يفضل تفجير نفسه على تنفيذ نذر العُشر، فهذا أشبه بالسرقة من صحن التبرعات بالكنيسة، أليس كذلك؟ إنه خطأ واضح فحسب.

عند نهاية اليوم الدراسي، سارت في طريقها إلى المنزل، تمامًا كما تفعل في أي يوم آخر. عندما وصلت إلى شارعها، رأتْ سيارة شقيقها في الممر المؤدي إلى المنزل. تفاجأت برؤيته في البداية -فجامعته على بعد خمس ساعات من المنزل- لكنها سَعِدَتْ بقدوم ماتيو لتوديعها. الساعة الآن الثالثة -بقيت ساعة على موعد قدوم الشاحنة- ويبكي والداها فعلًا منذ الآن. تمنَّتْ لو لم يفعلا ذلك، وأن يتمكنا من التعامل مع هذا برزانة مثلها، أو حتى مثل ماتيو الذي قضى وقته في الحديث عن الذكريات الجيدة فقط.

- أتذكرين عندما ذهبنا إلى روما، وأردتِ أن تلعبي الغميضة في متحف الفاتيكان؟

ابتسمتْ ميراكولينا عندما تذكرتْ ذلك الوقت. لقد حاولتِ الاختباء في حوض استحمام نيرون، ذلك الطبق العميق الضخم المصنوع من الحجر البني، والذي يمكن أن يتسع عمليًّا لفيل.

- كان حرس الأمن في دورية مرور! ظننتُ أنهم سيأخذونني إلى البابا الذي سيضربني، لذا ركضتُ هاربة.

ضحك ماتيو، قائلًا: «لقد ظللتِ مفقودة لمدة ساعة تقريبًا، وأصيب أبي وأمي بالجنون من قلقهما عليكِ».

ومع ذلك، فإن «مفقودة» ليست هي الكلمة المناسبة لما حدث. فأنتَ لا تضلُّ طريقك في أي متحف، بل تجذبك الجدران لمدة مؤقتة. تتذكر أنها قد تحركت وسط زحام الفاتيكان، حتى وجدت نفسها تقف وسط كنيسة

«السيستين»، وهي تُحدِّق إلى أعلى حيث توجد تحفة مايكل أنجلو الفنية التي تغطي الجدران والسقف. وهناك في مركز اللوحة الجدارية، يوجد الرابط الإلهي بين السماء والأرض. كانت يد آدم قريبة جدًّا من يد السماء، وكلاهما يجتهدان للمس بعضهما، لكنَّ ثقل الجاذبية الشديد منع آدم من لمس السماء حقًّا.

وقفتْ هناك، تنظر إلى أعلى، متناسيةً أنه من المفترض أن تكون مختبئة، فمَن ذا الذي يمكنه الاختباء في مكان كان كل شيء به غامضًا؟ وهذا هو بالضبط المكان الذي وجدتْها فيه أسرتها؛ وسط مئات السائحين الذين يتأمَّلون أعظم عمل فني أبدعته يد إنسان على الإطلاق؛ أعظم محاولة للإنسانية للوصول إلى الكمال.

كانت تبلغ من العمر ست سنوات فقط، لكنْ حتى في ذلك الوقت، تحدثتْ إليها صور الكنيسة، رغم أنها لم تكن تعرف ما قالته. كل ما عرفته هو أنها هي نفسها تشبه هذا المكان الجميل، وإذا تمكَّن أحدهم من الدخول إلى أعماقها، فسيشاهد لوحات رائعة مرسومة على جدران روحها.

وصلت الشاحنة قبل موعدها بعشر دقائق، وانتظرت في الخارج. كان على جانب الشاحنة شعار مطلي بألوان زاهية مكتوب عليه «مخيم حصاد الغابة الجوفاء»! المكان الأمثل للمراهقين!

ذهبت ميراكولينا إلى غرفتها لتُحضِّر حقيبتها الصغيرة الممتلئة ببضعة أطقم من ملابس الأعشار البيضاء، وبعض الضروريات الأساسية. بكى والداها بحرارة، وتوسَّلا إليها مرة أخرى أن تغفر لهما. لكن هذه المرة، أغضبها الأمر فحسب، فقالت لهما: «إذا كان نذر العُشر يشعركما بالذنب، فهذه ليست مشكلتي، لأنني أشعر بسلام نفسي مع هذا الأمر. من فضلكما احترماني بما يكفي، حتى تشعرا بسلام نفسي تجاهه أنتما أيضًا».

لم تُفِدْ كلماتها في شيء، بل جعلت دموعهما تتدفق بغزارة وثبات أكبر.

قال لها والدها: «السبب الوحيد الذي يجعلكِ تشعرين بالسلام النفسي نحو هذا الأمر، هو أننا جعلناكِ تشعرين بهذه الطريقة. إنه خطؤنا نحن. هذا كله خطؤنا».

نظرتْ ميراكولينا إليهما ورفعتْ كتفيها لا مبالية، ثم قالت مقترحة: «غيِّرا رأيكما، إذن. اكسرا ميثاقكما مع الرب ولا تنفذا نذركما لجسدي».

بادلاها النظرات، كما لو كانت قد منحتهما هدية مجيدة، وإنقاذًا من الجحيم. حتى ماتيو شعر بالأمل.

قالت والدتها: «نعم، هذا ما سنفعله! لم نوقع الأوراق النهائية بعد. ما زال بإمكاننا التراجع!».

قالت ميراكولينا: «حسنًا. أأنتما واثقان أن هذا ما تريدانه؟».

قال والدها بارتياح شديد: «نعم، نعم.. إننا على يقين».

- أكيد؟

- نعم.

تناولتْ ميراكولينا حقيبتها، قائلة: «هذا جيد، يمكنكما الآن أن تتخلصا من الشعور بالذنب، لكنْ بصرف النظر عن اختياركما، سأذهب على أيٍّ حال. هذا هو اختياري».

ثم عانقتْ والدتَها وأباها وشقيقَها، وغادرت دون أن تنظر إلى الخلف، ودون حتى أن تقول وداعًا، لأن الوداع يعني النهاية، وأكثر من أي شيء آخر في هذه الحياة، أرادت ميراكولينا روزيللي أن تصدق أن نذر العُشر هو البداية.

إعلان

«عندما فاق سلوك بيلي قدرتنا على التحمل، وبدأنا نخشى على سلامتنا، فعلنا الشيء الإنساني الوحيد. أرسلناه إلى مخيم حصاد، حتى يتمكن من تحقيق ذاته في حالة منقسمة. لكنِ الآن، في وجود قيود عمرية تمنع تفكيك من يبلغون من العمر سبعة عشر، لم نكن لنحظى بهذا الخيار. الأسبوع الماضي، ثملتْ فتاة في منطقتنا، تبلغ سبعة عشر عامًا، وتسببتْ في حادث بسيارتها، وقتلتْ شخصين بريئين. هل كان هذا سيحدث لو اختار والداها إرسالها إلى مخيم الحصاد؟ أخبرني أنت».

صوِّت بنعم على المادة رقم 46! أنهِ قانون «كاب17-»، وارفع الحظر المفروض على تفكيك المراهقين في عمر متأخر!

يدفع المواطنون قيمة هذا الإعلان من أجل غد نافع.

يستغرق الوصول إلى «مخيم حصاد الغابة الجوفاء» ثلاث ساعات. امتلأتِ الشاحنة بمقاعد جلدية فاخرة، وتدفقتْ موسيقى البوب من خلال مكبرات

الصوت باهظة الثمن. السائق رجل له لحية يمتزج فيها الشعر الأبيض بالأسود، وابتسامة كبيرة، وما يكفي من الشجاعة ليكون مرحًا. باختصار، كان أشبه ببابا نويل تحت التدريب.

سأل السائق نويل في أثناء قيادة السيارة بعيدًا عن منزل ميراكولينا وأسرتها: «أتشعرين بالحماس تجاه يومك الكبير؟ هل حظيتِ بحفل كبير بهذه المناسبة؟».

قالت: «نعم، ولا. أشعر بالحماس، لكنْ بلا حفل».

- أوه.. هذا سيئ للغاية. لِمَ لا؟

- لأن نذر العُشر يجب ألا يتمركز حولي.

كل ما أمكن للسائق نويل أن يقوله ردًّا على قولها هو: «أوه». رد ميراكولينا كان القاتل المثالي للمحادثات، وهذا جيد، فآخر ما تريده هي، هو أن تلخِّص حياتها لهذا الرجل، مهما كان مرحًا.

قال لها: «هناك مشروبات في المبرِّد. تفضلي». ثم تركها وشأنها.

بعد مسيرة عشرين دقيقة بالسيارة، بدلًا من الانعطاف إلى الطريق السريع، دخلا مجمعًا سكنيًّا محاطًا بسور. قال لها السائق نويل: «عليَّ التقاط شخص آخر هذا المساء. أيام الثلاثاء يكون العمل فيها قليلًا، لذا فسنتوقف هذه المرة فحسب. أتمنى ألا تمانعي».

- لا، على الإطلاق.

توقَّفا عند منزل أكبر بثلاث مرات على الأقل من منزلها، حيث ينتظر مع أسرته في الخارج صبي يرتدي ملابس العُشر البيضاء. لم تراقبه وهو يودِّع أسرته. نظرتْ من النافذة الأخرى، لتمنحهم الخصوصية. في النهاية، فتح السائق نويل الباب، فركب صبي له شعر داكن ناعم مشذَّب بمثالية، وعينان زرقاوان لامعتان، وبشرة شاحبة كالخزف الصيني، كما لو كان قد أُبعِدَ عن الشمس طوال حياته للحفاظ على بشرته نقية كبشرة رضيع، استعدادًا لتنفيذ نذر العُشر.

قال بخجل: «مرحبًا». كانت ملابسه البيضاء مصنوعة من الستان اللامع، ومزخرفة بالذهب الخالص. لم يدَّخر والدا هذا الصبي أي مال. على الجانب الآخر، كانت ملابس ميراكولينا البيضاء مصنوعة من حرير خام بسيط، لم

يُبيِّض، لذا لم تكن ناصعة البياض لدرجة تلفت الانتباه. وبالمقارنة مع ملابسها، كان بياض ملابس هذا الصبي أشبه بإعلان مضاء بنيون مشرق.

لم تكن مقاعد الشاحنة في صفوف، بل كلها تواجه منتصف السيارة، لتشجيع الصداقة الحميمة. جلس الصبي على الجانب الآخر من ميراكولينا، فكَّر للحظة، ثم مد يده لها من خلال الفجوة، لكي يصافحها، قائلًا: «أنا تيموثي». صافحتْه، لتجد يده رطبة وباردة، كما تكون يديك قبل اللعب في المدرسة.

- اسمي ميراكولينا.
- واو، هذا اسم طويل! (ثم ضحك، وربما غضب من نفسه لقوله ذلك) هل يطلق عليكِ الناس اسم ميرا، أو لينا، أو أي شيء آخر لاختصاره؟

قالت له: «اسمي ميراكولينا، ولا أحد يختصره».

- حسنًا، أسعدني لقاؤك يا ميراكولينا.

بدأ تشغيل محرك الشاحنة، ولوَّح تيموثي مودِّعًا أسرته الكبيرة التي ظلَّت في الخارج، ورغم تلويحهم له أيضًا، كان من الواضح أنهم لا يستطيعون حتى رؤيته من خلال الزجاج المظلم. انطلقتِ الشاحنة مبتعدةً، وبدأت تغادر الحي. قبل حتى مغادرتهم البوابة، بدأ تيموثي يبدو مضطربًا، كأنه مصاب بألم في معدته، لكنَّ ميراكولينا عرفت أن ألم معدته مجرد عَرَض لشيء آخر. هذا الصبي لا يشعر بالسلام الداخلي تجاه فكرة نذر العُشر حتى الآن. أو إذا كان قد شعر به في السابق، فقد فقده في اللحظة التي أُغلِق فيها باب الشاحنة، قاطعًا كل علاقة تربطه بحياته القديمة. ورغم شعور ميراكولينا بالإهانة بسبب ملابسه البيضاء الفاخرة، ومنطقته الخاصة بالصفوة، فإنها شعرت كذلك بالأسف تجاهه. حام خوفه في الهواء حولهم كعش مليء بالعناكب السوداء. لا ينبغي لأحد أن يذهب لتنفيذ نذر العُشر، وهو يشعر بالرعب. وهنا سأل تيموثي بصوت مرتعش: «الرحلة تستغرق إذن ثلاث ساعات، أو شيئًا من هذا القبيل؟».

قال السائق نويل مبتسمًا: «نعم، هناك نظام ترفيه به مئات الأفلام المبرمجة سلفًا لتمضية الوقت. تفضلا!».

قال تيموثي: «نعم، حسنًا.. بالتأكيد. لكنْ ربما لاحقًا».

لبضع دقائق، بدا سارحًا في أفكاره. ثم التفت إلى ميراكولينا مرة أخرى.

- يقولون إن الأعشار يُعاملون جيدًا في مخيم الحصاد. أتظنين أن هذا صحيح؟ يقولون إن الأمر ممتع للغاية، وسنكون مع العديد من الأطفال الآخرين مثلنا تمامًا.. (ازدرد لعابه) يقولون إنه سيتاح لنا حتى أن نختار اليوم الذي... عندما يتم... حسنًا، إنك تعلمين...

ابتسمتْ له ميراكولينا بودٍّ. عادة ما يذهب الأعشار -أمثال تيموثي- إلى مخيم الحصاد في سيارة ليموزين، لكنها تعرف لِمَ لم يفعل تيموثي ذلك، دون أن تسأل. لم يرغب في أن يقوم بالرحلة بمفرده. حسنًا، ما دام جمعهما القدر معًا في هذا اليوم المصيري، فستكون الصديقة التي يحتاج إليها.

قالت له: «أثق أن مخيم الحصاد سيكون كما تتمنى، وعندما تختار تاريخك، ستختاره لأنك مستعد لذلك. لهذا السبب سمحوا لنا بالاختيار. لذا فهذا قرارنا، وليس بيدِ أي شخص آخر».

نظر إليها تيموثي بهاتين العينين الجميلتين الثاقبتين، قائلًا: «أنتِ لا تشعرين بالخوف على الإطلاق، أليس كذلك؟».

اختارت الإجابة عن سؤاله بسؤال آخر: «هل سبق لك أن ركبتَ طائرة؟».

التقط تيموثي طُعم تغيير الموضوع، وأجاب: «هاه؟ نعم، عدة مرات».

- هل كنت خائفًا في أول مرة سافرت فيها؟

- نعم، بالتأكيد، أعتقد ذلك.

- لكنكَ ذهبت على أيٍّ حال. لماذا؟

هز تيموثي كتفيه، مجيبًا: «أردتُ أن أصل إلى وجهتي، وكان والداي معي، وقالا إن الأمر سيكون على ما يرام».

قالت ميراكولينا: «حسنًا، هذه هي إجابتي عن سؤالك».

نظر إليها تيموثي، وومضت عيناه بنوع من البراءة التي تعتقد ميراكولينا أنها لم تمتلك مثلها قطُّ، وقال: «إذن، فأنت لا تشعرين بالخوف؟».

تنهدتْ، معترفةً: «بل أنا خائفة. خائفة للغاية. لكنْ عندما تثق بأن كل شيء سيكون على ما يرام، يمكنك الاستمتاع بالخوف. يمكنكَ استخدامه لمساعدتك، بدلًا من السماح له بأن يؤذيك».

قال تيموثي: «آه، فهمت. أتعلمين؟ الاستمتاع بالخوف أشبه بما يحدث عند مشاهدة أحد أفلام الرعب. يمكنكِ الاستمتاع به، لأنكِ تعلمين أن ما يحدث

به ليس حقيقيًّا، بصرف النظر عن مدى شعوركِ بالخوف. (ثم فكَّر في الأمر أكثر قليلًا) لكنَّ التفكيك أمر حقيقي. ليس الأمر كما لو أننا سنخرج من السينما، ونعود إلى المنزل. ليس الأمر كما لو أنني سأهبط من الطائرة، لأجد نفسي في ديزني لاند».

قالت ميراكولينا قبل أن يجر تيموثي نفسه مرة أخرى إلى حفرة اليأس المليئة بالعناكب: «أقول لكَ شيئًا؟ دعنا نشاهد أحد تلك الأفلام المخيفة، ونُخرِج كل الخوف الكامن في نفوسنا، قبل أن نصل إلى مخيم الحصاد».

أومأ تيموثي برأسه، قائلًا في طاعة: «نعم، بالتأكيد. فلنفعل!».

لكنَّ بالمرور سريعًا على الأفلام المبرمجة سلفًا، لم تجد بينها أيَّ فيلم مُرعِب. إنها جميعًا أفلام عائلية وكوميدية. فقال تيموثي: «لا بأس. في الحقيقة، أنا لا أحب أفلام الرعب على أيِّ حال».

خلال بضع دقائق، أصبحوا على الطريق السريع، فيما يستمتع الفتى والفتاة بوقتهما. اكتفى تيموثي بألعاب الفيديو، لمنع ذهنه من الذهاب إلى الأفكار المظلمة، ووضعتْ ميراكولينا سماعات الأذن، وأخذتْ تستمع إلى قائمتها المنتقاة من الأغاني المتنوعة، بدلًا من أنغام موسيقى البوب السريعة الموجودة في نظام الترفيه بالشاحنة. هناك 2129 أغنية على جهازها، وهي عازمة على الاستماع لأكبر عدد ممكن من الأغاني، قبل اليوم الذي تدخل فيه إلى حالة الانقسام.

بعد قرابة ساعتين والاستماع لثلاثين أغنية، خرجت الشاحنة من الطريق السريع، وانعطفت على طريق خلاب يتعرَّج بين غابات كثيفة. قال لهما السائق نويل: «لم يبقَ سوى نصف ساعة فقط. لقد قضيْنا وقتًا ممتعًا!».

ثم، بينما تلفُّ السيارة حول منعطف، ضغط السائق المكابح، وتوقفتِ الشاحنة. فانتزعتْ ميراكولينا سماعتيْها، متسائلةً: «ماذا يحدث؟ أهناك خطأ ما؟».

فقد السائق لهجته المرحة، وقفز من السيارة، قائلًا لهما بلهجة آمرة: «ابقيا هنا!».

ألصق تيموثي وجهه بالنافذة، وهو ينظر إلى الخارج، قائلًا: «لا يمكن أن يكون هذا أمرًا جيدًا».

وافقتْه ميراكولينا: «لا، لا يمكن أن يكون كذلك».

خارج الطريق، كانت هناك شاحنة أخرى تابعة لمخيم حصاد الغابة الجوفاء، لكنَّ هذه السيارة سقطت في حفرة، فانقلبتْ، وأصبحت عجلاتها مرتفعة نحو السماء، دون أي علامة تدل على المدة التي مضت منذ وقوع الحادث.

قال تيموثي: «لا بدَّ أن أحد الإطارات قد انفجر، أو شيئًا من هذا القبيل، فانزلقتِ الشاحنة، وخرجتْ عن الطريق». لكنْ أيًّا من الإطارات لم يبدُ منفجرًا.

قالت ميراكولينا: «يجب أن نطلب المساعدة». لكنْ لا أحدَ يأتي بهاتفٍ إلى مخيم الحصاد، لذلك لم يكن بحوزتها واحد، وكذلك تيموثي.

بعد ذلك مباشرة اضطرب المشهد في الخارج. قفز ستة أشخاص من جميع اتجاهات الغابة، وهم يرتدون ملابس سوداء، ووجوههم مخبَّأة بأقنعة التزلج. أصيب السائق برصاصة تخدير في رقبته، فسقط كدمية قطنية محشوَّة.

صاحت ميراكولينا: «أغلقِ البابَ بالقفل!». لكنها لم تنتظر، بل دفعت تيموثي بعيدًا عن الطريق، للوصول إلى باب السائق المفتوح، لكنها لم تكن بالسرعة الكافية. بمجرد وصولها إلى القفل، انفتح الباب، وضغط المهاجم الزر الذي يفتح كل الأقفال، لتنفتح كل أبواب الشاحنة مرة واحدة من قِبَلِ المهاجمين الملثَّمين. من الواضح أن هؤلاء المهاجمين قد فعلوا ذلك من قبل، ونجحوا فيه. صرخ تيموثي فيما تمتد يد المهاجم إلى الداخل، وتُخرِجه. حاول التملُّص، لكنْ بلا جدوى. لو أن خوفه شبكة من الخيوط، فقد وقع إذن في أسر العناكب.

وصل شخصان آخران إلى ميراكولينا، فقفزتْ إلى الأرض، وركلتْهما.

- لا تلمساني! لا تلمساني!

انفجر الآن خوفها -الذي كانت تسيطر عليه جيدًا- لأن هذا الاختراق لرحلتها هو شيء غامض مجهول، أكثر بمراحل من مخيم الحصاد. أخذتْ تركل المهاجمين وتعضهم وتخمشهم في رعب وغضب، لكنَّ كل هذا بلا جدوى، لأنها في النهاية سمعتْ صوت إطلاق النار من مسدس التهدئة، وشعرت برصاصة التخدير الحادة تنغرس في ذراعها، ليُظلِم العالم تدريجيًّا، وهي تدخل بلا حول ولا قوة إلى ذلك المكان الذي لا يسير وفق قواعد الزمن، حيث تذهب الأرواح المخدَّرة.

إعلان

«أنت لا تعرفني، لكنكَ تعرف شخصًا مثلي. شُخِّصَتْ إصابتي بسرطان الكبد في الأسبوع نفسه الذي تلقيتُ فيه خطاب قبولي بجامعة هارفارد. لم أعتقدْ أنا ووالدي أن هناك مشكلة، لكنْ عندما تحدثنا إلى طبيبنا، اكتشفنا وجود نقص في الأعضاء، وقصور في توريد الأكباد. أخبروني أنه يجب وضعي في قائمة الانتظار. وحتى الآن، بعد مرور ثلاثة أشهر، لم يحنْ دوري بعد. فماذا عن خطاب القبول بالجامعة؟ حسنًا، أعتقد أن تعليمي يجب أن ينتظر.

والآن، فإن الأشخاص أنفسهم الذين خفضوا قيود العمر في ما يتعلق بالتفكيك، يريدون منح مدة انتظار قدرها ستة أشهر بمجرد أن يوقع الآباء على أمر التفكيك، تحسبًا لتغيير قراراهم. ستة أشهر؟ لن أبقى حيًّا بعد ستة أشهر».

الهراء يقتل! صوِّت بلا على الاقتراح رقم 53!

يدفع الآباء قيمة هذا الإعلان من أجل مستقبل إيجابي.

الاستيقاظ بعد التهدئة ليس تجربة لطيفة. مع عودة الوعي يأتي صداع نصفي، يصاحبه مذاق فظيع في فم المرء، وشعور مزعج بأن شيئًا ما قد سُرِقَ منك.

تستيقظ ميراكولينا على صوت شخص يبكي بجوارها، راجيًا الرحمة. تتعرَّف فيه صوتَ تيموثي. إنه بالتأكيد ليس ذلك النوع من الصبية القادر على التعامل مع شيء كهذا. لكنها لا تستطيع رؤيته، لأن عينيها تغطيهما عصابةٌ سميكةٌ.

قالت له: «لا بأس يا تيموثي. مهما حدث، سيكون الأمر على ما يرام». سماع صوتها جعل مناشداته وتنهداته، تتحول إلى أنين ثابت.

حاولت ميراكولينا أن تستشعر وضع جسدها. إنها تجلس باستقامة، وتتألم رقبتها من الوضع الذي كانت عليه في أثناء نومها. يداها مقيَّدتان معًا خلف ظهرها. ساقاها مقيَّدتان إلى المقعد الذي تجلس عليه. القيود ليست مؤلمة تمامًا، لكنها مشدودة بما يكفي، لضمان عدم فكها.

قال صوت صبي أمامهما: «حسنًا، يمكنك نزع العصابات عن عيونهما».

أُزيلت عصابة عينيها، ورغم أن الضوء من حولها لم يكن ساطعًا، فإن إبقاء عينيْها مفتوحتيْن ظل مؤلمًا. فتحت عينيْها، وتركتهما تتكيفان ببطء وتركزان.

إنهما في نوع من قاعات الرقص الكبيرة ذات السقف العالي. الثريات الكريستالية، والأعمال الفنية على الجدران، جعلت القاعة تبدو أشبه بالأماكن التي كان الملوك الفرنسيون يستضيفون فيها أعضاء المجتمع الراقي، قبل أن يقطعوا رؤوسهم. إلا أن هذا المكان ينهار. توجد ثقوب في السقف يطير الحمام من خلالها دخولًا وخروجًا في ضوء النهار. تقشَّرت اللوحات بسبب العوامل الجوية، ورائحة العفن الفطري تملأ الهواء. لا توجد وسيلة لمعرفة إلى أي مدى نُقِلَا بعيدًا عن وجهتهما.

قال الصبي الجالس أمامهما: «أعتذر حقًّا لأننا اضطُرِرْنا إلى تنفيذ الأمر بهذه الطريقة». زيه لا يشبه ملابس أي نوع من الملوك، ولا حتى الملوك الذين عفاهم الزمن. كان يرتدي سروالًا بسيطًا من الجينز، وقميصًا أزرق سماويًّا. شعره بني شاحب -يكاد يكون أشقر- وطويل للغاية، كما لو أن الذاكرة الحديثة لا تحمل أي بيانات عن آخر مرة قص فيها شعره. بدا الصبي في مثل عمرها، لكنَّ النظرة المنهَكة في عينيْه، جعلته يبدو أكبر سنًّا، كما لو أنه قد رأى أشياء كثيرة أكثر مما على أي شخص في مثل عمره أن يراها. بدا أيضًا واهنًا بعض الشيء، بطريقة لا يمكن تحديدها.

- لم نستطع المخاطرة بتعريضكما للأذى، أو بمعرفتكما المكان الذي نأخذكما إليه. لذا كانت هذه هي الطريقة الوحيدة لإنقاذكما بأمان.

تحدثت ميراكولينا للمرة الأولى، قائلة: «إنقاذنا؟ أتطلق على ما فعلتموه هذا اسم إنقاذ؟».

- حسنًا، قد لا يكون هذا هو شعوركما في الوقت الحالي، لكنْ نعم، هذا بالضبط ما فعلناه.

وفجأة، عرفتْ ميراكولينا من هذا الصبي. تدفقتْ موجة من الغضب والغثيان في أنحاء جسدها. من بين كل الأشياء الظالمة التي حدثت لها، لماذا كان عليها أن تواجه هذا؟ لماذا كان يجب أن تقع في أسره هو بالذات؟ كانت تشعر بنوع من الغضب والكراهية تدرك أنه ليس جيدًا لروحها، خصوصًا مع اقتراب موعد تنفيذ نذر العُشر، ولكنها مهما حاولت، لم تستطعِ التخلص من المرارة التي تسيطر عليها.

ثم لهث تيموثي، وفتح عينيه الصافيتين كالماء، قائلًا بالحماس نفسه الذي يدخره الصبية أمثاله للقاءات مفاجئة مع نجوم الرياضة: «إنك هو! أنت ذلك العُشر الذي أصبح مصفقًا! أنت ليفي كالدر!».

أومأ الصبي المواجه لهما برأسه إيجابًا، وابتسم، قائلًا: «نعم، لكنَّ أصدقائي يدعونني ليف».

مكتبة
t.me/soramnqraa

3 - كام

المعصمان.. الكعبان.. الرقبة. الكل ملفوف بأربطة. شعور بالحكة. الحكة في كل مكان. لا يمكنه التحرك.

ثنى يديه وقدميه الملفوفة بالأربطة. جنبًا إلى جنب، صعودًا وهبوطًا. أصاب أماكن الحكة، لكنه جعلها تلتهب وتلسع.

قال صوت مألوف وغير مألوف في الوقت نفسه: «لقد استيقظتَ. هذا جيد. جيد جدًّا».

أدار رقبتَه، لكنه لم يرَ أحدًا. مجرد جدران بيضاء من حوله.

سمع صوت سحب مقعد. الصوت يقترب أكثر، فأكثر. ظهرت -في دائرة رؤيته الضبابية- المرأة التي تحدثتْ، وهي تُحرِّك مقعدها ليصير في محيط بصره. جلستْ، واضعة ساقًا فوق الأخرى. ابتسمت، لكنها لم تكن ابتسامة بالمعنى المعروف.

- كنت أتساءل متى ستستيقظ.

ارتدت سروالًا داكنًا وقميصًا. نقوش القميص غير واضحة تمامًا، بحيث لا يمكن تصورها. واللون. اللون. لا يمكنه أن يحدد لونًا بعينه.

قال مهمهمًا، وهو يبحث بين كل الألوان الأساسية: «أصفر.. أزرق.. لا». آلمه حلقه عندما تكلم وخرجت كلماته خشنة: «عشب. أشجار. قيء الشيطان».

قالت السيدة: «أخضر. هذه هي الكلمة التي تبحث عنها، أليس كذلك؟ قميصي أخضر».

هل تستطيع هذه السيدة قراءة العقول؟ ربما لا. ربما هي ذكية فحسب. صوتها رقيق ونقي. في حديثها لكنة مميزة. لكنة إنجليزية إلى حد ما، ربما. صوتها جعله تلقائيًّا يرغب في الوثوق بها.

سألته: «هل تعرفني؟».

قال، وهو يشعر بأن أفكاره مقيدة بأربطة أقوى من تلك التي تثبته على الفراش: «لا. نعم».

قالت السيدة: «هذا يكفي كبداية. كل هذا جديد بالنسبة إليك، لا بدَّ أنك تشعر بالخوف».

حتى تلك اللحظة، لم يخطر على ذهنه أنه لا بدَّ أن يكون خائفًا على الإطلاق. لكنِ الآن بعد أن قالت المرأة ذات القميص الأخضر التي تضع ساقًا فوق الأخرى إنه يجب أن يكون كذلك، فلا بدَّ أن يكون كذلك. جذب قيوده في خوف. بدأتِ الحكة المُحرقة تتسبب في المزيد من الألم، وتثير بداخله ذكريات مؤلمة ومزعجة، عليه التحدث عنها بصوت مسموع.

- يد على موقد. حلية حزام، لا، يا أمي، لا! السقوط من على الدراجة. ذراع مكسورة. سكين. لقد طعنني بسكين!

قالت السيدة التي تضع ساقًا فوق الأخرى بهدوء: «الألم. «الألم» هو الكلمة التي تبحث عنها».

إنها كلمة سحرية، فقد هدَّأته. كرَّر خلفها: «الألم»، وهو يسمع الكلمة وهي تخرج من أحبال صوتية غريبة، وعلى شفتين غير مألوفتين. توقَّف عن المقاومة. خَفَتَ الألم متحولًا إلى التهاب، وخَفَتَ الالتهاب متحولًا إلى حكة مرة أخرى. لكنَّ الأفكار التي جاءت مع الألم ظلت موجودة. اليد المحترقة، والأم الغاضبة، والذراع المكسورة، وشجار بالسكين لم يخضه قطُّ، لكنه فعل بطريقة ما. بشكل ما، كل هذه الأشياء حدثت له.

نظر مرة أخرى إلى السيدة التي تفحصه بهدوء. الآن بعد أن أصبح تركيزه أفضل، أمكنه رؤية نقوش القميص.

- معجون.. شلل.. مرج العشب.

قالت السيدة: «استمرَّ في المحاولة. الكلمات موجودة في مكان ما بعقلك».

تشنَّج عقله. أخذ يجاهد. التفكير أشبه بسباق. سباق أولمبي طويل وشاق. ماذا يسمى هذا السباق؟

- إنه يبدأ بحرف «الميم».

قال منتصرًا: «بيزلي! ماراثون! «بيزلي»!».

قالت السيدة: «نعم، يمكنني أن أتخيل كم هذا مرهق كسباق الماراثون بالنسبة إليك، لكنَّ الأمر استحق كل هذا الجهد». لمستْ ياقة قميصها، قائلة: «أنت على حق، إنها نقوش «بيزلي»!». ابتسمتْ -ابتسامة حقيقية هذه المرة- ولمستْ جبهته بأطراف أصابعها. شعر بأطراف أظفارها، وهي تقول: «لقد أخبرتكَ أن كل شيء هناك».

بعد أن بدأتْ أفكاره تستقر، أدرك الآن أنه يعرف هذه السيدة، لكنْ ليست لديه فكرة أين رآها.

سألها: «من؟ أين؟ متى؟».

أضافت بابتسامة ساخرة: «كيف، وماذا، ولماذا.. ها قد تذكرتَ كل أدوات الاستفهام».

سألها مرة أخرى، دون أن يروق له أن تسخر منه: «من؟».

تنهدت، قائلة: «من أنا؟ يمكنك القول إنني مقياسك، ونقطة اتصالك بالعالم، وإلى حد ما مترجمتكَ، لأنني أستطيع أن أفهمك، وقليلون سواي يمكنهم ذلك. أنا خبيرة في اللغويات الاصطلاحية».

- لغويات.. لغويات...

- إنها طبيعة اللغة التي تتحدثها. ارتباطات مجازية. لكنْ يبدو أنني أحيِّرك. لا داعي للقلق. اسمي روبرتا. لكنكَ لن تعرف ذلك، لأنني لم أخبرك باسمي مطلقًا في كل المرات التي رأيتني فيها.

- كل المرات؟

أومأت روبرتا برأسها، قائلة: «يمكنكَ القول إنك قد رأيتَني مرة واحدة فقط، ومع ذلك فقد رأيتني أيضًا مرات عدَّة. ما رأيك في ذلك؟».

خاض سباق ماراثون آخر، وهو يبحث في ذهنه عن الكلمة التي يريد أن يقولها: «جولوم في الكهوف. أجب، وإلا لا يمكنك عبور الجسر. ما هذا الأسود والأبيض والأحمر في كل مكان؟».

قالت روبرتا: «فكِّر في الأمر. وأنا أعلم أنك تستطيع أن تفعل ذلك».

قال: «لغز! نعم، إنه ماراثون، لكنَّ الأمر يستحق ذلك! الكلمة هي (لغز)».

لمستْ روبرتا يده بلطف، قائلة: «جيد جدًّا». ألقى نظرة فاحصة عليها. كانت أكبر منه سنًّا. إنه يعرف ذلك، رغم أنه لا يدري في الواقع كم عمره.

إنها جميلة، بطريقة أمومية. شعرها أشقر، له بعض الجذور البنية، وتضع القليل من مساحيق التجميل. بدتْ عيناها أصغر من بقية وجهها. لكنَّ ذلك القميص...

قال: «ميدوسا. حيزبون. ساحرة. أسنان ملتوية متعفنة».

تصلبتْ قليلًا، وهي تسأله: «أتراني قبيحة؟».

قال، وهو يتذوق الكلمة: «قبيحة. لا، ليس أنتِ! نقوش «البيزلي» الخضراء هي القبيحة».

ضحكت روبرتا في ارتياح، ونظرت إلى قميصها، قائلة: «حسنًا، أعتقد أنه لا يوجد مقياس للذوق، أليس كذلك؟».

محاسَبة! محاسِب! والدي كان محاسبًا! لا، شرطيًّا. لا، عامل مصنع. لا، محاميًا، عامل بناء، صيدليًّا، طبيب أسنان، عاطلًا عن العمل، متوفى. أفكاره كلها صحيحة، وكلها خاطئة. عقله لغز لا يمكن أن يأمل في حله. شعر بالخوف الذي أخبرته روبرتا أنه يجب أن يشعر به. شعر بتحسن مجددًا، وبدأ مرة أخرى في مقاومة قيوده. لم تكن مجرد قيود -رغم ذلك- فبعضها ضمادات.

سأل مرة أخرى: «مَن؟».

قالت روبرتا: «لقد أخبرتكَ فعلًا، ألا تتذكر؟».

سألها: «لا! مَن؟.. مَن؟».

رفعتْ روبرتا حاجبيها علامة على الفهم، وقالت: «آه. من أنتَ؟».

انتظر الإجابة بترقب.

قالت: «حسنًا، هذا هو سؤال المليون دولار، أليس كذلك؟ من أنت؟ (نقرت بأطراف أصابعها ذقنها، وهي تفكر في الأمر) لم تتمكن اللجنة من الاتفاق على اسم. طبعًا، كل أولئك المهرجين المتكبرين لديه رأي مختلف. لذا، فبينما هم يتشاجرون حول هذا الأمر، ربما يمكنكَ اختيار اسمك بنفسك».

«يختار؟» لكنْ لِمَ عليه اختيار الاسم؟ أيجب ألا يكون لديه اسم فعلًا؟ دارتْ سلسلة من الأسماء في ذهنه: ماثيو، جوني، إريك، خوسيه، كريس، أليكس، سبنسر، ورغم أن بعضها بدا أنسب من بعضها الآخر، كل تلك الأسماء لا تحمل إحساسًا بالهوية التي يجب أن يمتلكها الاسم الحقيقي. هز رأسه، محاولًا

العثور على شيء ما -أي شيء- عن نفسه، ودفعه إلى مكانه الصحيح، لكنَّ هزَّ رأسه لم يسبب له إلا الألم فحسب.

قال: «أسبرين.. «تايلينول الأسبرين»، ثم النوم».

- نعم، أتصور أنكَ ما زلتَ متعبًا. سنزيد جرعة مسكنات الألم المقدَّمة لك، وسأتركك للحصول على قسط من الراحة. ولنتحدث أكثر غدًا.

ربَّتت يده، ثم غادرت الغرفة، بعد أن أطفأتِ الضوء، وتركته وحيدًا مع شظايا من الأفكار التي أبت أن تتوافق مع بعضها في الظلام.

***

في اليوم التالي -أو على الأقل ما اعتقد أنه اليوم التالي- لم يكنْ متعبًا للغاية، ورأسه لم يؤلمه كثيرًا، لكنه ظل مرتبكًا بالقدر نفسه. عندئذٍ رواده الشك في أن الغرفة البيضاء التي ظن في البداية أنها غرفة بمستشفى، ليست كذلك. كانت في الهندسة المعمارية لمحات كافية تشير إلى أن الغرفة داخل أحد المساكن الخاصة، وعُدِّلَتْ لنقاهة مريض واحد. هناك صوت خارج النافذة يمكنه سماعه حتى عندما تكون مغلقة. هدير وهسيس إيقاعي مستمر. لم يدرك ماهيته، إلا بعد يوم كامل من الاستماع له. كان صوت الأمواج المتلاطمة. لم يدرِ أين المكان تحديدًا، لكنه على شاطئ البحر، وهو يتوق إلى رؤية الإطلالة. طلب من روبرتا، فلبَّتِ الطلب. اليوم هو اليوم الذي يغادر فيه الفراش. جاء مع روبرتا حارسان يرتديان الزيَّ الرسمي. فكَّا أربطته، وساعداه ليقف على قدميه، بإمساكه بإحكام من إبطيه.

قالت روبرتا: «لا تخفْ. أنا أعلم أنك تستطيع أن تفعل هذا».

أول لحظة من الوقوف أصابته بالدوار. نظر إلى قدميه الحافيتين، فلم يرَ سوى أصابع تطل من أسفل رداء المستشفى الأزرق الباهت الذي يرتديه. بدت تلك الأصابع على بعد أميال إلى أسفل. بدأ يمشي، خطوة واحدة بصعوبة في كل مرة.

قالت روبرتا وهي تسير معه: «أحسنتَ. كيف تشعر الآن؟».

قال: «أشعر أنني أمارس رياضة القفز بالمظلات».

قالت روبرتا: «مم.. (فكرتْ في الأمر قليلًا) هل تقصد الإحساس بالخطورة أم البهجة؟».

أجاب «نعم». كرر الكلمتين في ذهنه، وتذكرهما، واستخرجهما من صندوق ضخم من الصفات غير المصنفة، ليضعهما في مكانهما الصحيح. في الصندوق الكثير من الكلمات الموجودة التي لم تُصنَّف بعد، لكنْ شيئًا فشيئًا، يبدأ كل شيء في اتخاذ هيئة متماسكة. قالت له روبرتا أكثر من مرة: «كل شيء موجود في عقلك. ما عليك هو أن تعثر عليه».

استمرَّ الحارسان في إمساكه من إبطيه، وهو يسير إلى الأمام. عندما تخونه ركبته وتهوي إلى أسفل، يزداد إحكام قبضتاهما.

- احذر يا سيدي.

دائمًا ما يدعوه الحرس بكلمة «سيدي». لا بدَّ أن هذا يعني أنه يدعو إلى الاحترام، رغم أنه لا يستطيع تخيُّل السبب. كان يحسد قدرتهم على «الوجود» ببساطة، دون الحاجة إلى بذل الجهد في سبيل ذلك.

قادتهم روبرتا إلى نهاية ممر، بدتْ بعيدة كالمسافة إلى قدميه، بدا الممر كأنه يمتدُّ إلى أميال، لكنه لا يتجاوز عشر ياردات، أو نحو ذلك. هناك في الأعلى، في ركن من أركان السقف، وُجِدَتْ آلة لها عدسة موجَّهة نحوه. هناك آلة كهذه في غرفته أيضًا، تراقبه باستمرار في صمت. عين كهربائية. عدسة «سايكلوبس»[1]. يعرف اسم الجهاز. إنه على طرف لسانه، فقال: «ابتسم!.. تزن عشرة أرطال. تدور... و... أكشن! لحظة تستحق توثيقها».

قالت روبرتا: «الكلمة التي تبحث عنها تبدأ بحرف «ك»، وهذه هي كل المساعدة التي سأقدمها لك».

- كوه - كوه - كفن - كوخ - كندا.

زمَّت روبرتا شفتيها، ثم قالت: «يمكنك أن تفعلها على نحو أفضل».

تنهَّد واستسلم، قبل أن يسيطر عليه الإحباط. في الوقت الحالي. من الصعب إتقان المشي، ناهيك بالمشي والتفكير في الوقت نفسه.

مرُّوا في تلك اللحظة من خلال باب إلى مكان هو في الداخل والخارج في الوقت نفسه. قال: «شرفة!».

---

(1) «السايكلوبس»: وفقًا للأساطير الإغريقية، هم مسوخ من جنس الجبابرة، ذوو عين واحدة وسط الجبهة، وهم عمال مهرة يصنعون الصواعق وأسلحة الآلهة، وينفذون الأعمال الكبيرة والضخمة. "المترجم".

قالت له روبرتا: «نعم. لقد استدعيتَ هذه الكلمة بسهولة».

خارج الشرفة بحر لا نهاية له، تلألأ في أشعة الشمس الدافئة، وأمامه مقعدان وطاولة صغيرة. على الطاولة كان يوجد بعض الكعك ومشروب أبيض في إبريق بلوري. يجب أن يعرف اسم هذا المشروب.

قالت له روبرتا: «إنه طعام للاسترخاء. إنها مكافأتك نظير القيام بالرحلة».

جلسا قبالة بعضهما والطعام بينهما، وظلَّ الحارسان على أهبة الاستعداد، تحسبًا لأن يحتاج إلى مساعدتهما، أو إذا حاول أن يلقي بنفسه من الشرفة على الصخور الصلدة بالأسفل، حيث يوجد جنود بأسلحة ثقيلة داكنة، يتخذون مواقعهم الاستراتيجية على تلك الصخور، لحمايته، كما أخبرته روبرتا. تخيل أنه إذا ألقى بنفسه عليهم، فإن الحرس على الصخور سيدعونه أيضًا «سيدي».

صبَّت روبرتا السائل الأبيض من الإبريق البلوري في كؤوس بلورية تلتقط الضوء، فتكسره وتوزعه في إسقاطات ضوئية عشوائية على أحجار الشرفة.

تناول قضمة من كعكة بالشيكولاتة. وفجأة، استدعتْ قوة النكهة المزيد من الذكريات من سُباتها. فكَّر في والدته. ثم في أم أخرى. غداء المدرسة. احتراق شفته عندما تناول كعكة «تول هاوس» خرجتْ لتوِّها من الفرن. «أفضِّلها لدنة وساخنة. أفضِّلها صلبة وناضجة لدرجة تقارب الاحتراق. الشيكولاتة تسبب لي الحساسية. الشيكولاتة هي الحلوى المفضلة لديَّ».

كان يعلم أن هذه الأشياء كلها صحيحة. كيف يمكن أن تكون كلها صحيحة؟ إذا كان يعاني الحساسية، فكيف يمتلك الكثير من الذكريات الرائعة حول الشيكولاتة؟

يقول: «ماراثون الغموض مستمر».

ابتسمت روبرتا، قائلة: «هذه تكاد تكون جملة كاملة».

- تفضَّل مشروبك.

كانت تمسك كأس السائل الأبيض البارد، فتناوله منها.

وبينما يتناول رشفة، سألته روبرتا: «هل فكرتَ في اسمك؟». وفي اللحظة نفسها، بينما يزيل السائل اللذيذ قطعة من الكعك اللين من سقف حلقه، حَلَّقتْ في ذهنه أفكار أخرى. المذاق الممتزج غربل مئات الأفكار مُخلِّفًا اللامعة منها فقط.

لقد عرف ما يُطلَق على آلة العين الكهربائية! والسائل الأبيض يأتي من بقرة أليس كذلك؟ عصير البقر. العين الكهربائية اسمها المختصر «كام!» وعصير البقر «موو!»، قالها بصوت مرتفع: «كام!.. موو!».

نظرت إليه روبرتا بدهشة، فكرر مرة أخرى: «كام!.. موو!».

لمعت عيناها، وهي تقول: «كامو؟».

- كام. موو.

- كامو! يا له من اسم رائع. لقد تفوقتَ على نفسك.

قالها بشكل صحيح أخيرًا: «كاميرا! «ميلك» لبن!» لكنَّ روبرتا لم تعدْ تستمع له. لقد أرسلتها كلماته في اتجاه أبعد كثيرًا.

- الفيلسوف الوجودي كامو! «عِشْ حتى البكاء».. «المجد لكَ يا صديقي! المجد!».

لم تكن لديه أيُّ فكرة عما تتحدث عنه، لكن إذا كان ذلك يسعدها، فهو يسعده أيضًا. انتابه شعور جيد عندما أدرك أنه قد أبهرها.

قالت وعلى وجهها ابتسامة واسعة كالبحر المتلألئ: «سيكون اسمك كامو كومبوسيت برايم.. ولينتحر كل أعضاء اللجنة!».

إعلان

هل سئمتَ كلَّ أنواع الحمية الغذائية؟ هل تقضي ساعات مؤلمة في صالة الألعاب الرياضية بلا نتائج مُرضية؟ لدينا الحل! يعلم الجميع أن القلب السليم هو المفتاح للشعور بالارتياح، ولو امتلكتَ قلبًا جديدًا في أفضل حالاته، سترغب حقًّا في ممارسة الرياضة! سرعان ما ستخسر الكثير من وزنك، وتشعر كأنك شخص جديد بالكامل داخليًّا وخارجيًّا! لكنْ لا تكتفِ بكلامنا! اسألْ طبيبك عن جراحة النانو!

برعاية الجمعية الدولية لجراحي النانو.

النتائج غير مضمونة.

منذ ذلك الحين، أصبحتْ كل أيامه تبدأ بالعلاج وتنتهي به. تمارين تمدُّد مؤلمة، تليها تمارين أخرى موجَّهة، وتمارين رفع أثقال، تبدو مصممة خصوصًا لتسبب له أكبر قدر من الألم.

قال متخصص علاجه الطبيعي -وهو لاعب كمال أجسام عميق الصوت يحمل اسمَ كيني- الذي لا يروق له: «المعالجون يبذلون قصارى جهدهم فحسب. الباقي يقع على عاتقكَ أنتَ».

كان مقتنعًا أن هذا المعالج يستمتع بمشاهدته وهو يعاني. بفضل روبرتا، أولئك الذين لا ينادونه بلقب «سيدي»، يدعونه الآن كامو، لكنْ عندما يفكِّر في الاسم، كل ما يتبادر إلى ذهنه هو حوت كبير أبيض وأسود. قالت له روبرتا في أثناء تناول الغداء: «هذا شامو.. وأنت كامو. يوجد تناغم».

قال لها وهو لا يرغب في أن يبدو اسمه في الآذان كأحد الثدييات البحرية: «كام. فليكن اسمي كام».

رفعت روبرتا أحد حاجبيها، وهي تفكر في الأمر، ثم قالت: «يمكننا أن نفعل ذلك. يمكننا أن نفعل ذلك بالتأكيد. سأخبر الجميع. كيف حال أفكارك اليوم يا كام؟ هل تشعر أنها قد أصبحت أكثر ترابطًا؟».

رفع كام كتفيه في حيرة، قائلًا: «هناك غيوم داخل رأسي».

تنهدت روبرتا، ثم قالت: «ربما، لكني أرى تقدمًا فعلًا، حتى لو كنتَ أنت لا ترى ذلك. أفكارك تصبح أكثر وضوحًا يومًا بعد يوم. أصبحتَ قادرًا على أن تربط معًا خيوطًا أطول من المعاني، وتكاد تفهم كل ما أقوله لك، أليس كذلك؟».

أومأ كام برأسه إيجابًا.

قالت روبرتا: «الفهم هو الخطوة الأولى على طريق التواصل الواضح يا كام. (ثم ترددت لثانية قبل أن تسأله بالفرنسية) أتفهم ما أقوله الآن؟».

أجابها كام باللغة نفسها، دون أن يلاحظ في البداية وجود شيء مختلف، إلى أن خرجت الكلمات من فمه: «نعم. أفهمكِ بوضوح كامل». هنا أدرك أن بابًا آخر من أبواب الغموض قد انفتح داخل رأسه.

قالت روبرتا، بابتسامة خبيثة: «حسنًا، في الوقت الحالي، دعنا نستخدم لغة واحدة في كل محادثة، اتفقنا؟».

أُضيفت أنشطة جديدة إلى يومه. أصبحتِ القيلولة التي يحصل عليها عصرًا في وقت متأخر أكثر، لإفساح المجال لجلسات مدتها ساعة جالسًا قبالة جهاز كمبيوتر بحجم طاولة، يمتلئ بالصور الرقمية: سيارة حمراء، مبنى، صورة بالأبيض والأسود.. عشرات الصور.

قالت روبرتا في اليوم الأول لهذا الروتين: «اسحبْ نحوك الصور التي تتعرَّفها، وقل الكلمة الأولى التي تطرأ على ذهنك، عندما ترى كل صورة».

شعر كام كما لو كان مغمورًا وسط الكثير من الصور والمعلومات، وسأل: «أهو اختبار؟».

قالت له روبرتا: «لا، إنه ليس اختبارًا، إنه مجرد تمرين عقلي لمعرفة ما تتذكره، وما الذي ما زلتَ بحاجة إلى تعلمه».

قال كام: «إذن فهو اختبار. لأن إجابتكِ هي تعريف الاختبار، أليس كذلك؟».

نظر إلى الصور، فاعلًا ما طلبتْه منه، وسحب الأشياء التي تعرَّفها عن قرب. الصورة الشخصية: «لينكولن». المبنى: «برج إيفل». السيارة الحمراء: شاحنة حريق، لا بل سيارة الإطفاء. إلخ إلخ. وكلما سحب إحدى الصور، تنبتُ أخرى لتحلَّ محلها. البعض ليس لديه مشكلة في تعرُّفه، والبعض الآخر ليست لديه ذكريات مرتبطة به على الإطلاق، ومجموعة أخرى من الصور شعر أن المقابل لها موجود في مكان ما بأعماق عقله، لكنه لا يستطيع العثور على الكلمة المرتبطة بها.

عندما انتهى أخيرًا، شعر بإرهاق أكبر مما يشعر به بعد العلاج الطبيعي، وقال: «سلة.. سلة أوراق مجعدة».

فابتسمت روبرتا، وقالت وقد فهمتُ ما يعنيه: «ضائع. إنك تشعر بالضياع».

كرر كام، وهو يُثبِّت الكلمة في ذهنه: «ضائع».

- هذا لم يفاجئني، فكل هذا ليس سهلًا، لكنكَ أحسنتَ صنعًا، وتستحق الثناء!

أومأ كام برأسه، وهو يشعر بحاجته إلى النوم، وقال: «أستحق نجمة ذهبية».

كل يوم كان يُطلَب منه المزيد والمزيد، جسديًّا وعقليًّا، لكن دون أي تفسير لأي شيء. قالت له روبرتا: «نجاحك هو مكافأتك»، لكنْ كيف يمكنه أن يقيس أي نجاح، إذا لم يكن هناك معيار يُقاس به؟ في أحد الأيام، في أثناء تناول العشاء، لم يكن هناك سواه، وروبرتا. دائمًا ما يكون كلاهما فقط هناك. قال لها: «مزيج مربك! مزيج مربك! الآن!».

لم تحتجْ حتى إلى التفكير، لتعرف ما يعنيه، فقالت: «في الوقت المناسب ستعرف كل شيء يمكن أن تعرفه عن نفسك. لكن هذا الوقت ليس الآن».

- بل هو الآن!

- انتهتِ المحادثة يا كام.

شعر كام بالغضب يستعر بداخله، دون أن يعي كيف يتعامل معه، أو يتمكن حتى من تجميع كلمات كافية للتعبير عنه.

لذا، فبدلًا من التعبير عن غضبه بالكلمات، أوكل الأمر إلى يديه، وقبل أن يعي ما يفعله، قذفَ طبقًا خلال الغرفة، ثم آخر، ثم ثالثًا. اضطُرَّت روبرتا إلى خفض رأسها، بعد أن امتلأ المكان كله بالأطباق والأواني الفضية والزجاجية الطائرة. بعد لحظة واحدة، كان الحرس قد تكالبوا عليه، وسحبوه إلى غرفته، وقيَّدوه إلى الفراش، وهو شيء لم يفعلوه منذ أكثر من أسبوع.

تخيل أن غضبه سيستمر إلى الأبد، لكنه لم يلبث أن شعر بالإنهاك، فهدأ. دخلت روبرتا الغرفة، وهي تنزف. مجرد جرح صغير فوق عينها اليسرى، لكنَّ حجم الجرح لا يهمُّ. المهم أنه هو من جرحها. إنه خطأه.

وفجأة طغى الندم على كل شعوره الآخر، واكتشف أنه أقوى حتى من الغضب.

قال باكيًا: «لقد كسرتُ حصالة أختي.. وحطمتُ سيارة والدي في حادث تصادم. شرير.. شرير».

أمسكتْ روبرتا يده برقَّة، وقالت، وقد بدتْ متعبةً مثله: «أعلم أنك تشعر بالأسف. أعتذر لكَ أنا أيضًا. (ثم أضافت) ستظل حركتك مقيَّدة حتى الصباح، بسبب انفعالك الغاضب. أفعالك لها عواقب».

هز رأسه متفهمًا. أراد أن يمسح دموعه، لكنه عجز عن ذلك، لأن يديه مثبتتان على السرير، ففعلتها له روبرتا، قائلة: «حسنًا، أصبحنا نعلم على الأقل أنك قوي بقدر ما كنا نعتقد أنك ستكون. لم يمزحوا عندما قالوا إنك كنت لاعب بيسبول».

بحث عقل كام على الفور في أنحاء ذاكرته عن شيء يخص هذه الرياضة. هلِ مارسها؟ قد يكون عقله مفككًا ومشتتًا، لذا من الصعب دائمًا العثور على ما يحتوي عليه، لكنْ من السهل معرفة الذكريات غير الموجودة من الأساس.

قال: «لم أكن لاعب بيسبول.. قطُّ».

قالت بهدوء: «طبعًا لا. لا أعرف ما الذي كنتُ أفكر فيه».

***

شيئًا فشيئًا، ويومًا بعد يوم، ومع اصطفاف المزيد من الأشياء في مكانها الصحيح بذهن كام، بدأ يدرك تفرُّده المرعب. إنه المساء الآن. لقد تسبَّب متخصص العلاج الطبيعي -ولو لمرة واحدة- في إثارة إحساس بالبهجة في نفسه، بشكل أكبر من الإرهاق، لكنْ كان هناك شيء ذكره كيني المعالج...

«أنت قوي، لكنَّ عضلاتك لا تعمل أو تتناسق جيدًا مع بعضها».

عرف كام أنها مجرد مزحة مرتجَلة، ولكنَّ في هذا القول حقيقة ظلت عالقة في حلق كام، كما كان الطعام يعلق به في كثير من الأحيان. تمامًا كما يرفض حلقه دومًا ابتلاع ما يدفعه لسانه إليه.

لقد قال له كيني: «في النهاية سيتعلم جسمك أن عليه عقد تحالفات مع ذاته»، كما لو أن كام مصنع يمتلئ بالعمال المضربين عن العمل، أو أسوأ من ذلك، مجموعة من العبيد المجبرين على أداء عمل يكرهونه.

في تلك الليلة، نظر كام إلى الندوب الموجودة على معصميه، الشبيهة بسوارين من الشَّعْر الخفيف، والتي يمكن رؤيتها الآن بعد إزالة الضمادات. نظر إلى أسفل نحو الخط السميك المتعرِّج الممتد أسفل منتصف صدره، ثم يتشعب يَمنة ويَسرة فوق عضلات بطنه المنحوتة بمثالية. منحوتة، كقطعة من الرخام نُحِتَتْ على شكل آدمي؛ إنها رؤية فنان للكمال. هنا أدرك كام أن هذا القصر الواقع على جرف ليس أكثر من معرض فني، وأنه هو العمل الفني المعروض. ربما عليه أن يشعر بأنه مميز، لكنَّ كلَّ ما شعر به هو الوحدة.

مدَّ يده نحو وجهه الذي قيل له ألا يلمسه. وهنا جاءت روبرتا. كانت تعلم فعلًا أنه يتأمل جسده، بعد أن تجسَّست عليه من خلال الكاميرا الكامنة في زاوية الغرفة. رافقها اثنان من الحرس، لأنهما أدركا فعلًا أن شعور كام آخذ في التصاعد، ويهدد بعاصفة.

سألت روبرتا: «ما الأمر يا كام؟ أخبرني. اعثر على الكلمات المناسبة».

لمستْ أطراف أصابعه وجهه المليء بأنسجة غريبة، لكنه خشي حقًّا أن يتحسس وجهه، خوفًا من أن يمزقه من فرط الغضب.

اعثر على الكلمات المناسبة..

قال كام: «أَلِيس! كارول! أَلِيس!». الكلمات خاطئة، يعلم أنها خاطئة، لكنها أقرب ما أمكنه التوصل إليه، للتعبير عما يريد قوله. كل ما يمكنه فعله هو وضع دوائر حول الهدف المفقود في مدار حول عقله.

أشار نحو دورة المياه، مكررًا: «أَلِيس! كارول!».

ابتسم الحارس كما لو كان يعرف ما يقصده، لكنه لم يعرف شيئًا. وعلَّق: «ربما يتذكر حبيبتيْه السابقتيْن».

قالت روبرتا للحارس في حدة: «اصمت!». ثم وجَّهت حديثها لكام: «واصل حديثك يا كام».

أغلَق عينيْه، مُجبِرًا أفكاره على التبلور، لكنَّ الشكل الوحيد الذي تبلورت فيه كان سخيفًا، تلخص في...

- عجل البحر!

إن أفكاره معدومة الفائدة. بلا هدف، فاحتقر نفسه.

لكنْ سرعان ما قالت روبرتا: «... والنجار؟».

ركَّز عينيه عليها، قائلًا: «نعم! نعم!» بطريقة ما، رغم عشوائية هذين الشيئين، هما منطقيان تمامًا.

قالت روبرتا: ««عجل البحر والنجار».. إنها قصيدة سخيفة بلا معنى، أكثر مما تقوله!».

انتظر إلى أن تُوصِّل النقاط، لتفسير كلماته، وفعلًا قالت: «كتبها لويس كارول. وهو أيضًا من كتب... أكمل لها كام: «أَلِيس!».

- نعم، لقد كتب «أليس في بلاد العجائب»، وخلال الـ... أكمل لها كام: «الزجاج الذي ننظر إليه! (أشار إلى دورة المياه) خلال الزجاج الذي ننظر إليه». لكنه أدرك أن هذه ليست الكلمة الحديثة، التي يستخدمها الناس الآن. الكلمة الحديثة هي...

صاح كام: «مرآة! وجهي! في المرآة! وجهي!».

لم تكن هناك مرآة واحدة في أي مكان في القصر، أو على الأقل في الغرف المسموح بدخولها. ولا يوجد سطح عاكس واحد في أي مكان. لا يمكن أن يكون ذلك محض مصادفة.

صاح في ظفر: «مرآة! أريد أن أنظر إلى المرآة. أريد أن أنظر الآن. أرينِي!». كان هذا أوضح حديث له، وأعلى مستوى من التواصل حقَّقه حتى تلك اللحظة. بالتأكيد ستكافئه روبرتا على ذلك!

- أريني الآن! على الفور! وجهي!

قالها بلغات مختلفة، فردَّت روبرتا بصوت له قوة محسوبة: «ليس اليوم. لستَ مستعدًّا بعد!».

- لا!

لمس وجهه بأصابعه، هذه المرة بقوة كبيرة، فبدأ يشعر بالألم، وقال: «إنه وجه دوجر داخل القناع الحديدي، وليس وجه نرسيس الذي تأمله بغرور في البركة! الرؤية ستخفف العبء، ولن تكسر ظهر البعير!».

نظر الحارسان إلى روبرتا، وهما مستعدان للانقضاض لكبح جماحه، وإحكام وثاقه مرة أخرى في فراشه، حيث لا يمكنه إيذاء نفسه. لكنَّ روبرتا لم تعطِ الأمر. ترددتْ، وأخذتْ تفكر، ثم قالت أخيرًا: «تعالَ معي». استدارتْ وخرجتْ من الغرفة تاركة كام وحارسيْه، ليتبعوها.

غادروا جناح القصر المصمم بعناية لحمايته، واتجهوا إلى أماكن لا تبدو كعيادة طبية. غرف بأرضيات خشبية دافئة، بدلًا من مشمَّع بارد. عمل فني مُحاط بإطار، بدلًا من الجدران البيضاء العارية.

أمرتْ روبرتا الحارسيْن أن ينتظرا عند الباب، وقادت كام إلى غرفة المعيشة، حيث بعض الناس: كيني، وبعض أعضاء فريق العلاج، إضافة إلى آخرين لا يعرفهم كام؛ محترفين من نوع ما، يعملون خلف كواليس حياته. عندما رأوه، نهضوا من مقاعدهم وأرائكهم الجلدية، وقد انزعجوا من وجوده.

قالت لهم روبرتا: «لا بأس. امنحونا بضع دقائق بمفردنا». تركوا كل ما يفعلونه، وسارعوا بمغادرة الغرفة. في المعتاد، كان كام سيسأل روبرتا من هم، لكنه كان يعرف فعلًا. إنهم مثل الحرس الموجودين على بابه، وزملائهم المتمركزين على الصخور، والرجل الذي ينظف الفوضى التي يخلفها، والمرأة التي تضع المرهم على ندوبه. هؤلاء جميعًا يعملون لخدمته.

قادته روبرتا إلى مرآة كبيرة تكسو حائطًا بكامله. يمكنه أن يرى نفسه الآن من رأسه حتى أخمص قدميه. خلعَ رداء المستشفى، ووقف هناك بسرواله الداخلي القصير، ونظر إلى نفسه. شكل جسده جميل. متناسق تمامًا، ومنحوت، ومفتول العضلات. اعتقد لحظةً أنه قد يكون نرسيس في النهاية، غارقًا في الغرور، لكنْ عندما اقترب أكثر وأكثر في الضوء، أمكنه رؤية الندوب. كان يعلم أنها هناك، لكنَّ رؤيتها كلها في اللحظة نفسها أمر

صادم. إنها قبيحة، ومنتشرة في كل مكان بجسده، لكنها بكثافة أكبر على وجهه.

هذا الوجه كابوس.

شرائط من اللحم، بألوان مختلفة، كلحاف حي يمتدُّ خلال العظام والعضلات والغضاريف الموجودة بأسفل. حتى رأسه، كان حليقًا تمامًا عندما استيقظ، لكنه الآن يمتلئ بشعر خفيف كالزغب، ينبت بألوان مختلفة وحتى بأكثر من ملمس، كحقول غير مستوية لمحاصيل مختلفة. آلمته عيناه عند رؤية ذاته، وتكوَّنت فيهما غيمة من الدموع.

- لماذا؟

هذا هو كل ما هداه تفكيره ليقوله. استدار مشيحًا بوجهه بعيدًا عن انعكاس صورته، ومحاولًا دفن وجهه في كتفه، لكنَّ روبرتا لمست تلك الكتف بلطف، قائلة: «لا تنظر بعيدًا. تحلَّ بالقوة لترى ما أراه».

أجبر نفسه على النظر مرة أخرى، لكنَّ كلَّ ما رآه هو الندوب.

قال: «وحش!». جاءت هذه الكلمة من أجزاء مختلفة من الذاكرة، ولم يحتجْ إلى مساعدة في العثور عليها. وأضاف: «فرانكنشتاين!».

قالت روبرتا بحدة: «لا. لا تفكر بهذا الشكل أبدًا! ذلك الوحش صُنِعَ من أجساد الموتى، لكنكَ مصنوع من الأحياء! كان ذلك المخلوق انتهاكًا لكل الأمور الطبيعية، لكنكَ يا كام إحدى عجائب عالم جديد!».

نظرتْ معه إلى المرآة، مشيرة إلى العديد من المعجزات الموجودة في جسده. قالت له: «كانت ساقاك تنتميان إلى عدَّاء جامعي، وقلبك إلى صبي كان من الممكن أن يصبح سبَّاحًا أولمبيًّا، لو لم يُفكك. ذراعاك وكتفاك كانوا في يوم من الأيام ملكًا لأفضل لاعب بيسبول شهدتْه مخيمات الحصاد على الإطلاق، ويداك؟ كانتا تعزفان على الجيتار بموهبة نادرة ومجيدة! (ثم ابتسمتْ والتقتْ عيناها عينيْه في المرآة) أما بالنسبة إلى عينيك، فقد جاءتا من صبي كان قادرًا على إذابة قلب فتاة بنظرة واحدة».

تحدثتْ عنه بنوع من الفخر. لكنه فخر لم يشعر هو به بعد.

وضعتْ روبرتا إحدى أصابعها على صدغه، مضيفة: «لكنَّ أفضل ما في الأمر يوجد هنا!» حرَّكت إصبعها في أرجاء زغب شعر لحيته متعدد الملمس،

مشيرة إلى بقع مختلفة من جمجمته، كما لو كانت وجهات سفر على الكرة الأرضية.

- فصُك الجبهي الأيسر يمتلك المهارات التحليلية والحسابية لسبعة صبية خضعوا لاختبارات العبقرية في الرياضيات والعلوم. أما فصُك الأمامي الأيمن، فيجمع بين الخلاصات الإبداعية لقرابة دستة من الشعراء والفنانين والموسيقيين، فيما يحتوي الفص القذالي -مركز المعالجة البصرية بالدماغ- على حزم من الخلايا العصبية، جاءت من عدد لا يُحصى من المفكّكين أصحاب ذاكرة فوتوغرافية، ومركز اللغة لديك هو مَجمَع دولي يتكون من تسع لغات، وكلها تنتظر أن تُنشَّط من جديد.

لمستْ ذقنه، وأدارت وجهه نحوها. عيناها اللتان بدتا بعيدتين للغاية في المرآة، أصبحتا على بعد بوصات فقط من عينيه. إن لهما القدرة على التنويم المغناطيسي والسيطرة.

قالت له عبارة ما باللغة اليابانية. وفهمها كام. «أنت لستَ عشوائيًّا يا كام. أنت مصمم بذكاء». لم يدرِ ما هذه اللغة، لكنه عرف ما تعنيه كلماتها بالكامل.

قالت له روبرتا: «لقد انتقينا كلَّ جزء منك بعناية، من بين أفضل العناصر وأذكاها، وكنتُ حاضرةً في كل عملية تفكيك، حتى تراني وتسمعني وتعرفني، بمجرد أن تتحد كل أجزاء جسدك. (فكرتْ لحظةً، وهي تهز رأسها بأسف) أولئك الصبية المساكين كانوا يعانون خللًا وظيفيًّا، منعهم من معرفة كيفية استخدام المواهب التي حظوا بها، لكنِ الآن، حتى إن كانوا منقسمين، يمكنهم أن يكتملوا أخيرًا من خلالك!».

بينما تحدثت روبرتا عن التفكيك، غمرتْه شظايا من الذكريات.

نعم، لقد رآها!

وقفتْ بجوار طاولة العمليات، دون أن تغطي وجهها بقناع جراحي، لأن الهدف -الذي أدركه الآن- أن يراها ويتذكرها. لكنها لم تكن غرفة عمليات واحدة فحسب، أليس كذلك؟

إنه يحمل ذكريات متطابقة من عشرات الأماكن المختلفة في عقله. لكنَّ هذا ليس عقله، أليس كذلك؟

إنه تجميع من عقولهم. جميعًا

التي تصرخ

أوقفوا هذا، أرجوكم، حتى لا يكون هناك صوت يتوسل، ولا عقل يصرخ.

في تلك اللحظة الفريدة

عندما تتحول «أكون» إلى «لا أكون...».

أخذ نفسًا عميقًا مرتجفًا. تلك الذكريات الأخيرة أصبحت جزءًا منه الآن، متداخلة معًا، مثل بشرة وجهه. من المستحيل الاحتفاظ بتلك الذكريات، ورغم ذلك، فإنه يحملها. الآن فقط أدرك مدى القوة التي لا بدَّ أنه يتمتع بها حقًّا، أمكنه الاحتفاظ بذكرى مائة عملية تفكيك، دون أن ينهار.

طلبت منه روبرتا أن يتأمل ما يحيط به من علامات تدل على الثراء في القصر الواقع على الجرف، قائلة: «كما ترى حولكَ، لدينا دعم قوي للغاية مخصص لكَ، حتى تتمكن من مواصلة النمو والازدهار».

- دعم؟ مِمَّن؟

- لا يهم مَن. إنهم أصدقاء. ليس فقط أصدقاؤك، لكنْ أصدقاء عالم نريد جميعًا أن نعيش فيه.

ورغم أن كل أجزاء البازل قد بدأتْ تتجمع معًا، وبدأتْ حياته كلها تتخذ مكانها الصحيح، فإن شيئًا واحدًا ما زال يؤلمه.

- وجهي... إنه بشع!

قالت روبرتا: «لا داعي للقلق. ستلتئم الندوب. في الواقع، لقد بدأتْ عوامل الشفاء تؤتي ثمارها فعلًا. سرعان ما ستختفي هذه الندوب تمامًا، تاركة خطوطًا خفيفة، حيث تلتقي الأنسجة المزروعة. ثِقْ بكلامي؛ لقد رأيتُ تصورًا لما ستبدو عليه في النهاية يا كام، وهو مذهل!».

مرَّ بأصابعه على ندوب وجهه. إنها ليست عشوائية كما كان يعتقد. إنها متناظرة، وتشكل ألوانُ البشرةِ المختلفةُ نمطًا معينًا، كتصميم.

- لقد اخترنا أن نمنحك قطعة من كل عِرق. من أشحب درجات البشرة السيينا القوقازية، إلى أحلك درجات البشرة الأمبر البكر، وكل ما يوجد بينهما. العرق الإسباني، والآسيوي، والآيسلندي، والأسترالي، والهندي، والسامي، باختصار لوحة فسيفساء مجيدة للإنسانية! أنت كل الرجال يا كام، وحقيقة ذلك واضحة في وجهك. أعدكَ أن تلك الندوب عندما تلتئم، ستصبح التعريف الجديد للوسامة! ستكون منارةً مشرقةً، أعظم

أمل للجنس البشري. ستثبت لهم ذلك يا كام! مجرد وجودك، سيثبت لهم ذلك!

في أثناء تفكيره في قولها، تسارعت ضربات قلبه، وتقافز بقوة في صدره. إنه يتخيل كل الأجناس التي فاز بها قلبه، ورغم أنه لا يتذكر كونه بطلًا في السباحة، فإن قلبه يعرف ما لا يفعله عقله. قلبه يتوق إلى القفز في حمام السباحة مرة أخرى، تمامًا كما تشتاق ساقاه إلى مضمار الجري.

ومع ذلك، فإن هاتين الساقين لا تحملانه الآن، ووجد نفسه ساقطًا على الأرض، وهو يتساءل كيف وصل إلى هناك.

قالت روبرتا: «لقد حظيتَ بتحفيز أكبر مما يمكن أن تتحمله في يوم واحد».

تسابق الحرس -الذين كانوا يراقبونه من خلال الباب- وساعدوه لينهض.

- أأنت بخير يا سيدي؟ أعلينا طلب المساعدة يا سيدتي؟

- لا داعي إلى ذلك. سأعتني أنا به.

أحضروه إلى أريكة فاخرة. كان جسده كله يرتجف، ليس بسبب الهواء البارد فحسب، لكنْ أيضًا بسبب اكتشافه حقيقته. التقطتْ روبرتا بطانية، وغطتْه بها. وأمرت برفع درجة حرارة الغرفة، لتصبح أدفأ، وهي تجلس بجواره كأم ترعى طفلًا محمومًا.

- توجد خطط كبيرة أُعِدَّتْ لك يا كام. لكنْ لا داعيَ إلى القلق بشأن ذلك الآن. كل ما عليك فعله الآن هو بناء تلك الإمكانات المذهلة؛ اربط معًا كل أجزاء عقلك التي ما زالت مفككة؛ علِّم كل جزء من أجزاء جسدك أن يعمل في تناغم، كما لو كان عضوًا في فرقة موسيقية. أنت قائد أوركسترا حية، والموسيقى التي ستؤلفها ستكون باهرة!

سألها: «ماذا لو لم تكن كذلك؟».

انحنتْ روبرتا لتقبِّله برفق على جبهته، قائلة: «هذا ببساطة ليس خيارًا مطروحًا».

إعلان

«عندما فقدتُ وظيفتي، بدأتِ الفواتير والديون تتراكم، ولم أعرفْ ماذا أفعل. ظننتُ أنه لا توجد أيُّ وسيلة لإعالة أسرتي. فكرت

حتى في الذهاب إلى منشأة حصاد مسجلة بالخارج، وتقسيم أعضائي في السوق السوداء لدفع نفقات أسرتي، لكنَّ السوق السوداء أخافتني. حسنًا، أخيرًا أصبح هناك اقتراح بتنظيم اقتراع لإضفاء الشرعية على التفكيك التطوعي للبالغين، وهو أمر من شأنه أن يوفر لأسرتي المال الكافي لمواصلة الحياة. تخيل ذلك! يمكنني الدخول في حالة الانقسام، وأنا مطمئن البال، لأني أعلم أنه سيُتكفَّل بأسرتي. وبإضفاء الشرعية على التفكيك التطوعي، سيتوقف محترفو السوق السوداء عن العمل. صوِّت بنعم على الاقتراح رقم 58! ساعدوا أسرًا كأسرتي، وضعوا حدًّا لقرصنة الأعضاء».

مموَّل من التحالف الوطني لدعاة التبرع.

أحلام كام دائمًا تكون واضحة. إنه يعلم دائمًا أنه يحلم، وحتى الآن لطالما كانت أحلامه مصدرَ إحباط شديد. إنها لا تتبع منطقَ الأحلام -بل لا تتبع أي منطق- إنها مفككة ومنفصلة ومرتبكة. قصاصات عشوائية مدمجة معًا بشبكة عنكبوت، ينسجها عقله الباطن. تبدو أحلامه كالتنقُّل بسرعة شديدة بين قنوات تليفزيونية من خلال محطات عقلية، ومن المستحيل استيعاب مفهوم وحدة قياس الأفكار. الأمر يثير جنونه! ورغم ذلك، فالآن بعد أن عرف طبيعة وجوده، اكتشف كام أنه قادر على مواكبة الأمر.

في هذه الليلة حَلِمَ أنه في قصر. ليس ذلك الذي يطل على المحيط، بل قصر آخر في السحاب. بينما ينتقل من غرفة إلى أخرى، لا يتغير الديكور فحسب، بل يتغير العالم أيضًا، أو بالأحرى الحياة التي يعيشها داخل هذا العالم. في المطبخ، هناك أشقاء يعرفهم يجلسون إلى طاولة في انتظار العشاء. في غرفة المعيشة، يسأله الأب سؤالًا بلغة لم يترجمها عقله، لذلك لم يستطع الإجابة.

ثم هناك ممرات.. ممرات طويلة بها غرف على الجانبين، وتحتوي على أشخاص يعرفهم معرفة سطحية. هذه غرف لن يدخلها أبدًا، ولن يكون هؤلاء الأشخاص أكثر من مجرد صور، محاصرة في تلك الغرف. لا توجد ذكريات أخرى عنهم، أو على الأقل ليس داخل أنسجة قشرة المخ المزروع في رأسه.

في كل غرفة ورواق يتنقَّل خلاله، ينتاب كام شعورٌ غامرٌ بالفقد، لكنَّ هذا الشعور يتوازن مع شعور آخر بالتشوق إلى رؤية الغرف الكثيرة الممتدة أمامه.

في نهاية الحلم، وجد بابًا يفتح على شرفة دون حاجز، حيث وقف على الحافة، ونظر إلى أسفل فرأى السحب التي تشبه الوسائد، تتمزق، وسرعان ما تلتئم مجددًا بفعل قوى الرياح. بداخله مائة صوت -أصوات أولئك الذين هم أجزاء منه- جميعهم تحدثوا إليه، لكنَّ أصواتهم الكثيرة امتزجت وتموَّهت في شكل قعقعة غير مفهومة. ومع ذلك، عرف ما يحاولون إخباره به. قالوا: اقفزْ يا كام.. اقفزْ! نعلم أنك قادر على الطيران!

في الصباح، ظلَّ كام منتشيًا بحلمه، وهذا ما جعله يبذل جهدًا لم يبذلْه من قبل في العلاج الطبيعي، حتى شعر باحتراق في عضلاته، بدلًا من الضغط المعتاد الذي يشعر به في مواضع جروحه التي تلتئم.

قال له كيني، وهو يعالج مفاصله بدورة متكررة من التبريد والتسخين، لتسريع الشفاء: «لقد قدَّمت أفضل ما لديك اليوم». علم كام أن كيني كان من كبار المدربين في اتحاد كرة القدم الأمريكية، لكنَّ الأصدقاء الأقوياء -الذين تحدثتْ عنهم روبرتا- استأجروه لتدريب عميل واحد، وعرضوا عليه أجرًا ضخمًا.

اعترف كيني أن «المال يتحكم في كل شيء. إضافة إلى ذلك، لن تُتاح لك كل يوم فرصة أن تصبح جزءًا من تاريخ في طور التكوين».

فكَّر كام: «أهذا ما أنا عليه؟ تاريخ مستقبلي؟ حاول أن يتخيل اسم كامو كومبوسيت برايم، عندما يُدرَّس في المدارس مستقبلًا، لكنه لم يبدُ مناسبًا. فالاسم يبدو طبيًّا للغاية، وأشبه بموضوع التجربة وليس نتيجتها. عليه اختصاره. كامو كومبري. حلَّقتْ في ذهنه صور سيارات السباق المسرعة حول منعطف. الجائزة الكبرى. هذا هو الاختيار الأمثل! كامو كومبري، اسم يحمل العديد من الأسرار مثله!

تقلَّص وجهه من الألم فيما يضع كيني الثلج على كتفه، لكنِ اليوم، حتى هذا الألم أشعره بالراحة.

قال: «فطيرة ماراثون، لا سلة بعد الآن! (ثم ازدرد لعابه، وترك أفكاره تتبلور، وجمع الكلمات الملائمة) هذا الماراثون الذي أخوضه.. أصبح الآن سهلًا للغاية. لم أعد أشعر بالضياع على الإطلاق».

قال كيني، ضاحكًا: «ألم أقلْ لكَ إنه سيصبح أسهل؟».

عند العصر، جلس كام في الشرفة مع روبرتا، وقدَّموا الغداء لهما على صوانٍ فضية. كل يوم تتنوع الأطعمة بشكل أكبر، لكنها دائمًا بكميات صغيرة. كوكتيل الجمبري، سلطة البنجر، دجاج بالكاري مع الكسكس. كل التحديات اللذيذة التي تواجه براعم تذوقه، تثير الذكريات الدقيقة، وتجبر الوصلات العصبية على مرافقة حاستيِ التذوق والشم الحادتين لديه.

قالت له روبرتا، وهما يأكلان: «هذا كله جزء من شفائك، وجزء من نموك».

بعد الغداء، جلسا لأداء طقوسهما اليومية قبالة الكمبيوتر، وسحْب الصور لتحفيز ذاكرته البصرية. أصبحتِ الصور أكثر تعقيدًا الآن. لا شيء سهل للغاية، كبرج إيفل أو سيارة المطافئ. توجد أعمال فنية غامضة على كام تحديدها، إن لم يكن العمل نفسه، فعلى الأقل الفنان. مشاهد من المسرحيات.

- من هذه الشخصية؟

- السيدة ماكبث.

- ماذا تفعل؟

- لا أعرف.

- إذن افترض شيئًا. استخدم خيالك.

كانت صور لأشخاص في شتى مناحي الحياة تظهرُ، فتطلب روبرتا من كام أن يتخيل من يكونون، وما قد يفكرون فيه. لكنها لا تسمح له بالكلام، إلى أن يتريث للحظة يعثر خلالها على الكلمات المناسبة.

- رجل على متن قطار. أتساءل ماذا سيجد على العشاء في المنزل. ربما دجاج مرة أخرى. لقد سئم الدجاج.

ثم رأى كام وسط الصور المتناثرة على شاشة الكمبيوتر صورة لفتاة تلفتُ انتباهه. تابعتْ روبرتا نظراته إلى الصورة، وحاولتْ مسحها على الفور، لكنَّ كام أمسك يدها، وأوقفها.

- لا، دعيني أراها.

على مضض، أبعدت روبرتا يدها عن الصورة، فسحبها كام تجاهه ولفَّها، وكبَّرها. أدرك أن الصورة لم تُلتَقطْ بإذن الفتاة. فهي مأخوذة من زاوية غريبة. ربما التُقِطَتْ سرًّا. ومض شيء ما في ذاكرته. إنها الفتاة التي كانت في الحافلة.

قالت روبرتا: «هذه الصورة لا يُفترَض بها أن تكون هنا. هل يمكننا المضي قدمًا الآن؟».

- ليس بعد.

لم يستطع كام تحديد مكان التقاط الصورة تمامًا. إنها في مكان مفتوح، ومغبر. الفتاة تعزف على البيانو تحت شيء مظلم ومعدني يلقي بظله عليها. الفتاة جميلة.

قال: «أجنحة مقصوصة. سماء مكسورة (أغمض كام عينيْه متذكرًا أمر روبرتا بالعثور على الكلمات المناسبة قبل أن يتحدث) إنها كملاك أصيب عندما سقط على الأرض. إنها تعزف الموسيقى لتتعافى، لكنْ لا شيء يمكن أن يجبر انكسارها».مكتبة سُر مَن قرأ

قالت روبرتا بعدم اقتناع: «جميل جدًّا. فلننتقل إلى الصورة التالية».

مدَّت روبرتا يدها، محاولة التخلص من الصورة مرة أخرى، لكنَّ كام حركها إلى ركنه من الطاولة، بعيدًا عن متناولها، قائلًا: «لا، ستبقى هنا».

انزعاج روبرتا من هذا الأمر، جعل كام أكثر فضولًا.

- من تكون؟

- ليست شخصًا مهمًّا.

لكنْ من الواضح أنها كذلك من رد فعل روبرتا.

- سأقابلها.

ضحكتْ روبرتا بمرارة، قائلة: «لا على الأرجح. سنرى».

تابعا تمارينهما العقلية، لكنَّ عقل كام ظلَّ متعلقًا بالفتاة. يومًا ما سيكتشف من هي ويلتقيها. سيتعلم كل ما يحتاج إلى معرفته، أو بشكل أدق، سيوحِّد الأشياء الموجودة فعلًا في عقله المجزَّأ وينظِّمها. بمجرد أن يفعل ذلك، سيكون قادرًا على التحدث إلى هذه الفتاة بثقة، وبعدها -بكلماته الخاصة، وبأي لغة مطلوبة- سيتمكن من سؤالها عن سبب حزنها الشديد، وما الحدث المؤسف الذي أدى بها إلى الوجود على مقعد متحرك.

الجزء الثاني

المكتملون

التخلي عن 34 طفلًا بموجب قانون الملاذ الآمن بنبراسكا

بقلم نيت جينكينز، «أسوشيتد برس» الجمعة 14 نوفمبر 2008.

لينكولن، نيبراسكا- «أسوشيتد برس» يستعد مسؤولو نبراسكا يوم الجمعة لحضور جلسة تشريعية خاصة مصممة للتعامل مع قانون «الملاذ الآمن» الفريد الذي سمحتْ عواقبه غير المقصودة للآباء بالتخلي عمًّا يقرب من ثلاثين طفلًا يبلغون من العمر 17 عامًا.

مع اقتراب جلسة تصحيح القانون، نُقِلَ صبي يبلغ من العمر 5 سنوات إلى مستشفى «أوماها» ليلة الخميس. في وقت مبكر من اليوم، وأوصلت امرأةٌ مراهقيْن إلى مستشفى آخر في «أوماها»، لكنَّ إحداهما -فتاة تبلغ من العمر 17 عامًا- هربتْ، ولم تعثر عليها السلطات بعد.

حتى بعد ظهر يوم الجمعة، تُخُلِّيَ عن 34 طفلًا بموجب قانون نبراسكا، خمسة منهم من ولايات أخرى.

كانت نبراسكا آخر ولاية تسنُّ قانونًا للملاذ الآمن الذي يهدف إلى استقبال الأطفال حديثي الولادة غير المرغوب فيهم. لكنْ على عكس قوانين الولايات الأخرى، لا تتضمن قوانين ولاية نبراسكا حدًّا للسن.

فسَّر بعض المراقبين القانون الحالي على أنه ينطبق على الأطفال الذين تبلغ أعمارهم 18 عامًا.

يمكن الاطلاع على المقال كاملًا على:

http://articles.nydailynews. com/2008-11-14/ news/17910664_1_safe-haven-law-omaha- hospital-unique-safe-haven-law

4 - والدان

التقيا وهما يفتحان باب المنزل. أب وأم يرتديان ملابس للنوم. ملأت خطوط القلق جبهتيهما، وهما يريان طبيعة زوارهما. كانت لحظة متوقعة، لكنْ غير متوقعة في الوقت نفسه.

وقف أحد رجال شرطة الأحداث عند الباب، ومعه ثلاثة ضباط بملابس مدنية لدعمه. كان شرطيُّ الأحداث الذي يتقدم المجموعة شابًّا. بدا الجميع صغار السن. إنهم يُلحقونهم بالخدمة في عمر مبكر أكثر وأكثر هذه الأيام.

- جئنا لتنفيذ أمر التفكيك رقم 53-990-24، والخاص بنوح فالكوسكي.

نظر الوالدان إلى بعضهما في انزعاج.

قالت الأم: «لقد جئتم قبل يوم من الموعد المقرر».

قال لها الشرطي الرئيسي: «قُدِّمَ الجدول الزمني. لدينا الحق التعاقدي في تغيير تاريخ التسلُّم. هل يمكننا الوصول إلى الشخص المقصود من فضلك؟

اتخذ الأب خطوة إلى الأمام، لينظر إلى الاسم الموجود على زي الضابط، ثم قال بصوت مرتفع: «اسمع أيها الضابط مولارد، لسنا مستعديْن لتسليم ابننا بعد. كما أخبرتكَ زوجتي، كنا نتوقع حضوركم غدًا. سيتعيَّن عليكم العودة عندئذٍ».

لكنَّ إي. روبرت مولارد لا ينتظر أحدًا. اقتحم المنزل، وخلفه فريقه.

قال الأب: «يا إلهي! تحلَّ ببعض اللياقة».

قهقه مولارد، قائلًا: «لياقة؟ ماذا تعرف أنت عن اللياقة؟» ثم نظر داخل الممر المؤدي إلى غرفة النوم، مناديًا بصوت مرتفع: «نوح فالكوسكي! إذا كنت بالداخل، فاخرج الآن».

اختلسَ صبي يبلغ من العمر خمسة عشر عامًا النظر من مدخل غرفة النوم، ملقيًا نظرة واحدة على الضيوف، ثم صفق بابه. فأشار مولارد إلى أقوى رفاقه، قائلًا: «إنه لك».

- سأتولى أمره.

توسلت المرأة إلى زوجها: «أوقفه يا والتر!». استدار والتر على الفور، وقال متوعدًا مولارد: «أرغب في التحدث إلى رئيسك».

هنا أخرج مولارد مسدسه، قائلًا: «لستَ في وضع يسمح لك بتقديم مطالب».

كان من الواضح أنه مجرد مسدس تهدئة، لكنْ بالتفكير في الأنباء السيئة التي تحدثت عن مقتل أحد رجال شرطة الأحداث بسلاحه، فإن والتر وزوجته لم ينويا المجازفة.

قال مولارد وهو يشير نحو غرفة الطعام: «اجلسا هناك». تردد الزوجان، فكرَّر مولارد: «قلتُ اجلسا!»، ثم أجبرهما اثنان من فريق مولارد على الجلوس على مقعدين في غرفة الطعام. افترض الأب -وهو رجل عاقل- أنه يتعامل مع محترف شاب عاقل مثله، فسأله بنبرة أهدأ وأكثر ملاءمة: «هل هذا كله ضروري حقًّا، أيها الضابط مولارد؟».

- اسمي ليس مولارد، ولستُ من شرطة الأحداث.

فجأة أصبح الأمر شديد الوضوح بالنسبة إلى الرجل. كان يعلم أن هذا الصبي أصغر من أن يحظى بمثل هذه السلطة. الندوب على وجهه جعلته يبدو.. حسنًا.. مُحَنَّكًا إلى حد ما، لكنه ما زال صغيرًا للغاية. كيف يمكن أن ينخدع والتر بهذه السهولة؟ أليس في وجه هذا الشاب شيء مألوف؟ هل رآه من قبل، ربما في نشرة الأخبار؟ عجز الرجل عن الكلام بسبب هذا التحول غير المتوقع للأحداث بشكل غير مهني.

***

5 - كونور

أفضل جزء في هذه المهام هو النظرة على وجهي الوالدين، عندما يدركان أن الأوضاع قد انقلبتْ. كيف تتسمَّر عيناهما على مسدس التهدئة الموجه إليهما، ليدركا فجأة أن أمر التفكيك الذي وقَّعاه، لم يعد الآن إلا قطعة من الورق.

سأل الأب: «من أنتم؟ وماذا تريدون؟».

قال له كونور: «نريد ما لم تعدْ أنت تريده. نريد ابنك».

ثم خرج ترايس -عضو الفريق مفتول العضلات، الذي أرسله كونور خلف نوح- من غرفة النوم وهو يحمل الصبي المقاوم.

قال ترايس: «أقفال غرفة النوم لم تعد تُصنَع بالجودة نفسها التي كانت بها في السابق».

صرخ الطفل: «دعني.. دعني!». ذهب إليه كونور، في حين أشهر هايدن -وهو أيضًا عضو في فريق الإنقاذ- مسدسَ تهدئة، ليضمن ألا تدور في رأس الزوجين أفكار هجومية.

قال له كونور: «والداك كانا على وشك تفكيكك يا نوح. في الواقع، إن رجال شرطة الأحداث قادمون غدًا، لكن من حسن حظك، حضرنا نحن أولًا».

بدتْ نظرة مليئة بالرعب على وجه الصبي الذي قال وهو يهز رأسه، رافضًا تصديق ما سمعه: «أنت تكذب! (ثم نظر إلى والديه، وقد ساوره الشك) إنه يكذب، أليس كذلك؟».

لم يدعْ كونور الفرصة للوالدين ليجيبا، وبادرهما قائلًا: «أخبراه الحقيقة. إنكما مدينان له بهذا على الأقل».

صرخت الأم: «أنت لا تملك الحق لتفعل ذلك!».

ألحَّ كونور: «الحقيقة!». فتنهَّد الأب، قائلًا: «بلى، ما يقوله صحيح. أنا آسف يا نوح».

هنا ألقى نوح نظرة غاضبة على والديه، ثم التفت إلى كونور الذي رأى دموعه تتراكم خلف غضبه.

سأله نوح: «أستؤذيهما؟».

- أتريدني أن أفعل؟

- نعم. نعم.

هز كونور رأسه، قائلًا: «أعتذر. لا يمكنني ذلك، نحن لا نفعل مثل هذه الأمور. يومًا ما ستشعر بالامتنان، لأننا لم نفعل ذلك».

نظر نوح إلى أسفل، قائلًا: «لا، لن يحدث هذا».

لم يعد ترايس مضطرًّا إلى حمل نوح بإحكام شديد، فرافقه إلى غرفة نومه حتى يتمكن من وضع بعض أغراضه في حقيبة ظهره؛ القليل مما يمكنه إنقاذه من عمره البالغ خمسة عشر عامًا، قضاها في هذا المكان.

بينما يفحص باقي أعضاء فريق كونور المنزل، للتأكد من عدم وجود أي شخص آخر يمكن أن يتصل بالشرطة، أو يفسد المهمة بشكل آخر، سلَّم كونور الوالد دفترَ ملاحظات وقلمًا.

- ما الغرض منهما؟

قال كونور: «ستكتب الأسباب التي دفعتكَ إلى التخلص من ابنك. نحن نعلم أن لديك أسبابًا لذلك. أنا واثق أنها أسباب غبية؛ وأنانية وفاشلة للغاية، لكنها تظل أسبابًا. قد لا تفيد سوى في مساعدتنا على معرفة نوع الحماقات التي يرتكبها نوح، وهنا ربما يمكننا التعامل معه بشكل أفضل مما فعلتما».

سألت الأم: «تُكرِّر الحديث باستخدام ضمير المتكلم للجمع. من أنتم؟».

- نحن من سينقذ حياة ابنك التي تزعجكما. هذا كل ما تحتاجان إلى معرفته.

نظر الأب بإشفاق إلى دفتر الملاحظات الصغير، فقال له كونور: «اكتب». لم يرفع الأب أو الأم عيناهما، وترايس يرافق نوح إلى خارج المنزل حيث تنتظر السيارة.

صاح نوح فيهما من الخلف: «أنا أكرهكما! لم أعنِ ذلك مطلقًا عندما قلتُه من قبل، لكني أعنيه الآن».

كان كونور واثقًا أن كلمات الابن قد سببت جرحًا غائرًا في نفسيْ هذيْن الوالديْن، لكنْ ليس بعمق مشارط متجر التقطيع. قال كونور للأب والأم: «إذا عاش حتى يبلغ السابعة عشرة من عمره، فقد يمنحكما يومًا فرصة ليصفح عنكما. إذا فعل ذلك، فلا تضيِّعا هذه الفرصة». لم يعلق كلاهما على هذا القول. ظل الأب ينظر إلى الدفتر ويدوِّن به الكثير. عندما انتهى، أعاد الدفتر إلى كونور. بدلًا من شرح الأسباب، كتب الرجل أعذاره في نقاط محددة، قرأها كونور بصوت مرتفع كأن كلًّا منها اتهام موجه إليهما: «عدم الاحترام، والعصيان».

هذه تكون دائمًا الأسباب الأولى. إذا قام كل والد بتفكيك طفل بسبب عدم الاحترام، سينقرض الجنس البشري في جيل واحد.

- السلوك المدمر للذات والممتلكات.

يعرف كونور القليل عن سلوك التدمير الذاتي، وكان له نصيبه من التخريب في أوقات الإحباط. لكنَّ معظم الأطفال يتجاوزون هذا، أليس كذلك؟ لا يتوقف أبدًا عن إدهاشه كيف أن كل شيء -حتى التفكيك- يستهدف الإصلاح السريع. نظر كونور إلى النقطة الثالثة، وغلبه الضحك، وهو يقول: «نقص النظافة الشخصية؟».

ألقتِ المرأة نظرة غاضبة على زوجها لكتابته ذلك.

قال كونور: «أوه، تروق لي هذه النقطة! توقعات ضئيلة للمستقبل. تبدو مثل تقرير البورصة!».

في كل مهمة إنقاذ، يقرأ كونور الأسباب بصوت عالٍ، وفي كل مرة يتساءل هل كانت تلك هي القائمة نفسها التي كتبها والداه. هذه المرة، أصاب السبب الأخير كونور بالاختناق إلى حد ما.

- إخفاقنا كوالدين.

ثم غضب من نفسه. هذان الوالدان لم يكسبا تعاطفه. إذا كان السبب هو إخفاقهما، فلماذا يدفع ابنهما ثمنه؟

- غدًا، عندما يأتون لاصطحابه، أخبراهم أنه هرب، ولا تعرفان إلى أين ذهب. لا تتحدثا عنَّا، أو عمَّا حدث هنا اليوم، لأنكما إذا فعلتما ذلك، فسنعرف. نحن نراقب جميع الترددات اللاسلكية التابعة للشرطة.

سأل الأب، مُظهِرًا العصيان نفسه الذي أدان به ابنه: «وإذا لم ننفذ ما قلتَ؟».

- تحسبًا لأن تفكرا في الإبلاغ عما حدث اليوم، حمَّلنا مزيجًا لطيفًا على الإنترنت، يتعلق بهويتكما.

قوله هذا جعل وجهيهما يمتقعان، أكثر مما كانا عليه فعلًا.

- ماذا تقصد؟

أجابهما هايدن بفخر، لأنها كانت فكرته: «نرسل رمزًا كوديًّا من خلال الإنترنت، وعلى الفور، تصبح أسماؤكما مرتبطةً بعشرات من خلايا المُصَفِّقين المعروفة. ستكون بصمتكما الرقمية على ارتباط وثيق بالإرهاب، وستقضيان سنوات في محاولة إقناع الأمن الداخلي بترككما وشأنكما».

أومأ الزوجان في قبول مستسلم، وقال الرجل: «حسنًا. نعدكما بعدم الإبلاغ عنكما».

دائمًا ما يكون تهديد المزيج المرتبط بالهوية فعَّالًا للغاية، إضافة إلى ذلك، سواء ذهب هؤلاء الصبية مع كونور، أو فُكِّكوا، يتحقق للوالدين مرادهما. يصبح طفلهما صعب المراس مشكلة شخص آخر. الإبلاغ عن كونور وفريقه سيجعل نوح مشكلتهما مرة أخرى.

قالت الأم بقدْر كبير من الرضا عن النفس: «عليك أن تتفهم، لقد كنا يائسين. أخبرنا الجميع أن التفكيك هو أفضل ما يمكن أن نفعله. الجميع».

مزَّق كونور قائمة الأعذار، ملقيًا بها على الأرض، ومغلقًا عينيه في الوقت نفسه.

- إذن، بعبارة أخرى، قررتما تفكيك ابنكما بسبب ضغط المحيطين بكما؟

انهار الاثنان أخيرًا، وشعرا بالخزي الواجب عليهما أن يشعرا به. انفجر الأب -الذي دافع باستماتة عن موقفهما في البداية- فجأة باكيًا. في حين ظلت الأم متماسكة بما يكفي، لتقديم عذر أخير إلى كونور: «حاولنا أن نكون أبويْن صالحيْن.. لكن هناك نقطة تتوقف عندها عن المحاولة».

قال لها كونور: «لا، لا توجد مثل هذه النقطة».

ثم استدار مغادرًا، وتاركًا لهما أسوأ عقوبة على الإطلاق: الاضطرار إلى مواجهة نفسيهما بفعلتهما، والتعايش معها.

انطلق كونور وفريقه في شاحنة صغيرة تحمل أرقامًا مزيفة. تجهُّم نوح فالكوفسكي كان مفهومًا، وهو ينظر من النافذة ويراقب حيه للمرة الأخيرة. لم يبدُ أنه يعرف مَن هم. لم يبدُ مهتمًّا بأن يعرف. شعر كونور بالسعادة لأن نوح لم يتعرَّفه. فبينما يحظى إوُول آكرون بسمعة أسطورية في بعض الدوائر، كان ظهور وجهه في نشرات الأخبار أقل بكثير من ظهور وجه ليف. إضافة إلى ذلك، فإن اعتقاد الجميع أنه قد مات، جعل التخفي أسهل.

قال له كونور: «استرخِ، أنت بين الأصدقاء».

قال نوح: «ليس لديَّ أصدقاء». تركه كونور يرثي لنفسه في الوقت الحالي.

***

المقبرة ينطبق عليها اسمها في الوقت المتأخر من الليل. تقف مراوح ذيل طائرة ضخمة كمَعلم أثري، في هدوء كشواهد القبور. يُجري الصبية دوريات مراقبة، وهم يحملون بنادق مملوءة بالمخدِّر، لكنْ بخلاف ذلك، لا يوجد ما يشير إلى أن المكان معقل لأكثر من سبعمائة من الصبية الهاربين من التفكيك.

سأل نوح فيما تتوقف سيارة فريق الإنقاذ على الممر الرئيسي: «لماذا جِئنا إلى هنا؟».

كان هذا «الشارع» هو الأكثر ازدحامًا في المقبرة، وتحيط به سلسلة من الطائرات الكبيرة التي تشكِّل جوهر مساحة معيشتهم، وقد اختار أحد المفككين الذين رحلوا منذ مدة طويلة لكل واحدة اسمًا. هناك أسماء مثل «كراش ماما»، لأحد مساكن الفتيات الرئيسية؛ و«كومبوم» -أحد قاذفي القنابل المخضرمين في الحرب العالمية الثانية- اسم مركز الكمبيوتر والاتصالات لديهم؛ وطبعًا «آيهوب»، أو بيت المطهر الدولي، وهو المكان الذي يبقى فيه الوافدون الجدد -كنوح- إلى أن يُمنَحوا وظيفة ويندمجوا في المقبرة.

قال كونور لنوح: «المقبرة هي المكان الذي ستعيش فيه حتى تبلغ السابعة عشرة من عمرك».

قال الصبي: «سأفعل بالتأكيد». هذا هو الرد المعتاد في مثل هذه الحالات، لذا، تجاهله كونور فحسب.

- أحضِر له سريرًا، ورافقه إلى «آيهوب» يا هايدن. في الصباح، سنرى ما نوع العمل الذي يناسبه.

سأل نوح: «ماذا أكون الآن إذن؟ هارب نتن من التفكيك؟».

قال هايدن: «هذا ما يطلقونه هم علينا. نحن نطلق على أنفسنا اسم «المكتملين». في ما يتعلق برائحتك نتنة أم لا، أعتقد أننا جميعًا متفقون على أنك بحاجة إلى زيارة مرافق الاستحمام لدينا في أقرب وقت ممكن».

همهم الصبي كثور هائج، وابتسم كونور. كان هايدن هو الذي ابتكر مصطلح «المكتملين»، لأن «المفككين» و«الهاربين من التفكيك» أسماء سلبية ألصقها العالم بهم.

قال كونور لهايدن: «يليق بك أن تصبح متحدثًا سياسيًّا أو إعلاميًّا، فأنت تجيد الالتفاف السريع، وقلب الأمور لمصلحتك».

فردَّ عليه هايدن ببراعة: «الالتفاف يشعرني بالغثيان؛ كنت لأتقيأ على الآخرين».

كان هايدن وكونور وريسا فقط الثلاثة الباقين الذين مكثوا في مخبأ سونيا في السابق. لقد وطَّدت تلك التجربة علاقتهم، كما لو كانوا أصدقاء مدى الحياة.

تجوَّل نوح مع هايدن في منزل المطهر الدولي، وقضى كونور لحظات قليلة للاستمتاع ببعض السلام والهدوء النادرين. نظر إلى الطائرة «آكماك» التي تنام فيها ريسا. الأنوار مطفأة، كما هي حال الطائرات الأخرى، لكنه شك أنها قد اختلستِ النظر فعلًا -مع صوت اقترابهم- للتأكد من عودة كونور سالمًا.

قالت له ريسا ذات مرة: «لا أعرف على وجه اليقين هل كانت مهماتك هذه نبيلة أم غبية».

قال لها: «ولِمَ لا يمكن أن تكون كليهما معًا؟».

الحقيقة هي أن إنقاذ الصبية يُشبعه نفسيًّا، أكثر من الأمور اليومية التي يفعلها لإدارة المقبرة. هذه الرحلات الجانبية تحفظ سلامته العقلية.

عندما اختير مسؤولًا عن المكان، كان من المفترض أن يكون ذلك مؤقتًا فقط. كان من المفترض أن تجد المقاومة ضد الانقسام بديلًا مناسبًا للأدميرال؛ شخصًا يليق بأن يظنه العامة مديرًا لعمليات تكهين الطائرات. لكنَّ قادة المقاومة أدركوا لاحقًا أنهم لم يكونوا بحاجة إلى ذلك، فقد كان لهم أتباع في المكتب الأمامي بالمقبرة -وهو مقطورة بالقرب من المدخل- وهؤلاء الموظفون يديرون أمور العمل. ومع نجاح كونور في الإشراف على عمل الأطفال وتغذيتهم وإبقائهم تحت السيطرة، لم تجد المقاومة أيَّ سبب لتوظيف شخص آخر.

- أتتفقد مملكتك؟

استدار كونور، فرأى ترايس يتقدم نحوه، فقال له: «ليست مملكتي، أنا أعمل هنا فحسب. هل استقر المقام بالصبي الجديد؟».

- نعم.. يا له من متذمر! يقول إن البطانية خشنة للغاية.

- سوف يتجاوز ذلك. كلنا فعلنا.

ترايس نيوهاوسر هو بوف تابع للقوات الجوية، ترك الخدمة للانضمام إلى المقاومة، عندما فُكِّكَتْ أخته. تغيَّب عن وحدته دون إذن منذ ستة أشهر، لكنه ما زال بوفًا بكل ما تحمله الكلمة من معنى. ما زال جسده كله كتلةً من العضلات المفتولة، مع تمحور تركيزه على دراسة علوم الدفاع عن النفس.

لم يشعر كونور قطُّ بالميل إلى البوف جميعًا. ربما لأنهم يعرفون هدفهم في العالم، ويخدمونه جيدًا في العموم. إن رؤيتهم تجعل كونور دائمًا يشعر بأنه معدوم الفائدة. أن يصبح أحد هؤلاء البوف صديقًا حميمًا له، إنما يثبت أن الناس يتغيرون. يبلغ ترايس من العمر ثلاثة وعشرين عامًا، لكنه يبدو غير ممانع في تلقي الأوامر من صبي في السابعة عشرة.

قال ذات مرة لكونور: «التسلسل القيادي لا يعرف قيود العمر. قد تكون في السادسة من عمرِكَ، لكنْ إذا كنت رئيسي، فسأفعل ما تأمرني به».

ربما لهذا السبب يحبه كونور، لأنه إذا كان بإمكان رجل كهذا أن يحترم قيادة كونور، فقد لا يكون قائدًا سيئًا في النهاية.

***

بدأ اليوم التالي -كما يبدأ كل يوم في المقبرة- بإنجاز الأمور الواجبة. «مسيرة رجال الإطفاء»، هذا ما أطلقه عليها الأدميرال: هرولة لا نهاية لها لدعس المضايقات. قال الأدميرال ذات مرة: «القيادة تكمن في الحفاظ على نظافة دورات المياه. فما لم تكن في ساحة المعركة، عليك إذن البقاء حيًّا. وكلا الأمرين ليس لطيفًا».

على الممر الرئيسي، تحت طائرة الترفيه، استرخى الصبية وهم يشاهدون التلفاز، أو يلعبون ألعاب الفيديو. لكنَّ الكثيرين منهم أيضًا بدأوا نوبات عملهم في تفكيك أجزاء الطائرات أو إعادة بنائها، وفقًا للأوامر الواردة من المكتب الأمامي. في بعض الأحيان يكون من الأسهل على كونور أن يعتقد أن كل شيء يستمر بانتظام حتى في عدم وجوده، وليس بسبب متابعته.

بمجرد رصد كونور في الممر الرئيسي، انهمرتْ عليه الشكاوى والتساؤلات.

قال أحد الصبية وهو يعدو تجاهه: «مرحبًا يا كونور. لا أقول ذلك من باب الشكوى، لكنْ هل يمكننا الحصول على طعام أفضل هنا؟ أعني... أعلم أن المتسولين يجب ألا يكونوا متطلِّبين، وكل ذلك، لكنْ إذا اضطررتُ فعليًّا إلى تناول يخنة اللحم البقري الخالية من اللحم مرة أخرى، أعتقد أنني سأتقيأ».

قال له كونور: «نعم، هذا شعورك، وشعور الجميع».

قالت فتاة في الرابعة عشرة من عمرها أو نحو ذلك: «سيد آكرون. لا أعرف أكنت تعلم هذا أم لا، لكنَّ المراوح في «كراش ماما» لم تعد تعمل، والجو حار للغاية ليلًا».

قال لها كونور الذي لا يمكنه تقبل حقيقة أن الكثير من الصبية -خصوصا الصغار منهم- لا يبالغون في احترامه بشكل يبعث على السخرية فحسب، بل إنهم أيضًا يعتقدون أن آكرون جزء من اسمه بطريقة ما: «سأرسل أحدهم لإصلاحها». ثم أتى صبي ثالث يشكو وجودَ الكثير من القمامة، ولا يمكنه فعل شيء حيال ذلك.

قال لترايس: «أقسم إني أشعر نصف الوقت أنني عامل نظافة. أحتاج إلى عشرات الأيدي الإضافية، للحفاظ على انتظام الأمور في هذا المكان فحسب».

ذكَّره ترايس: «لديك عشرات الأيدي. كل ما عليك هو أن ترغب في استخدامها».

قال كونور الذي سمع هذا الحديث من قبل: «نعم، نعم». ينبغي ألا يغضب من ترايس لأنه يشير إلى هذه الأشياء، فهذا -في نهاية الأمر- هو سبب إبقائه لترايس بالقرب منه، ليقدِّم له المشورة عن كيفية تولي زمام الأمور. لقد تقبَّل كونور فعلًا الحقيقة الغريبة المتمثلة في كونه قائدًا من نوع ما، لكنها -كما أشار الأدميرال- مهمة صعبة لا تسر.

بعد أن تركه الأدميرال لإدارة المكان، أنشأ كونور هيكلًا للسلطة: دائرة داخلية، وأخرى خارجية، ثم كل الباقين في المكان. المفترض أن يتأكد أولئك الموجودون في دائرته الداخلية من العناية بأمور كالإمدادات الغذائية والمائية والصرف الصحي، لأن كونور لديه أمور أكثر إلحاحًا للتعامل معها. أمور مثل الحفاظ على سلامتهم جميعًا، وحمايتهم من التفكيك.

قال كونور لترايس: «سأدعو إلى عقد اجتماع، بعد أن ألتقي ممثلَ المقاومة. وسأتأكد من توزيع المهام».

قال ترايس: «ربما تحتاج إلى التدقيق بعناية في من توكل إليهم المهام».

لم يعرف كونور عن نفسه قطُّ القدرة على تحمل هذا النوع من المسؤولية، لكنِ الآن بعد أن علم، أصبح يتمنى أن يعود إلى كونه مسؤولًا عن نفسه فقط. يوجد الكثير من الأشياء التي يشعر أنه ما زال بحاجة إلى فعلها. بفضل ليف، وخليته المُصفِّقة المضلِّلة، نجا كونور من التفكيك، لكنه ما زال يشعر أن كيانه ليس مكتملًا كما يجب.

***

6 - ريسا

لا يوجد في المقبرة سوى مقيمة واحدة مصابة بإعاقة دائمة. نظرًا إلى أن المعاقين ينتمون إلى فئة تحظى بالحماية، فهم لا يتعرضون أبدًا لخطر التفكيك، لذلك لا يحضرون قطُّ إلى المقبرة مع كل الصبية الآخرين الذين هربوا من أمر تفكيكهم. إنها شهادة على طبيعة العامة الميَّالة للتعاطف مع الضعفاء. يا لحسن حظ من يحظون بهذه النعمة، لكنْ يا لسوء حظ أولئك الذين ينتهي بهم الأمر بملء فراغ من أفلتوا.

أصبحتْ ريسا معاقة باختيارها. أو بالأحرى، رفضتْ إجراء عملية جراحية من شأنها إصلاح عمودها الفقري المصاب، لأنها في تلك الحالة كانت ستحصل على عمود فقري مُنتزَع من طفل مفكَّك. في السابق، كان ضرر العمود الفقري دائمًا لا يمكن علاجه، وإذا أصابك، عليك أن تتعايش معه طوال حياتك. تساءلت ريسا أكان الأصعب أن تعيش هكذا، أم أن تعيش وأنت تعلم بوجود إمكانية لعلاجك، لكنكَ تختار عدم فعل ذلك.

تعيش الآن في طائرة قديمة من طراز «ماكدونال دوجلاس إم دي-11»، زُوِّدَ مدخلها الرئيسي بمنحدر خشبي. للاختصار، أصبح اسم الطائرة «أكسسيبول ماك» أو «آكماك». هناك نحو عشرة أطفال يعانون التواءً في الكاحل أو حالات مؤقتة أخرى تقيم مع ريسا حاليًّا في «آكماك»، التي قُسِّمَتْ إلى أقسام بستائر، يعيش كل منهم في قسم، وهذا ما يوهمهم بتوافر المساحة الشخصية. تقيم ريسا في مقصورة الدرجة الأولى القديمة بالطائرة، والتي تواجه المدخل الرئيسي. هذا يمنحها مساحة معيشة أكبر، لكنها لا تستطيع تحمُّل حقيقة أنه يعد تمييزًا لها. الطائرة اللعينة كلها تُعَدُّ محاباة لها، ورغم أن عمودها الفقري المحطم هو إصابة حرب، فإنه لا يُغيِّر حقيقة أنها محكوم عليها باستمرار تلقي معاملة خاصة.

الطائرة الوحيدة الأخرى المزوَّدة بمنحدر للمقاعد المتحركة هي طائرة المستوصف الطبي حيث تعمل. هذا يترك لريسا خيارًا محدودًا للغاية للحركة في الداخل، لذا تقضي وقت فراغها في الخارج عندما تكون قادرة على تحمُّل حرارة الجو.

كل يوم في الساعة الخامسة، تنتظر ريسا كونور تحت طائرة قاذفة صواريخ من طراز الشبح، أطلقا عليها اسم «هاش بوبي». يتأخر كونور كل يوم.

تلقي أجنحة الطائرة السوداء الممتدة ظلًّا ضخمًا، في حين يمتص هيكلها -الذي لا تكشفه أجهزة الرادار- الحرارة مباشرة من الهواء. إنه أحد ألطف الأماكن في المقبرة، بأكثر من طريقة.

رأته أخيرًا يقترب في زِي مموه أزرق، يميزه عن أي شخص آخر في المقبرة. قالت ريسا وهو يصل إلى ظِل «هاش بوبي»: «ظننتُ أنكَ لن تأتي».

- كنتُ أُشرِف على فكِّ أحد المحركات.

قالت ريسا بابتسامة: «نعم. هذا ما يقولونه جميعًا». يصطحب كونور توتره معه إلى هذه اللقاءات اليومية مع ريسا. يقول إن الوجود معها هو الوقت الوحيد الذي يشعر خلاله بأنه طبيعي، لكنه لا يسترخي أبدًا. في الواقع، منذ أن قابلتْه أول مرة، لم تعرف قطُّ أنه قد حظي ببعض الاسترخاء. حتى معرفة أن أساطيرهما قد انتشرتْ خارج المكان، لم تساعده على التخلص من التوتر. لقد أصبح لحكايات كونور وريسا جذور عميقة في الفولكلور الحديث، فبعض الأشياء أكثر إقناعًا من قصة حب خارجة عن القانون. إنهما بمنزلة بوني وكلايد العصر الجديد؛ فيظهران على التيشيرتات وملصقات السيارات.

من الصعب تصوُّر أن الكثير من الشهرة جاءت من مجرد النجاة من الانفجار في مخيم حصاد «هابي جاك». لمجرد أن كونور كان محظوظًا بما يكفي ليكون أول مفكك على الإطلاق يخرج سالمًا معافًى من متجر التقطيع. على حد علم بقية العالم طبعًا، فقد مات كونور هناك وفُقِدَتْ ريسا -سواء ماتت أم اختبأت في إحدى الدول الصديقة للهاربين من التفكيك، إذا كان ما زال هناك شيء من هذا القبيل. تساءلتْ كيف ستصمد أسطورتها إذا علم الناس أنها هنا في صحراء أريزونا، مصابة بحروق الشمس وقذرة.

هبَّتْ نسمات من الهواء تحت بطن «هاش بوبي»، وهذا ما أدخل المزيد من الأتربة في عينيْ ريسا، فرمشتْ، لتتخلص منها.

سألها كونور: «أأنتِ مستعدةٌ؟».

- دائمًا.

هنا جثا كونور على ركبتيه أمام مقعد ريسا المتحرك وبدأ في تدليك ساقيْها، في محاولة لإقناع الدورة الدموية بالوصول إلى الأجزاء التي لم تعُدْ تشعر بها. إنه جزء من طقوسهما اليومية معًا، هذا الاتصال الجسدي بينهما، إنه هادئ ولأغراض طبية، لكنه حميمي بشكل غريب في الوقت نفسه. لكنِ اليوم، بدا كونور مشتتًا وبعيدًا.

قالتْ ريسا: «يوجد ما يزعجك أكثر من المعتاد. (قالتْها في صيغة تقريرية، وليست استفهامية) هيا، أفرغ ما بداخلك».

تنهَّد كونور، ونظر إليها، مُوجِّهًا السؤال الكبير: «لماذا نحن هنا يا ريسا؟».

فكَّرت في السؤال، قائلة: «هل تقصد لماذا نحن هنا فلسفيًّا، كجنس بشري، أم لماذا نحن هنا، نلتقي على مرأى ومسمع من أي شخص قد يهتمْ بالمشاهدة؟».

قال: «دعيهم يشاهدون. أنا لا أهتم». ومن الواضح أنه لا يهتم فعلًا، لأن الخصوصية هي أول ما تفقده عندما تعيش في المقبرة. حتى إن الطائرة الخاصة الصغيرة التي حصل عليها كونور كمقر له، لا توجد ستائر على نوافذها. لا، ريسا تعلم أن هذا لا علاقة له بطقوس لقائهما اليومية، أو بقضية الإنسانية الكبرى. الأمر يتعلق بنجاتهما.

- ما أعنيه هو، لماذا ما زلنا هنا في المقبرة؟ لماذا لمْ تهدئنا شرطة الأحداث، وتقبض علينا جميعًا؟

- لقد قلتَ ذلك بنفسكَ، إنهم لا يرون أننا نشكل تهديدًا.

أشار كونور بإصبعه: «لكنْ ينبغي لهم ذلك. إنهم ليسوا أغبياء، وهذا ما يعني وجود سبب آخر يمنعهم من القضاء على هذا المكان». مدَّت ريسا يدها ودلَّكت كتف كونور المتوترة، قائلة: «إنك تفكر كثيرًا».

تبسم كونور لقولها، معلقًا: «عندما قابلتِني، اتهمتِني بأنني لا أفكر بما فيه الكفاية».

- حسنًا، يبدو أن عقلك يعوِّض ما فاته من تفكير سابقًا.

- بعد ما مررنا به -بعد ما رأيناه- هل تلومينني على ذلك؟

- أنت تروق لي أكثر كرجل أعمال.

- الأفعال يجب أن تكون مدروسة جيدًا. لقد علمتِني ذلك.

تنهدتْ ريسا، قائلة: «نعم، أعتقد أنني فعلتُ. وخلقتُ وحشًا».

أدركتْ أن كليهما قد تغيَّر بعمق في أعقاب ثورة مخيم حصاد «هابي جاك». يروق لريسا الاعتقاد بأن روحيهما قد جُلِفنَتَا كالحديد في الفرن، لكنْ في بعض الأحيان يبدو الأمر كأنهما قد تضررا فحسب من تلك النيران الشديدة. ومع ذلك، فهي سعيدة لأنها عاشت لترى الآثار بعيدة المدى لذلك اليوم. مثل قانون «كاب - 17».

حتى قبل ما حدث في «هابي جاك»، كان في الكونجرس مشروع قانون يدعو إلى تخفيض الحد القانوني للتفكيك لمدة عام كامل، إلى عيد ميلاد الشخص السابع عشر بدلًا من الثامن عشر. لم يكن من المتوقع أن يُمرَّر مشروع قانون «كاب - 17»، في الواقع، لم يكن يسمع عنه معظم الناس حتى تصدر مخيم «هابي جاك» عناوين الأخبار، وحتى أصبح وجه ليف كالدر المسكين على غلاف المجلات الكبرى كلها: الصبي البريء يرتدي ملابس بيضاء بالكامل. طفل ذكي العينين ومهندم يبتسم من صورة مدرسية. كيف أصبح الطفل المثالي مُصفِّقًا هو السؤال الذي جعل الآباء في كل مكان يتوقفون وينتبهون.. لأنه إذا كان ذلك يمكن أن يحدث لليف، فمن الذي سيقول إن طفله قد لا يحوِّل دماءه يومًا ما إلى متفجرات، ويفجِّر نفسه في موجة من الغضب؟ وحقيقة أن ليف قد اختار عدم تفجير نفسه أزعجتِ الناس أكثر، لأنهم لم يتمكنوا من التخلص منه باعتباره بذرةً سيئةً. كان عليهم أن يقبلوا أن لديه روحًا -ضميرًا- وهذا ما يعني أن ربما كان للمجتمع دور في جعله مُصفِّقًا. ثم فجأة -كما لو كان لتهدئة شعور الجميع بالذنب الثقافي- أُقِرَّ قانون «كاب - 17». لا يمكن تفكيك أحد بعد عيد ميلاده السابع عشر.

سألها كونور: «أنتِ تفكرين في ليف مجددًا، أليس كذلك؟».

- كيف عرفتَ؟

- لأنكِ عندما تفعلين، يتوقف الزمن، وتتجه عيناك إلى الجانب المظلم من القمر.

مدتْ يدها لتلمس يديْه اللتين توقفتا عن التدليك، فعاد إلى محاولة إقناع دورتها الدموية المضطربة بالانتظام، قائلًا: «لقد مُرِّرَ قانون «كاب - 17» بسببه، كما تعلمين».

قالت ريسا: «أتساءل كيف يشعر حيال ذلك. أراهن أن ذلك يسبب له كوابيسَ. أو ربما يرى الجانب المشرق في هذا الأمر».

سألها كونور: «وماذا عنكِ؟ أترين الجانب المشرق؟».

تنهدتْ ريسا، قائلة: «أحيانًا».

كان من المفترض أن يصبح قانون «كاب - 17» أمرًا جيدًا، لكنْ بمرور الوقت، أصبح من الواضح أنه ليس كذلك. من المؤكد أن صباح اليوم التالي لإقراره كان مُكلَّلًا بالنصر، عندما أظهرت الأخبار إطلاق سراح الآلاف من الصبية في سن السابعة عشرة من مخيمات الحصاد. كان انتصارًا للتعاطف الإنساني، ونصرًا عظيمًا لأولئك الذين لم يُفكَّكوا، لكنَّ هذا الشعور بالنصر سمح للناس بأن يغضُّوا الطرف مرة أخرى عن المشكلة برمَّتها. ظلَّ التفكيك موجودًا، لكنَّ الناس نظروا إلى الجهة الأخرى، معتقدين أنهم قد أراحوا ضمائرهم.

ثم جاءت الحملة الإعلامية الخاطفة، وهي طوفان من الإعلانات المصمَّمة «لتذكير» الناس كم كانت الأشياء «أفضل» منذ توقيع اتفاقية التفكيك. قالت الإعلانات: «التفكيك: الحل الطبيعي»، أو «لديك مراهق مضطرب؟ أحببه بما يكفي لتتخلى عنه»، وطبعًا -الإعلان المفضل لريسا- «جَرِّبْ عالمًا خارج نفسكَ: ادخل في الحالة المنقسمة».

سرعان ما أدركتْ ريسا أن الحقيقة المحزنة عن الإنسانية هي أن الناس يصدقون ما يقال لهم. ربما ليس من أول مرة، لكنْ بحلول المرة المائة، تصبح الأفكار الأكثر جنونًا مجرد أمر مفروغ منه.

وهو ما يعيدها إلى سؤال كونور. مع معاناة النظام نقصًا كبيرًا في أعداد المفككين بعد قانون «كاب - 17»، في وجود جمهور اعتاد الحصول على جميع الأجزاء التي يحتاج إليها وقتما يريد، فلماذا لم تُشَنَّ حملات مداهمة للمقبرة؟ لماذا ما زال الهاربون من التفكيك هنا؟

قالت له ريسا: «نحن هنا، لأننا هنا. ويجب أن نشعر بالامتنان لذلك فحسب (ثم لمست كتفه، مشيرة إلى أن الوقت قد حان لإنهاء التدليك) من الأفضل أن

أعود إلى طائرة المستوصف الطبي. أنا واثقة أن هناك الكثير من الخدوش والكدمات حول العيون وحالات الحمى التي يجب العناية بها. شكرًا لك يا كونور». وبينما يفعل هو ذلك لها بشكل متكرر، فإنها دائمًا ما تشعر بالحرج لحاجتها إليه.

أعاد إسدال ساقيْ سروالها الكاكي الفضفاض، ووضع قدميْها مرة أخرى على مسند القدمين بالمقعد المتحرك، قائلًا: «لا تشكري رجلًا أبدًا على وضع يديه على جسدكِ».

قالت ريسا بخجل: «ليس كله».

رماها كونور بابتسامة صغيرة خبيثة، عبَّرت عن كل ما كان يمكن أن يقوله ردًّا على ذلك.

قالت له: «أعتقد أنني كنت سأستمتع بوقتنا معًا أكثر، لو كان ذهنك حاضرًا بحق».

مدَّ كونور يده ليلمس وجهها، لكنه توقَّف، وأبدل يده، ليلمسها باليسرى بدلًا من اليمنى. اليد التي وُلِدَ بها. وقال لها: «أعتذر، كل ما في الأمر أن...».

- عقلك يُعوِّض ما فاته من تفكير سابقًا. أعرف ذلك. لكنني أتطلع إلى يوم يمكننا أن نكون فيه معًا، دون أن تملأنا هذه الأفكار المظلمة كلها. عندئذٍ سنعرف أننا قد فزنا.

ثم انطلقتْ نحو طائرة المستوصف، وهي تناور بمفردها فوق الأرض الوعرة، رافضةً -كما هي الحال دائمًا- أن يدفع مقعدها أي شخص على الإطلاق.

***

7 - كونور

ظهر ممثل المقاومة ضد الانقسام عصر اليوم التالي، متأخرًا ثلاثة أيام عن موعد لقائه المقرر مع كونور. كان أشعث الشعر، ممتلئَ الجسم، وغارقًا في العرق.

قال كونور: «إن الصيف لم يأتِ بعد»، آملًا أن يوضِّح أن صيف أريزونا الحار لم يبقَ على وصوله سوى بضعة أشهر. على مسؤولي المقاومة أن يتوصَّلوا معًا إلى حل، وإلا سيكون هناك الكثير من الغضب بين صفوف الهاربين من التفكيك. أو بالأحرى، من سينجون منهم من شدة الحرارة.

التقيا في طائرة الرئاسة المُكهَّنة التي كانت في السابق مقرًّا شخصيًّا للأدميرال، لكنها الآن تُستخدَم فقط كغرفة اجتماعات. قدَّم الرجل نفسه باسم جو رينكون، قائلًا: «لكنِ ادعوني جو. لا نتمسك بالشكليات في المقاومة». جلس إلى طاولة المؤتمرات، مُخرِجًا دفترًا وقلمًا لتدوين الملاحظات، ثم ألقى نظرة خاطفة على ساعته، كما لو كان هناك مكان آخر يفضِّل أن يكون فيه.

قدَّم كونور قائمةً كاملةً من الشكاوى من كل ركن من أركان المقبرة. لماذا تصلُ شحنات طعام قليلة للغاية، وعلى أوقات متباعدة؟ أين المستلزمات الطبية التي طلبوها؟ ماذا عن قطع غيار مكيف الهواء والمولدات؟ لماذا لا يُخطَرون عندما تظهر الطائرات حاملة الوافدين الجدد؟ وبهذا الخصوص، لماذا قلَّت الأعداد إلى هذه الدرجة؟ خمسة أو عشرة في المرة الواحدة، بعدما كانت الطائرات في السابق تُحضِر خمسين شخصًا أو أكثر. في ظل وجود مشكلة مستمرة في الإمدادات الغذائية، لا يمانع كونور أن تنخفض أعداد الوافدين، لكنَّ الأمر يزعجه. فإذا كانت المقاومة تعثر على عدد أقل من الهاربين من التفكيك، فهذا يعني أن رجال شرطة الأحداث -أو من هم أسوأ من ذلك، قراصنة الأعضاء- هم من يجدونهم أولًا.

- ماذا دهاكم أيها الناس؟ لماذا تصرُّ المقاومة على تجاهل طلباتنا؟

قال رينكون: «لا يوجد حقًّا ما يدعو إلى القلق. الأمور ما زالت تخضع لإعادة التنظيم». لكنَّ قوله أضاء مصباح الخطر في رأس كونور، لأنه لم يذكر شيئًا عن القلق.

- ما زالت؟ لم يخبرنا أحد أن الأمور يُعاد تنظيمها على الإطلاق. وماذا تقصد بإعادة التنظيم؟

مسح رينكون جبهته المتعرقة بكم قميصه، مكررًا: «لا يوجد حقًّا ما يدعو إلى القلق».

على مدار عام، أصبح كونور قادرًا على فهم المقاومة ضد الانقسام بشكل أفضل مما أراد. عندما كان مجرد هارب من التفكيك، لم يكنْ لديه خيار سوى الثقة في أن المقاومة آلة إنقاذ مُجهَّزة جيدًا، لكنها لم تكن كذلك على الإطلاق. الشيء الوحيد الذي سار بسلاسة هو المقبرة، كان الأدميرال قد عمل على ذلك، وأبقاها كونور على هذا النحو، بالسير على خطى سابقه.

كان يجب أن يدرك أن الأمور مع مسؤولي المقاومة لم تكنْ كما بدتْ بمجرد قبولهم اقتراح الأدميرال بأن يكون كونور هو الشخص الذي يدير المكان، بدلًا من تعيين شخص بالغ أكثر خبرة. إذا كانوا على أتمِّ استعداد للسماح لمراهق بإدارة ملاذهم الآمن، فهناك خطأ ما في مكان ما.

كان هناك وقت مجنون عندما كان صبية يأتون كل بضعة أيام. ضمت المقبرة أكثر من ألفي صبي، وكانت المقاومة ترسل شحنات من كل ما يحتاجون إليه على أساس منتظم. بعد ذلك، عندما أُقِرَّ قانون «كاب - 17»، أُمِرَ كونور بالإفراج فورًا عن كل الصبية الذين أكملوا السابعة عشر -والذين كانوا يُمثِّلون نسبة كبيرة من سكان المقبرة- لكنه أصدر حكمًا بفعل ذلك ببطء، وأطلق سراحهم على أوقات متباعدة، حتى لا يغرقوا « مدينة توكسون» بأكثر من تسعمائة مراهق بلا مأوى. حقيقة أنهم طلبوا منه السماح لجميع هؤلاء الأطفال بالذهاب مرة واحدة، كان من المفترض أن تكون علامة أخرى على تعثُّر قيادة المقاومة.

أطلق كونور سراحهم على مدى شهرين، لكنَّ المقاومة قطعتْ إمداداتهم على الفور، كما لو أن هؤلاء الصبية لم يعودوا تحت مسؤوليتها فجأة. من بين الصبية البالغين من العمر سبعة عشر عامًا، الذين أُطلِق سراحهم، أُرسِل

بعضهم إلى برامج العمل التي وضعها الأدميرال، وآخرون تركوا المكان، عندما لم يعد هناك ما يكفي من الطعام، وبهذا انخفض عدد سكان المقبرة إلى نحو سبعمائة شخصًا.

قال رينكون: «أرى أنكم قد زرعتم حديقة جيدة، وتربون الدجاج أيضًا، أليس كذلك؟ لا بدَّ أن التنمية لديكم قد أصبحت مستدامة بالكامل الآن».

- لم نقترب من ذلك حتى. لا ينتج الممر الأخضر سوى نحو ثلث الطعام الذي نحتاج إليه، ومع تقليل المقاومة لشحناتنا الغذائية، اضطُررنا إلى مداهمة شاحنات توصيل البضائع إلى الأسواق في توكسون.

قال رينكون: «يا إلهي». هذا كل شيء، لم يقل سوى «يا إلهي»، ثم بدأ يقضم مؤخرة قلمه.

هنا كان كونور -الذي نفد صبره منذ اليوم الأول- قد سئم من المحاورة والمداورة، فقال له: «ألن تخبرني بشيء مفيد، أم إنك هنا لتضيِّع وقتي فحسب؟».

تنهَّد رينكون، ثم قال: «لقد وصل الأمر إلى هذه المرحلة يا كونور: نعتقد أن المقبرة قد تعرضت للاختراق».

لم يستطعْ كونور أن يصدق ما يقوله هذا الأحمق، فقال منفعلًا: «طبعًا مخترقة! أنا من أخبرك أنها قد اختُرِقَتْ! فريق شرطة الأحداث يعرفون بأمرنا، ومنذ اليوم الذي توليتُ فيه القيادة، ظللتُ أقول إننا بحاجة إلى الانتقال!».

- نعم، نحن نعمل على ذلك، لكنْ في الوقت الحالي لا يمكننا الاستمرار في ضخ موارد قيِّمة في منشأة يمكن أن تستولي عليها شرطة الأحداث في أي لحظة.

- أستتركوننا إذن نتعفن هنا؟

- لم أقل ذلك. يبدو أنك تُحكِم السيطرة على كل شيء. بقليل من الحظ، لن يجد رجال شرطة الأحداث أي حاجة أبدًا إلى الاقتحام.

وقف كونور عاصفًا، وهو يصيح خلال الطاولة: «بقليل من الحظ؟ لا بدَّ أن تعمل المقاومة لإيجاد مخرج، لا أن تنتظر الحظ. لكنْ هل اتخذتم أي إجراء؟ لا! لقد أرسلتُ إليكم خططي للتسلل إلى مخيمات الحصاد، وأفكارًا عن كيفية تحرير الصبية بطرق غير عنيفة، لا تثير غضبَ الناس وتخلق رد فعل صادم، لكنْ كل ما أسمعه من المقاومة هو «إننا نعمل على ذلك يا كونور»، أو

«سنشرف على الأمر يا كونور». والآن تطلب مني أن أعتمد على الحظ للحفاظ على بقائنا؟ ما فائدة المقاومة إذن بحق الجحيم؟»

اعتبر رينكون هذا القول كإشارة لإنهاء الاجتماع، وهو ما أراد بوضوح فعله منذ لحظة وصوله، فقال: «توقف، أنا مجرد رسول. لا تصبَّ جام غضبك عليَّ!».

لكنَّ هناك بعض الأمور التي يعجز كونور عن كبحها، فوجد نفسه يُطلق قبضة يده المزروعة -التي تنتمي في الأصل إلى رولاند- لتستقر في وجه رينكون الذي يريده أن يدعوه جو. أصابت اللكمة عين الرجل، فتعثَّر، وسقط خلف الحاجز الفاصل بين مقصورتين. لم ينظر إلى كونور بازدراء، بل بخوف، خشية ألا يتوقف كونور عند هذا الحد، لكنَّ كونور تراجع، متوقفًا عن العنف، وقال: «هذه رسالتي. من فضلك، عدْ بها إلى من أرسلوك».

***

هناك طائرة من طراز «بوينج 747» بلا أجنحة، كانت قد تدمرت، مثل أي طائرة أخرى في المقبرة، وحُدِّثَتْ بمعدات الصالة الرياضية. أُطلِق عليها «جيمبو»، لكنَّ البعض يسميها «منصة القتال»؛ يبدو أن العديد من المشاجرات تندلع هناك. هذا هو المكان الذي يذهب إليه كونور للتخلُّص من إحباطاته.

لَكَمَ كيسَ ملاكمة كبير أمامه، كما لو كان ملاكمًا ممن يسعون خلف الجوائز، يُصِرُّ على الفوز بالضربة القاضية في الجولة الأولى. تخيل وجوه الصبية الذين أغضبوه في ذلك اليوم. كل أولئك الذين قدَّموا أعذارًا عن عدم فعل ما عليهم فعله. اتسع غضبه أكثر، ليشمل أشخاصًا مثل رينكون، ورجال شرطة الأحداث الذين كان عليه مواجهتهم، وكذلك المتخصصين النفسيين المبتسمين في مخيم الحصاد الذين حاولوا جعل التفكيك يبدو كأنه نشاط مفيد للأسرة، وأخيرًا لكم وجهيْ والديه اللذين تسبَّبا في وصوله إلى هنا. عندما وصل إليهما، لم يستطع ضرب كيس الملاكمة بقوة كبيرة، وفي الوقت نفسه آلمه شعوره بالذنب لتهاونه معهما.

لكمات يده اليسرى لا تقارن بلكمات يده اليمنى. نظر إلى وشم القرش الذي يحدق إليه من ساعده؛ هذا الوشم أقبح من قرش النمر الحقيقي. اعترف لنفسه أنه قد اعتاده، لكنه لن يروق له أبدًا. كما أن لون الشعر الذي ينمو على تلك الذراع أدكن من شعر ذراعه الأخرى وأغلظ. قال كونور لنفسه: «إنه

هنا. رولاند هنا مع كل لكمة أسددها بيده». وأسوأ ما في الأمر هو أن تسديد تلك اللكمات يُشعره بالارتياح، كما لو أن الذراع نفسها تستمتع بها. تحرك نحو جهاز تمارين رفع الأثقال في أثناء الرقود، الذي كان صبيان يتقاسمانه، لكنهما فسَحا الطريق له، وهذا من مميزات كونه مسؤولًا. نظر إلى الوزن، وأضاف خمسة أرطال أخرى على الجانبين، ثم مال إلى الخلف، واستعدَّ لبدء التمرين. كل يوم يفعل هذا، وكل يوم هذا هو الجزء الذي يكرهه أكثر.. لأنَّ الفرق بين ذراعيه اليمنى واليسرى يصبح في أوضح صوره على جهاز تمارين الأثقال. يعاني الذراع التي ولد بها لرفع تلك العارضة. وفجأة أدرك أنه ما زال يقاتل رولاند حتى الآن.

قال صبي من خلفه: «أتحتاج إلى شخص ليتابعك؟». لف كونور رقبته، ليرى الصبي الذي يناديه الجميع بستاركي يقف أعلاه.

قال كونور: «نعم، بالتأكيد. أشكركَ». بدأ مجموعة تمارين أخرى، وهو يشعر فعلًا بألم في ذراعه الأصلية، لكنه رفض الاستسلام له.. لكنْ بعد تكرار التمرين 7 مرات بدأ يستسلم للألم، واضطُّرَّ ستاركي إلى مساعدته على إعادة الحديد إلى مكانه.

أشار ستاركي إلى وشم سمكة القرش على ذراعه اليمنى، قائلًا: «هل حصلتَ عليه بعد ما حدث في «هابي جاك»؟».

تحوَّل كونور من الرقاد إلى وضع الجلوس، ليهدأ ألم عضلاته، ونظر إلى الوشم، مجيبًا: «لقد جاء مع الذراع».

قال ستاركي: «في الواقع، كنت أتحدث عن الذراع نفسها. أرى أنه إذا كان الرجل الذي يعارض التفكيك، قد حصل على ذراع من شخص مفكَّك، فربما لم يكن ذلك باختياره. أودُّ أن أسمع كيف حدث ذلك».

ضحك كونور، لأن لم يسبق لأحد أن وجَّه إليه هذا السؤال بشكل صارخ. إنه في الواقع لمن دواعي الراحة أن يتحدث عن ذلك.

- كان هناك ذلك الصبي، كان قويًّا حقًّا. حاول قتلي ذات مرة، لكنه لم ينجح. كان آخر من فُكِّكَ في «هابي جاك»، على أيِّ حال. كان من المفترض أن أكون أنا التالي، لكنْ عندئذٍ فجَّر المصفقون متجرَ التقطيع، ففقدتُ ذراعي، ثم استيقظتُ لأجد هذه الذراع بدلًا منها. صدقني، لم يكن اختياري.

أصغى ستاركي إلى القصة وأومأ برأسه، دون أن يُصدِر أيَّ أحكام، ثم قال: «إنه وسام الشرف يا رجل. عليك أن تفخر به».

يحاول كونور تعرُّف كل صبي يصل، ولو بشكل بسيط على الأقل، لكي لا يشعروا كأنهم مجرد رقم ينتظر أن يُقبَض عليه وتفكيكه. إذن ماذا يعرف عن ستاركي؟ يتمتع بشخصية مميَّزة، وابتسامة تصعب قراءتها إلى حد ما. شعره أحمر مُموَّج يبدو مصبوغًا، كما يتضح من الجذور الداكنة التي نمت نحو بوصة واحدة منذ وصوله قبل شهر. إنه قصير بعض الشيء، قوي، ليس هزيلًا. متين البنية، هذا هو الوصف الأنسب -كمصارع- ويحظى بثقة بالنفس تجعله يبدو أطول من قامته الحقيقية. توجد أيضًا شائعات تقول إنه قد قتل شرطيَّ أحداث أو اثنيْن في أثناء هروبه، لكنها مجرد شائعات.

تذكَّر كونور اليوم الذي وصل فيه ستاركي. كل مجموعة من الوافدين الجدد تحظى بصبي واحد على الأقل يعتقد أن نسف مخيمات الحصاد فكرة جيدة. في الواقع، ربما يعتقد معظمهم ذلك، لكنْ معظم الصبية يتملَّكهم الخوف الشديد من التصريح بذلك عند وصولهم. أولئك الذين يعلنون رأيهم هذا، يتضح في ما بعد أنهم إما مثيري مشكلات، وإما من محققي الإنجازات. ومع ذلك، فقد ظلَّ بعيدًا عن دائرة الضوء منذ وصوله. كُلِّفَ بواجب تقديم الطعام، وفي المساء يتجول، مؤديًا بعض الحيل السحرية لأي شخص مهتم. هذا جعل كونور يفكر في أول ليلة له كهارب من التفكيك. آواه سائق شاحنة، مُظهِرًا له ذراعًا زُرِعَتْ من عند الكوع. لقد كانت ذراع أحد المفككين الذي جاء محتفظًا بمهارة أداء حيل ورق اللعب.

قال كونور: «عليك أن تريني بعض حيلك السحرية يا ستاركي»، فبدا القليل من الدهشة على وجه ستاركي.

- أتعرف أسماء الجميع هنا؟

قال كونور: «فقط أولئك الذين يتركون في نفسي انطباعًا قويًّا. هيا، فلنتبادلْ مواضعنا، سأتابع أنا أداءك». تبادلا الأماكن، وحاول ستاركي رفع الوزن، لكنه بالكاد استطاع أداء التمرين مرتين.

اعتدل ستاركي جالسًا، وقال: «أعتقد أنني سأتوقف هنا».

ألقى نظرة فاحصة على كونور الذي لا يستطيع معظم الناس التواصل معه بالعين. إما الندوب وإما أسطورته التي تخيفهم للغاية هي السبب في ذلك. ورغم هذا، لم ينظرْ ستاركي بعيدًا.

- أصحيح أنك خاطرتَ بالقبض عليك، لإنقاذ طفل منقول؟

قال كونور: «نعم. لم تكن تلك من أجمل لحظاتي».

- لِمَ فعلت ذلك؟

هز كونور كتفيْه، قائلًا: «بدت فكرة جيدة في ذلك الوقت». حاول أن يبدو الأمر مضحكًا، لكنَّ ستاركي لم يضحك.

قال له ستاركي: «كنتُ طفلًا منقولًا».

- يؤسفني سماع ذلك.

- لا داعي للأسف، كل شيء على ما يرام. أريدكَ فقط أن تعرف أنني أحترمك لما فعلته.

- أشكرك.

هنا نادى شخص ما كونور من الخارج بلهجة من يجب أن تهتز الأرض لضخامة مشكلته. فقال كونور: «الواجب يناديني. هوِّن على نفسك يا ستاركي». ثم غادر، وهو يشعر بأنه أفضل قليلًا مما كان عليه عندما جاء.

لكنْ ما لم يرَه هو ما حدث بعد رحيله:

استلقى ستاركي مجددًا على الجهاز الرياضي، ورفع عشرين رفعة من الوزن نفسه دون حتى أن تسيل منه قطرة عرق.

***

بعد غروب الشمس، دعا كونور دائرته المقربة -مجموعة من سبعة أشخاص أطلق عليها هايدن اسم «قدس المكتملين»، واستمر استخدام الاسم- إلى اجتماع. التقوا في طائرة كونور الخاصة على الرأس الشمالي للممر الرئيسي، بدلًا من طائرة الرئاسة القديمة التي ما زالت تفوح منها رائحة اللقاء مع ممثل المقاومة «ادعوني جو».

لم تكن فكرة كونور أن يحظى بطائرته الخاصة، ولا حتى ارتداء الزي الأزرق المموَّه. كان كلاهما اقتراحَ ترايس للمساعدة في ترسيخ صورة كونور كقائد لا يخشى شيئًا.

تذمر كونور في البداية، عندما اقترح ترايس هذا الأمر: «أي جيش يرتدي زيًّا مموهًا أزرق اللون؟».

قال له ترايس: «إنه للهجمات الجوية التي تتم بسلاح الطيران. «لم يُجرَّب ذلك قطُّ في الواقع، لكنه يعمل من الناحية النظرية».

كانت الفكرة هي تمييز كونور عن أي شخص آخر. كان الأدميرال يرتدي زيه العسكري المزين بالكامل بميداليات الحرب؛ احتاج كونور إلى شيء ما يتوافق مع أسلوبه في القيادة، أيًّا كان ذلك. رغم أنه لم يتحمس للغاية لإدارة المكان كمعسكر تدريب، حدَّد الأدميرال الأمور فعلًا وفقًا للديكتاتورية العسكرية. لم يكن ثمة خطأ، لذا لم يحاول كونور إصلاح شيء.

كان هناك مقترح بأن يسيطر كونور على طائرة الرئاسة القديمة، لكنَّ هذا كان أسلوب الأدميرال، وليس أسلوب كونور. بدلًا من ذلك، وقع اختياره على طائرة أعمال نفاثة صغيرة وأنيقة، على أطراف المقبرة، وأحضرها إلى الطرف الشمالي من الممر الرئيسي.

أحيانًا يسمع كونور صبية يتذمرون من ذلك: «انظروا إليه وهو يعيش كملك، بينما لا يحصل بقيتنا إلا على سرير تخييم».

يسارع ترايس دائمًا إلى تذكيره: «تذكر القاعدة الأساسية. الاحترام لا يأتي دون القليل من الاستياء». يعرف كونور أنه على حق، لكنه ليس مضطرًّا إلى الإعجاب بما يقول.

تصل مجموعة «قدس المكتملين» في الغالب في الوقت المحدد إلى الاجتماع. بمجرد دخولهم، يدورون جنبًا إلى جنب في الكراسي الجلدية الفخمة، بلا سبب سوى استخدام تجهيزات المكان. إنهم يستمتعون بالطائرة أكثر بكثير مما يفعل كونور.

حضر ستة من إجمالي سبعة أشخاص. فريسا -المسؤولة عن مستوصف المقبرة الطبي- ترفض دخول طائرة كونور إلى أن تتمكن من دفع مقعدها المتحرك، صاعدة بمفردها، ويبدو أن عمل منحدر مخصص للمقاعد المتحركة للوصول إلى طائرة كونور يعتبر تبذيرًا.

دائمًا ما يكون ترايس أول من يصل، وهو رئيس الأمن، ومستشار كونور الاستراتيجي.

هايدن هو قائد «الكومبوم»، يدير الاتصالات من خلال الكمبيوتر واللاسلكي، ويرصد العالم الخارجي، وترددات الشرطة، وجميع الاتصالات مع المقاومة. لديه أيضًا محطة إذاعية للمكتملين، يسميها «راديو فري هايدن»، لكنَّ إشارة بثها تصل بالكاد إلى نصف ميل.

هناك فتاة ضخمة وعنيفة يدعوها الجميع بام، وهي المسؤولة عن خدمات الطعام. اسمها الحقيقي هو بامبي، لكنَّ أي شخص يناديها به ينتهي الأمر بأن تعالجه ريسا في المستوصف الطبي.

وهناك دريك؛ إنه صبي ريفي منصبه رئيس الاستدامة، وهو مجرد مصطلح خيالي للرجل الذي يدير المزرعة -أو «الممر الأخضر»- التي كانت فكرة كونور بالكامل. لقد أنقذهم الطعام الذي تنتجه من آلام الجوع أكثر من مرة، عندما تكون شحنات الغذاء التي ترسلها المقاومة ضئيلة للغاية، أو غير موجودة.

التالي هو جون، صبي متوتر يمضغ العلكة، وتهتز ساقه دومًا، وهو المسؤول عن الصيانة وإدارة النفايات. وأخيرًا آشلي التي تدَّعي أنها «مهتمة بالناس» وتحل «المشكلات»، ولما كان كل صبي مطلوب تفكيكه تقريبًا يعاني مشكلات، فقد تكون الأكثر انشغالًا بين أفراد المجموعة.

سألت بام: «حسنًا، ما سبب هذا الاجتماع؟ لأني مشغولة».

قال لهم كونور: «أولًا، التقيتُ ممثلَ المقاومة اليوم. من المتوقع أن يستمر الوضع على ما هو عليه».

قال دريك: «إذن سنظل بلا شيء».

- بالضبط. لقد أدركنا إلى حد كبير أن المقاومة قد تخلَّت عنا لمدة، الآن أصبح الأمر رسميًّا، وعلينا أن نتعامل معه.

سأل جون، وساقه تهتز بعنف يزيد على المعتاد: «ماذا عن الإمدادات والأشياء التي لا يمكننا الحصول عليها من الطائرات الأخرى؟».

- إذا لم نتمكن من الحصول على نقود من المكتب الأمامي لشرائها، فسنُضطَّر إلى العثور عليها بشكل إبداعي. «العثور الإبداعي» هو المصطلح الذي يستخدمه كونور، للتعبير عن السرقة. اضطرَّ إلى إرسال صبية إلى أماكن بعيدة -مثل فينيكس- للعثور إبداعيًّا على

أشياء لم توفرها المقاومة. أشياء كالأدوية التي يصعب العثور عليها، ومسدسات اللحام.

قال لهم هايدن: «تلقيتُ للتو خبرًا عن تكهين طائرة جديدة هنا الثلاثاء المقبل. أثق أننا عندما نحصل عليها، سنجد بها الكثير من الأشياء التي نحتاج إليها. ضواغط سائل التبريد، والقطع الهيدروليكية، وكل الأشياء الميكانيكية الأخرى».

سأل شخص ما: «أستمتلئ مقصورة الأمتعة بالمكتملين؟».

قال هايدن: «لا توجد طائرة تصل دونهم، لكنْ لا أحد يخبرنا بعدد الصبية القادمين».

قالت آشلي: «آمل ألا تكون هناك أي توابيت هذه المرة. ألديكم أي فكرة عن عدد الأطفال الذين أصيبوا بكوابيس من جرَّاء ذلك؟».

يقول هايدن: «أرجو الانتباه، التوابيت وصلت إلينا الشهر الماضي. هذه المرة ستكون براميل البيرة!».

قال كونور: «المشكلة الأكبر هي وجود خطة للهروب. لا يمكننا الاعتماد على المقاومة لإنقاذنا، إذا قرر فريق شرطة الأحداث أن الوقت قد حان للحصول على قطع غيار بشرية طازجة».

سألت آشلي: «لماذا لا نؤمِّن أنفسنا الآن، ونجد مكانًا جديدًا نقيم فيه؟».

- ليس من السهل نقل سبعمائة طفل، وفعل ذلك سيكون بمنزلة إرسال إشارة تنبيه إلى كل رجال شرطة الأحداث في أريزونا. إن فريق هايدن يعمل عملًا جيدًا جدًّا في تتبع مستوى التهديد، لذلك سنحظى على الأقل بتحذير قبل شن أي غارة علينا، لكنْ إذا لم تكن لدينا استراتيجية لمغادرة المكان، فسيُقضى علينا مهما حدث.

ألقت بام بنظرة نارية إلى ترايس -الذي لا يقول الكثير عادة في هذه الاجتماعات- وسألتْه: «ماذا تعتقد؟».

قال ترايس: «أعتقد أنك يجب أن تفعلي ما يأمركِ به كونور».

زمجرتْ بام، قائلة: «تتحدث كبوف حقيقي».

قال ترايس: «كنتُ في سلاح الطيران. سيكون من الحكمة أن تتذكري ذلك».

قال كونور، متدخلًا بينهما قبل أن تبدأ آشلي في حديثها عن إدارة الغضب: «الأمر المهم هو أننا جميعًا علينا التفكير في كيفية الخروج من هنا في أي لحظة، إذا اضطُرِرنا إلى ذلك».

تناول باقي الاجتماع تفاصيل الإدارة. تساءل كونور كيف استطاع الأدميرال تحمل محادثات عن إمدادات الفوط الصحية، في الوقت الذي كان فيه تهديد مخيم الحصاد خطرًا واضحًا وقائمًا في كل دقيقة يوميًّا. قال ترايس: «الأمر كله يتعلق بتفويض المهام». وهذا هو السبب الحقيقي الذي جعل كونور يدعو إلى هذا الاجتماع.

في النهاية، قال كونور للجميع: «يمكنكم جميعًا الانصراف.. ما عدا بام وجون، فما زالت لدينا أمور لنتحدث عنها».

انصرف الجميع، وطلب كونور من جون الانتظار في الخارج، فيما يتحدث على انفراد مع بام. إن كونور يعرف ما يجب أن يفعله، هو فقط لا يريد أن يفعله. يسعد بعض الناس بنشر الأخبار السيئة، لكنَّ كونور لم يكن هكذا قطُّ. إنه يعرف ما يعنيه أن ينفرد بك أحدهم، لإبلاغك بأنك معدوم الفائدة، وأن من الأفضل لك أن تبتعد.

وقفت بام وهي تعقد ذراعيها أمام صدرها، وتتصبب عرقًا، متسائلة: «ما الأمر إذن؟».

- أخبريني عن أرغفة اللحم الفاسد.

هزت بام كتفيها في استخفاف، وقالت: «ما أهمية الأمر؟ لقد انفجر مولد كهرباء إحدى الثلاجات. وأُصلِح الآن».

- ما المدة التي انقطع خلالها التيار الكهربائي؟
- لا أعرف.
- لم يكن لديكِ أدنى فكرة إذن عن المدة التي قضتها الثلاجة دون كهرباء، ومع ذلك، قدمتِ للصبية الطعام الموجود بها؟
- كيف كان من المفترض أن أعرف أنهم سيمرضون؟ لقد أكلوا الطعام، لذا فهذه مشكلتهم.

تخيل كونور كيس الملاكمة وقبض يده اليمنى. ثم نظر إلى القرش، وأجبر يده على الاسترخاء، قائلًا: «أكثر من أربعين صبيًّا سقطوا مرضى على مدار أكثر من يومين، ومن حسن حظنا أن الأمر لم يكن أسوأ من ذلك».

- نعم، حسنًا، لذلك لن أدعَ ذلك يحدث مرة أخرى.

قالتْها بام بنبرة وقحة، فتخيل كونور أنها تقول ذلك بالطريقة نفسها لمعلميها، ووالديها، وشرطة الأحداث، وكل شخصية ذات سلطة في حياتها. كره كونور حقيقة أنه أحد رموز مثل تلك السلطات الآن.

- يؤسفني يا بام أنه لن تكون هناك مرة أخرى.

- أستتخلص مني فقط بسبب خطأ غبي واحد؟

قال لها كونور: «لا أحدَ يتخلص منكِ. لكنكِ لن تديري خدمة الطعام بعد الآن».

حدجته طويلًا بنظرات حارقة بغيضة، ثم قالت: «حسنًا. فلتذهب إلى الجحيم! لستُ بحاجة إلى هذا الهراء».

قال: «شكرًا لكِ يا بام. (دون أن تكون لديه أدنى فكرة عمَّا يشكرها) أرسلي جون في طريقك إلى الخروج».

ركلتْ بام باب الطائرة النفاثة، واندفعت خارجة كالعاصفة. التفتتْ إلى جون الذي ينتظر بتوتر في الخارج، فدار حول نفسه عند رؤية خروجها الغاضب.

صاحت بام في وجهه: «هيا، ادخل. سيفصلك من العمل».

***

في تلك الليلة، رأى كونور ستاركي، وهو يؤدي بعض الألعاب السحرية قبالة مجموعة من المكتملين، أسفل طائرة الترفيه.

تساءل الأطفال، وهم يرونه يُخفي الأساور من المعاصم، وتظهر في جيوب الآخرين: «كيف يفعل ذلك؟». عندما انتهى، اقترب منه كونور، قائلًا: «أنت ماهر للغاية. لكنْ بصفتي القائد، لا بدَّ أن أطلب منك أن تخبرني كيف تفعلها».

اكتفى ستاركي بالابتسام، قائلًا: «الساحر لا يكشف أسراره أبدًا، ولا حتى للقائد».

قال كونور مباشرة: «اسمعْ، هناك ما أريد التحدث معك بشأنه. لقد قررتُ إحداث تغيير في «قدس المكتملين»».

قال ستاركي، وهو يمسك بطنه: «أتمنى أن يكون تغييرًا إلى الأفضل».
ضحك كونور لأنه يعرف فعلًا أن ستاركي يرى إلى أين يتجه هذا الحديث، لكنَّ هذا جيد.

- أتحب أن تكون مسؤولًا عن الطعام؟

قال ستاركي: «أنا أحب الطعام، ولا أدعي ذلك فقط».

- أتعتقد أن بإمكانك إدارة فريق مكون من ثلاثين شخصًا، وضمان تقديم الطعام على الطاولات ثلاث مرات يوميًّا للجميع؟

لوَّح ستاركي بيده، فظهرت بيضة من العدم، ثم سلَّمها إلى كونور. لقد رأى خدعة البيضة منذ بضع دقائق، لكنَّ ارتباطها بالموضوع الآن يزيديها إمتاعًا.

قال كونور: «عظيم. أوجدْ لنا الآن سبعمائة بيضة أخرى لوجبة الإفطار». وانصرف مبتعدًا، وهو يضحك بهدوء، مدركًا أن ستاركي يمتلك ما يلزم لتنفيذ المطلوب، وبشكل صحيح.

لمرة واحدة، كان كونور واثقًا أنه قد اتخذ القرار الصحيح.

***

مكتبة
t.me/soramnqraa

8 - ريسا

بداية المساء، عندما يصبح الجو في الصحراء ألطف، تعزف ريسا على البيانو أسفل الجناح الأيسر لطائرة الرئاسة. إنها تعزف مقطوعات تعرفها عن ظهر قلب، وأجزاء من نوتة موسيقية وجدت طريقها إلى المقبرة.

أما البيانو نفسه، فهو أسود كبير يحمل علامة «هيونداي»، وهذا ما جعلها تضحك عندما رأته أولَ مرة. لم تفكر قطُّ أن «هيونداي» تصنع آلات البيانو، لكنْ بعد ذلك، تساءلت لِمَ يفاجئها ذلك! فالشركات متعددة الجنسيات يمكنها أن تصنع ما تريد، ما دام سيشتريه الناس. قرأت ذات مرة أن «مرسيدس-بنز» قد دخلت بثقلها في صناعة القلوب الاصطناعية، قبل أن تجعل اتفاقية التفكيك مثل هذه التكنولوجيا بلا جدوى. قال الإعلان: ««بولسار أوميجا» سيحمل الفخامة إلى القلب». لقد استثمروا ثروة في المنتج، لكنهم خسروا كل ما أنفقوه بمجرد أن بدأ تطبيق التفكيك، ولحقتِ القلوب الاصطناعية بأجهزة الاستدعاء والأقراص المدمجة.

إنها الليلة تعزف مقطوعة سوناتا شوبان القوية والرائعة. إنها تنساب كضباب أرضي، ليتردد صداها داخل أجسام الطائرات المجوفة التي يعيش بها المكتملون. إنها تعرف أنها تواسيهم. حتى أولئك الصبية الذين يزعمون احتقارهم الموسيقى الكلاسيكيةَ، جاءوا يسألونها لمَ لمْ تعزف، عندما تخطتْ ليلة واحدة. لذا فهي تعزف لهم، لكنْ ليس حقًّا، هي تعزف لنفسها أولًا. أحيانًا يكون لديها جمهور يجلس أمامها على الأرض المغبرة. في أوقات أخرى -مثل الليلة- تكون هي فقط. يأتي كونور أحيانًا. يجلس بجانبها، لكنْ بطريقة ما يكون بعيدًا، كما لو كان يخشى غزو مساحتها الموسيقية. الأوقات التي يأتي فيها كونور هي الأوقات المفضَّلة لديها، لكنه لا يأتي كثيرًا.

قال لها هايدن، مُقدِّمًا الأعذار التي على كونور أن يقدمها لنفسه: «إن ذهنه مشغول بكثير من الأمور. إنه رجل الشعب. (ثم أضاف بابتسامة متكلفة) أو رجلان على الأقل».

لا يفوِّت هايدن أبدًا أي فرصة للتهكم على ذراع كونور المزروعة دون رغبته. إن أسلوبه يزعجها، لأن بعض الأشياء ليست مادة للسخرية. أحيانًا تصادف كونور، وهو ينظر إلى ذراعه بتعبير غامض للغاية، وهذا ما يخيفها. يبدو كأنما قد يُخرِج فأسًا ويقطع ذراعه مباشرة قبالة الجميع. رغم أنه يحمل أيضًا عينًا بديلة، فإن المطابقة مثالية والمصدر غير معروف. عينه لا تملك أي سلطة عليه.. لكنَّ ذراع رولاند مختلفة، فهي تحمل عبئًا عاطفيًّا ثقيلًا في قبضتها القوية.

سألتْه ذات مرة وهو يحدق إلى وشم القرش: «هل تتساءل إن كان سيعضك؟». تفاجأ كونور بها، فاحمرَّ وجهه قليلًا، كما لو أنه قد قُبِضَ عليه، وهو يفعل شيئًا عليه ألا يفعله. ثم تجاهل الأمر، قائلًا: «لا، كنت أتساءل فقط متى حصل رولاند على هذا الوشم الغبي ولماذا. إذا صادفتُ الشخصَ الذي حصل على دماغه، فربما أسأله». ثم ابتعد عنها، مُنهيًا المحادثة.

لولا تدليك الساقين اليومي، لاعتقدت ريسا أن كونور قد نسيها تمامًا. لكنْ حتى ذلك التدليك لم يعد كالسابق. إنه يشعرها بالتوتر الآن. كما لو أن السبب الوحيد لحضور كونور هو أنه قد قطع وعدًا لنفسه أنه سيوجد من أجلها، ليس لأنه يريد حقًّا أن يأتي. التفكير في كونور جعلها تخطئ عزف إحدى النغمات، النغمة اللعينة نفسها التي أخطأتْ عزفها في حفل الحياة أو الموت الذي تركها في حافلة، تسرع بها إلى حيث ستُفكَّك. زمجرتْ، ثم رفعت أصابعها عن مفاتيح البيانو، وتنفستْ بعمق. موسيقاها تسري في الأرجاء، وهذا ما يعني أن إحباطها يُبَثُّ على الهواء، بنفس وضوح إرسال «راديو فري هايدن».

أكثر ما يزعجها هو أنها تهتم. كانت ريسا دائمًا قادرة على الاعتناء بنفسها جسديًّا وعاطفيًّا. في ملجأ الولاية، إما أن تُكوِّن عدة طبقات من دروع الحماية الشخصية، وإما تؤكل حيًّا. متى تغير ذلك؟ هل حدث هذا عندما أُجبرت على عزف الموسيقى، والأطفال يُقتادون إلى المبنى بأسفلها لتفكيكهم؟ هل كان ذلك عندما اختارت قبول عمود فقري ممزَّق، بدلًا من استبدال العمود الفقري الصحي لأحد المفككين بعمودها؟ أو ربما حدث الأمر قبل ذلك، عندما أدركت

أنها قد وقعتْ في حب كونور لاسيتر، رغم أن هذا الحب ينافي كل قواعد العقل والمنطق؟

أنهتْ ريسا عزف السوناتا، لأنه بصرف النظر عن شعورها، لا يمكنها ترك مقطوعة موسيقية غير مكتملة. ثم -عندما انتهتْ من العزف- قاومتِ التضاريس الجافة الوعرة أسفل عجلات مقعدها المتحرك، واتجهتْ نحو طائرة خاصة معيَّنة.

***

9 - كونور

غفا كونور على مقعد مريح للغاية بحيث يصعب تمامًا البقاء مستيقظًا عليه، لكنْ ليس بما يكفي للسقوط في نوم عميق. تيقَّظ متأهبًا، على صوت ضربة في جانب طائرته. عنما حدثتِ الضربة الثانية، أدرك أنها عن يساره. ومع الضربة الثالثة، أدرك أن شخصًا ما يلقي بأشياء على طائرته.

نظر من النافذة، لكنه لم يرَ في الظلام سوى انعكاس صورته. ها هي خبطة أخرى. وضع يديه على عينيه، وضغط وجهه على الزجاج. أول ما رآه هو الخطوط الزرقاء المنحنية التي تعكس ضوء القمر، فمقعد متحرك، ثم رأى ريسا تقذف صخرة أخرى، ارتطمتْ مباشرة بجسم الطائرة فوق النافذة.

- ما هذا بحق الجحيم؟

فتح باب الطائرة، آملًا أن تتوقف عن قذفه بالحجارة، وقال: «أهناك مشكلة ما؟ ماذا حدث؟».

قالت: «لا شيء. كنت أحاول فقط لفت انتباهك».

ضحك في خفوت، قائلًا: «هناك طرق أفضل من هذه».

- ليس مؤخرًا.

تحركت إلى الأمام والخلف قليلًا بمقعدها، لتتخلص من كتلة من الأتربة التي جعلتْ مقعدها مائلًا بزاوية طفيفة، وسألته: «ألن تدعوني إلى الدخول؟».

- أنت مدعوةٌ. أنت مدعوةٌ دائمًا.

- حسنًا، إذن ربما عليكَ وضع منحدر.

ورغم أنه يعلم أنه سيندم على ما سيقول، فإنه قاله على أيٍّ حال: «ربما يجب أن تدعي شخصًا ما يحملكِ».

اقتربت قليلًا، لكنْ ليس بما يكفي لإزالة المسافة بينهما، بل فقط لجعلها محرجة بشكل مؤلم، وقالت: «لست بحمقاء. أنا أعرف ما يحدث».

ربما تريد ريسا الخوض في هذا الحديث الآن، لكنَّ كونور ليس في حالة مزاجية تسمح بذلك. بعد أن طرد بام وجون، يريد فقط إنهاء هذا اليوم، والخلود إلى نوم بلا أحلام، إلى أن تأتي جحيم جديدة تنتظره في الصباح.

قال وقد بدا القليل من انزعاجه الشديد في صوته: «ما يحدث هو أنني أحاول إبقاءنا جميعًا أحياء. ولا أرى أن ذلك يمثل مشكلة».

- نعم، أنت مشغول للغاية في محاولتك الحفاظَ على حياتنا. وحتى عندما لا تكون مشغولًا، فأنت مشغول، وعندما تتحدث معي فعليًّا، فإن الحديث كله يدور حول المقاومة، ومدى صعوبة الأمر عليك، وثقل العالم الذي تحمله على كتفيك.

- أوه، بحق الله يا ريسا، أنتِ لستِ تلك الفتاة الضعيفة التي تحتاج إلى اهتمام الرجل لتشعر بالراحة.

وهنا خرج القمر من خلف السحاب مرة أخرى، فرأى كونور الدموع تتلألأ على وجه ريسا التي قالت: «يوجد فرق بين الحاجة إلى الاهتمام، والتجاهل المتعمد».

فتح فمه ليقول شيئًا، لكنَّ عقله خذله. يمكنه التحدث عن جلسات التدليك اليومية لتنشيط الدورة الدموية، لكنها أشارت فعلًا إلى أنه حتى خلال تلك الجلسات، يكون ذهنه شاردًا.

- إنه المقعد المتحرك، أليس كذلك؟

قال لها: «لا، المقعد لا علاقة له مطلقًا بالأمر».

- إذن، فأنتَ تعترف بوجود سبب ما.

- لم أقل ذلك.

- ما الأمر إذن؟

نزل من الطائرة. ثلاث خطوات تفصل بين عالمه وعالم ريسا. ركع أمامها، محاولًا النظر إلى عينيها، لكنهما الآن مختبئتان في الظل، فقال: «مَعزَّتي لكِ ما زالت كما كانت في أي وقت مضى يا ريسا. أنت تعلمين أن...».

- أتحمل لي معزَّةً؟

- أنا أحبكِ، أتفهمين؟ أحبكِ.

ليس من السهل على كونور أن يعبِّر عن شعوره بالكلمات. ويعجز عن النطق تمامًا لو لم يكن شعوره حقيقيًّا، لذا فهو يعرف أنه قد نطق بالصدق. إنه يحبها بعمق؛ شعوره نحوها ليس هو المشكلة. والمقعد المتحرك أيضًا ليس هو المشكلة، وكذلك عمله في إدارة المقبرة.

- أنت لا تتصرف كصبي واقع في الحب.

قال لها: «ربما لأنني لست صبيًّا. لم أعدْ كذلك منذ مدة طويلة».

فكرت في قوله، ثم قالت بهدوء: «دعْني إذن أرى شعورك، كما يفعل الرجال. واجعلْني أصدق ذلك».

ظل التحدي الثقيل عالقًا في الهواء. للحظة، تخيَّل نفسه وهو يحملها من على المقعد، ويدخل بها إلى طائرته، وصولًا إلى غرفته في الخلف، ثم يضعها برفق على فراشه، ويكون لها الرجل الذي يدعيه. لكنَّ ريسا ترفض أن يحملها أحد، مطلقًا. تحت أي ظرف. وهو يتساءل هل يحمل هو اللوم بالكامل على ذلك. أو ربما تكون هي مسؤولة جزئيًّا عن هذا الخلاف غير المرئي بينهما.

في عدم وجود طريقة أخرى لإثبات شعوره، مدَّ يده إلى الأمام، ودفع الشَّعر بعيدًا عن وجهها، ثم مال نحوها، ليُقبِّلها بقوة. وضع ثقل علاقتهما وكل إحباطهما المتراكم في تلك القبلة الخارقة الوحيدة. لا بدَّ أن تكون كافية للتعبير عن كل ما لا يستطيع قوله.. لكنْ عندما ابتعد بوجهه عنها، شعر بدموعها على وجنته، وسمعها تقول: «لو كنتَ تريدني معكَ، لوضعتَ منحدرًا».

***

عندما عاد إلى الداخل، استلقى كونور في الظلام على سريره الذي رسم عليه ضوء القمر قضبانًا باردة من الضوء. إنه غاضب. ليس من ريسا، لأنها على حق. لم يكن عمل منحدر لطائرته ليكلفه شيئًا. كان بإمكانه فعل ذلك في نصف يوم.

لكن ماذا لو كان قد فعل؟

ماذا لو أن بإمكان ريسا أن تكون معه حقًّا بكل طريقة ممكنة، وماذا لو أن القرش الموجود على ذراعه يحكمه حقًّا عقل خاص به؟ لقد هاجمها رولاند،

وحاول فرض نفسه عليها، ولا بدَّ أنها نظرت إلى ذلك القرش اللعين عندما فعلها. قالت إنه لا يزعجها، لكنه يزعج كونور بما يكفي لإبقائه مستيقظًا ليلة بعد الأخرى. لأنه ماذا لو أصبحا بمفردهما معًا، وفي خضم تلك اللحظة العاطفية -التي يريدها كلاهما- ماذا لو فقد السيطرة؟ ماذا لو احتضنتها تلك اليد بقوة شديدة، وجذبتْها بشدة، ماذا لو ضربتْها مرارًا وتكرارًا، ولم تتوقف؟ وكيف يمكن أن يكون معها حقًّا إذا كان كل ما يمكن أن يفكر فيه هو كل الأشياء التي فعلتها ذراعه، وكل الأشياء التي ما زال بإمكانها فعلها؟

من الأفضل عدم السماح بحدوث ذلك.

من الأفضل العمل على ألا تقترب ريسا منه إلى تلك الدرجة أبدًا.

حادث كونر نفسه: «لذا لا تضعُ منحدرًا لصعود المقاعد المتحركة، ولا تزورها في طائرتها، وعندما يحدث اتصال جسدي بينكما، يكون في العراء؛ يكون آمنًا. وعندما تدفع مقعدها المتحرك وتبتعد عنك باكية، تتركُها تذهب، في حين تنهشها الأفكار السلبية عنك، لأن هذا أفضل من الاعتراف لها بأنك أضعف من أن تثق بذراعك. ثم تجلس وحيدًا في الظلام داخل طائرة خاصة، لتضرب الحائط بقوة بقبضة يدك، إلى أن تجرح مفاصل أصابعك وتدميها، لكنك لا تهتم، لأنه رغم الألم الذي تشعر به، تعلم أنها ليست مفاصلك من الأساس».

***

10 - ستاركي

يقضي ستاركي أيامه في ابتكار حِيَله السحرية الخاصة، وهو يعلم أن أفضل الحيل السحرية تتطلب الممارسة والصبر والتضليل بحذر شديد. خفة اليد التي لا يمكن اكتشافها. لأكثر من شهر لم يتخلَّ عن طموحاته، فلو فعل، لكان ذلك كفيلًا بإثارة شكوك كونور حوله. لذا، فقد حرص على التفاعل والتواصل مع المكتملين، ودَرَسَ التحالفات، والصداقات، وهيكل القوة، وفي النهاية، وضع ستاركي نفسه -من خلال التخطيط الدقيق- في المكان والوقت المناسبين لنيل استحسان كونور، دون أن يعلم ذلك الأخير مطلقًا أن هذا كله كان جزءًا من خطة ستاركي طويلة المدى.

إنه الآن في أعلى رتبة بالمقبرة، ورغم أنها خدمة طعام فقط، فهي تبقيه على اتصال مباشر مع كل الصبية البالغ عددهم سبعمائة صبي وصبية. لديه المزيد من السلطة، والمزيد من القدرة على الوصول والاختراق، وبدأ يفعل أشياءَ كان يُنظَر إليها في السابق على أنها مثيرة للشبهات، لكنها تأتي الآن من منطلق كونه أحدَ أعضاء «قدس المكتملين».

في عصر أحد الأيام، تجوَّل ستاركي ببراءة في «الكوم بوم» -مركز الكمبيوتر والاتصالات بالمقبرة- الذي يديره هايدن. صُمِّمَتْ معدات المقر اللاسلكية في البداية لالتقاط ترددات العدو وفك تشفيرها، وما زال هذا العمل مستمرًّا، رغم أن العدو الآن هو السلطة الوطنية للأحداث. يدير تلك المعدات ستة من المكتملين الذين اختارهم هايدن لمهاراتهم في الكمبيوتر.

قال له هايدن: «أنا لستُ خبيرَ التكنولوجيا الذي يظنه الجميع. كل ما في الأمر هو أنني أجيد بمهارة الحصول على الفضل عن عمل الآخرين. أعتقد أنني قد ورثتُ تلك المهارة من والدي، لقد كان ماهرًا بشكل فريد في الصعود

على أكتاف الآخرين، وهو يتسلق سلم الشركة الإداري». تأمل هايدن ستاركي لحظةً، لكنَّ ستاركي اكتفى بالابتسام، متسائلًا: «أهناك مشكلة ما؟».

قال هايدن: «لا. كنتُ أتساءل فقط أكنت تفكر في سرقة منصبي. ليس لأنني أهتم حتى لو فعلتَ، فأنا لا أمانع في العمل في خدمة الطعام لمدة، لكنْ لأن ذلك سيساعدني على معرفة حقيقة نواياك».

- كل ما في الأمر أنني أريد أن أعرف كيف تعمل الأشياء هنا، هذا كل شيء.

قال هايدن: «مم، أنت إذن واحد من هؤلاء».

لم يعرف ستاركي من «هؤلاء» الذين تحدث عنهم، لكنه لا يهتم ما دام أخبره هايدن بما يريد أن يعرفه. قال هايدن بفخر وهو يتجوَّل في أنحاء الغرفة: «لديَّ فريق متنوع عرقيًّا. تاد ياباني، وهيلي أمبر[1]، وجيفان هندي، وإيسمي نصفها من أمريكا اللاتينية. أعتقد أن نصفها الآخر لا بدَّ أن يكون من خارج كوكب الأرض، لأنها ذكية للغاية بحيث لا يمكن أن تكون بشرية بالكامل». انتفختْ أوداج إيسمي بفخر للحظة، ثم عادت إلى العمل في اختراق الاتصالات المشفَّرة.

أكمل هايدن: «لدينا نسيم المسلم، يعمل جنبًا إلى جنب مع ليزبيث، وهي يهودية، وتخيل ماذا؟ إنهما عاشقان».

اعترض نسيم، مطلقًا سبابًا، لكنَّ ليزبيث لكمتْه بقوة أوضحت أن ما قيل هو الحقيقة. أشار هايدن إلى وحدات المراقبة المختلفة، قائلًا: «يوجد برنامج مراقبة اتصالات يعمل هنا. يمكنه سحب الكلمات الرئيسية من أي شيء، من رسائل البريد الإلكتروني إلى المحادثات الهاتفية. يمكنه أن يحذرنا إذا كان رجال شرطة الأحداث يدبرون لنا أمرًا جَللًا. إنه نوع من أنظمة الإنذار المبكر التي طُوِّرَتْ في الأصل لمكافحة الإرهاب، لكنْ أليس من الجيد أن بإمكاننا الآن استخدامه لأغراض مدنية؟».

- ماذا نفعل إذن، إذا قال البرنامج إن الأمور تزداد خطورة؟

قال هايدن: «فلتُصِبْني اللعنة إن كنت أعلم! هذا اختصاص كونور».

---

(1) أمبر «Umber»: إحدى درجات اللون البني، ويشير في الرواية إلى أصحاب البشرة السمراء، وتأتي كصفة للدلالة على العرق الإفريقي. "المترجم".

توجد وحدة تحكم ينشئ منها هايدن قوائم تشغيل البرامج، ويجري المقابلات لبرنامجه الإذاعي على «راديو فري هايدن».

قال له ستاركي بابتسامة متكلفة: «أنت تعلم أن البث لا يصل إلى أبعد مما يمكن أن تصل صرختك».

قال هايدن: «أعلم طبعًا. لو وصل إلى أبعد من ذلك، لأمكن لشرطة الأحداث التقاط إشارة البث».

- إذا لم يكن هناك من يستمع إلى هذا البث، فإلى من هو موجه إذن؟

قال هايدن: «أولًا، افتراضك بأن لا أحد يستمع غير صحيح. أقدِّر أن لديَّ خمسة مستمعين أو ستة على الأقل في أي وقت».

قال تاد: «نعم، إنه يعنينا».

أكمل هايدن، دون أن ينكر ذلك: «وثانيًا، هذه الإذاعة بمنزلة تدريب يؤهلني لمستقبل عملي في مجال البث، وهو ما أخطط للسعي إليه، بمجرد بلوغي السابعة عشرة من عمري، وخروجي من هذا المكان».

- ألن تبقى لمساعدة كونور؟

قال له هايدن: «عمر ولائي يعادل نصف عمر الحليب غير المبستَر. إنني على استعداد لتلقي رصاصة فداءً لكونور، وهو يعرف ذلك. لكنْ حتى أبلغ السابعة عشرة من عمري فحسب.

بدا كل شيء واضحًا وبسيطًا للغاية، إلى أن قالت إسمي: «ظننتُ أنكَ فعلًا في السابعة عشرة من عمرك».

حرَّك هايدن كتفيه في عدم ارتياح، قائلًا: «العام الماضي لا يُحتسَب».

كانت بجوار جيفان ورقة مطبوعة، قائمة أسماء وعناوين وتواريخ، التقطها ستاركي، مسائلًا: «ما هذا؟».

- رجلنا الصالح جيفز هو المسؤول عن تزويدنا بقائمة تضم جميع الأطفال المقرر تفكيكهم هنا، وطوال الطريق حتى فينيكس.

- أهؤلاء هم الصبية الذين تقومون بمهام لإنقاذهم؟

قال هايدن: «ليس كلهم. نحن ننتقي ونختار. لا يمكننا إنقاذ الجميع، لكننا نفعل ما في وسعنا». أشار إلى الأسماء الموضوع عليها علامة -تلك المختارة لإنقاذها- وعندما نظر ستاركي إلى القائمة، بدأ يشعر بالغضب. كانت هناك

معلومات عن كل صبي، تشمل تاريخ الميلاد، باستثناء أولئك الذين لا يملكون تاريخ ميلاد، فبدلًا من ذلك، يُذكَر تاريخ التخلي عن الطفل. لم تكن أمام أسماء الصبية المنقولين أي علامات.

سأل ستاركي، دون أن يحاول حتى إخفاء برودة صوته: «إذن فأنت وكونور لا تحبان إنقاذ الأطفال المنقولين؟».

بدتِ الحيرة على هايدن، وهو يتناول القائمة وينظر إليها، ثم قال: «مم، في الواقع لم ألاحظْ ذلك. على أيٍّ حال، إنه ليس جزءًا من معاييرنا. نحن نبحث فحسب عن الصبية في الضواحي المجاورة خافتة الإضاءة. وهذا يعني أشخاصًا أقل يمكنهم إحداث ضجة لنا، وتقليل فرص افتضاح أمرنا. حاولْ أن ترى الأمر من هذا المنطلق، الإخوة والأخوات لا يستطيعون الصمت، مهما كان ما نهددهم به. أعتقد أن الأمهات اللاتي يتخليْن عن أطفالهنَّ، يمنحونهنَّ في الغالب لمن لديهم أطفال فعلًا. من الصعب أن تجد طفلًا منقولًا وحيدَ والديه».

قال ستاركي: «حسنًا، ربما نحتاج إلى تغيير المعايير».

هزَّ هايدن كتفيه في لا مبالاة، كأن الأمر لا يعنيه حقًّا، وهذا زاد من غضب ستاركي. ثم قال هايدن: «ارفع الأمر إلى كونور». ثم واصلَ جولته الكبرى في أرجاء مركز الاتصالات، لكنَّ ستاركي لم يعد يستمع.

***

ما حدث في «الكوم بوم» أوحى لستاركي بفكرة من شأنها تغيير قواعد اللعبة. التقى كلَّ الصبية المنقولين على انفراد واحدًا تلو الآخر في ساحة المقبرة. لم تكنْ مهمةً سهلةً، لأن معظم المنقولين يرغبون في الحفاظ على سرية كونهم كذلك. لكنَّ ستاركي -على العكس- لا يخفي حقيقة نبذه على عتبة باب أحد المنازل، لذا سرعان ما يبدأ الصبية المنقولون يبحثون عنه، ويرونه بطلهم.

اتضح أن ربع سكان المقبرة أطفال منقولون، واحتفظ هو لنفسه بهذه المعلومة.

الفتاة التي تُدعَى بام التي كرهته في البداية لأنه أخذ مكانها في «قدس المكتملين»، سرعان ما عاملتْه بلطف، لأنها طفلة منقولة أيضًا. قال لها: «إذا

كنتِ تريدين الانتقام من كونور، فعليكِ أن تصبري. ستأتي فرصتكِ يومًا». تقبلتْ تعهده لها في تردد.

في أحد الأيام، مرَّ ستاركي بكونور في أثناء انشغاله بالإشراف على تفكيك أحد المحركات، وسأله مبتهجًا: «ألَهُ مشترٍ، أم إنك ستطرحه للبيع؟».

«لقد طلبوا مني فكَّه في المكتب الأمامي، هذا كل ما أعرفه».

- المحرك مكتوب عليه «رولز رويس»، ظننتُ أنهم يصنعون السيارات فحسب.

- لا.

واصل ستاركي تجاذب أطراف الحديث عن أشياء لا طائل منها، إلى أن تأكد من إثارة غضب كونور لاضطراره إلى تقسيم انتباهه بين المحرك وستاركي. وهنا أخرج ستاركي ما كان يخفيه في جَعبته.

- اسمع، كنتُ أفكر... أنت تعلم أنني كنت طفلًا منقولًا، أليس كذلك؟ حسنًا، إنه ليس أمرًا جَلَلًا كما تعلم، لكني أعتقد أنه قد يكون من الجيد تخصيص وقت في طائرة الترفيه، بحيث يقتصر على الأطفال المنقولين فقط، حتى نُظهِر لهم فحسب أنهم لن يتعرضوا للتفرقة العنصرية بعد الآن.

- نعم، نعم، بالتأكيد.

قالها كونور، وهو يحدق إلى المحرك، سعيدًا بإنهاء المحادثة. إنه لا يدرك حتى ما الذي وافق عليه للتو.

أطلق ستاركي اسم «نادي المنقولين» على مجموعته الصغيرة، وخصَّص لها الوقت ما بين الساعة السابعة والثامنة من مساء كل يوم. وفي غفلة من الجميع، نما تمييز طبقي جديد داخل المقبرة. أصبح «نادي المنقولين» هو الأقلية الوحيدة التي تحظى بوقت خاص للأعضاء فقط في طائرة الترفيه. إنه امتياز له مذاق خاص لم يسبق لهؤلاء الصبية تذوقه قطّ، فأراد ستاركي أن ينهلوا منه. أراد أن يعتادوه. أراد أن يجعلهم جميعًا يتوقعون الحصول على مثل هذا الامتياز، وأن يعرفوا أن ستاركي قادر على تحقيق ذلك.

منذ أن أدار ستاركي خدمات الطعام، بدأ أعضاء «نادي المنقولين» يحلون محلَّ الآخرين في مناصب الخدمة، ووزعوا حصصًا أكبر من الطعام على الصبية المنقولين الآخرين، وهم يغمزون لهم بخبث. من بين أعضاء «قدس

المكتملين»، اثنان فقط هم من تعاملوا بحكمة مع مثل تلك التحالفات الصغيرة المتسللة في خبث: آشلي التي تتمثل مهمتها في استئصال نقاط التوهج الاجتماعي، وذلك الصبي البغيض شيرمان الذي احتلَّ منصب جون، كرئيس للنفايات والصرف الصحي. اتضح أن رالفي رُشِيَ بسهولة، ليغض الطرف عن الأمر، أما آشلي، فقد نجح ستاركي في السيطرة عليها إلى حد كبير.

سألتْه آشلي، وهو يشرف على تقديم العشاء في إحدى الليالي: «ماذا لو أن منْح المنقولين معاملة خاصة يثير الاستياء لدى عامة السكان؟».

قال لها ستاركي بابتسامة مغرية: «حسنًا، لا أعبأ بعامة السكان، أنتِ فقط من تعنيني».

احمرَّ وجه آشلي خجلًا إلى حد ما، وقالت: «حاولْ فقط ألا تلفت الأنظار، اتفقنا؟».

حافظ على سحره وبهجته، وهو يقول: «هذا أكثر ما أجيده». وأغرقها مديحًا، وهو يفكر طوال الوقت كيف يمكن أن تساعد آشلي سرًّا في تنفيذ خططه.

قالت له: «أنت رجل تصعب قراءته. أتمنى حقًّا أن أعرف ما في رأسك».

فأجابها: «الشعور متبادل».

كل ليلة، خلال «ساعة المنقولين» في طائرة الترفيه، كان ستاركي يزرع بذورَ السخط الصغيرة في نفوس الصبية، وهو يشاركهم ألعاب البلياردو وتنس الطاولة. لم يدعُهم بشكل صارخ إلى إشعال ثورة، بل اكتفى بتقديم اقتراحات بريئة، لتشجيع اتجاهات فكرية معينة.

قال لهم مرتجلًا: «أعتقد أن كونور يبلي حسنًا، كرجل ليس ذكيًّا على الإطلاق» وفي أحيان أخرى: «أنا معجب بكونور حقًّا. إنه ليس ذلك القائد الماهر، لكنْ أليس رجلًا رائعًا؟».

لم يبدِ ستاركي قطُّ أيَّ تحدٍّ صريح من شأنه أن يأتي بنتائج عكسية. فهو لا يهدف إلى تحطيم كونور، بل إلى إفراغه تمامًا من مضمونه، وجعله معدوم الفائدة في نظر الصبية. لن يقترح حتى أنه يجب أن يكون الشخص الذي يحلُّ محلَّ كونور. سيأتي هذا الاقتراح في النهاية من الصبية المنقولين الآخرين، وبتلقائية تمامًا، دون أن يطالبهم بذلك على الإطلاق. إنه يعلم أن ذلك سيحدث، لأنه يعلم أن كل طفل منقول يحلم في أعماقه بعالم لا يُعتبَر فيه مواطنًا من الدرجة الثانية. وقد جعل هذا من ستاركي أكثر من مجرد قائد للنادي. جعله الأمل في خلاص المنقولين.

الجزء الثالث

نوافذ الروح

دُوِّنَتْ هذه البيانات على الإنترنت في أكتوبر 2011:

تعتمد أسعار الكُلى والأعضاء الأخرى في الأسواق الإجرامية العالمية على التقارير المتاحة للجمهور وتُسعَّر بالدولار الأمريكي. يمثل السعرُ المبلغَ المدفوعَ لبائع العضو، أو السعر الذي دفعه المشتري مقابل العضو.

متوسط ما يدفعه مشتري الكُلية: 150 ألف دولار. المتوسط المدفوع لبائع الكُلية: 5000 دولار، ويحصل سمسار الكلى في اليمن على 60 ألف دولار، فيما يحصل سمسار الكلى في الفلبين على مبلغ يتراوح ما بين 1000 و1500 دولار. يدفع مشتري الكُلية في إسرائيل مبلغًا يتراوح ما بين 125 و135 ألف دولار، أما مشتري الكلية في مولدوفا، فيدفع ما بين 100 و250 ألف دولار.

مشتري الكُلية في سنغافورة يدفع 300 ألف دولار.

مشتري الكُلية في الولايات المتحدة يدفع 30 ألف دولار.

مشتري الكُلية في الصين يدفع 87 ألف دولار.

مشتري الكُلية في المملكة العربية السعودية يدفع 16 ألف دولار.

بائع الكُلية في بنجلاديش يحصل على 2500 دولار.

بائع الكُلية في الصين يحصل على 15 ألف دولار.

بائع الكُلية في مصر يحصل على 2000 دولار.

بائع الكُلية في كينيا يحصل على 650 دولارًا

بائع الكُلية في مولدوفا يحصل على مبلغ يتراوح ما بين 2500 و3000 دولار.

بائع الكُلية في بيرو يحصل على 5000 دولار.

بائع الكُلية في أوكرانيا يحصل على 200 ألف دولار.

بائع الكُلية في فيتنام يحصل على 2410 دولارات.

بائع الكُلية في اليمن يحصل على 5000 دولار.

بائع الكُلية في الفلبين يحصل على مبلغ يتراوح من 2000 دولار إلى 10 آلاف دولار.

مشتري الكبد في الصين يدفع 900,21 دولارًا.

بائع الكبد في الصين يحصل على 3660 دولارًا.

بتصريح من www.havocscope.com

11 - مدخن

تأكد الصبي أنه سيموت.

التوى كاحله عند سقوطه في الحفرة، وربما انكسر. لقد انتفخ وازرق لونه، وظلَّ هكذا أيامًا، وحتى الآن. هذا سيئ، لكنه ليس أسوأ مشكلاته.

يبلغ عمق الحفرة أكثر من عشر أقدام، وحتى لو كان كاحله على ما يرام، فلم يكن ليتمكن قطُّ من التسلق خارجًا منها. ظل يصرخ لخمسة أيام طالبًا المساعدة، حتى أصبح صوته الآن مبحوحًا وجافًّا.

وكل هذا بسبب تلك السجائر الغبية.

لقد مرَّت أسابيع منذ أن دخَّن. قُبِضَ على مورده مرة أخرى، ورغم من وجود صبية في المدرسة يُعلنون بزهو كونهم مدخنين، لم يُقدِّم له أحد أي سجائر، أو حتى أعطاه اسم تاجر. لهذا السبب جاء إلى هذا الجزء من البلدة، وهو منطقة مستودعات من المباني المتعفنة غير المستخدمة، التي صدرت قرارات إزالة للعديد منها، لكنْ لم يرغب أحد في إهدار المال أو الطاقة اللازمين لهدمها.

أدرك أنه إذا كان سيحصل على بعض السجائر مرة أخرى، فهذا هو المكان المناسب للعثور عليها. حتى لو عثر على واحد أو اثنين فقط من مدمني النيكوتين، فالأمر يستحق ذلك. كان ذلك اليوم هو المرة الثالثة التي يتجول فيها في شوارع المستودعات بعد انتهاء يومه الدراسي، دون أن يعثر على شيء، أو أحد. يبدو أن حتى مدمني النيكوتين لم يجدوا منطقة المستودعات جديرة باهتمامهم.

لذا تخيَّل دهشته عندما رأى بابًا مفتوحًا، وأعقاب السجائر متناثرة على الأرض أمامه، كأنها في مكانها الأمثل!

صعد إلى المبنى المتعفن، حيث تفوح من المساحة الفارغة الضخمة رائحة العفن المختمر، وتناثرت رقائق الطلاء على الأرض كأوراق الشجر المتساقطة. ثم رآها.. كانت هناك في مؤخرة المستودع مرتبة قذرة، وممزَّقة، ربما تخصُّ أحد المشردين. لم يكن هناك شيء رائع بشأنها. الأمر اللافت للنظر، كان علبة السجائر غير المفتوحة الموضوعة على المرتبة.

لم يستطعْ تصديق حسن حظه! نظر حوله ليتأكد من عدم وجود أحد هناك، ثم أسرع إلى المرتبة، وخطا فوقها، وهو يمد يده إلى علبة السجائر.

لكن قبل حتى أن يلمس العلبة، هوت المرتبة تحت قدميه، وسقطت معه في الحفرة. ورغم أن المرتبة قد خفَّفت من صدمة سقوطه، فقد ارتطم كاحله الأيمن بالأرض دون أن يجد ما يحميه. كاد يفقد وعيه من الألم، وعندما اتضحتْ رؤيته، أدرك ما حدث.

اشتعل غضبًا. أول ما تبادر إلى ذهنه هو أن ما حدث نوع من المقالب، ثم سينظر إليه رفاق المدرسة من أعلى في أيِّ لحظة، وهم يشيرون إليه ويضحكون، وينعتونه بالحماقة. لكنه سرعان ما أدرك أن هذه ليست مزحة على الإطلاق. لقد كان فخًّا.

لكنْ إذا كان هذا فخًّا، فلماذا لم يأتِ أحد لمدة خمسة أيام؟ كان في قاع الحفرة إبريق ماء وصندوق بسكويت في اليوم الذي سقط فيه، جنبًا إلى جنب مع إناء من البورسلين لقضاء حاجته. أيًّا كان من نصب المصيدة، لم يردْه أن يموت جوعًا، لكنه لم يحسنْ تقدير المدة التي يمكن أن يحياها بهذه المؤن. لقد نفد الطعام والماء في ثلاثة أيام، ولم يتبقَّ الآن شيء، سوى علبة سجائر رديئة لا يستطيع تدخينها، لعدم وجود أي أعواد ثقاب. في مرحلة ما، حاول أن يأكل التبغ مباشرة من داخل غلاف السجائر، واعتقد أنه قد يحتوي على بعض القيمة غذائية، لكنه فقط أصابه بالجفاف.

الآن، مع اقتراب اليوم الخامس من نهايته، أصبح على قناعة بأن لا أحد سيأتي لينقذه. لن يجده أحد إلا بعد فوات الأوان.

ثم -قبل حلول الظلام بقليل- سمع خُطى أقدام تسحق رقائق الدهانات على أرضية المستودع.

حاول الصراخ: «مرحبًا، أنا هنا!» كان صوته بالكاد همهمةً خافتةً، لكنه يكفي. ظهر وجه ونظر إليه من أعلى، وصاحبه يقول: «يا إلهي، ماذا تفعل هناك؟ هل أنت بخير؟».

- ساعدني...

قال الرجل: «تماسك». ابتعد عن المكان، ثم عاد بعد لحظات قليلة، مصطحبًا سُلَّمًا من الألومنيوم، أنزله في الحفرة. ورغم أن الصبي لم يكن يمتلك القوة حتى للوقوف، فإن بعض الاحتياطيات السرية من الأدرينالين في جسده، ساعدته على التسلق، وعلى تحمل آلام استخدام كعبه المدمر. في نصف دقيقة خرج من الحفرة، ليحتضن الغريب الذي أنقذه.

أجلسه الرجل، وقال وهو يسلمه زجاجة ماء: «تفضل، اشرب بعض الماء». جرع الصبي الماء بنهم، كأنه الماء الوحيد في العالم.

- منذ متى وأنت هناك بأسفل؟

غُصَّ حلقه، وهو يحاول ابتلاع الماء، وكان على وشك أن يتقيَّأه، لكنه تمكن في النهاية من بلعه، وأجاب: «خمسة أيام».

جثا الرجل على ركبتيه أمامه وهز رأسه، قائلًا: «الهاربون من التفكيك دائمًا ما يسقطون في المشكلات. لا بدَّ أن تكون أكثر حذرًا».

هز الصبي رأسه نفيًا، وقال «أنا لست مُفكَّكًا».

ابتسم الرجل، وهو يومئ برأسه، قائلًا: «نعم، نعم، هذا ما يقولونه جميعًا. لا تقلق. إن سرك في بئر».

ثم شعر الصبي بوخزة مفاجئة في ذراعه، فصاح: «آي.. ماذا تفعل؟» ثم رأى قطرة دم على ساعده، التقطها الغريب بجهاز إلكتروني صغير، متجاهلًا سؤاله، وهو يقرأ البيانات التي أظهرها الجهاز. إن عمة الصبي مصابة بمرض السكر، وهي تتحقق من مستوى السكر في دمها بجهاز كهذا، لكنَّ الصبي شك أن هذا الجهاز له غرض مختلف، رغم أنه يجهل ذلك الغرض.

رفع الرجل أحد حاجبيه، قائلًا: «مم.. يبدو أنك تقول الحقيقة. إن حمضك النووي لا يتطابق مع أيٍّ من بيانات الصبية، الموجودة في قاعدة بيانات الهاربين من التفكيك».

- مم، لقد فهمتُ. أنت من شرطة الأحداث!

قالها الصبي بارتياح، لأن شرطي الأحداث لا يمثِّل خطرًا، بل إنه سيأخذه إلى والديه اللذين لا بدَّ أن القلق عليه قد استبد بهما الآن.

قال الرجل: «حسنًا.. لقد كنتُ أحد رجال شرطة الأحداث، لكنني لم أعدْ أمارس هذا النوع من العمل الآن. (ثم مد يده ليصافح الصبي) اسمي نيلسون، وأنت، ما اسمك؟».

- بينيت، بينيت جارفين.

الآن فقط بعد أن شرب بعض الماء، واسترخى لبعض الوقت، تمكن من التركيز بما يكفي لإلقاء نظرة متفحصة على نيلسون. إنه غير حليق، وأظفاره متسخة، ويبدو أنه لم يكن يعتني بنفسه جيدًا. لكنَّ الشيء الأكثر إثارة للدهشة به هو عينيه. هناك انفصال غريب وعدم تناسق بينهما، وبين باقي ملامحه. في الواقع، كانت عيناه لا تتطابقان حتى مع بعضهما. فكل منهما بدرجة مختلفة من اللون الأزرق. إنه أمر مزعج.

سأله بينيت: «هل يمكنك الاتصال بوالديَّ؟ فلتبلغهما أنك قد عثرت عليَّ».

لم تفارقِ الابتسامة الخافتة وجه نيلسون قط، وهو يجيب: «مم، لا أعتقد أن هذا سيحدث اليوم».

لم ينبسْ بينيت ببنت شفة، وهو يجاهد لاستيعاب الموقف، لكنْ لأنه لم يأكلْ شيئًا حتى الآن، ولم يسرِ الماء في أنحاء جسده بعد، بدا كل شيء في عينيه غامضًا مهتزًّا إلى حد ما.

- لا يمكنني إطلاق سراحك الآن بعد أن رأيتَني.

ثم أمسكه نيلسون بعنف، ولوى ذراعه، ووكزه في جانبه، وهو يضع يده القذرة في فم بينيت، لفحص أسنانه كالحصان، وقال: «بصرف النظر عن ذلك الكاحل المصاب، فأنت عينة من الدرجة الأولى. أصابكَ الجفاف إلى حد ما، لكنَّ المزيد من زجاجات المياه ستتكفل بالأمر. وحاصدو الأعضاء في السوق السوداء لا يهتمون إذا كنتَ مفككًا رسميًّا، أم لا، فهم يدفعون المبلغ نفسه».

- لا! (حاول بينيت الإفلات منه، لكنه لم يملك ما يكفي من القوة لذلك) من فضلك لا تؤذِني!

ضحك نيلسون: «أؤذيك؟ لن أفكر في ذلك. كلما كانت حالتك أفضل، ستصبح قيمتكَ أعلى بالنسبة إليَّ».

- والداي يملكان المال. سيدفعان لكَ ما تريد.

قال له: «أنا لا أحصل على فدية، لكنْ ما رأيك؟ عيناك تروقان لي، إنهما مُعبِّرتان للغاية. ولذا، سأمنحك فرصة للمقاومة. (أشار إلى المدخل) إذا

تمكنتَ من الوصول إلى الباب الأمامي قبل أن أخدِّرك، فسأتركك تذهب. بحق الجحيم، سأمنحكَ عشر ثوانٍ قبل أن أسعى خلفك». جرَّ بينيت نفسه ليقف على قدميه، وهو يسمع نيلسون يقول: «استعدْ، انطلقْ!».

لم يحتجْ بينيت إلى دعوة أخرى. انطلق خلال المستودع الواسع، وهو يشعر بالدوار، وبأن قدميْه لن تتحركا. لكنه أجبرهما على الحركة بطريقة ما.

- واحد!

صرخ كاحله، لكنه تجاهل ذلك. شعر بألم في رئتيه، لكنه لم يهتم. علم أن هذا الأمر تتوقف عليه حياته أو موته، وأن الألم مؤقت فقط.

- اثنان!

تهشَّمت رقائق الدهانات تحت قدميه كقشور البيض.

- ثلاثة!

ترجرج الماء في بطنه، وهذا ما زاد الألم سوءًا، لكنه لم يدعْ ذلك يُبطئه.

- أربعة!

باب المستودع مفتوح على مصراعيه، والشفق المتسرب من الباب رائع، كالضوء الساطع لشمس منتصف النهار.

- خمسة!

لم تتبقَّ سوى بضع ياردات، لقد أوشك أن يصل!

- ستة سبعة ثمانية تسعة عشرة!

قبل حتى أن يدرك أنه تعرض للغش، أصابه سهم التهدئة في مؤخرة عنقه، ليُحقَن جرعة كاملة من العقار المخدر مباشرة في جذع مخه. تراخت ساقاه، وفجأة ابتعد الباب إلى مليون ميل ربما، بعد أن بدا قريبًا للغاية منذ لحظات. دارت مقلتاه في محجريهما، وتشوَّش بصره، وانبعثتْ منه رائحة سم كريه، فيما اصطدم جانب رأسه بالأرض. كافح ليبقى واعيًا، فيما يحوم فوقه ظل نيلسون، شبح مظلم في مجال رؤية باهت... وقبل أن يفقد وعيه بلحظة واحدة، سمع نيلسون يقول: «تروق لي عيناك حقًّا. تروقان لي أكثر بكثير من هاتين اللتين أمتلكهما الآن».

****

12 - نيلسون

يعرف ج. ت. نيلسون أنه لن يصبح ثريًا أبدًا من بيع الأطفال غير الحذرين إلى حاصدي أعضاء السوق السوداء. حتى في الماضي عندما كان يصيد بشكل قانوني، لم يكن يجني أموالًا كافية، لكنْ آنذاك لم يكن الأمر مهمًا. عندما عمل شرطيَّ أحداث، أراد الحصول على راتب ثابت، ومزايا صحية، ووعْد بمعاش تقاعدي. لقد كان أكثر من راضٍ عن مهمته في الحياة، وهي الحفاظ على النظام، وتقديم الهاربين من التفكيك إلى العدالة. لكنَّ كل ذلك تغير في اليوم الذي أصابه فيه إوُول آكرون بمسدسه الرسمي. رغم مرور قرابة عام، ما زال عاجزًا عن إخراج صورة كونور لاسيتر من ذهنه: تلك النظرة المتعجرفة المستخفَّة على وجهه وهو يصيب ساق نيلسون برصاصة التخدير.

بالنسبة إلى نيلسون، كان دويُّ صدى تلك الرصاصة في جميع أنحاء العالم. ومنذ تلك اللحظة، أصبحتْ حياته جحيمًا حية. لقد أصبح موضع سخرية، ليس فقط في قسمه، لكنْ أيضًا في أنحاء البلاد. أصبح مادة للتندُّر، لكونه الشرطي المسؤول عن هرب المفكَّك سيئ السمعة. لذلك أصبح كونور لاسيتر أسطورة، وخسر نيلسون وظيفته واحترامه لذاته. حتى زوجته تركته.

لكنه غرق في حالة انهزام لفترة قصيرة فقط. كان الغضب يملأه، لكنه عرف كيف يحوِّل هذا الغضب إلى شيء مفيد. إذا لم تعدْ سلطة الأحداث تريده في صفوفها، فيمكنه أن يؤدي عمله الخاص. تجار السوق السوداء لا يسخرون منه، لأنه ترك كونور لاسيتر يهرب، ولا يطرحون أيَّ أسئلة.

في البداية اكتفى بالهاربين من التفكيك. كانوا يسقطون بسرعة في أفخاخه المختلفة كالأغبياء. ثم أمسك بأول هارب؛ صبي لم يظهر حمضه النووي في قاعدة بيانات الهاربين من التفكيك. اعتقد أن تجار السوق السوداء سيرفضون تسلُّمه، لكنهم لم يهتموا. لمَّا كانت البضاعة سليمة، فقد حصل

على ثمنها. حتى إنه كان هناك أطفال -مثل هذا الذي أمسك به اليوم- لم يحالفهم الحظ فحسب. أسعده الحصول عليهم أيضًا. ضميره لا يؤنبه. ما يزعجه هو عيونهم.

هذا هو أكثر ما يعانيه. الطريقة التي ينظرون إليه بها. تعبيراتهم المليئة بالخوف، والاستعطاف، والأمل دائمًا حتى اللحظة الأخيرة، كما لو أنه يمكن أن يُغيِّر موقفه. تلك العيون تؤرق أحلامه. إنها نوافذ الروح، أليس كذلك؟ لكنْ في تلك الأيام الأولى له كقرصان أعضاء، عندما نظر إلى عينيْه في المرآة، لم يرَ ما رآه في عيونهم. لم تظهرْ «نوافذه» مثل هذا التعبير عن عاطفته، وكلما نظر إلى عينيه الفارغتين، ازدادت غيرته. أراد الحصول على القليل من تلك البراءة، وذلك الأمل اليائس. لذا ففي أحد الأيام، ذهب إلى التاجر الذي يتعامل معه في السوق السوداء وطالب بعينيْ آخر ضحاياه، كجزء من أجره. بعد التفاوض، تمكن فقط من الحصول على عين واحدة، لكن على الأقل كان ذلك أفضل من لا شيء. بعد عملية الزرع الأولى تلك، عندما نظر إلى نفسه في المرآة، رأى في تلك العين ذرَّة من الإنسانية، ولمدة قصيرة، ارتفعت آماله، وهذا ما ذكره بالشاب المثالي الذي كان عليه منذ سنوات عدَّة. مع ذلك، أصبحتْ هناك مشكلة واحدة: إنه الآن يمتلك عينًا زرقاء، وأخرى بنية. هذا ليس مقبولًا.

لذلك طالب بعين أخرى، لكنَّ تلك العين لم تتطابق تمامًا مع الأولى. لذلك طلب أخرى، وأخرى، ومع كل عملية كان يشعر بشظية من البراءة تعود إليه. إنه يعلم أنه -يومًا ما قريبًا- سيجد العينين اللتين ستجعلانه مثاليًّا، وبعد ذلك يمكنه أخيرًا الشعور بالارتياح.. لأن من خلال رؤية العالم بعيون الآخرين، يكتمل نيلسون شيئًا فشيئًا.

***

بائع السوق السوداء يرتدي حُلَّة أوروبية باهظة الثمن، ويقود سيارة «بورش»، فيبدو كرجل أعمال نزيه، أكثر من كونه شخصًا مشتبهًا فيه يتاجر في لحوم البشر. إنه لا يخفي حقيقة أن عمله قد جعله ثريًّا، بل يتباهى بثروته في خُيلاء تليق بالملوك، ونيلسون يحسده على أسلوب حياته.

يتعامل مع الآخرين باسم ديفان، كما لو كان أحد مصممي الأزياء، ولا يشير إلى نفسه كتاجر سوق سوداء، بل كـ «مورِّد مستقل». مخيَّم حصاده

المسجل بالخارج خفي وغامض. حتى نيلسون لا يعرف مكانه، ويشتبه في أن عملياته لا تتم وفقًا لأي من اللوائح الصارمة لمخيمات الحصاد الأمريكية.

يلتقي ديفان ونيلسون في «سارنيا»، وهي بلدة كندية تقع على الجانب الآخر من الجسر البادئ من «بورت هورون» بـ «ولاية ميشيجان». لا يمكن لديفان أن يطأ الأراضي الأمريكية. هناك العديد من الأوامر بالقبض عليه. لكنَّ الكنديين -بوركوا- كانوا أكثر تساهلًا بكثير.

احتجز ديفان الصبي ذا الكاحل المصاب في الجزء الخلفي من معرض سياراته الذي يستخدمه كواجهة لأعماله. وبينما كان يتفحص الصبي، امتعض وهو ينظر إلى الكاحل المتورِّم، وأشار بإصبعه إلى نيلسون، كل ذلك جزء من حيله المعتادة لمقايضة نيلسون. أصدر الصبي -الذي استعاد وعيه، لكنه ما زال مترنحًا بسبب جرعة المخدر الكبيرة في جسده- غمغمات غير مترابطة، رغم تجاهل نيلسون له، ربَّت ديفان وجنته برفق، قائلًا: «لا تقلقْ بشأن أي شيء. نحن لسنا همجًا». إنها إحدى العبارات التي يستخدمها دائمًا. إنه لا ينقل أي معلومات حقيقية إلى الصبي، ولكنه يهدئ من روعه بطريقة ما. إن الأمر محسوب بدقة، مثل كل ما يتعلق بديفان.

يُحتَجَز الصبي في مكان بعيد، ويُتفاوَض على السعر، وكالمعتاد، يدفع ديفان لنيلسون نقدًا من مشبك نقود مليء بأوراق نقدية لا حصر لها. ثم يخبط على ظهر نيلسون بمرح. كقرصان أعضاء، يحظى نيلسون باحترام أكبر مما كان يحصل عليه من رؤسائه عندما كان ضابطًا تنفيذيًّا بشرطة الأحداث.

- يمكنني دائمًا الاعتماد عليك لإحضار ما أحتاج إليه. ليس كل مَن أتعامل معهم يواظبون على أدائهم مثلك. الآن، بعد أن عرضتْ سلطة الأحداث مكافآت لمن يرشد عن الهاربين من التفكيك، أصبح القليل منهم فقط يصل إليَّ.

قال نيلسون: «ولا تنسَ قانون «كاب-17» اللعين».

- نعم. فلنأملْ ألا تكون هذه دلالة على أن المجتمع يعود تدريجيًّا إلى طرقه القديمة الأقل تحضرًا.

قال له نيلسون: «مستحيل. لن يعود الناس إلى ما كانوا عليه».

لقد كان مجرد طفل عندما مُرِّرَتِ اتفاقية التفكيك، وانتهتِ الحرب، لكنْ ليست الحرب ما ظلت عالقة بذهنه منذ ذلك الحين. إنه الخوف من الجامحين. مع إخفاق نظام المدارس العامة، اجتاح الأمَّةَ مراهقون عاطلون من العمل، متسربون من التعليم، ولا يجدون ما يفعلونه، من قبل حتى أن تندلع الحرب. في الحقيقة، هذا الخوف أشعل فتيلَ الحرب أكثر من أي شيء آخر. ادعى أحد الجانبين أن هؤلاء الغوغائيون قد صنعهم انهيار قيم الأسرة، في حين ادعى الجانب الآخر أنهم نتاج لمعتقدات صارمة لم تعدْ تلبي احتياجات العالم. كان الجانبان على حق، وعلى خطأ في الوقت نفسه، لكنَّ هذا لم يكن مهمًّا، في الوقت الذي خشي فيه الناس النزولَ إلى الشوارع ليلًا خوفًا من أطفالهم.

أوضح نيلسون لديفان: «إن التفكيك لم ينهِ الحرب فحسب. لقد اقتلع الأعشاب الضارة، ومنعها من القضاء على بقيتنا. إن الخوف من المفككين الهاربين، سيساعدنا لنواصل عملنا».

قال ديفان: «أتمنى مُخلِصًا أن تكون على حق». ثم فتح فمه كما لو أنه سيضيف شيئًا، لكنه يفكر فيه مليًّا.

- أيوجد ما لم تخبرني به؟
- لا شيء من شأنه إزعاجك. مجرد شائعات. سنتحدث أكثر عند زيارتك القادمة. ولو استطعتَ، من فضلك تذكر أنني أعاني نقصًا في الفتيات. ذوات الشعر الأحمر على وجه الخصوص، والأمبر من الجنسين. وطبعًا، سأدفع دائمًا ثمنًا باهظًا «للمحظوظين»[1].

قال نيلسون: «سأضع ذلك في الاعتبار». قالها وهو يفكر فعلًا في خطة لتلبية طلب ديفان. لم يسبق له أسْرُ طفلٍ من أصول أمريكية حتى الآن، لكنَّ صيد أحد من يطلقون عليهم هذه الأيام «المحظوظين»، سيكفل لنيلسون الحصول ليس على ورقة رابحة فقط، بل على كنز كامل.

وبينما يقود سيارته عائدًا من خلال الجسر إلى الأراضي الأمريكية، كانت معنوياته مرتفعة. مخاوف ديفان -إن وُجِدَتْ- لا أساس لها. رغم أن نيلسون قد اختار -في الأيام الأخيرة- أن يعيش شخصًا غريبًا منعزلًا، فإنه ما زال يشعر بأنه مواكب للعصر. في ظل تطبيق نسبة كبيرة من العالم المتحضِّر

(1) المحظوظون: سكان أمريكا الأصليين المنعزلون عن باقي العالم، وأُطلق عليهم هذا الاسم لحظهم الكبير في التجارة والقمار. "المترجم".

للتفكيك، كيف يمكن لأحد أن ينكر أنه حل بديل فعَّال للتعامل مع مثيري المشكلات، والفاشلين، وغير المرغوب فيهم؟ أو كما تقول الإعلانات «التفكيك ليس مجرد دواء جيد، إنه الحل الصحيح».

لقد كان صواب الفكرة هو السبب الأول الذي جعل نيلسون يصبح شرطيَّ أحداث. إدراكه أنه سيجعل العالم مكانًا أنظف وأكثر إشراقًا، من خلال تنظيف الشوارع من الخارجين عن القانون، هو ما دفعه إلى الالتحاق بأكاديمية الشرطة. ورغم ذلك، استُبدلت بمُثُله العليا كراهيةٌ دائمةٌ لأولئك المطلوب تفكيكهم ففي نهاية المطاف. إنهم جميعًا متشابهون في امتصاص الموارد القيِّمة من أولئك الذين يستحقونها، والتشبُّث بفرديتهم المثيرة للشفقة، بدلًا من قبول تقسيم أعضائهم سلميًّا على الآخرين. لقد أصرُّوا على عيش حياة لا يشعر أي شخص آخر أنها تستحق الجهد المبذول من أجلها. بصفته رجل قانون، فقد عاقته قواعد السلوك، لكنْ بصفته قرصان أعضاء، يمكنه تأدية عمله بشكل أكثر فعَّالية. لذا، فبقدْر ما ألقى اللوم على كونور لاسيتر في تدمير حياته، ربما يكون الصبي قد أسدى له معروفًا. ومع ذلك، فإن معرفته أن إوُول آكرون مات ميتة حقيرة في مخيم حصاد «هابي جاك» ترضيه للغاية، وتمنحه الأمل في أنه ربما توجد عدالة حقًّا في الكون.

***

13 - كونور

وصلت طائرة متقاعدة تحمل رقم 787، وعلى متنها أربعة عشر من المكتملين في المخزن، داخل براميل بيرة فارغة. تساءل كونور هل كان شخص ما في المقاومة يشعر بالملل فحسب، أو هل كانت البراميل هي فعلًا الطريقة الأكثر فعَّالية لشحن الصبية دون أن يلاحظهم أحد. خرج الصبية جميعًا من المخزن وهم يعانون العرجَ وانحناءَ الظهر بسبب الرحلة، وألقى كونور خطابه المعتاد في التجمع، منزعجًا من تناقص عدد الوافدين في كل طائرة تأتي.

ثم -بعد اصطحابهم إلى طائرة «آيهوب» لتقييمهم، وإعدادهم للحياة في المقبرة- عاد كونور مع ترايس إلى الطائرة 787. إنها الطائرة «بوينج دريملاينر» القديمة، وهي الأولى من نوعها التي تصل إلى المقبرة. لقد أُعلِن عنها ذات مرة، مع وصفها بمنقذة صناعة الطيران، وقد أدَّت غرضها بالتأكيد، لكنْ هناك دائمًا شيء ما أحدث وأسرع وأكثر كفاءة في استهلاك الوقود يكون مستعدًّا ليحلَّ محلَّ أي طائرة. قال ترايس وهما يسيران في مقصورة الركاب التي شعَّت بالحرارة فعلًا تحت شمس أريزونا: «ما زالت مثيرة للإعجاب. إنها مثال للجمال الكلاسيكي».

سأله كونور وهما يتأملان حجم الطائرة الضخم «أتعتقد أن باستطاعتكَ قيادة هذه الطائرة إذا اضطُرِرْتَ إلى ذلك؟».

ابتسم ترايس، قائلًا: «لقد كنتُ أقود طائرات «سيسناس» منذ أن كان عمري ستة عشر عامًا، كما قدتُ طائرةً عسكريةً لمدة عام، قبل أن أنضم إلى مقاومة الانقسام، لذلك نعم، يمكنني قيادة طائرة تجارية. إنني قادر على جعلها تلف لفة رأسية في الهواء، بحق الجحيم!».

- هذا جيد. قد تحتاج إلى عمل لفة رأسية في الهواء، إذا كنا مستهدفين.

صمت ترايس لثانية، محاولًا كشف غموض ما سمعه، ثم قال مبتسمًا: «طائرة الهروب؟».

- لو أفرغنا محتوياتها، سيمكنها استيعاب الجميع. لن تكون مريحة، لكنَّ الأمر سينجح.

- سأبحث في المواصفات، وأرى هل كانت قادرة على تحمل الوزن. سنفرغ محتويات المقصورة، ثم نطلب من رجال المكتب الأمامي إعلان بيعها.

قال له كونور: «سنُضمِّن أجزاء المحرك ووحدة التحكم في قُمرة القيادة في قائمة الأجزاء المطروحة للبيع، لكننا لن نفكك حقًّا أيًّا من أجزاء التشغيل الفعلية للطائرة».

استوعب ترايس الأمر، دون الحاجة إلى إبلاغه به، وقال: «بذلك، سيبدو الأمر لأي شخص يراقبنا، أن الطائرة كُهِّنتْ بالكامل، لكننا نعلم أنها ما زالت صالحة للعمل».

- بالضبط. بعد ذلك سنسحبها إلى الممر الرئيسي، ونتظاهر باستخدامها كمهجع للنوم.

- إنك عبقري.

قال كونور يائسًا: «لا. والآن، دعنا نغادر هذا الشيء، قبل أن نتحول إلى لحم مقلي».

قاد ترايس كونورَ إلى الممر الرئيسي. بالإضافة إلى كونه قائدَ الأمن في المقبرة، فهو يؤدي دورَ الحارس الشخصي والسائق لكونور. لم تكن فكرة كونور -كما هي الحال بالنسبة إلى الطائرة الخاصة وزي التمويه الأزرق- لكنها ساعدتْ على خلق صورة تلك القيادة الوهمية. ورغم ذلك، فقدْ كره كونور منذ البداية فكرة تمييزه عن الآخرين.

قالت له ريسا: «عليك أن تعتادَ ذلك. لم تعدْ مجرد مفكك عادي بعد الآن؛ في نظر هؤلاء الصبية، أنت رمز المقاومة. عليك أن تظهر في صورة شخص مسؤول». تساءل هل كان شعورها هذا لم يتغير، فالآن لم يعد وجوده في موقع المسؤولية يترك مساحة كافية من حياته، ليكون بجوارها بحق. تساءل أكان عليه ادِّعاء المرض، حتى يتمكن فحسب من زيارتها في طائرة المستوصف الطبي. هل هذا سلوك يليق بقائد؟

قال تريس، معيدًا كونور إلى أرض الواقع: «الطائرة «دريملاينر» فكرة جيدة. لكنني أعلم أن هناك أمورًا أخرى تشغل ذهنك».

قال له كونور: «دائمًا».

- أعلم أنك تشعر بالقلق بشأن شرطة الأحداث، وتتساءل عن السبب الذي يجعلهم يتركوننا وشأننا حتى الآن. (انتظر ترايس لحظةً، ثم أضاف) أعتقد أنني أعرف السبب، لكنه لن يروق لكَ.

- ومتى راقَ لي أي شيء يتعلق بشرطة الأحداث؟

- الأمر لا يتعلق بهم، بقدر ما يتعلق بك.

- لا أفهم ما تعنيه.

- ستفهم.

اصطدما بأحد المطبات، فتمسَّك كونور بالباب كردٍّ فعل منعكس. لم يعتذرْ ترايس عن قيادته السيئة، بل قال: «اسمع يا كونور، الصبية هنا، رغم كونهم فاقدي الأهلية في نظر القانون، هم ليسوا معدومي القيمة. إنهم قيِّمون كالماس. أتعرف لماذا الماس باهظ الثمن؟».

- لا أعرف. ألأنه نادر الوجود؟

-لا، ليس نادرًا. في الواقع، هناك الكثير من الماسات، ويمكن أن تكون رخيصة بنفس ثمن المزيفة. لكنْ هناك ما يسمى بـ «حلف الماس». يجتمع كل مالكي مناجم الماس في العالم معًا، أتعرف ماذا يفعلون؟ يُخفُون ماساتهم في هذا القبو الضخم في ذلك البنك الضخم في السويد، أو سويسرا، أو في أي مكان آخر. يُخفُون الآلاف والآلاف من الماسات، وهو ما يخلق الفكرة الوهمية بأن الماس نادر، وهذا ما يدفع الأسعار إلى الارتفاع.

اصطدمتِ السيارة «الجيب» بحفرة أخرى، وهذه المرة امتص كونور الصدمة دون أن يمسك بشيء. شُغِلَ بتتبع خط أفكار ترايس، وبدأ يقلق بشأن ما سيقوده إليه.

قال ترايس: «بعد تمرير قانون «كاب-17»، أصبح في المفككين نقص، أليس كذلك؟ وتضاعف سعر كل نوع من أنواع عمليات زرع الأعضاء، بل أصبح ثلاثة أضعاف. لكنَّ الناس يدفعون، لأنهم جميعًا معتادون الحصول على الأعضاء التي يريدونها، في أي وقت. يمكنهم البقاء دون طعام، لكنهم لن يعيشوا دون أعضائهم».

- ما علاقة ذلك بي إذن؟
- أخبرني أنت.

فكَّر كونور في ما قاله ترايس، وفجأة أصاب كبد الحقيقة، فصاح: «نحن القبو! وما دمنا نبعد الهاربين من التفكيك عن الشارع، سيبقى السعر مرتفعًا. أهذا ما تقوله؟».

- من الأفضل أن يكون هؤلاء الهاربون من التفكيك هنا، سالمين آمنين، بدلًا من سقوطهم في يد قراصنة الأعضاء، وبيعهم في السوق السوداء. سيؤدي ذلك فقط إلى انخفاض السعر.

فكَّر كونور في ذلك اليوم الذي قُبِضَ عليه فيه ثم اقتيد إلى مخيم حصاد «هابي جاك». لقد أصيب بصدمة، عندما اعترف شرطي الأحداث الذي استجوبه أنهم يعرفون كل شيء عن المقبرة، لكنهم يغضون الطرف عنها، لأن ملاحقة الصبية هنا لم تكن تستحق العناء.

لكن هذا يختلف.

هذا يجعل من كونور جزءًا فاعلًا من النظام. إدراكه أنه في الواقع جزء من خطط حلف تفكيك ما، جعل كونور يشعر أنه قذر، بل أسوأ من ذلك.

ثم أدرك -عندما تجلَّت له الأمور بشكل أعمق- أن الأمر بمنزلة ضربة قاضية. اللكمة الأخيرة التي ستتركه ممدَّدًا بلا حَراك على أرض الحلبة.

سأل ترايسَ: «منذ متى تعمل لحساب شرطة الأحداث؟».

قاد ترايس السيارة «الجيب» فحسب، وأبقى عينيه على الطريق مباشرة، دون أن يجيب لمدة عشر ثوانٍ على الأقل. وأخيرًا قال: «لا تطرح أسئلة لن ترغب في معرفة الإجابة عنها».

***

14 - دولوريس

بينما تتمتع طائرات الحرب العالمية الثانية بامتياز عرْضها في متاحف دائمة، فإن طائرات الحرب الكورية ذات الأجنحة الثابتة في الغالب غير محبوبة ومنسية. لأنها كانت الحرب الأولى التي شهدتِ استخدامًا مُكثَّفًا لطائرات الهليكوبتر، فقد حازت هذه الطائرات كلَّ الاهتمام.

هناك طائرة قصف مؤسفة من الحرب الكورية تقع على بُعد ممرَّيْن من الممر الرئيسي. وضعها الأدميرال هناك، ورغم أن كونور يُحرِّك الطائرات من حولها، «دولوريس» -كما تُدعَى- لا تتحرك أبدًا ولا تُفتَح أبدًا. وقد عُدِّلَ بابها ليفتح بمفتاح وحيد، بحوزة كونور الذي يرتديه حول رقبته، كما يفعل الطفل مع مفتاح بيته.

«دولوريس» هي الترسانة. إنها تمتلئ بكل أنواع الأسلحة التي ينبغي ألا تصل إليها أيادي المراهقين تحت أي ظرف. إلا في حالة ارتدائهم الزي العسكري طبعًا. الفكرة هي أن المقبرة ستُضطَّر يومًا ما إلى الدفاع عن نفسها كما فعل حي «جيتو وارسو» الذي كانت صورته ماثلة في رأس الأدميرال، والآن في رأس كونور. لا يوجد يوم لا يفكر فيه في هذا الأمر، لا يمر يوم دون أن يمسك بأصابعه هذا المفتاح المعلَّق حول رقبته كالصليب. ومع ذلك، فهو اليوم يزور دولوريس لسبب آخر، وهو للدفاع عن المقبرة، ليس من الهجوم، لكنْ من التسلل. ذهب اليوم ليحصل على مسدس عيار 22,0 وخزانة رصاصات.

***

15 - كونور

ينام ترايس في الطائرة الصدئة القديمة «دي سي- 3»، ويشرف على أكثر الأطفال خشونة وإزعاجًا. إنها قاعة احتجاز غير رسمية، ويعتبر ترايس الحارس غير الرسمي لها. نظرًا إلى أن الطائرة المروحية القديمة بها دورة مياه لا تعمل، يتعين على ركابها استخدام دورة مياه متنقلة، توجد أسفل سلم الممر، وقفلها مكسور. لقد كسره كونور منذ ساعات قليلة.

بعد حظر التجول، انتظر كونور واثنان من أقوى الصبية الذين استطاع إحضارهم، في ظلال طائرة مجاورة.

- أخبرنا مرة أخرى لماذا نستدرج ترايس إلى الخارج؟

قال لهما كونور: «اصمتا! (ثم همس) لأنني أمرتُ بذلك».

كان كونور هو الوحيد الذي يحمل مسدسًا. إن خزانته ممتلئة. أما هذان الأحمقان، فقد أحضرهما معه من باب الاحتياط فحسب، لأنه يعلم أنه لا يمكنه التغلب على ترايس بمفرده. الخطة هي محاصرته ووضع الأصفاد في يديه، والاحتفاظ به كأسير حرب.. لكنَّ كونور قرر أنه سيستخدم المسدس إذا لزم الأمر.

قال له الأدميرال ذات مرة: «لا تحمل سلاحًا، إلا إذا كنت تنوي استخدامه». إذا كان كونور سيحافظ على النظام في هذا المكان، فعليه أن يسير وفقًا لكتاب القواعد الذي وضعه الأدميرال.

كل عشرين دقيقة تقريبًا، يأتي شخص ما لاستخدام دورة المياه. لكنَّ ترايس ليس واحدًا منهم.

تذمر الصبي القوي الذي يحمل الأصفاد، قائلًا: «أمن المفترض أن ننتظر هنا طوال الليل؟».

- نعم، إذا اضطُرِرْنا إلى ذلك.

بدأ كونور يتساءل هل كانت تدريبات ترايس العسكرية قد تضمَّنتْ تحكمًا خارقًا في المثانة، إلى أن نزل ترايس بعد منتصف الليل ببضع دقائق.

انتظروا حتى أغلق باب الحمام المتنقل، ثم اقتربوا بهدوء يتقدمهم كونور. أمسك المسدس بيده اليمنى -يد رولاند- وشعر ببرودة مقبضه وصلابة الزناد. نزع مسمار الأمان، وتنفس بعمق، ثم فتح الباب.

وقف ترايس هناك، يُحدِّق إليه مباشرة، بلا أي إحساس بالمفاجأة. في حركة واحدة، ركل ساقَيْ كونور من أسفل، وانتزع المسدس من يده، ولفَّه حول نفسه، ودفعه إلى الأرض، ملصقًا وجنته بالتراب، مع لَيٍّ ذراع رولاند بشكل مؤلم خلف ظهره، حتى إن كونور قد شعر أن خياطة النسيج المزروع معرَّضة للتمزق.

بينما يعاني كونور ألمًا شديدًا منعه من الحركة، هاجم ترايس الصبيين الآخرين، قبل أن يتمكَّنا من الهرب، وتركهما فاقدي الوعي على الأرض المغبرة. ثم عاد ليركز انتباهه على كونور.

قال ترايس: «قبل كل شيء، نصْبُ كمين لرجل يقضي حاجته لا يليق بكَ. ثانيًا، لا تأخذ نفسًا عميقًا أبدًا قبل مهاجمة شخص ما، لأن ذلك يُعلِن وجودك». استدار كونور ليواجهه، وهو ما زال يتألم، وبينما يفعل ذلك، يشعر بضغط فوهة المسدس على جبهته. واصل ترايس تصويب المسدس إلى رأس كونور للحظة أخرى، والصرامة بادية على وجهه، ثم لم يلبث أن أبعده، قائلًا: «لا تشعر بالسوء الشديد». «أنا لست مجرد طيار في القوات الجوية، لقد كنتُ من رجال العمليات خاصة. كان بوسعي قتلك بتسع طرق مختلفة، قبل أن تسقط على الأرض». أخرج خزانة الرصاصات، لكنْ بينما يفعل، أمسك كونور معصم ترايس، وأفقده توازنه، منتزعًا المسدس منه، ثم صوبه نحو ترايس مرة أخرى، وهو ينهض من سقطته.

ذكَّره كونور: «ما زالت هناك رصاصة داخل السلاح». تراجع ترايس، رافعًا يديه إلى أعلى، قائلًا: «أحسنتَ. أعتقد أن الصدأ قد أصابني». وقفا متجمديْن في مكانهما لحظةً، ثم قال ترايس: «إذا كنت ستقتلني، فافعلها الآن، قبل أن أجد الفرصة لهزيمتكَ مجددًا». لكنَّ عزيمة كونور قد ثبطت، وكلاهما يعرف ذلك.

سأله كونور، وهو ينظر إلى الولديْن اللذيْن كانا يومًا قويين، والآن يرقدان بجسديْن ملتوييْن فاقديِ الوعي على الأرض: «هل قتلتَ الصبييْن الآخريْن؟».

- ضربتهما فقط. لا شرفَ في قتل معدومي الحيلة.

خفض كونور سلاحه، دون أن يتعجله ترايس.

قال له كونور: «أريدك أن ترحل».

- طردي سيكون قرارًا خاطئًا للغاية.

غضب كونور عند سماع ذلك، وقال: «على حد علمي، أنت العدو. أنت تعمل لحسابهم».

- أنا أعمل لحسابكَ أيضًا.

- لا يمكنكَ اللعب على الجانبين.

قال ترايس: «هنا يكمن الخطأ. اللعب على الجانبين استراتيجية عريقة.

- لستُ لعبةً في يدك.

قال ترايس: «لا، أنت الضابط المسؤول عني. تصرف من هذا المنطلق».

نزل صبي آخر على السلم، لاستخدام الحمام المتنقِّل، فرأى ترايس وكونور، والصبييْن المتكوريْن على الأرض، فقال وهو يحاول استيعاب الموقف: «ما الأمر؟».

قال كونور: «عندما يكون شأنك، سأخبرك».

ثم رأى المسدس في يد كونور، فقال: «نعم، بالتأكيد، لا توجد مشكلة».

وصعد السلم عائدًا أدراجه. أدرك كونور أن الإلهاء الذي حدث، منح ترايس الكثير من الوقت لقلب الطاولة مرة أخرى، لكنه لم يفعل. خطا بهما ذلك خطوة واحدة نحو الثقة. أشار كونور إلى ترايس مُلوِّحًا بالمسدس، وقال: «سِر». لكن في هذه المرحلة، لم يكن يهدده بالمسدس، وكلاهما يعرف ذلك. ابتعدا عن الممر الرئيسي، متجهين إلى ممر الطائرات النفاثة المقاتلة، حيث لا يوجد أحد يمكنه التنصُّت على حديثهما.

سأل كونور: «إذا كنت تعمل معهم، فلماذا أخبرتَني بكل تلك الأشياء؟».

- لأنني أعينهم وآذانهم، لكنَّ عقلي ملكي، وسواء صدقت ذلك أم لا، فأنا أحب ما تفعله هنا.

- ماذا أخبرتهم عن هذا المكان؟

هز ترايس كتفيْه في لا مبالاة، قائلًا: «أخبرتهم بما يعرفونه فعلًا في الغالب. أن الأشياء تحت السيطرة هنا. أن شحنة جديدة من الهاربين من

التفكيك تصل كل بضعة أسابيع. أؤكد لهم أن المكان لا يشكِّل تهديدًا، ولا أحد يخطط لتفجير المزيد من مخيمات الحصاد. (ثم توقف عن السير، واستدار إلى كونور) الأهم هو الأشياء التي لا أخبرهم بها».

- وما هي؟

- أنا لا أخبرهم بمهام الإنقاذ التي تنفِّذها، ولا بخطة الهروب التي تعدُّها.. ولا أخبرهم أنك ما زلت حيًّا.

- ماذا؟

- على حد علمهم، هذا المكان يديره إلفيس روبرت مولارد، حارس أمن سابق من مخيم حصاد «هابي جاك»، لأن إذا عرف أحد أنك المسؤول، فإن رجال الشرطة سيقتحمون هذا المكان في لحظة. إن إوُول آكرون بالنسبة إليهم يمثل تهديدًا أكبر مما يمكن تجاهله. لذلك أجعل هذا المكان يبدو كأنه حضانة أطفال، وأجعلك تبدو كالمُربية. هذا يسعدهم، ويبقي هؤلاء الصبية أحياء.

تلفَّت كونور حولهما. إنهما بعيدان عن الممر الرئيسي الآن. لو أراد ترايس، فمبقدوره أن يدقَّ عنق كونور ويدفنه، ولن يعرف أحد على الإطلاق. هل هذا يعني أن كونور يثق فعلًا بـترايس رغم خيانته الواضحة؟ لم يعد واثقًا من أي شيء، ولا حتى دوافعه هو نفسه.

- لا شيء من هذا يغير حقيقة أنك تعمل لحساب شرطة الأحداث.

- أخطأتَ مرة أخرى. أنا لا أعمل لحساب شرطة الأحداث، بل لحساب من يمتلكونها.

- لا أحد يملك شرطة الأحداث.

- حسنًا، إذن ربما «يملك» ليس اللفظ الدقيق، بل «يُسيطر». أتريد التحدث عن الدمى؟ كل رجل من رجال شرطة الأحداث مربوط بخيط يحركه، ولا يدري حتى بوجوده. أنا لا أعرف طبعًا من الذي يحرك الخيوط. كل ما أعرفه هو أنني قد أُبْعِدْتُ عن مستقبل واعد في سلاح الطيران، وأُرسلتُ إلى هنا.

أرغم كونور نفسه على الابتسام، قائلًا: «أعتذر عن العبث بمسار حياتك المهنية».

- المهم في الأمر هو أنني لا أبلِّغ تقاريري إلى أحد في سلاح الطيران. بل أبلِّغ مدنيين يرتدون حُللًا، وهذا يزعجني. لذا أجريتُ القليل من البحث، ووجدتُ أنني أعمل في شركة تدعى «المواطنة الاستباقية».

- لم أسمع بها من قبل.

هنا انخفض صوت ترايس، وقال هامسًا: «هذا لا يُدهشني، فهم يعملون في الخفاء، وهذا يوفر غطاءً يمنح الجيش إمكانية الإنكار بشكل مقبول. فكِّر في الأمر؛ إذا كان الضباط لا يعرفون لحساب من يعملون فعلًا، فعندئذٍ إذا حدث خطأ ما، يمكن للجيش دائمًا أن يدعي الجهل، وأن يُخضِعني لمحاكمة عسكرية، ويتنصل من الأمر كله».

أصبحتِ الأمور الآن أوضح بالنسبة إلى كونور، أو بالأحرى، اتضح له على الأقل لماذا قرَّر ترايس اللعب على الجانبين معًا. استدارا، واتخذا طريق العودة إلى الممر الرئيسي.

- لستُ واهمًا يا كونور. في نظري، أنت أكثر إنصافًا وجدارة بالثقة من أي شخص أعمل معه. الشخصية أمر مهم للغاية في هذا العالم، وعندما يتعلق الأمر بـ «المواطنة الاستباقية»، فالريبة كلمة أقل كثيرًا من أن تصفها. لذلك سأؤدي عملي معها، لكني أضع ثقتي بك.

- كيف أعرف أنك لا تكذب عليَّ الآن؟

- لا سبيل لأن تعرف على وجه اليقين. لكنكَ نجوتَ حتى الآن بسبب حدسك الصائب. ما الذي يخبرك به حدسك الآن؟

فكَّر كونور في الأمر، وأدرك أن الإجابة سهلة: «يخبرني حدسي بأنني سأهلكُ مهما فعلتُ. لكنَّ هذا طبيعي بالنسبة إليَّ».

تقبَّل ترايس إجابته، وقال: «لدينا المزيد لنتحدث عنه، لكني أعتقد أن هذا يكفي ليوم واحد. ربما يجب أن تضع بعض الثلج على كتفك. لقد تعاملتُ معها بخشونة شديدة».

كذب كونور قائلًا: «لم ألاحظْ ذلك».

مدَّ ترايس يده ليصافح كونور الذي فكر في ما تعنيه مصافحة تلك اليد. قد تعني تأسيس جمعيتهما السرية لمحاربة «المواطنة الاستباقية»، أيًّا كانت طبيعتها.. أو قد تعني سقوط كونور ضحية للخداع بالكامل. في النهاية، صافح يد ترايس، متمنيًا أن يكون هناك -ولو لمرة واحدة فقط- مسار عمل واضح.

قال له ترايس: «قبل اليوم كنتَ مجرد بيدق تفعل ما يريدون منك أن تفعله. كنت تعرف ذلك في أعماقك، وتشعر به. آملُ أن تكون الحقيقة قد حررتك».

16 - ريسا

قبل أن تبدأ نوبة عملها كل صباح، تقضي ريسا وقتًا تحت جناح طائرة الترفيه، وتتحدث مع الصبية الآخرين الذين أصبحوا أصدقاءً لها. لديها أصدقاء هنا أكثر مما حظيت به في ملجأ الولاية، لكنها في الوقت نفسه تشعر كأنها أخت كبرى، أكثر من كونها صديقة. إنهم يقدسونها كملاك رحمة، ليس فقط لأنها تمثل السلطة الطبيَّة، لكنْ لأنها الأسطورية ريسا وورد، شريكة إوُول آكرون في الجريمة. إنها تشكُّ أنهم يعتقدون -في أعماقهم- أنها تستطيع أن تشفي ما تحطَّم في النفوس.

اعتادت قضاء بعض الوقت في طائرة الترفيه في المساء، بعد انتهاء نوبة عملها، لكنَّ «نادي المنقولين» وضع نهاية لذلك. جزء من عقلها يدفعها إلى المطالبة بوقت متساوٍ لأقسام المكان، لكنها تعلم أن تأجيج تقسيم المقبرة إلى فصائل لن يؤدي إلا إلى خلق المشكلات. ودون مساعدتها، هناك فعلًا ما يكفي من المشكلات بفضل ستاركي.

من بعيد، رأت كونور ينزل من طائرته. سار مباشرة على الممر الرئيسي، برأس منحنٍ، ويداه في جيبي سرواله، وبدا غارقًا في غيمة مظلمة تزعجه اليوم. وعلى الفور، أحاط به بعض الصبية الذين يحتاجون إلى اهتمامه لسبب أو لآخر. تساءلت هل كان بإمكانه تخصيص ثانية من وقته لنفسه بعد الآن، فهو بالتأكيد لا يملك تلك الثانية ليخصصها لها.

نظر إلى أعلى ولاحظ نظرة ريسا. ابتعدتْ وهي تشعر بالذنب، كأنها تتجسس عليه، ووبخت نفسها على هذا الشعور. عندما نظرت مرة أخرى، رأتْه يتجه نحوها. ومن خلفها بدأ الصبية يتجمعون قبالة التلفاز. شيء ما في الأخبار لفت انتباههم. وتساءلت هل يأتي كونور ليعرف سبب تجمعهم،

أم إنه آتٍ لرؤيتها. شعرتْ بالسعادة عندما اتضح لها أن الاحتمال الثاني هو الصحيح، على الرغم من محاولتها عدم إظهار ذلك.

سألتْه بابتسامة خفيفة بادلها إياها: «أكان يومكَ حافلًا؟».

- لا، استلقيتُ لمشاهدة التلفاز وتناول رقائق البطاطس فحسب. لا بدَّ أن أحصل على حياة.

وقف هناك ويداه في جيبيه، ناظرًا حوله، رغم أنها تعلم أن انتباهه ينصبُّ عليها. في النهاية، قال: «المقاومة تقول إنها سترسل الإمدادات الطبية التي طلبتِها خلال الأيام القليلة المقبلة».

- أعليَّ أن أصدق ذلك؟

- في الغالب لا.

إنها تعرف أن هذا ليس السبب الذي جعله يأتي إليها، لكنها لم تعدْ تعرف كيف تدفعه إلى التعبير عن حقيقة ما بداخله. إنها تعلم أن عليها أن تفعل شيئًا، قبل أن تتسع هذه المسافة بينهما أكثر من ذلك.

سألته: «أخبرْني إذن، ما مشكلة هذا الأسبوع؟».

حكَّ رقبته بأصابعه، وهو يتجنب النظر إلى عينيها مباشرة، وقال: «بعض المشكلات هي نفسها المعتادة، والبعض الآخر لن ترغبي في معرفته».

قالت ريسا: «لكنْ، أهي مشكلات كبيرة للدرجة التي تدفعك إلى القول أنك لا تستطيع أن تخبرني بها؟».

- بالضبط.

تنهَّدت ريسا. إن الجو يزداد حرارة فعلًا، وهي لا ترغب في شق طريقها إلى طائرة المستوصف في مثل هذا الجو الحار. لقد فقدتْ صبرها إزاء غموض كونور. كانت على وشك إخباره بألا يأتي لرؤيتها إلا عندما يكون لديه ما يقوله حقًّا، لكنَّ انتباهها تشتت بسبب التذمر الصادر عن الحشد المحيط بالتلفاز، والذي ازداد منذ أن نظرت إليه آخر مرة، فجذبها هي وكونور نحو التجمهر.

كان التقرير الإخباري المذاع لقاءً مع امرأة، تبدو صارمة إلى حد ما، بل أكثر حدة في حديثها. نظرًا إلى حضور ريسا في منتصف الحديث، لم تستطعْ ريسا أن تفهم بالضبط ما تتحدث عنه المرأة.

قال أحدهم: «أيمكنكم تصديق ذلك؟ إنهم يطلقون على هذا الشيء شكلًا جديدًا للحياة».

سأل كونور: «ما هذا الذي يُطلِقون عليه شكلًا جديدًا للحياة؟».

كان هايدن هناك، فالتفت إلى كليهما. وقد بدا مضطربًا إلى حد ما: «لقد أنشأوا أخيرًا الوحش المثالي. أول كائن بشري مُجمَّع».

لم تكن هناك صور، لكنَّ المرأة أخذت تصف العملية، كيف استُخدِمَتْ أجزاء وقطع دقيقة من نحو مائة حالة تفكيك مختلفة لتكوين ذلك المخلوق. شعرت ريسا بقشعريرة تسري في ظهرها، متجهة إلى أسفل عمودها الفقري، حسبما يمكنها أن تشعر. لا بدَّ أن هذا كان نفس رد فعل كونور، لأنه أمسك بكتفها، كما مدَّت هي يدها لتمسك بيده، دون أن تهتم أي يد هي.

سألت ريسا: «لِمَ قد يفعلون شيئًا كهذا؟».

قال كونور بمرارة: «لأنهم يستطيعون». مكتبة سُر مَن قرأ

شعرتْ ريسا بثقل الأجواء من حولها، كما لو كانوا جميعًا يُشاهدون حدثًا عالميًّا فظيعًا يتكشَّف أمام أعينهم.

قال كونور: «نحتاج إلى إعداد خطة الهروب». أدركتْ ريسا أنه يتحدث إلى نفسه، وليس إليها.

واصل كونور: «لا يمكننا الهرب مباشرة، لأن أجهزة التجسس ستلتقط تحركاتنا، لكنْ على الجميع أن يعرف ما يجب فعله».

شعرت ريسا بنفس ما تبادر إلى أذهان الجميع. فجأة، بدا الخروج من المقبرة فكرة جيدة جدًّا، حتى إن لم تكن هناك وجهة آمنة.

تذمر أحدهم، قائلًا: «إنسان مجمَّع.. أتساءل كيف يبدو».

- ألم ترَ السيد بوتاتو هيد من قبل يا رجل؟

علا بعض الضحك العصبي، لكنه لم يخففِ التوتر السائد في الأجواء.

قالت ريسا: «أيًّا كان شكله، أتمنى ألا نراه أبدًا».

***

17 - كام

تتبَّع خطوط وجهه بإحدى أصابعه، أسفل جانب أنفه حتى وجنته. يسارًا ثم يمينًا. من التناظر المتفجِّر من درجات ألوان البشرة في جبهته، إلى ما وراء الخطوط التي تنتشر تحت خط شعره. غمس إصبعه في مرهم علاج آثار دمج أنسجة البشرة مرة أخرى، وأخذ يوزعه خلال الخطوط التي تتدفق أسفل مؤخرة عنقه وكتفيه وصدره، وكل مكان آخر يمكنه الوصول إليه. شعر بالوخز لأن البكتيريا الدقيقة التي يحتوي عليها المرهم تؤدي عملها.

قال له طبيب الأمراض الجلدية: «صدق أو لا تصدق، المادة الفعَّالة مرتبطة فعلًا بالزبادي، في ما عدا -طبعًا- أنها تأكل أنسجة الندوب». الفارق أيضًا أن تكلفة عبوة المرهم خمسة آلاف دولار، لكنْ كما أخبرته روبرتا، فإن المال لا يهم عندما يتعلق الأمر بكام.

لقد تأكد أنه عند الانتهاء من العلاج، لن يعاني أيَّ ندوب على الإطلاق، مجرد آثار غُرز تبدو كخط خفيف من الشعر حيث يلتقي كل جزء صغير منه مع الآخر.

تستغرق طقوس وضع المرهم على جسده نصف ساعة، مرتيْن يوميًّا، وقد أصبح يستمتع بطبيعة هذه الطقوس الشبيهة بالتأمل. إنه يتمنى فقط أن يكون هناك شيء يمكنه أن يشفي ندوب عقله التي ما زال يشعر بها. إنه يرى عقله الآن كأرخبيل من الجزر، يعمل هو على بناء الجسور بينها، وبينما حقق نجاحًا كبيرًا في هندسة أروع الجسور، فإنه يشك في أن هناك بعضَ الجزر لن يصل إليها أبدًا.

سمع طرقًا على بابه، وصوت يقول: «أأنت مستعد؟».. إنها روبرتا.

قال لها: «مقاليد الأمور في قبضة يدك».

صمتتْ لحظةً، وبعدها قالت: «هذا مضحك للغاية. اكبحْ جماح نفسك».

ضحك كام. لم يعد بحاجة إلى التحدث بطريقة الاستعارة؛ لقد مدَّ ما يكفي من الجسور في ذهنه، لإضفاء بعض الطابع الطبيعي على حديثه، لكنه يستمتع بإغاظة روبرتا، ومحاولة مضايقتها.

ارتدي قميصًا وربطة عنق صُنعا خصوصًا من أجله. جاءت ربطة العنق بألوان هادئة، لكنها تميَّزت في الوقت نفسه بنقوش جريئة، اختِيرت خصوصًا لإبراز إحساس بالتركيب الجمالي؛ كتلميح لا شعوري بأن العمل الفني ككل يكون دائمًا أكبر من مجموع أجزائه. تحسَّس ربطة العنق. فيما يعرف عقله كيف يربطها، من الواضح أن أصابعه الموهوبة لم تتعلم قطُّ كيفية عمل العقدة الكلاسيكية لربطة العنق. عليه التركيز والتغلب على النقص المحبط في ذاكرة العضلات.

طرقتْ روبرتا الباب مرة أخرى، وبإلحاح أكبر هذه المرة، وهي تقول: «لقد حان الوقت».

استغرق لحظة ليتأمل نفسه بإعجاب في المرآة. يبلغ طول شعره بوصة واحدة فقط في الوقت الحالي. بدا كما لو كان يرتدي معطفًا افتراضيًّا متعدد الألوان على رأسه؛ امتدت خطوط شعره من النقطة المحورية لبشرة جبهته متعددة الألوان. امتدَّ الشعر الأشقر إلى منتصف رأسه، ممتزجًا مع البني المحمر على الجانبين الأيسر والأيمن. تراجعتْ درجات اللونين الأحمر والبني مُشكِّلة قوسًا عن جانبي رأسه، لتفسح المجال للون الأسود فوق أذنيه، وتموجات ضيقة داكنة عند سالفيه.

قالت روبرتا: «كل مصففي الشعر المشهورين سيتعاركون للفوز بشرف بتصفيف شعرك».

أخيرًا، فتح الباب قبل أن تصبح طرقات روبرتا عصبية. كان ثوبها أكثر أناقة بقليل من السروال والقميص اللذين ترتديهما عادةً، لكنه ما زال لا يليق بها. كل ذلك كان محسوبًا، لإبقاء التركيز عليه. بدتْ منزعجةً منه للحظة، لكنْ بعد أن ألقتْ نظرة فاحصة عليه، تلاشى غضبها.

فردتْ قميصه، وتأكدت من إحكام ربطة عنقه، وهي تقول: «تبدو رائعًا يا كام.. تبدو كالنجم الساطع! بل أنت نجم فعلًا!».

- فلنأمل ألا أُنتِج عناصر معقدة.

نظرتْ إليه بتساؤل، فقال: «أقصد الانفجار النجمي. لو كنتُ نجمًا ساطعًا، فلنأمل ألا أنفجر. (لم يكن حتى يحاول مضايقتها) أعتذر، فهذه هي الطريقة التي أفكر بها فحسب».

أمسكتْ ذراعه برفق، وهي تقود الطريق، قائلة: «هيا، إنهم في انتظارك».

- كم عددهم؟
- لم نردْ أن تشعر بالرهبة والارتباك في مؤتمركَ الصحفي الأول، لذا قررنا أن يقتصر الحضور على ثلاثين شخصًا.

نبض قلبه بقوة، فكان عليه أن يتنفس بعمق مرات قليلة لإبطائه. إنه لا يعرف لماذا هو متوتر للغاية. لقد أعدوه فعلًا لهذه اللحظة، بتنظيم ثلاثة مؤتمرات صحفية وهمية، حيث طُرِحَتْ عليه الأسئلة بعدة لغات. لقد كان جيدًا في كل مرة، وهذه المرة سيكون المؤتمر بالإنجليزية فقط، لذا لديه متغير واحد يقلل من قلقه.

لكنَّ هذا المؤتمر حقيقي. هذه المرة هو على وشك أن يُقدَّم رسميًّا إلى عالم غير مستعد لوجوده. الوجوه التي رآها في تلك المؤتمرات الصحفية المزيفة كانت تحمل له الودَّ، وتتظاهر بغير ذلك، لكنه اليوم سيواجه غرباء حقيقيين. سيكون البعض فضوليًّا، والبعض الآخر مدهوشًا، وقد تُصاب مجموعة ثالثة من الأشخاص بالرعب الشديد. أخبرتْه روبرتا أن يتوقع هذا. ما يقلقه هو الأشياء التي لا يمكنه حتى التنبؤ بها.

سارا في القاعة، متجهين إلى سلم حلزوني يؤدي إلى غرفة المعيشة الرئيسية، وهو درج لم يُسمَح له باستخدامه خلال أسابيعه الأولى، حتى تحسَّن توازنه. لكنِ الآن، يمكنه أن يرقص في أثناء نزوله، لو أراد. طلبتْ منه روبرتا الانتظار حتى تعلن وجوده. نزلت أولًا، فسمع كام تلاشي همهمات المراسلين وثرثرتهم. خفُتت الأضواء، وبدأتْ روبرتا عرضها التقديمي، بصوت مُكبَّر، أكبر من الحياة: «منذ زمن سحيق، حلمتِ البشرية بخلق الحياة». وصلتْ ومضات من الضوء إلى أعلى السلم. لم يستطعْ كام رؤية الصور الموجودة في عرضها التقديمي، لكنه يعرفها. لقد رآها كلها من قبل.

تابعتْ روبرتا: «لكنَّ اللغز العظيم للحياة نفسها كان بعيد المنال، وكل حلم من أحلام الخلق انتهى بإخفاق ذريع. هناك سبب وجيه لذلك. لا يمكننا أن نخلق ما لا نفهمه، لذا، فإلى أن نفهم ماهية الحياة، كيف يمكننا أن نخلقها؟

لا، بدلًا من ذلك، فإن مهمة العلم هي أخذ ما لدينا فعلًا، والبناء عليه. لن نخلق الحياة، بل سنجعلها في أبهى صورة. لذلك طرحنا السؤال، كيف يمكننا إعادة دمج تطورنا الفكري والجسدي في أفضل نسخة من أنفسنا، أفضل ما فينا جميعًا مجتمعًا؟ كما اتضح، كانت الإجابة بسيطة بمجرد أن عرفنا السؤال الصحيح. (توقفتْ عن الحديث مؤقتًا لإثارة التشويق) السيدات والسادة، أقدم لكم كامو كومبري، أول إنسان مُجمَّع بالكامل في العالم!».

مع صوت التصفيق، بدأ كام ينزل السلم الحلزوني بفخر، لكنْ بأسلوب سير غير رسمي. ظل الجمهور في الظل في أثناء نزوله، وكل الأضواء مركَّزة عليه. شعر بحرارة الأضواء، ورغم وجوده في مكان مألوف، فقد بدا الأمر كما لو أنهم قد حوَّلوا غرفة الجلوس إلى مسرح. تردَّد في منتصف الطريق، وأخذ نفسًا عميقًا، ثم واصل طريقه، وهذا ما جعل توقفه يبدو مقصودًا، ربما لاستفزاز الراغبين في التصوير، لأن الكاميرات غير مسموح بوجودها في هذا المؤتمر الصحفي. نُظِّم ظهوره للجمهور بعناية. فسَح التصفيق المجال للدهشة، ألقى الحشد نظرةً فاحصةً عليه. سمع شهقات وأحاديث هامسة وهو ينزل، متوجهًا إلى الميكروفون. تنحَّت روبرتا جانبًا، مفسحةً له الساحة، وفي هذه الأثناء، ساد صمت مطبق في الغرفة، حدَّق الجميع إلى وجهه، محاولين ترجمة ما يرونه: شاب هو -حسب قول روبرتا- «أفضل ما فينا جميعًا. أو على الأقل أفضل ما في مراهقين مختلفين فُكِّكُم.

في أثناء الصمت المشحون بالتوتر، مال كام نحو الميكروفون، قائلًا: «حسنًا، يجب أن أقول إنكم مجموعة اختيرت بعناية كبيرة». سادتْ ضحكات مكتومة في كل مكان. دُهِش كام عند سماع نبرة صوته المكبَّرة، نبرة صوت رنانة هادئة، تبدو واثقة أكثر مما هو عليه فعلًا. سطعتِ الأضواء فوق مجموعة المراسلين، ومع زوال الحرج والتوتر، ارتفعتِ الأيدي الأولى لتوجيه أسئلة.

قال رجل يرتدي حُلة بالية: «سُرِرْتُ بلقائكَ يا كامو. فهمتُ أنكَ مُكوَّن من نحو مائة شخص مختلف، أهذا صحيح؟».

قال كام مبتسمًا: «تسعة وتسعون على وجه الدقة، لكنْ هناك متسع لشخص آخر».

ضحكتْ مجموعة المراسلين مرة أخرى، بعصبية أقل من المرة الأولى. أشار إلى امرأة كثيفة الشعر، فسألته:

«من الواضح أنك... مم... اختراع فريد. (شعر كام برفضها يلفحه، كموجة حارة) بمَ شعرتَ عندما علمتَ أنك قد اختُرعت بدلًا من أن تولد؟».

قال لها: «لقد وُلِدْتُ، لكنْ لم تولد أجزائي كلها في الوقت نفسه. ولم أُخترَع، لقد أعيد تجميعي. يوجد فرق». قال شخص آخر: «نعم. أن تعلم أنك الأول من نوعك، لا بدَّ أن هذا يُشكِّل عبئًا كبيرًا على نفسك».

هذا الخط من الأسئلة ورد في المؤتمرات الوهمية، وحفظ كام إجاباته عن ظهر قلب. قال: «الكل يشعر كأنه فريد من نوعه، أليس كذلك؟ هذا لا يجعلني مختلفًا عن أي شخص آخر».

- سيد كومبري، أنا خبير في اللهجات، لكنْ لا يمكنني تحديد لهجتك. أنت تستمر في التنقل بين مختلف الأنماط الصوتية.

لم يكن هذا في·حسبان كام من قبل. تحويل الأفكار إلى كلمات يُشكِّل صعوبة فعلًا، دون التفكير في كيفية ظهور هذه الكلمات. أجاب: «حسنًا، أعتقد أن الأمر كله يعتمد على خلايا المخ التي أستخدمها».

- هل فصاحتك اللغوية مبرمجة إذن؟

مرة أخرى، كان السؤال من النوع الذي يتوقَّعه، فقال: «لو كنتُ حاسوبًا، لكانت لغتي مبرمَجة، لكنني لستُ كذلك. أنا عُضوي بنسبة مائة بالمائة. أنا بشري. لكنْ للإجابة عن سؤالك، فإن بعض مهاراتي مكتسبة في الماضي، وجاء البعض الآخر منذ تجميعي، وأنا واثق أنني سأستمر في النمو كإنسان».

صرخ أحدهم من الخلف: «لكنكَ لست إنسانًا. قد تكون مصنوعًا من البشر، لكنك لم تعد بشريًّا، كما لا يمكننا أن نعتبر كرة القدم خنزيرًا لأنها صُنِعَتْ من جلده».

شيء ما في هذا القول -هذا الاتهام- طعنه في موضع لم يتخذْ تدابيرَ لحمايته. إنه غير مستعد للعاطفة التي يولدها.

قال كام: «الثور يرى اللون الأحمر!».

خرجت الكلمات قبل أن يتمكن من تمريرها من خلال مركز لغته. ازدرد لعابه، وعثر على الكلمات المناسبة، وقال: «إنك تحاول استفزازي. قد يكون هناك سلاح تختبئه خلف حرملتك، لكنه لن يحميك من النطح».

- أهذا تهديد؟

- لا أعرف، أكانت تلك إهانة؟

علتْ همهمات الحشد. لقد جعل الأمر مثيرًا لاهتمامهم. حدجته روبرتا بنظرة تحذيرية، لكنَّ كام شعر فجأة بغضب العشرات من الصبية المفكَّكين ينمو بداخله. لا بدَّ أن يُعبِّر عنه.

- هل هناك أي شخص آخر يعتقد أنني -بشكل ما- أقل من البشر؟

وبينما كان ينظر إلى الثلاثين مراسلًا، ارتفعتِ الأيدي. ليس فقط المرأة كثيفة الشعر، والمُقاطع من الخلف، ولكنَّ آخرين أيضًا. ما يصل إلى اثني عشر شخصًا. هل يقصدون ذلك حقًّا، أم إن كل منهم مجرد ماتادور يلوح بحرملته؟

صاح: «مونيه! سورات! لو اقتربتَ من لوحاتهم، لبدا عملهم أشبه ببقع الطلاء. لكنْ لو نظرتَ عن بعد، سترى تحفة فنية». عرض الشخص الذي يتحكم في شاشات العرض إحدى لوحات مونيه بعفوية، لكنْ بدلًا من تأكيد وجهة نظره، جعل تعليقاته تبدو مصطنعة: «إنكم ضيقو الأفق، أيها الناس، ولا تتحلون ببعد النظر!».

قال أحدهم: «يبدو أنك مغرور للغاية».

- من قال هذه العبارة؟

نظر إلى الجمع، لكنْ لم يعلن أحد مسؤوليته عن العبارة، فقال كام: «أنا فخور بكل الموجودين بداخلي، وهذا مذهل». اقتربت روبرتا، محاولة السيطرة على الميكروفون، لكنه دفعها بعيدًا، قائلًا: «لا! إنهم يريدون معرفة الحقيقة؟ هأنا أخبرهم بالحقيقة!».

وفجأة أتت الأسئلة كطلقات الرصاص: «هل أخبروكَ أن تقول هذا كله؟».. «أهناك سبب لصنعك؟».. «أتعرف أسماءهم؟».

- هل تحلم بأحلامهم؟

- هل تشعر بأجزائهم المفككة؟

- لما كنتَ مصنوع من الصبية غير المرغوب فيهم، ما الذي يجعلكَ تعتقد أنك أفضل منهم بأي شكل؟

أتت الأسئلة بسرعة وبكثافة كبيرة، فشعر كام أن عقله قد بدأ يتحول إلى شظايا. لم يعرف أي سؤال يجب أن يجيب عنه، أو حتى هل كان بإمكانه الإجابة عن أي منهم.

- ما الحقوق القانونية التي يجب أن يتمتع بها كائن مُجَمَّع من مفككين؟

- هل يمكنكَ التكاثر؟

- أعليه أن يتكاثر؟ أهو حيٌّ من الأساس؟

لم يستطعْ أن يبطئ تنفسه، أو يلتقط أفكاره، أو يرى بوضوح. الأصوات لا معنى لها، وعجز عن رؤية الصورة الكبيرة، بل فقط أجزائها الصغيرة. وجوه. ميكروفون. أمسكتْ به روبرتا، محاولة التركيز عليه، وحثَّه على النظر إليها، لكنَّ رأسه لم يمكنه التوقف عن الاهتزاز.

- ضوء أحمر! دواسة المكابح! حائط من الطوب! ضعوا الأقلام!

ثم أخذ نفسا عميقًا مرتجفًا، وقال: «كفى!» كان يوجه نداءه إلى روبرتا. إنها قادرة على إنهاء هذا. يمكنها فعل أي شيء.

قال أحدهم: «يبدو أنه لم يُصنَع بدقة». وضحك الجميع.

أمسك الميكروفون مرة أخرى، وشفتاه تضغطان عليه. ليخرج الصوت خرفشةً غير واضحة.

- أنا أكبر من مجرد الأجزاء التي صُنِعَتْ منها! أنا أكبر!

- أنا...

- أنا...

- أنا...

فردَّ صوت واحد، قائلًا بهدوء وبساطة: «وماذا لو لم تكن كذلك؟».

هنا قالت روبرتا للحشد الهائج: «انتهى المؤتمر. شكرًا لقدومكم».

***

لم يستطعِ التوقف عن البكاء. إنه لا يعرف أين هو، إلى أين أتت به روبرتا. إنه في العدم. لا أحد في العالم سواهما.

قالت له وهي تهزه بلطف ذهابًا وإيابًا: «ششش.. إن كل شيء على ما يرام. كل شيء سيكون على ما يرام».

لكنها لم تفعلْ شيئًا لتهدئته. يريد أن يجعل ذكرى تلك الوجوه الناقدة المهاجمة تختفي. هل يمكنها حذفهم من عقله؟ أن تستبدل بعض الأفكار العشوائية التي تخصُّ مفكّك آخر مجهول بذاكرته؟ هل يمكنهم فعل ذلك له؟ هل يمكنهم ذلك، رجاءً؟

قالت روبرتا: «كان هذا مجرد هجوم أوَّلي من عالم ما زال بحاجة إلى أن يتعمق أكثر في دراستك. اللقاء التالي سيسير بشكل أفضل».

التالي؟ كيف يمكنه حتى البقاء حيًّا بعد ذلك؟.. قال لها: «عربة القطار الأخيرة!.. غطاء مغلق. انتهى الأمر».

قالت له روبرتا، وهي تحتضنه بقوة أكبر: «لا.. هذه ليست النهاية، إنها البداية فحسب، وأنا أعلم أنكَ ستنهض لمواجهة التحدي. أنت تحتاج فقط إلى أن تكون أكثر احتمالًا وتماسكًا».

- امنحيني القدرة على ذلك إذن!

ضحكتْ كأنها مزحة، وجعله ضحكها يضحك أيضًا، وهو ما جعلها تضحك بصوت أعلى، وفجأة -وسط دموعه- وجد نفسه في نوبة من الضحك، لكنه غضب من نفسه لذلك. لم يعرف حتى لماذا يضحك، لكنه لم يستطعِ التوقف عن الضحك، كما لم يستطع التوقف عن البكاء. في النهاية، سيطر على نفسه. كان منهكًا. كل ما يريده هو النوم. سيكون الأمر كذلك بالنسبة إليه لمدة طويلة.

إعلان خدمة عامة

«هل توقفتَ يومًا للتفكير في الأشخاص الذين ساعدتهم بالتفكيك؟ ليس المستفيدون فقط الذين هم في أمس الحاجة إلى الأنسجة، ولكنَّ الآلاف الذين يعملون في مهنة الطب والصناعات الداعمة. أطفال وأزواج وزوجات الأشخاص الذين أنقَذَت حياتهم عملياتُ نقل الأعضاء وزرعها. وماذا عن الجنود المصابين في ميدان الواجب، والذين يشفون ويستعيدون حالتهم الأولى بالأعضاء الثمينة التي يتلقونها؟ فكِّر في الأمر. كلنا نعرف شخصًا تأثر إيجابًا بالتفكيك. لكن ما يُسمَّى الآن بالمقاومة ضد الانقسام يهدد صحتنا وسلامتنا ووظائفنا واقتصادنا، من خلال تجاهل القانون الفيدرالي الذي تطلَّب حربًا طويلة ومؤلمة لإقراره.

اكتب إلى عضو الكونجرس في دائرتك اليوم. أخبِر المشرعين عن رأيك. طالِبوا بالوقوف ضد المقاومة. دعونا نحافظ على أمتنا وعالمنا على الطريق الصحيح. وتذكروا: «التفكيك ليس مجرد دواء جيد، إنه الفكرة الصحيحة».

- مموَّل من اتحاد دافعي الضرائب المعنيين.

أصبح كام في حالة تدهور عقلي وعاطفي كاملة. افترض وناقش القائمون عليه النظريات التي تُفسِّر تراجع حالته. ربما ترفض أجزاؤه القادمة من المفككين بعضها. ربما تكون روابطه العصبية الجديدة مُثقَلة بمعلومات متضاربة، فبدأت في الانهيار. كلها احتمالات، لكنَّ الحقيقة المؤكدة هي أنه ببساطة قد توقف عن الكلام، وتوقف عن إبداء أي استجابة لهم، حتى إنه قد توقف عن تناول الطعام، ويحصل على غذائه الآن من خلال المحاليل الوريدية. أُجرِيَتْ عليه أنواع الاختبارات كلها، لكنه كان يعرف أن الاختبارات لن تُظهر شيئًا، لأنهم لا يستطيعون فحص عقله. لا يمكنهم قياس رغبته في الحياة، من عدمها.

دخلت روبرتا إلى غرفة نومه. في البداية أبدت قلقًا كبيرًا، لكنْ خلال الأسابيع القليلة الماضية، تحول قلقها إلى إحباط وغضب.

- أتعتقد أنني لا أعرف ما تفعله؟

أجابها بسحب خرطوم التغذية الوريدية من ذراعه، فأسرعت إليه روبرتا وأعادت توصيله، قائلة: «يا لك من طفل عنيد صعب المراس!».

قال لها: «سقراط. سُم! ارفعوا كؤوسكم!».

صاحت به: «لا! لن أسمح لك بالانتحار! حياتك ليست ملكك لتتخلى عنها!».

جلستْ على مقعد بجواره، وهدأت، ثم قالت له متوسلةً: «لو أنك ترفض العيش من أجلك، فعش من أجلي. ازدهرْ من أجلي. لقد أصبحتَ حياتي، أنت تعرف أن هذا صحيح، أليس كذلك؟ إذا مِتَّ، ستقتلني معك».

رفض النظر إلى عينيها، وقال: «هذا ليس عدلًا».

تنهَّدت روبرتا، في حين راقب كام القطرات التي تسقط بانتظام داخل أنبوب التغذية الذي يبقيه حيًّا. شعر بالجوع. إنه جائع منذ وقت طويل، لكنَّ

هذا لا يكفي لحثه على تناول الطعام. ما جدوى الحفاظ على حياتك عندما يكون وجودك حيًّا ذاته محل شك من الأساس؟

اعترفت روبرتا: «أعلم أن المؤتمر الصحفي كان خطأ. لقد كان الوقت مبكرًا للغاية، ولم تكن مستعدًّا، لكنني نجحتُ إلى حد ما في السيطرة بفعَّالية على الأضرار التي نتجت عنه. المرة المقبلة التي ستواجه فيها الجمهور، سيكون الأمر مختلفًا».

هنا فقط، نظر إلى عينيها مباشرة، وقال: «لن تكون هناك مرة أخرى».

ابتسمتْ روبرتا بخفة، قائلة: «نعم! إلى أن تتمكن من السيطرة على أفكارك، وجعلها متماسكة». امتعض كام، ونظر بعيدًا مرة أخرى، قائلًا: «يمكنني ذلك طبعًا. إنه اختياري فحسب ألا أفعل». ربَّتت يده وتبللت عيناها، وهي تقول: «إنك فتى طيب وحساس يا كام. سأحرص على ألا ننسى ذلك. سأحرص أيضًا على حصولك على ما تريد، أيًّا كان. لن يجبرك أحد على فعل أي شيء لا تريد فعله».

- لا أريد مواجهة الجمهور.

قالت له روبرتا: «سترغب في ذلك، عندما يصبح جمهورك. عندما يتزاحمون ويتدافعون لمجرد إلقاء نظرة عليك. ليس ككائن غريب، لكنْ كنجم. نجم مشهور. عليك أن تُظهِر للعالم ما أعرف أنك قادر عليه».

ترددت للحظة وهي تستعد لإخباره بشيء ما. شيء ربما لا يكون مستعدًّا له بعد. قالت: «لقد فكرتُ في هذا كثيرًا، وأعتقد أن ما تحتاج إليه هو شخص يواجه الجمهور معك. شخص يتقبَّلك تمامًا، ويمكنه إثارة فضول العامة بطريقة إيجابية أكثر. وبهذا سيقل ميلهم إلى إصدار الأحكام».

رفع عينيه إليها، لكنها رفضتِ الفكرة قبل أن يتمكن حتى من اقتراحها، وقالت: «لا، لا يمكن أن يكون هذا الشخص أنا. فأنا راعيتُكَ والمسؤولة عنك. هذا لن يفلح. ما تحتاج إليه هو كوكب صغير للغاية يدور حول نجمك».

أثارت الفكرة اهتمامه. جعلتْه يدرك جوعه ليس إلى مجرد الطعام. إنه يتوق إلى التواصل. لم يرَ أحدًا في مثل عمره منذ أن صنعوه. لقد قرَّر أن عمره ستة عشر عامًا. لا يمكن لأحد أن يخبره بشيء يختلف عن هذا. أن يكون له رفيق -وُلِدَ ولم يُصنَع- من شأنه أن يُقرِّبه خطوة واحدة من أن يصبح إنسانًا حقيقيًّا. لقد حسبتْ روبرتا الأمر بشكل صحيح هذه المرة. منحه هذا قدرًا

مقبولًا من التحفيز. مدَّ يده مرة أخرى إلى أنبوب التغذية الوريدية، فتوسلت إليه روبرتا، قائلة: «لا تفعل يا كام. رجاءً، لا تفعل ذلك».

- لا تقلقي.

فصل الأنبوب وخرج من السرير لأول مرة منذ أسابيع. شعر بألم كبير في مفاصله، ومواضع التحام أنسجته. سار إلى النافذة، ونظر إلى الخارج. لم يكن يعرف حتى في أي وقت من اليوم هم الآن. الغسق. اختبأتِ الشمس الغاربة خلف سحابة فوق الأفق. تألق البحر بضوء متموج، وأصبحتِ السماء لوحة بارعة الألوان. أيمكن أن تكون روبرتا على حق؟ أيمكن أن تكون له رغبات في هذا العالم، كأي شخص آخر؟ هل يمكنه الحصول على المزيد؟

قال بحسم: «تقرير المصير. سأتخذ قرارات بنفسي الآن».

قالت روبرتا: «طبعًا، طبعًا. وسأكون بجوارك لتقديم المشورة لك».

- تقديم المشورة، وليس إصدار الأوامر. لن تكون لكِ سيطرة عليَّ. سأختار ما أفعله ومتى أفعله. وسأختار رفيقي بنفسي.

أومأت روبرتا برأسها، قائلة: «أوافق».

قال لها: «أحسنتِ.. أنا جائع. اطلبي منهم أن يحضروا لي شريحة لحم. (ثم أعاد التفكير) لا.. اطلبي منهم أن يحضروا لي استاكوزا».

قالت روبرتا وهي تسرع لتنفيذ أمره: «سأفعل كل ما يسعدك يا كام».

***

مكتبة
t.me/soramnqraa

18 - ريسا

استيقظت ريسا في منتصف الليل على صوت أقدام تصعد مدخل الطائرة «آكماك» المائل. إنها تأمل ألا يكون هذا الزائر -القادم في وقت متأخر من الليل- لها، لكنه دائمًا ما يكون كذلك. لا أحد يأتي إلى هنا في منتصف الليل، ما لم يكن هناك نوع من الطوارئ الطبية التي تتطلب اهتمامها.

سحبتْ كيانا الستار، واقتحمتِ المكان، وهي تقول: «لقد أحضروا صبييْن للتو يا ريسا. حالتهما سيئة، سيئة بحق».

تبلغ كيانا من العمر ستة عشر عامًا، وتعمل في المناوبة الليلية للمستوصف، وتعيش بشكل درامي، ودائمًا تعلن الأنباء بشكل مبالغ فيه، كمن يلقي بقنبلة. قبل التخلص منها، كانت تنتمي إلى أسرة من الأطباء، لذلك توجد شريحة على كتفها، تكشف عنها عندما تريد إثبات أنها طبيبة مبتدئة جيدة، لذلك عادة ما تكون مبالغاتها فقط لإظهار نفسها بمهارة أكبر، عندما تتعامل بنجاح مع حالات الطوارئ. لكنَّ حقيقة أن كيانا جاءت لاستدعاء ريسا أولًا، دون أن تحاول أخذ المجد كله لنفسها، يعني أن الموقف لا بدَّ أن يكون خطرًا حقًّا.

قالت لها كيانا: «إنهما صبيان كانا يعبثان بتوربين أحد المحركات، فسقط عليهما المحرك بأكمله».

سحبت ريسا نفسها من الفراش، لتجلس على مقعدها المتحرك، قائلة: «ما الذي جعلهما يعبثان بمحرك توربيني في منتصف الليل؟».

- أعتقد أنه كان نوعًا من التحدي لمن يجرؤ.

- هذا رائع!

نصف الإصابات التي تراها ريسا إما أن تكون مدمرة للذات أو مجرد غباء. كثيرًا ما تتساءل هل كانت هذه هي طبيعة المكتملين فقط، أم إن هذا هو ما يحدث في العالم الخارجي.

عندما وصلت إلى طائرة المستوصف الطبي، كان كل مسعف -في نوبة عمله أو أنهاها- موجودًا فعلًا. وبينما كان اثنان منهما من المراهقين الأكبر سنًّا -الذين بقوا في المقبرة عندما بلغوا السابعة عشرة من عمرهم- فإن الباقين مجرد صبية تدربوا على علاج الإصابات الطفيفة، لا أكثر. مشهد الدم لم يعد يخيف ريسا بعد الآن. ما يخيفها هو قيودها الخاصة، وبمجرد أن دخلتِ المكان، عرفتْ أن الأمر يتجاوز حدودها.

في أحد الأركان، كان أحد الصبية مُتجهِّمًا وهو يتأوه، ومن الواضح أن كتفه مخلوعة، لكنه لم يحظَ إلا بالحد الأدنى من الاهتمام، لأن الصبي الجالس على الطاولة كان أسوأ حالًا بكثير. في جانبه جرح كبير وحاد، رأت ريسا من خلاله -على الأقل- ضلعًا مكسورة. أخذ يرتجف ويئنُّ. اندفع العديد من الصبية محاولين إيقاف النزيف، والضغط على الشرايين الرئيسية، في حين حاول صبي آخر مرتجف اليدين ملء محقن بمادة ما، فسألته ريسا: ««ليدوكائين» أم «إبينفرين»؟»، فقال لها بلهجة استفهامية «ليدوكائين؟».

- سأتولى الأمر بنفسي. هناك حقن «إبينفرين» معدَّة فعلًا.

نظر إليها كمن أمسكوه في فناء المدرسة، دون تصريح.

قالت: ««الأدرينالين»! إنه مثل «الأدرينالين»».

- هذا صحيح! أعرف أين هم!

حاولتْ ريسا التركيز، دون أن تترك الصورة الأكبر تربكها، وحقنت الصبي المصاب بالحقنة الأولى، التي ستخفف الألم.

سألت ريسا «هل اتصل أحدكم بالطبيب؟».

قالت كيانا: «ثلاث مرات تقريبًا».

هناك طبيب يأتي إلى المقبرة، عندما يكون لديهم أمر لا يمكنهم التعامل معه. يفعل ذلك دون مقابل وبلا أسئلة، لأنه متعاطف مع المقاومة. لكنه لا يتلقَّى مكالماتهم إلا عندما يريد ذلك. وحتى لو تمكنوا من الوصول إليه، فإن ريسا تعرف ما سيقوله.

- علينا نقله إلى المستشفى.

بمجرد أن قالت ذلك، شعر الصبية بارتياح واضح، لأن حياة هذا الصبي الآن لن تكون في أيديهم. مع كل الإصابات التي تحدث في المقبرة، اضطرُّوا مرتين فقط من قبل إلى إرسال صبي إلى المستشفى. في المرتيْن مات الطفل المصاب. لكنَّ ريسا أصرَّت على أن ذلك لن يحدث مرة أخرى.

قال الصبي وسط لهاثه وتقلص وجهه: «الجرح يؤلمني بشدة».

فقالت ريسا، وهي ترى عينيْه وقد بدأتا تدوران في محجريهما: «لا تتحدث.. استمر في التركيز عليَّ». لقد حقنتْه بمادة «الإبينفرين» التي من شأنها أن تقلل نزيفه، وأملتْ أن تحميه من الإصابة بصدمة.

- ما اسمكَ؟

قال: «ديلان، ديلان وورد».

- حقًّا؟ لقد كان اسمي الأخير وورد أيضًا. كنتُ في ملجأ «ولاية أوهايو» رقم 23.

- كنتُ في «فلوريدا ماجنوليا». ملاجئ «ولاية فلوريدا» ليس لها أرقام. إنها تحمل أسماء الزهور.

ديلان وورد في الثالثة عشرة من عمره، وربما في الرابعة عشرة. لديه شفة مشقوقة بشدة، غضبتْ ريسا عندما نظرتْ إليها، لأنه مثلها، كان نزيلًا في ملجأ الولاية، وبينما لا يُقرر الوالدان تفكيك طفل بسبب مظهره فقط، فإن منازل الولاية لا تمانع في تفكيك الأطفال الذين لا تريد أن تنظر إليهم. لقد أصبح إنقاذه بالنسبة إلى ريسا الآن مسألة شرف. أخبرت كيانا أن تحضر سيارة الإسعاف.

قالت لها كيانا: «إن بها إطارًا تالفًا».

تذمرت ريسا في إحباط: «أصلحيه!».

فقال لها ديلان، واضعًا كل ثقته بها: «لا تغادري».

طمأنتْه، قائلة: «لن أفعل».

تواصل المقاومة وعودها بوضع طبيب بشكل دائم في المقبرة، لكنَّ هذا لم يحدث بعد. إنها تعلم أن المقاومة لها أولويات أخرى، لكنْ عندما ينزف طفل، فهذا عذر واهن للغاية.

سأل ديلان: «أسأموت؟».

قالت له: «طبعًا لا».

في الحقيقة، لم تكن ريسا تعرف هل كان سيعيش أم سيموت، لكنْ لن يريحه أن يسمع ذلك، ولا أحد يريد الحقيقة عندما يطرح هذا السؤال.

دفعتْ ريسا مقعدها، لتشق طريقها فوق أي حطام موجود على الأرض، ثم هبطتِ المنحدر الخلفي للطائرة، حيث اجتمع مجموعة من الأطفال ليبدوا قلقهم.

تقدم طفل واحد. إنه ستاركي. منذ أن عيَّنه كونور مسؤولًا عن خدمة الطعام، اعتقد أن بإمكانه دسَّ أنفه في كل شيء. قال لها: «أهناك أي شيء يمكنني فعله؟».

- ليس إلا إذا كانت لديك قوى الانتقال الآني، ويمكنك نقلنا إلى المستشفى.

قال لها: «يؤسفني أن ما أفعله مجرد حيل سحرية».

هنا حضر كونور عَدْوًا، وقال: «سمعتُ بالحادث. هل الجميع بخير؟».

هزَّت ريسا رأسها نفيًا، قائلة: «صبي واحد يمكننا الاعتناء به، ولكنَّ الآخر (ارتجفت مرة أخرى على ذكره) يجب أن يذهب إلى المستشفى».

زمَّ كونور شفتيه، وبدأت ساقاه تهتزان مثلما حدث عندما كان في البيوت الآمنة. أوقف رد فعله الخائف من خلال ضرب قبضته في كف يده الأخرى، وأومأ برأسه، قائلًا: «حسنًا، حسنًا، سنفعل ما يجب فعله». عندئذٍ فقط بدا أنه قد لاحظ وجود ستاركي هناك، فسأل ريسا: «هل يساعدك ستاركي؟».

قالت ريسا: «ليس حقًّا. (ثم أضافت، لمجرد التخلص منه) يمكنه المساعدة في إصلاح إطار سيارة الإسعاف التالف».

بدا الإحساس بالإهانة على وجه ستاركي للحظة، ثم ابتسم، قائلًا: «نعم، لا مشكلة». وانطلق مهرولًا.

إن سيارة الإسعاف هي شاحنة صغيرة بلا مقاعد، ومجهَّزة بأجهزة طبية. أسرع الصبية خارجين بديلان من المستوصف، ووضعوه داخل الإسعاف. سيقود أحد المسعفين الآخرين، وترعى كيانا ديلان في الكابينة الخلفية. نادى الصبي ريسا، لكنها عجزت عن مرافقته. ومرة أخرى لعنتْ مقعدها المتحرك في صمت.

ظلَّ ستاركي موجودًا، واستدار إلى كونور يسأله: «أتعني أنك لن تذهب؟».

قال له كونور: «لم يغادرِ الأدميرال المقبرة أبدًا حتى نُقِلَ منها. وأنا أحتذيه في القيادة».

هزَّ ستاركي كتفيْه، قائلًا: «إن هذا يجعلك تبدو جبانًا. (حدجه كونور بنظرة سريعة، فأضاف) مم، أنا أنبهك فقط».

قال كونور بقوة: «لا أهتم كيف يبدو موقفي في نظر الآخرين. أنا أفعل ما عليَّ فعله للحفاظ على بقاء هذا المكان».

- أعتذر، لا أقصد مطلقًا عدم الاحترام، أعتقد أن عليَّ تعلم الكثير عن القيادة.

أومأ ستاركي برأسه باحترام لريسا وغادر، ولكنَّ ما قاله ظل عالقًا في ذهنها كما لو كان علكة التصقت بحذائها، أو على الأقل، كما كان يحدث عندما كانت قدماها تلمسان الأرض. إن كونور على حق طبعًا. إذا ذهب إلى المستشفى، فسيكون ذلك استعراضًا متهورًا ومتبجحًا، يدل على زعيم متعجرف، وليس قائدًا مسؤولًا. لكنَّ ريسا -من جهة أخرى- لا يعوقها شيء سوى مقعدها المتحرك. ومتى تركت ذلك يوقفها؟

قالت لكونور: «سأذهب هذه المرة».

رفع كونور يديه، قائلًا: «لا أحد يتوقع منكِ الذهاب يا ريسا. لن يعتقد أحد أنكِ جبانة، إن لم تذهبي. (نظر إلى الشاحنة الصغيرة، مضيفًا) وذهابك إلى هناك، ســـ...».

أنهت ريسا له العبارة: «سيشكِّل عبئًا إضافيًّا؟».

- كنت سأقول إن ذهابك سيكون جهدًا إضافيًّا، وكل ثانية مهمة لهذا الصبي.

لكنها أصرَّت، وقالت له: «بعد ما حدث في المرتين السابقتين، لا بدَّ أن أذهب».

أوضح كونور: «لن يغير ذلك النتيجة في الحالتين».

قالت له: «أعرف»، رغم أنها ليست واثقة تمامًا أنه على حق. تراجع كونور، فيما رفع اثنان من المسعفين مقعدها إلى الشاحنة.

ذكَّرته قائلة: «حتى لو أمسكوا بي، لا يمكنهم تفكيكي. أنا في السابعة عشرة من عمري. إضافة إلى أن المعاقين لا يمكن تفكيكهم».

- ماذا لو تعرَّفوكِ؟

قالت ريسا: «لا داعي إلى ذلك، رجاءً. إنها أسماؤنا التي يعرفها الناس أكثر بكثير من وجوهنا. سأكون بخير». ثم منحتْه ابتسامة طفيفة، لكنها صادقة، فردَّها بتحفظ. حوارهما ليس كافيًا لسد الفجوة بينهما، لكنه على الأقل يحدد المكان الذي يمكن بناء الجسر فيه. أغلقت ريسا الباب الخلفي للشاحنة دون أن تقول وداعًا، لأنهما يؤمنان بخرافة سرية، تنص على ألا يودعا بعضهما أبدًا. لكنَّ ريسا ستندم قريبًا على أنها لم تودعه.

***

كانت رحلة وعرةً إلى خارج المقبرة على طرق غير ممهَّدة، فقط الصحراء القاسية التي سوَّتها عجلات الطائرات. المسافة أكثر من ميل إلى البوابة. في الخلف، تأوَّه ديلان مع كل نتوء تطأه السيارة. مع اقترابهم، فتح الحرس المناوبون البوابة بسرعة، عقب إخطارهم بوجود حالة طوارئ.

بمجرد أن أصبحوا على الطرق المعبَّدة، أصبحتِ الرحلة أسهل، وهدأ ديلان، فيما عملت ريسا على راحته وراقبت علاماته الحيوية.

أول مرة اضطرُّوا فيها إلى نقل صبي إلى المستشفى، شهدتْ ذهابَ كيانا مع أحد المسعفين الآخرين، وهو صبي يصاب بالذعر عندما لا تلتصق الضمادات الطبية، لكنه كان المسعف الآخر الوحيد الذي يتمتع بخبرة طبية، ومستعد للمغامرة بمغادرة المقبرة في مهمة قد تكون انتحارية. في تلك المرة الأولى، قفز قادم جديد إلى ذيل طائرة شحن، في تحد للشجاعة، لكنه سقط وانكسرت جمجمته. كانت ريسا ستذهب، لكنَّ الجميع أقنعها بأن ذهابها ليس عمليًّا تمامًا، ولا جدوى منه. أخذت كيانا والطبيب العصبي الصبيَّ إلى المستشفى، مع قصة مزيفة بالكامل لما حدث، ووثائق هوية مزورة. مات الصبي في المستشفى. في المرة الثانية، كانت فتاة انفجرت زائدتها الدودية. مرة أخرى نُقِلَتِ الفتاة إلى المستشفى، ومرة أخرى بقيتْ ريسا في المقبرة، ومرة أخرى ماتت الفتاة.

لم تعرفْ ريسا ما يمكن أن يفعله وجودها في المستشفى. كل ما كانت تعرفه هو أنها لا تستطيع الجلوس وانتظار سماع خبر وفاة طفل آخر.

ساعدت كيانا ريسا على الخروج من الخلف، ثم حملت ديلان بمفردها إلى غرفة انتظار الطوارئ، في حين دفعت ريسا مقعدها، قادمة خلفها. وهنا كان

على ريسا أن تعرض مهاراتها في التمثيل. فكرت في أصدقائها في الفرقة الذين كانوا يعزفون في متجر التقطيع عندما انفجر -أولئك الذين ماتوا- والذكرى جلبت الدموع التي تحتاج إليها إلى عينيها. ثم استدعت في ذهنها الشخصية التي أنقذتْها مرة من قبل: الفتاة الحكيمة التي تتحدث بالأسئلة.

- مرحبًا، أيمكن لأحد أن يساعدنا؟ كان أخي يُصلِح بلاط السطح، فسقط من أعلى وأصيب بشدة، ولم نعرف ماذا نفعل؟ لذا أحضرناه إلى هنا، لكنْ هناك الكثير من الدماء، ونحن خائفون حقًّا، هل يمكن أن تساعدونا؟

كانت تأمل أن تتمكن الدموع والأداء الدرامي من خداع قدرة أي شخص على كشف المبالغات، بفعَّالية الطائرة الشبح «هاش بوبي»، التي خدعتِ الرادار في إحدى المرات. هناك شائعات تقول إن شرطة الأحداث قد بدأتْ في استخدام أجهزة فك شفرة الحمض النووي في هذا المجال. لم تملكْ إلا أن تأمل عدم وصول تلك التقنية إلى المستشفيات بعد.

ترك موظفو غرفة الطوارئ كل ما يفعلونه، وهُرِعُوا لمساعدتهم. في ثانية واحدة، وضعوا ديلان على نقالة، ودفعوها خلال الأبواب المخصصة للموظفين فقط.

سألت ريسا، في حالة من الذعر المزيف جزئيًّا: «أسيكون بخير؟ لأن والديْنا خارج المدينة، ولم نكن نعرف ماذا نفعل؟».

قالت ممرضة في لهجة مطمئنة: «سنعتني به يا عزيزتي. لا تقلقي». نظرت الممرضة إلى كيانا، التي كانت دماء ديلان تُلطِخ ملابسها، ثم توجهت إلى غرفة الطوارئ.

أُغلِقَتِ الأبواب، وذهبتْ ريسا إلى مكتب تسجيل دخول المرضى، مع مجموعة معدَّة بعناية من المعلومات الخاطئة، المدبَّرة لتبدو غير منظمة، والمصمَّمة عمدًا لإظهار ريسا في هيئة عاجزة ومرتبكة.

قال موظف تسجيل المرضى، مستسلمًا: «سنفحص هذا كله لاحقًا». ثم انتقل إلى الشخص التالي في الصف.

***

مضتْ ساعة من الانتظار دون أن يأتيهم أي خبر. ظلتْ كيانا تقطع الردهة بخطى سريعة بلا توقف، مهما طلبتْ منها ريسا أن تهدأ، لكنْ ربما يؤدي

التوتر دورًا في إحكام القصة التي حكوها. وأخيرًا، دخلتِ الممرضة نفسها إلى غرفة الانتظار، وبعض الدموع تبدو في عينيها، فشعرتْ ريسا بألم في بطنها بسبب الخوف والتوتر، كما لو أن ديلان -الذي لم تكن تعرفه قبل اليوم- هو شقيقها حقًّا.

- عزيزتي، أخشى أن الأخبار ليست جيدة. عليكِ أن تستعدي.

أمسكتْ ريسا بعجلات مقعدها، وشعرتْ بنهر من العواطف يبدأ في الفيضان بأعماقها. أما كيانا، فوضعت رأسها بين كفيها.

قالت الممرضة: «يؤسفني ذلك، لكنَّ شقيقك أصيب بجروح بالغة. لقد فعلنا كل ما في وسعنا».

نظرتْ إليها ريسا في حالة من الصدمة وعدم التصديق. وضعتِ الممرضة يدها على ريسا وربَّتتها برفق، قائلة: «لا أستطيع أن أتخيل ما تشعرين به الآن، لكن سيتعين علينا إخطار والديكِ. لقد كنا نحاول، لكنْ لا أحد يرد على الأرقام التي قدمتِها لنا. هل لديكِ أي وسيلة أخرى للاتصال بهما؟».

هزت ريسا رأسها نفيًا، وشعرها يتدلى أمام وجهها.

فقالت الممرضة: «حسنًا، علينا مواصلة المحاولة. في هذه الأثناء، فلتفكري إذا كان هناك أي شخص آخر يمكنك الاتصال به».

سألتها ريسا بهدوء: «هل يمكنكِ أن تمنحينا بضع لحظات؟».

قالت الممرضة: «طبعًا يا عزيزتي». ثم ضغطتْ على يدها لتطمئنها، وعادت أدراجها من خلال أبواب غرفة الطوارئ، حيث ينتظر جسد ديلان أن يطالب به الوالدان غير الموجودين.

مسحتْ ريسا دموعها، محاولة أن تجدَ الراحة في حقيقة أنها قد بذلتْ قصارى جهدها.

ثم قالت كيانا: «تمامًا كما حدث في المرتين السابقتيْن».

قولها هذا جعل ريسا تنظر إلى أعلى، وحدث لها شيء ما.

تساءلت إلى أي مدى يتشابه الأمر.

- كيانا.. أنت تعلمين أن من المفترض أن نذهب إلى مستشفى مختلف في كل مرة، أليس كذلك؟

من خلال النظرة البادية على وجه كيانا، أدركت ريسا أنها لم تتعلمْ قط هذا البروتوكول بعينه. وسألتها كيانا: «أيجب ألا يكون أقرب مستشفى في حالة الطوارئ؟».

الرهبة المفاجئة التي شعرت بها ريسا، توازنتْ مع قدرٍ مساوٍ من الأمل.

- في المرتيْن الأخريين اللتين جئتِ فيهما هنا، هل رأيتِ الممرضة نفسها؟

- أعتقد ذلك. مرة على الأقل. هذا مؤسف، أليس كذلك؟

- نعم ولا. سأعود إليكِ.

دفعتْ ريسا مقعدها المتحرك نحو أبواب الموظفين المعتمدين، وعَبَرَتْها، لتجد نفسها في ردهة مضاءة بشكل صارخ، وأقل جاذبية من غرفة الانتظار.

بينما يتدفق المئات من الأشخاص على غرفة الطوارئ، لا يوجد العديد من المراهقين الذين لهم آباء مجهولون لا يمكن الوصول إليهم، والذين يختفي «أشقاؤهم» عند إعلان موت المريض. لا بدَّ أن هذه الممرضة قد تعرفتْ كيانا، لم يكن لدى ريسا أي شك. وهذا ما يعني أن هناك أكثر من مستوى من الخداع هنا.

قال أحدهم من نهاية القاعة: «أرجو المعذرة، ليس من المفترض أن تكوني هنا».

لكنَّ ريسا لم تعبأ بقوله، وواصلتْ دفع مقعدها إلى غرفة كبيرة مكتوب عليها الإنعاش. قُسِّمَتِ الغرفة بستائر إلى حجرات بها أسرَّة، وبدأت تسحب ستارة تلو الأخرى. سرير فارغ. عجوز. سرير آخر فارغ، وأخيرًا، ديلان وورد. ضُمِّدَ جرحه. ذراعه متصل بالمحاليل. فاقد الوعي، لكنَّ الشاشة تظهر دقات قلب منتظمة. إنه حي بالتأكيد.

عندئذ، جاءتِ الممرضة من خلف ريسا وأدارت مقعدها. لم تعدْ عينا المرأة دامعتيْن كما كانتا من قبل.

- عليكِ المغادرة الآن، وإلا سأتصل بالأمن.

أغلقتْ ريسا مكابح مقعدها، بحيث لا يمكن تحريكه، وقالت لها: «لقد أخبرتِني أنه قد مات!».

- وأنتِ أخبرتِني أنه شقيقكِ.

- سنأخذه ونغادر.

قالتْها ريسا، واضعة كل ما لديها من قوة وحسم في صوتها، لكي يكون أمرها نافذًا، لكن من سوء الحظ، لم يحدثِ التأثير المطلوب.

- إنه ليس في وضع يسمح له بالسفر، وحتى لو كان كذلك، فلن أسلِّم هاربًا من التفكيك، إلا لسلطة الأحداث.

- أهذا ما فعلتِه مع الصبييْن الآخريْن؟ هل سلمتِهما لرجال شرطة الأحداث؟

قالت لها الممرضة بمنتهى البرود: «هذا عملي».

- على الأقل، كوني لطيفةً معي، وأخبريني أكان الاثنان الآخران حيَّين، أم لا.

نظرت إليها الممرضة بغيظ، ثم قالت: «إنهما حيَّين. لكنْ ربما أصبحا الآن في حالة منقسمة».

تمنتْ ريسا لو أن بإمكانها مغادرة مقعدها المتحرك، لتضرب تلك المرأة بالحائط. تبادلتْ كل منهما نظرات نارية أحرقتِ الهواء بينهما مثل أجهزة الميكروويف.

- أتظنين أنني لا أعرف ما يجري هناك في المقبرة؟ أنا أعرف كل شيء؛ فأخي شرطي أحداث. إنه لأمر عجيب أنهم لا يحاصرونكم جميعًا، ويرسلونكم إلى حيث تنتمون! (وأشارت بيدها كما لو كانت تعرف الاتجاه الدقيق لأقرب مخيم حصاد) الناس هناك يموتون بسبب نقص الأعضاء، لكنكِ وأصدقاءكِ الأنانيين في المقاومة تفضلون ترك الناس الطيبين يموتون.

فكرت ريسا: «هذا هو بالضبط». الصدع بين نسختيْن مختلفتيْن تمامًا من الصواب والخطأ. هذه المرأة تعتبر ريسا خارجةً عن القانون، ولا شيء قادر على تغيير ذلك أبدًا.

سألتها ريسا: «هل تفعلين هذا حقًّا لمساعدة المجتمع، أم للحصول على مكافأة مالية؟».

شاب نظرة المرأة بعضُ الانكسار، فعرفتْ ريسا الحقيقة. لقد تحطَّم تمثال أخلاق المرأة الرفيعة، وسقط في الهاوية.

قالت الممرضة: «فلتعودي وتعتني بجمعكِ القذر. غادري، وسأتظاهر بأنكِ لم تحضري إلى هنا قطُّ».

لكنَّ ريسا لم يكن بإمكانها الذهاب. لا يمكنها ترك ديلان يتفكك. هنا، دخل أحد رجال شرطة الأحداث إلى غرفة الطوارئ، فنادتْه الممرضة: «أنا هنا»، ثم عادتْ تنظر إلى ريسا، قائلة: «غادري الآن، وسأسمح لكِ بالذهاب مع صديقتكِ الجالسة في غرفة الانتظار. ربما لا يمكن تفكيككِ، لكن بالتأكيد يمكن حبسكِ».

لكنَّ ريسا لم تتحرك من مكانها. حَيَّتِ الممرضة الشرطي الذي يبدو -بوضوح شديد- شقيقها الأكبر. ألقى نظرة فضوليّة طويلة على ريسا، قبل أن ينظر إلى الصبي في السرير، وسأل: «أهذا هو؟».

- لقد استقرتْ حالته، لكنه فقد الكثير من الدماء. لن يكون نقله ممكنًا لبعض الوقت.

قال الشرطي: «أبقيه مُخَدَّرًا. من الأفضل ألا يستيقظ حتى يصل إلى مخيم الحصاد».

أمسكتْ ريسا مقعدها، وهي تعلم ما ستفعله، قبل عشر ثوانٍ على الأقل من فعله. عشر ثوان من الرعب الشخصي الصامت، لكنْ بلا تردد على الإطلاق.

قالت للشرطي: «خذني.. خذني أنا بدلًا منه».

كانت تعرف أن كونور لن يوافق على ذلك، وتعرف أنه سيغضب، لكنها لم ترغب في تشويش عزمها بالتفكير فيه الآن. الأمر يتعلق بإنقاذ ديلان وورد. فحصها الشرطي، وبدا واضحًا أنه يعرف بالضبط من هي، وماذا يعني عرضها بالتحديد.

- ما أفهمه يا آنسة وورد، أنكِ في السابعة عشرة من عمرك، ولكونك قعيدة، لم نتمكن من تفكيكك على أيٍّ حال. ماذا يمكن أن تكون قيمتك إذن؟

ابتسمتْ، وقد رجحت كفتها أخيرًا، وقالت: «هل تمزح معي؟ إنني ببساطة عضو معروف في المقاومة ضد الانقسام، وأعرف بالضبط ما حدث في «هابي جاك» ذلك اليوم».

استغرق لحظة، ليستوعب ما قالته، ثم قال: «أنا لست بأحمق. لن تتعاوني معنا أبدًا. ستفضلين الموت على التعاون».

أقرَّت ريسا: «ربما، لكنْ لماذا يجب أن يكون هذا الأمر مهمًّا بالنسبة إليك؟ بصرف النظر عن مدى عدم تعاوني، ستنال الثناء لأنك قبضت عليَّ، أليس كذلك؟».

أمكنها عمليًّا أن تسمع عقله يدرس الأمر ويحسبه، ثم قال: «ما الذي سيمنعني من الإمساك بكِ أنت والصبي الراقد في فراشه؟».

قالت ريسا بهدوء: «إذا حاولتَ، فستخسر الجائزة. توجد كبسولة «سيانيد» تحت الجلد في راحة يدي. (مدت يدها له لتريه) إنها تحت الجلد مباشرة. كل ما عليَّ فعله هو أن أصدم كفيَّ معًا، لتنفتح الكبسولة». ثم فتحت كفيها على نطاق واسع، ومثَّلت أنها تصفق، ثم توقفت عندما أصبحت كفاها على مسافة قريبة من بعضهما، وقالت بابتسامة: «أنت تعلم أن هناك أكثر من نوع واحد من المُصَّفقين».

طبعًا، لم تكن هناك مثل هذه الكبسولة تحت جلدها، لكنْ ليس عليه أن يعرف ذلك. حتى لو اشتبه في كونها مخادعة، فلن يكون واثقًا بما يكفي للمخاطرة بذلك.

قالت ريسا: «إذا مِتُّ هنا الآن، فلن تُعرَف بالشرطي الذي قبض عليَّ، لكنْ بالشرطي الذي تركني أموت في أثناء احتجازه إياي. (ثم ابتسمتْ مرة أخرى) هذا يكاد يماثل سوء إصابة أحدهم في ساقه، برصاصة تهدئة من مسدسه، أليس كذلك؟».

استاء الرجل من فكرة ارتباطه بأي شكل مع شرطي الأحداث الآخر سيئ الحظ.

لم تكن الممرضة راضية عن أيٍ مما يحدث، فعقدت ذراعيها أمام صدرها، متسائلة: «ماذا عن مكافأتي الماليةّ؟».

التفتَ إليها شقيقها، كما على الأخ الأكبر أن يفعل، وقال: «اخرسي يا إيفا، حسنًا؟ أغلقي فمكِ فحسب».

وبهذا تمت الصفقة.

ستظل بيانات ديلان المزيَّفة مسجلة في ملفه، وعندما يصبح قادرًا على السفر، سيسلموه إلى كيانا، دون طرح أي أسئلة.

لكنْ بالنسبة إلى ريسا، فإن حياتها منذ تلك اللحظة ستتخذ مسارًا مختلفًا.

***

19 - كام

ليس من السهل العثور على شريك مناسب لكامو كومبري، شريك يتمتع بكل الصفات الملائمة. عُقِدَتْ مقابلات لأكثر من مائتي فتاة. كل منهنَّ لديها مؤهلات قوية. فمنهنَّ ممثلات وعارضات أزياء وباحثات ومنتميات إلى المجتمع الراقي. لم تترك روبرتا أي حجر دون أن تقلبه، بحثًا عن الكوكب المثالي لنجمها.

أحضروا العشرين فتاة المتأهلات من التصفيات إلى كام، لتقييمهنَّ في مقابلة هادئة بجوار المدفأة في غرفة الجلوس الكبرى. كلهنَّ متأنقات وجميلات وأنيقات. تحدث معظمهنَّ عن سِيرهنَّ الذاتية، كما لو كنَّ متقدمات لوظيفة مكتبية. بعضهنَّ نظرن إليه دون قلق، بينما لم تستطع الأخريات النظر إلى عينيه مباشرة على الإطلاق. هناك فتاة فحصته بالكامل بنظرة نارية، أشعتْ حرارةً أكبر مما ينبعث من المدفأة.

قالت له: «أودُّ أن أكون فتاتك الأولى.. يمكنك فعلها، أليس كذلك؟ أعني أنك... كامل، أليس كذلك؟».

قال لها ساخرًا: «أكثر من كامل في الواقع».

حدقت إليه في دهشة، فقرر ألا يخبرها أنه يمزح.

وجد نفسه منجذبًا إلى بعضهنَّ، بينما لم تترك الأخريات به أي تأثير، لكنه لم يعثر في أي منهنَّ على شرارة التواصل التي تمناها. بحلول الوقت الذي وصل فيه إلى الفتاة الأخيرة -وهي عالمة من «بوسطن» تتمتع بحس الموضة في «نيويورك»- كان كل ما يريده هو أن ينتهي هذا اليوم فحسب. كانت الفتاة من اللاتي أثار وجهه اهتمامهنَّ. لم تنظر إليه فحسب، بل أخذت تفحصه، كما لو كان عينة تحت المجهر.

سألها: «أخبريني، ما الذي ترينه عندما تنظرين إليَّ؟».

فأجابت: «ما بالداخل هو المهم، وليس المظهر».

- وماذا تعتقدين أنه يوجد بداخلي؟

ترددت، ثم سألته: «أهو سؤال خداعي؟».

تغضب روبرتا عندما يرفض إحداهنَّ. عشاؤهما في تلك الليلة ساده صوت تحريك الأواني الفضية، وتقطيع اللحوم بقوة. بالكاد تبادلا النظرات خلال الطاولة. في النهاية، قالت روبرتا: «نحن لا نبحث عن توأم روحك يا كام، بل مجرد شخص ليؤدي دورًا محددًا. رفيقة تساعد على تسهيل دخولك إلى الحياة العامة».

- ربما لا يرضيني التنازل، والقبول بذلك.

- أن تكون عمليًّا، لا يعني أن تتنازل.

خبط كام بقبضته على الطاولة، قائلًا: «إنه قراري! لن تجبريني على شيء».

- لن أفعل طبعًا، لكن...

- انتهت المحادثة.

ثم عاد صوت الأواني الفضية ليسود الجو على مائدة الطعام، لكنْ بعنف أكبر. كان يعرف في داخله أنها على حق، وهذا ما أغضبه بشدة. كل ما يحتاجان إليه لإنجاح مخطط روبرتا، هو فتاة جذابة وأنيقة تمسك بيده، وتقنع العامة بأن هناك الكثير من الصفات المحبوبة في كام. لكنه لا يجد في نفسه القُدرة على التمثيل. ربما يمكنه التظاهر بذلك، لكنه يخشى لحظات الوحدة، عندما يتعيَّن عليه مواجهة فراغ علاقة زائفة.

الفراغ.. هذا ما يعتقد الناس وجوده بداخله. فراغ كبير. وإذا أخفق في العثور على توأم روحه بين الفتيات اللاتي عُرِضْنَ عليه، فهل هذا يعني أنهم على حق، وأنه بلا روح؟

قال: «أنا غير مكتمل. لو كنتُ مكتملًا، فلماذا أشعر أنني لست كذلك؟».

وكالعادة، تصرفتْ روبرتا بشكل يهوِّن عليه الأمر، بهدف تهدئة عقله، لكنْ مع مرور الوقت، لم تعد حكمتها المكررة تضيف إليه شيئًا، بل إنها تصيبه أيضًا بخيبة أمل.

قالت له: «الكمال يأتي عندما تصنع خبراتك يا كام. عِشْ حياتك، وسرعان ما ستجد أن حياة من سبقوك لن تكون مهمة. من صنعوك لا أهمية لهم، مقارنة بما أنت عليه».

لكنْ كيف يمكنه أن يعيش حياته وهو غير مقتنع بأن لديه حياة؟ ما زالت الهجمات في المؤتمر الصحفي تعصف به. إذا كان للإنسان روح، فأين روحه؟ وإذا كانت روح الإنسان لا يمكن تقسيمها، فكيف يكون هو مجموع أجزاء كل الصبية الذين منحوه الوجود؟ إنه ليس واحدًا منهم، وليس جميعهم، فمن هو؟

أسئلته جعلتْ روبرتا تفقد صبرها، فقالت: «أنا آسفة، لكنني لا أستطيع التعامل مع أسئلة لا إجابات لها».

سألها كام: «أيعني ذلك أنك لا تؤمنين بوجود الروح؟».

- لم أقلْ ذلك، لكني لا أحاول الرد على الأمور التي لا تحتوي على بيانات ملموسة. إذا كان للناس أرواح، فلا بدَّ أن لك روحًا، أثبتت وجودها مجرد حقيقة أنك حيٌّ.

- لكنْ ماذا لو لم يكن هناك «أنا» بداخلي؟ ماذا لو كنتُ مجرد جسد يتحرك، ولا يوجد شيء بداخله؟

تأملتْ روبرتا قوله -أو تظاهرتْ بذلك على الأقل- ثم قالت: «حسنًا، لو كان الأمر كذلك، فأنا أشك في أنك كنت ستتمكن من طرح هذه الأسئلة. (فكرت للحظة) إذا كان يجب أن تكون لديك نظرية ما، ففكر في الأمر بهذه الطريقة: سواء كان الإله هو من غرس بنا الوعي، أم صنعتْه جهود عقولنا، فالمحصلة النهائية هي نفسها: وجودنا».

أضاف كام: «إلى أن نتلاشى».

أومأت روبرتا برأسها، قائلة: «نعم، إلى أن ينتهي وجودنا» وتركتْه بلا إجابة عن أي من أسئلته.

***

تطوَّر العلاج الطبيعي إلى جلسات تدريبية كاملة باستخدام الآلات والأوزان الحرة، إلى جانب تمارين الكارديو. كان كيني أقرب ما يكون إلى صديق بالنسبة إلى كام، إلا إذا أحصينا روبرتا والحرس الذين ينادونه بكلمة «سيدي». فهم يُحدِّثونه بصراحة عن الأشياء التي قد ترغب روبرتا في رصدها.

سأل كيني، فيما يصعد كام على جهاز المشي: «إذن، فقد كان البحث العظيم عن صديقة لك مخفقًا، أليس كذلك؟».

قال كام، مُقلدًا لهجة روبرتا: «لم نعثر بعد على رفيقة للمخلوق».

ضحك كيني، ثم قال لكام: «لديك الحق في أن تكون انتقائيًّا. يجب ألا تقبل بأقل مما تريد».

أنهى كام تمرينه، وبدأت الآلة في التباطؤ، فقال: «حتى لو لم أستطع الحصول على ما أريد؟».

نصحه كيني: «هذا سبب إضافي للمطالبة بما تريد، لأنهم ربما يقتربون من الهدف بعد ذلك».

قد يكون منطقًا سليمًا، رغم أن كام يشك أنه لن يفيد سوى في إعداده لتلقي خيبة الأمل.

في تلك الليلة، ذهب بمفرده إلى الكمبيوتر الموجود في غرفة الجلوس، وبدأ يبحث في ملفات الصور. معظمها صور عشوائية ما زالت روبرتا تختبره بها، وإن لم يكن ذلك يحدث بانتظام، كما كان في السابق. ما يبحث عنه ليس في هذه الصور. وجد ملفًا يحتوي على صور كل الفتيات اللاتي قابلهنَّ. مائتي وجه مبتسم وجميل مع سير ذاتية مرفقة. بعد وهلة، بدأتِ الصور كلها تبدو متشابهة.

- لن تجدها هناك.

استدار، ليرى روبرتا واقفة على السلم الحلزوني، تراقبه. ثم أكملت نزول السلم.

سألها: «هل حُذِفَتْ؟».

قالت روبرتا: «كان لا بدَّ أن تُحذَف، لكنَّ هذا لم يحدث».

لمستِ الشاشة، مسجلةً الدخول، وفتحت الملفات المشفرة بالنسبة إلى كام. في غضون ثوانٍ قليلة، لم تظهر صورة واحدة فقط، بل ثلاث، وتنهدت، قائلة: «أهذا ما كنت تبحث عنه؟».

نظر كام إلى الصور، قائلًا: «نعم». بدا أن الصورتين الأخيرتين- كالتي رآها من قبل- قد التُقِطتَا دون علمها. تساءل لماذا لا تمانع روبرتا الآن في عرض هذه الصور للفتاة القعيدة عليه، في حين عارضت ذلك بشدة في السابق.

قال كام: «الحافلة.. كانت في الحافلة».

- لم تصلْ حافلتها إلى وجهتها قطُّ. لقد خرجت عن الطريق واصطدمتْ بشجرة.

هزَّ كام رأسه، قائلًا: «لا أعرف ذلك. (ثم نظر إلى روبرتا، مضيفًا) حدثيني عنها.

***

20 - نيلسون

شرطي الأحداث -الذي تحوَّل إلى قرصان أعضاء- تفوَّق على نفسه هذه المرة! لم يقنصْ هاربًا واحدًا من التفكيك، بل اثنين!

أرجع نيلسون نجاحه إلى براعة تخطيطه. أمسك بالفتاة في إحدى قاعات الطعام، متظاهرًا بأنه يعمل مع المقاومة. لطالما كانت السذاجة أعظم حلفائه. شعر الفتاة لم يكن أحمرَ تمامًا، كما طلب ديفان، لكنْ يمكن أن يبدو أشقرَ محمرَّ في ضوء معيَّن. أما الصبي، فقد استخدم نيلسون الفتاة كطُعم لاصطياده؛ ثبَّتها في أنبوب صرف صحي، بالقرب من مصنع مهجور في أحد أحياء الأمبر، والمعروف بإيوائه الهاربين من التفكيك. انتظر حتى اجتذب صراخها شخصًا من التجاويف المظلمة للمبنى، وشاهد الصبي وهو يحررها. ثم -من موقعه المتميز في أحد المباني خلال الشارع- أطلق نيلسون عليهما رصاصات التخدير في أثناء ركضهما.

استخدم جهاز تحليل الحمض النووي الذي أثبت أن كليهما هارب من التفكيك، وهو ما يفضِّله ضميره دائمًا، مقارنة باصطياد الأطفال الذين لديهم فعلًا حياة ليعودوا إليها.

امتلأتْ رحلة العودة إلى وكالة سيارات ديفان بالتوقعات بالنسبة إلى نيلسون. لم يكن قطُّ صاحب إنجازات خارقة، لذا فإن أداء مهمَّتين بنصف الجهد هو أمر نادر فعلًا!

كان وصوله مفاجئًا لديفان، لكنه سعد برؤيتِه بعد مرور وقت قصير منذ التسليم الأخير. «يا له من صيد»، هذا ما قاله، وفي سابقة هي الأولى من نوعها، لم يتفاوضْ حول السعر، وأُعطِي نيلسون ما طلبه. ربما لأن نيلسون لم يغالِ في الثمن هذه المرة. كان في عينيِ الفتاة علامات أرجوانية باهتة قبيحة للغاية، ولم يرَ نيلسون عينيِ الصبي قطُّ. إنه نادرًا ما يشتهي ما لا يراه.

وفي سابقة نادرة لإظهار الامتنان، دعا ديفان نيلسون إلى العشاء في نوع من المطاعم لم يتردد عليه منذ مدة طويلة.

علق نيلسون: «لا بدَّ أن العمل يزدهر».

قال ديفان: «العمل كما هو، لكنَّ المقبل يبدو واعدًا».

أدرك نيلسون أن شيئًا ما يدور في ذهن تاجر السوق السوداء. نظر مترقبًا، في حين غمس ديفان ملعقة في قهوته، مع تحريكها ببطء ممنهج. قال ديفان: «في لقائنا الأخير، حدثتكَ عن الشائعات، أليس كذلك؟».

قال نيلسون، وهو يشرب قهوته بسرعة أكبر كثيرًا مما يفعل ديفان: «نعم، لكنكَ لم تخبرني بفحواها.. أهو شيء سيسعدني سماعه؟».

- أثق أن هذه الشائعات لن تسعدك في البداية. لقد سمعتُها أكثر من مرة حتى الآن. لم أرغب في لفت انتباهك إليها، إلى أن سمعتُها من أكثر من مصدر. (واصل تحريك الملعقة في قهوته، دون أن يشربها. يتأمل السائل الدائر فحسب) تقول الشائعات إن إوُول آكرون ما زال حيًّا.

شعر نيلسون بالشعر الصغير النابت على مؤخرة رقبته يرتفع وينغرس في ياقة قميصه.

- مستحيل!

- نعم، نعم.. ربما تكون على حق. (ثم وضع ديفان ملعقته) ومع ذلك، هل رأى أحدهم الجثة فعلًا أو تعرَّفها؟

- لم أكن في «هابي جاك». أتخيل أن الأجواء سادتها الفوضى.

قال ديفان ببطء: «بالضبط. فوضى. (ثم التقط فنجان قهوته، مرتشفًا رشفة طويلة وبطيئة) هذا يعني أن أي شيء يمكن أن يكون قد حدث. (ثم وضع قهوته على الطاولة ومال مقتربًا من نيلسون) أعتقد أن هذه الشائعات قد تكون صحيحة. ألديك أي فكرة كم يمكن أن يبلغ سعر أجزاء إوُول آكرون؟ سيكون الناس على استعداد لدفع مبالغ طائلة مقابل قطعة واحدة منه. (ثم ابتسم) سأدفع لك عشرة أضعاف، ربما عشرين ضعفًا لما دفعته لك مقابل صيد اليوم».

حاول نيلسون ألا يُبدي أي رد فعل، لكنه عرف أن صمته سيكون خير تعبير عن جشعه. لكنَّ جشعه في هذه اللحظة بالذات لم يكن إلى المال. إن

الإمساك بكونور لاسيتر لن يكون بسبب المال فقط، بل لتعديل كفة النتيجة غير المتوازنة للغاية.

وكما لو أن ديفان يقرأ أفكاره، فقال: «لقد أخبرتكَ بهذا قبل أيٍّ من الموردين الآخرين. سيكون من دواعي سروري أن تكون أنت من يقبض عليه، نظرًا إلى تاريخك معه».

قال نيلسون، وهو يشعر بامتنان حقيقي لمنحه هذا السبق: «شكرًا لكَ».

- تقول الشائعات إن هناك أماكن تجمع لعدد كبير من الهاربين من التفكيك. سيكون من الحكمة العثور على تلك الأماكن، فهناك احتمال كبير أنه يعمل مع المقاومة ضد الانقسام الآن.

قال له نيلسون: «إذا كان حيًّا، فسأمسك به، وأحضره إليك.. لكنْ بشرط واحد».

رفع ديفان أحد حاجبيه، متسائلًا: «ما هو؟».

حدَّق إليه نيلسون، موضحًا أن هذا غير قابل للنقاش، وقال: «سأحصل على عينيْه».

***

الجزء الرابع

«ليفياثان»

جراحون يحصدون الأعضاء بعد القتل الرحيم

بقلم مايكل كوك - 14 مايو 2010 - مجلة «بيو إدج» (BioEdge) الإلكترونية

كم مرة يتكرر هذا الأمر في بلجيكا وهولندا؟ لفَتَ ويسلي سميث -مدون الأخلاقيات الحيوية- انتباهَنا إلى تقرير مؤتمر أعدَّه جراحو زراعة الأعضاء البلجيكيون، عن شراء الأعضاء بعد القتل الرحيم. كما أوضح الأطباء من مستشفى جامعة «أنتويرب» في المؤتمر العالمي لزراعة الأعضاء عام 2006 (في قسم يسمى «الاقتصاد»)، فقد حصلوا على موافقة سيدة تبلغ من العمر ستة وأربعين عامًا، مصابة بحالة عصبية، ونفذوا فيها القتل الرحيم، ثم حصلوا على كبدها وكليتيها وبنكرياسها.

في تقرير عام 2008، أوضح الأطباء أن ثلاثة مرضى قد خضعوا للقتل الرحيم بين عامي 2005 و2007...

في وقت كتابة المقال، كان الأطباء متحمسين بشأن إمكانية التبرع بالأعضاء في البلدان المقنن فيها القتل الرحيم...

المثير للفضول هنا هو قلة الدعاية التي حصل عليها هذا الأمر، رغم أن الأطباء البلجيكيين نشروا إنجازهم في المجلة الرائدة عالميًّا في مجال جراحات زرع الأعضاء، وهي مجلة «ترانسبلانتاشن» (Transplantation) في 15 يوليو 2006، وفي 27 يوليو 2008.

المقال كاملًا متاح على:

http://www.bioedge.org/index.php/bioethics/
/ bioethics_ article / 8991

21 - ليف

من النادر جدًّا ألا يُصفق المُصفق، لأن بحلول الوقت الذي يصل فيه المرء إلى مرحلة الاستعداد لتفجير دمه -وهو ما يكفل تدمير مبنى بأكمله- تكون تلك الروح قد تجاوزت نقطة اللاعودة بمراحل.

ومع ذلك، ظلت هناك شرارة من الضوء في ليفي جيديديا كالدر. شرارة كافية لإحداث تغيير قوي في القلب.

المُصفِّق الذي لم يصفق.

تسبَّب هذا في شهرته. أصبح وجهه معروفًا في جميع أنحاء البلاد وخارجها. لماذا يا ليف، لماذا؟ تقرأ هذا على عناوين المجلات، مع انتشار قصة حياته كصورة امرأة مثيرة، يُحدِّق إليها بوقاحة، ويلتهمها بعينيه عالم يلهث خلف القذارة والمآسي الشخصية.

نُقِلَ عن والديه قولهما أكثر من مرة: «كان دائمًا الابن المثالي.. لن نفهم أبدًا سبب فعلته تلك». لو شاهدتَ اللقاءات الدامعة التي صورها الإعلام معهما، لاعتقدتَ أن ليف قد فجَّر نفسه فعلًا، ولقي حتفه حقًّا. حسنًا، ربما يكون ذلك قد حدث بشكل ما، لأن الشخص الذي كان عليه ليفي كالدر في اليوم الذي أُرسِل فيه لتنفيذ نذر العُشر، لم يعد موجودًا.

بعد مرور ما يقرب من عام على اعتقاله في مخيم حصاد «هابي جاك»، جلس ليف في غرفة الاستقبال بمركز الاعتقال في صباح يوم مشمس ممطر. لم يكن من نزلاء المكان، بل زائرًا في مهمة رحيمة.

جلس في مواجهته صبي يرتدي زيًّا برتقاليًّا من قطعة واحدة، وقد عقد ذراعيه أمام صدره. وبينهما بقايا مؤسفة لأحجية خلَّفها آخر شخص جلس على الطاولة، كأحد المشاريع العدَّة غير المكتملة التي ابتُلِي بها هذا

المكان. الزمان: شهر فبراير، والجدران معلق عليها زينات عيد الحب، التي من المفترض أن تضفي إحساسًا بالاحتفال ولكنها تبدو سادية فحسب، لأنها في مركز احتجاز مخصص للصبية فقط، ولا مجال فيه للرومانسية.

قال الصبي ذو الزي البرتقالي بأسلوب سيئ، فيما تفوح رائحة نتنة من جسده المغطى بالوشوم: «أمن المفترض إذن أن لديك شيئًا مفيدًا لتخبرني به؟ كم عمرك، اثني عشر عامًا مثلًا؟».

- في الواقع، أنا في الرابعة عشرة.

ابتسم الصبي، قائلًا: «جميل، أحسنتَ. والآن اغربْ عن وجهي. لستُ بحاجة إلى إرشاد روحي من طفل يظن نفسه مقدسًا». ثم مد يده بسرعة، ليعبث بشعر ليف، الذي نما على مدار العام الماضي، حتى وصل إلى كتفيْه.

لم ينزعج ليف، فهذا يحدث معه طوال الوقت. وقال للصبي: «ما زال لدينا نصف ساعة. ربما ينبغي أن نتحدث عن سبب وجودك هنا».

قال الفتى الشرير: «أنا هنا لأنهم قبضوا عليَّ. (ثم ضاقت عيناه، وألقى نظرة فاحصة على ليف) أنت تبدو مألوفًا. هل أعرفك؟».

لم يُجِبْ ليف، بل قال: «أعتقد أنكَ في السادسة عشرة من عمرك، أليس كذلك؟ لقد صنفوك كـ «مرشح للانقسام»، وأنت تعلم هذا، أليس كذلك؟ هذا يعني أنك مُعرَّض للتفكيك».

- أتظن أن أمي قد تُقدِم على تفكيكي؟ لم تكن لتجرؤ. من سيدفع فواتيرها اللعينة إذن؟ (ثم رفع كمَّي زيه، ليتضح أن الوشوم الظاهرة على معصميه تصل إلى كتفيه. عظام وتصميمات وحشية مرسومة على جسده) إضافة إلى ذلك، من ذا الذي قد يرغب بمثل هاتين الذراعين؟

قال له ليف: «قد يفاجئك أن الناس في الواقع يدفعون مبلغًا إضافيًّا مقابل وشوم جيدة كهذه».

بدا الفتى الشرير مصدومًا من الفكرة، ثم أخذ يُدقق النظر إلى ليف مرة أخرى، قائلًا: «أأنت واثق أنني لا أعرفك؟ هل تعيش هنا في «كليفلاند»؟».

تنهَّد ليف، قائلًا: «أنت لا تعرفني، أنت تسمع عني فقط». بعد لحظة أخرى، اتسعتْ عينا الفتى الشرير، وقد تعرَّفه، قائلًا: «مستحيل! أنت العُشر! أعني المُصَفِّق! أعني الذي لم ينفجر! لقد كانت حكايتك تملأ الأخبار!».

- هذا صحيح. لكننا لسنا هنا للحديث عني.

فجأة بدا الشرير كصبي مختلف، وهو يقول: «نعم، أجل، أعلم. أعتذر لإساءتي التصرف في البداية. أخبرني إذن، لماذا لستَ في السجن؟».

قال له ليف: «عقدتُ صفقة ما، فتم محو القضية. لا يسمح لي بالحديث عن ذلك. دعنا نقول فقط إن التحدث إليك جزء من عقابي».

قال الصبي مبتسمًا: «اللعنة! هل منحوك جناحًا في العلية أيضًا؟».

- لا يُسمح لي بالتحدث عن ذلك حقًّا.. لكن يمكنني الاستماع لأي شيء تريد أن تقوله لي.

- مم.. حسنًا. أعني.. إذا كنت تريد الاستماع حقًّا.

ثم انطلق الصبي يحكي قصة حياته، مُصرِّحًا بأشياء ربما لم يخبرها لأحد من قبل. إنه الشيء الإيجابي الوحيد بشأن سمعة ليف السيئة، وهو أنها تُكسبه الاحترام بين أولئك الذين لا يحترمون أحدًا في المعتاد.

يريد هؤلاء الأطفال المحتجزون دائمًا معرفة كل شيء عنه، لكنَّ شروط التسوية كانت واضحة جدًّا. وسط الكثير من تعاطف بعض الناس، والكثير من غضب آخرين، فإن التوقف عن إذاعة أخبار ليف في الإعلام في أسرع وقت ممكن، ومنعه من أن يصبح الصوت الوطني ضد التفكيك، كان «لمصلحة العامة». في النهاية، حُكِمَ عليه بالإقامة الجبرية، مع تثبيت شريحة تتبع في كتفه، وإلزامه بقضاء 520 ساعة سنويًّا في خدمة المجتمع، حتى عيد ميلاده الثامن عشر. اشتملتْ خدمته المجتمعية على جمع القمامة من الحدائق المحلية، وتقديم المساعدة للشباب الضال عن الأمراض التي تسببها المخدرات، والسلوك العنيف. وفي مقابل تخفيف عقوبته نسبيًّا، وافق على تزويدهم بالمعلومات الداخلية التي يعرفها عن المُصفقين والأنشطة الإرهابية الأخرى. كان هذا الجزء سهلًا، لم يكن يعرف سوى القليل جدًّا عن أي شيء خارج خلية المُصَفِّقين التي ينتمي إليها، وكان الأعضاء الآخرون جميعًا قد لقوا حتفهم. كما وُضِعَ تحت أمر حظر نشر دائم. لا يمكنه أبدًا التحدث علنًا عن التفكيك ونذر العُشر وما حدث في «هابي جاك». حُكِمَ عليه بالاختفاء.

قال شقيقه ماركوس مازحًا: «علينا أن نسميك بالحورية الصغيرة، لأنهم تركوك ترحل بطريقة سحرية، مقابل التخلي عن صوتك».

وهكذا، يصطحب القس دان ليف من منزل ماركوس، ليقدما فلسفتهما الروحية إلى الصبية في سجن الأحداث.

في البداية كان الأمر محرجًا بشكل مؤلم، لكنْ خلال بضعة أشهر، أصبح ليف جيدًا للغاية في الوصول إلى قلوب الغرباء، واكتشاف ما حوَّلهم إلى قنابل موقوتة، ثم نزع فتيل تلك القنابل، قبل أن يبدأ عدها التنازلي.

ذات مرة، قال له القس دان، مُستخدِمًا مقولة قديمة، ومُدخِلًا عليها التعديل الضروري: «الرب يعمل بطرق غريبة». لو أن هناك أي أبطال في نظر ليف، فسيكونان القس دان وشقيقه ماركوس. ماركوس، ليس فقط لوقوفه في وجه والديهما، لكنْ أيضًا لأنه تحمل المشقة، وأخذ ليف ليقيم في منزله، رغم أن ذلك قد عزله تمامًا عن أسرتهما. أصبحا الآن منبوذيْن من أسرة شديدة التعنت في معتقداتها، حتى إنها تفضل التظاهر بموت ماركوس وليف، بدلًا من مواجهة الخيارات التي اتخذها الأخوان.

كثيرًا ما يقول ماركوس لليف، متحدثًا عن والديهما: «هما الخاسران»، لكنه لا يستطيع قول ذلك دون النظر بعيدًا، لإخفاء الحزن الذي يشعر به.

أما القس دان، فهو بطل في عينيْ ليف لأنه تحلى بالشجاعة للتخلي عن قناعاته، دون أن يفقد إيمانه. قال له القس دان: «ما زلتُ أؤمن بالرب، لكنْ ليس ربًّا يقبل نذر العُشر». فسأله ليف باكيًا إذا كان بإمكانه أن يؤمن بهذا الإله أيضًا، دون أن يدرك أبدًا من قبل أن لديه مثل هذا الاختيار. دان -الذي لم يعدْ أحد يدعوه بـ «القس» سوى ليف- عرَّف نفسه كرجل دين لا ينتمي إلى طائفة معيَّنة في الاستمارة التي كان عليهما ملؤها قبل بدء لقاءاتهما بالأطفال في مركز الاحتجاز.

كان ليف يسأله كل أسبوع في أثناء دخولهما إلى المكان: «ما ديننا إذن؟». أصبح هذا السؤال بمنزلة مزحة متواصلة، وفي كل مرة يكون لدى القس دان إجابة مختلفة.

- ديننا الصدق، لأننا سئمنا كل أنواع النفاق.
- ديننا البرهان، لأننا حصلنا أخيرًا على دليل.
- نقدِّس الديناصورات الطائرة المنقرضة، لأن أفكارنا تطير عكس اتجاه قواعد العقل والمنطق.

لكنَّ الإجابة المفضلة لدى ليف كانت: «نتبع دين «ليفياثان» المأخوذ من اسمك يا ليف، لأن ما حدث لك هو جوهر كل الأمر».

هذه الإجابة كانت تشعره بعدم الارتياح بشكل رهيب، كما تشعره أيضًا أنه مباركٌ إلى حد ما، لكونه محورَ حركة روحية، حتى إن كانت حركة تتكون من شخصين فقط.

تساءل ليف مستوضحًا: «أليس «ليفياثان» مذكورًا في الكتاب المقدس بوصفه وحشًا قبيحًا كبير الحجم؟».

قال القس دان: «بلى، لذا فلنأمل ألا تصبح مثله أبدًا».

لن يصبح ليف أبدًا أيَّ شيء كبير. السبب الذي يجعله لا يبدو في الرابعة عشرة من عمره هو أكثر من مجرد أن شكله أصغر من عمره. في الأسابيع التي تلتِ القبض عليه، خضع لعمليات نقل دم متتالية، لتطهير دمه، لكنَّ تلويث جسده بمركبات متفجرة أتلفه. لأسابيع، ظل جسد ليف ملفوفًا بشاش قطني منتفخ، جعله يبدو كالمومياء، لكنها مشدودة الذراعين على اتساعهما، لمنعه من التصفيق وتفجير نفسه.

قال له القس دان: «لقد أخفقوا في صلبك». لم يجد ليف الأمر مضحكًا للغاية في ذلك الوقت.

حاول طبيبه تغليف ازدرائه لليف، وإخفائه خلف معاملة طبية باردة.

قال الطبيب: «حتى عندما نُطهِّر جسدك من المواد الكيميائية، ستبقى لها عواقب. (ثم أضاف بسخرية مريرة) ستعيش، لكنك لن تُفكك أبدًا. لقد تضررتْ أعضاؤك بما يكفي لجعلها معدومة الفائدة لأي شخص سواك».

كما عاق الضرر نموه، وتطور جسده. أصبح جسد ليف الآن محاصرًا دائمًا في سن الثالثة عشرة. هذا ما يجنيه المُصفِّق الذي لا يُصفِّق. الشيء الوحيد الذي سيواصل نموه هو شعره، وقد اتخذ قرارًا بأنه سيتركه ينمو، ولن يصبح أبدًا الفتى الحليق النظيف الذي كان من السهل التلاعب به من قبل.

من حسن الحظ، لم تتحقَّق أسوأ التوقعات. قيل له إنه سيعاني ارتجافًا دائمًا في يديه، وعجزًا عن التحدث بوضوح. لم يحدث ذلك. قيل له إن عضلاته ستضمر، وسيتزايد ضعفه. لم يحدث ذلك. في الواقع، إن ممارسته المنتظمة للتمارين الرياضية، رغم أنها لم تمنحه تكوينًا عضليًّا ضخمًا مثل البعض، فقد منحته قوة عضلية طبيعية. صحيح أنه لن يكونَ أبدًا الفتى الذي كان من الممكن أن يكون، لكنه لم يكن ليصبح ذلك الفتى قطُّ على أيِّ حال. كان سيخضع للتفكيك. بوضع كل الظروف في الاعتبار، يعتبر وضعه الحالي

خيارًا أفضل. وهو لا يمانع في قضاء أيام الأحد متحدثًا إلى الصبية الذين كان ليخشاهم في الماضي.

همس الشرير الموشوم، وهو يستند إلى طاولة غرفة الاستراحة، ويدفع بعض قطع البازل المبعثَرة عليها، لتسقط على الأرض: «أخبرني فقط يا صديقي، كيف كان الوضع في مخيم الحصاد؟».

نظر ليف إلى أعلى، فلاحظ وجود كاميرا أمنية موجهة نحو المنضدة. هناك كاميرا موجهة إلى كل طاولة، لتراقب كل محادثة. هكذا، لا يختلف الأمر كثيرًا عن الوضع في مخيم الحصاد.

قال له ليف: «كما ذكرتُ، لا يمكنني التحدث عن ذلك. لكن صدقني، الأفضل لك أن تحرص على الابتعاد عن المشكلات حتى تبلغ سن السابعة عشرة، لأنك لن ترغب في معرفة ما يحدث هناك».

قال الشرير: «سأستمع لنصيحتك. الابتعاد عن المشكلات حتى سن السابعة عشرة، يجب أن يكون هذا هو شعاري». ثم مال إلى الخلف، وهو ينظر إلى ليف بنوع من الإعجاب لم يشعر ليف أنه يستحقه.

عندما انتهتْ ساعات الزيارة، غادر ليف مع قسه السابق.

سأله دان: «هل كانت زيارتك مثمرة؟».

- لا يمكنني أن أجزم. ربما.

- ربما أفضل من لا شيء على الإطلاق. لقد كان يومَ عمل جيدًا لصبي لطيف دينه البرهان.

***

في وسط «كليفلاند» مسار للركض، يمتد بطول المرسى المطل على «بحيرة إيري». إنه يدور حول «مركز علوم البحيرات العظمى»، ويستمر بطول الجانب الخلفي من قاعة مشاهير «الروك آند رول»، حيث تُخلَّد ذكريات أولئك الذين اشتهروا بالتمرد أكثر من ليف. يركض ليف -مارًّا بتلك القاعة- يوم الأحد من كل أسبوع، وهو يتساءل عما يجب أن يكون عليه الأمر عندما تكون مشهورًا وسيئ السمعة، ومع ذلك فأنت محبوب أكثر من كونكَ مكروهًا، ومحطَّ إعجاب، أكثر من كونك مثيرًا للشفقة. ارتجف عندما فكر في نوع العرض المتحفي الذي سيعبِّر عنه، وتمنى ألا يكتشف ذلك أبدًا.

الجو دافئ نسبيًّا، مقارنة بما يكون عليه عادة في فبراير. درجات الحرارة في الأربعينيات. أمطرت السماء في ذلك الصباح، بدلًا من هطول الثلج، وتساقط رذاذ كئيب عصرًا، بدلًا من هبات الرياح المصحوبة بالثلوج. ركض معه ماركوس، وهو يواجه صعوبة في التنفس، إذ خرجت أنفاسه على شكل دفقات من بخار الماء.

صاح مناديًا ليف وهو يحاول اللحاق به: «أعليك أن تعدو بهذه السرعة؟ لسنا في سباق. ثم إنها تمطر، على أيِّ حال».

- ما علاقة هذا بذاك؟

- قد تنزلق وتفقد السيطرة، ما زالت هناك بقع الرؤية فيها مشوشة.

- أنا لست سيارة.

خطا ليف في بركة مُوحِلة، ناثرًا الماء الملوث على ماركوس، وابتسم، في حين أطلق أخوه سبابًا. سنوات من الوجبات السريعة والدراسة بجد إلى ما لا نهاية في كلية الحقوق، لم تجعل ماركوس مترهلًا تمامًا، لكنه بالتأكيد فقد لياقته.

- إذا واصلتَ إحراجي، أقسم إنني لن أركض معك بعد الآن. سأتصل برجال المباحث الفيدرالية مرة أخرى. إنهم دائمًا ما يواكبونك.

المثير للسخرية، أنها كانت فكرة ماركوس أن يبدأ ليف ممارسة تمارين روتينية، بمجرد إطلاق سراحه تحت وصاية أخيه. في تلك الأيام الأولى بعد الشفاء، عندما كان دمه ما زال مسممًا، كان مجرد صعود الدرج ونزوله في منزل ماركوس متعدد الأدوار بمنزلة تمرين رياضي بالنسبة إلى ليف، لكنَّ ماركوس كان يتطلع إلى أن تكون إعادة تأهيل روح ليف، مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بإعادة تأهيله جسديًّا. لعدة أسابيع كان ماركوس هو من يدفع ليف ليواصل العدو، متجاوزًا مبنًى سكنيًّا واحدًا آخر. ونعم، عندما بدأ ممارسة التمارين، كان هناك رجال من المباحث الفيدرالية يرافقونه. في البداية، رافقوه في كل مكان عندما يغادر المنزل أيام الأحد، ربما لإثبات عدم وجود تساهل في تطبيق الإقامة الجبرية. في النهاية بدأوا يثقون بشريحة التتبع، وسمحوا لليف بالخروج دون مرافقة رسمية، ما دام دان أو ماركوس معه.

ناداه ماركوس عن بعد من خلفه: «إذا أُصِبْتُ بنوبة قلبية، فسيظهر اسمك في كل مكان!».

لم يكن ليف عداءَ مسافات قطُّ. ذات مرة، انصبَّ كل اهتمامه على لعبة البيسبول. كان لاعبَ فريق حقيقيًّا، لكنِ الآن تناسبه أكثر ممارسة رياضة فردية.

عندما ازداد هطول المطر، توقف في منتصف المسافة التي من المفترض أن يقطعها، ومنح ماركوس الفرصة ليلحق به. اشتريا مياه «أكوا فينا» من بائع متفانٍ في عمله، خارج قاعة مشاهير «الروك آند رول» الذي ربما يواصل بيع المياه المعبأة و«ريد بول» في أثناء نهاية العالم.

التقط ماركوس أنفاسه وهو يشرب، ثم قال عرضًا: «لقد تلقيتُ رسالة من ابن العم كارل أمس».

كتم ليف رد فعله، دون أن يبدي أي إشارة خارجية بأهمية الأمر، وقال: «إذا كان هذا قد حدث بالأمس، فلمَ تخبرني به اليوم؟».

- أنت تعرف ماذا يحدث لك.

قال ليف ببرود طفيف: «لا أعرف. أخبرني ماذا يحدث لي».

لكنَّ ماركوس ليس مُضطَرًّا إلى إخباره، لأن ليف يعرف بالضبط ما يقصده.

كانت الرسالة الأولى من ابن العم كارل لغزًا كاملًا في البداية، إلى أن أدرك ليف أنها رسالة مشفرة من كونور. نظرًا إلى احتمال مراقبة بريد ليف من قبل إحدى الوكالات الحكومية، كانت هذه هي الطريقة الوحيدة التي يمكن لكونور من خلالها توصيل رسالة إليه، آملًا أن يكون ليف ذكيًّا بما يكفي ليفهم محتواها. تصل رسالة كهذه كل بضعة أشهر، ودائمًا ما يكون عليها ختم بريدي من مكان مختلف، حتى لا يمكن تتبعها، وصولًا إلى المقبرة.

سأل ليف ماركوس: «أخبرني ماذا يقول».

- إنها موجهة إليك. وصدِّق أو لا تصدِّق، أنا لا أقرأ بريدك.

عندما وصلا إلى المنزل، سلَّمه ماركوس الرسالة لكنه أبعدها عن متناوله للحظة، قائلًا: «عِدني بأنكَ لن تدخل في ثقب أسود يمتلئ بالتفكير العميق والخوف، وتجلس دون أن تفعل شيئًا، سوى ممارسة ألعاب الفيديو لمدة أسبوع».

- متى فعلتُ ذلك؟

لم يجبه ماركوس بالكلمات، بل اكتفى بتعبير عابس يعني «هل تمزح معي؟»، وهذا يكفي. وجود ليف قيد الإقامة الجبرية لا يدع أمامه إلا القليل من الأنشطة ليشغل بها وقته. لكنَّ ما ذكره ماركوس صحيح، فتلقي رسائل

من كونور يجعله يفكر دائمًا، والتفكير يأخذه ليصعد سلمًا لولبيًّا، وهذا السلم يرسله إلى أماكن من الأفضل عدم الذهاب إليها.

ذَكَّره ماركوس: «الماضي جزء من حياتك، عليك أن تتركه خلفك».

قال له ليف: «أنت محق، ومخطئ في الوقت نفسه». لم يحاول أن يشرح كلامه، لأنه غير واثق حتى مما يقصده، كل ما يعرفه هو أنه صحيح. فتح الرسالة. خط اليد هو نفسه، لكنه يشك في أنه ليس خط كونور، لمنع تحليله وربطه به. جنون العظمة الذي يبتلعهم ليس له نهاية.

ابن عمي العزيز ليفي

أرسل إليك ببطاقة عيد ميلاد متأخرة. أعرف أن أربعة عشر تعني لك أكثر مما تعني لمعظم لناس، بسبب ما مررت به. كانت المزرعة مشغولة. تواصل شركات لحوم البقر الكبيرة التهديد بالسيطرة علينا، لكنَّ ذلك لم يحدث بعد. لدينا خطة عمل يمكنها أن تنقذنا من ذلك، إذا مُرِّرَتْ.

إن العمل شاق منذ أن توليتُ إدارة المزرعة، ولم يساعد الجيران كثيرًا. أتمنى لو أمكنني الرحيل والتخلي عن المكان، لكنْ من يمكنه التعامل مع عمال المزرعة سواي؟

إننا نعلم وضعك الحالي، وأنك لا تستطيع زيارتنا. ولم أكن لأطالبك بأن تفعل. جنون البقر موجود بكثرة هنا. من الأفضل البقاء بعيدًا، وتمني الخير.

اعتنِ بنفسك، وبلِّغْ تحياتنا لأخيك. إنه بطل مثلك إلى حد كبير.

تحياتي

ابن عمك كارل

قرأ ليف الرسالة أربع مرات، محاولًا تحليل المعاني المختلفة الممكنة. تهديد شرطة الأحداث الذي يلوح في الأفق باقتحام المكان. صعوبة إدارة المنشأة، دون مساعدة كافية من المقاومة. لقد ابتعدتْ حياة ليف اليومية للغاية عن العالم السفلي للأرواح اليائسة، والسماع بها، يشبه الاستماع لصوت تشقق الجليد تحت قدميه. يجعله يرغب في الركض إلى أي مكان. الركض ذاهبًا إلى كونور، أو هاربًا من كونور. إنه لا يعرف إلى أي اتجاه سيتوجَّه، كل ما في الأمر أنه لا يطيق الجري في مكانه. يتمنى لو كان بإمكانه إرسال رد على الرسالة، لكنه يعرف مدى تهور ذلك. أن يتلقى خطابًا عشوائيًّا من «ابن عم» غير محدد، هذا شيء، لكنْ أن يرسل هو ردًّا إلى المقبرة، فهذا شيء آخر تمامًا، لأنه سيكون بمنزلة إرشاد الصيادين إلى مكان هدفهم، وهذا الهدف هو كونور. حتمية أن يكون التواصل مع «ابن العم كارل» من طرف واحد فقط، كانت تصيب ليف بالإحباط.

سأل ماركوس: «كيف تسير الأمور في «المزرعة»؟».

- إنها مضطربة.

- نحن نفعل ما نستطيع، أليس كذلك؟

أومأ ليف إيجابًا. إن ماركوس لا يتهاون عندما يتعلق الأمر بالمقاومة. إنه يتطوع بوقته لجمع الهاربين من التفكيك من الشوارع، ونقلهم إلى منازل آمنة، ويتبرع للقضية بحصة مناسبة من الأموال التي يكسبها كونه مساعدًا قانونيًّا.

سلَّم لماركوس الرسالة ليقرأها، وبدا ماركوس منزعجًا منها مثل ليف. «علينا أن ننتظر ونرى كيف ستنتهي الأمور».

أخذ ليف يسير في غرفة الجلوس. لا توجد قضبان على نافذته. ومع ذلك، ربما يكونون قد وضعوه في الحبس الانفرادي بسبب رهاب الأماكن المغلقة المفاجئ الذي يشعر به.

قال ليف، متخليًا عن شفرات الحديث التي يستخدمانها: «يجب أن أتحدث معلنًا رفضي للتفكيك».

لم يعدْ هناك أحد يستمع على أيِّ حال. الآن بعد أن استقرتْ حياته في هذه النسخة المنعزلة من الوضع الطبيعي، تبدو المراقبة كأنما لم تعد تشكل مشكلة. شرطة الأحداث لديها أشياء أفضل لفعلها هذه الأيام، بدلًا من إبقاء

أعينهم على صبي لا يفعل أي شيء سوى التسكع في منزل شقيقه، محاولًا الاختفاء.

- إذا تحدثتُ، سيستمع الناس لي.. لقد تعاطفوا من قبل، ليس كذلك؟ سوف يستمعون!

ألقى ماركوس الرسالة بعنف على الطاولة، قائلًا: «ما زلتَ ساذجًا للغاية، رغم كل ما عانيتَه! الناس لا يتعاطفون معك، إنهم يتعاطفون مع الصبي الصغير الذي أصبح مُصفِّقًا. ينظرون إليك كما لو كنتَ أنتَ من نتله».

- لقد سئمتُ الجلوس هنا، دون أن أفعل أي شيء!

توجَّه ليف محتدًّا إلى المطبخ، محاولًا الابتعاد عن الحقيقة الكامنة في كلمات ماركوس، لكنَّ ماركوس تبعه إلى هناك، قائلًا: «ليس صحيحًا أنك لا تفعل شيئًا، ما زالت لديك خدمات نهاية الأسبوع مع دان».

التفكير في الأمر أغضب ليف الذي قال: «إنه عقابي! أتعتقد أن تعاوني مع شرطة الأحداث يروق لي؟ مساعدتهم على تنظيم الصبية والسيطرة عليهم؟». لو أن هناك شيئًا واحدًا يعرفه، فهو أن كونور لم يكن ليؤدي قطُّ مهام شرطة الأحداث القذرة.

- لقد فعلتَ أكثر مما فعله أي شخص آخر لتغيير الأوضاع يا ليف. حان الوقت لكي تكون لكَ حياة خاصة، وهذا أكثر مما كنتَ نتمناه العام الماضي. لذا، إذا أردتَ أن يعني أيًّا مما حدث شيئًا، فعِشْ حياتك، ودعْ بقيتنا نتولى الأمر.

اندفع ليف، متجاوزًا إياه مرة أخرى، فسأله ماركوس: «إلى أين تذهب؟».

التقط «ليف» سماعة الرأس وجهاز التحكم في اللعبة، قائلًا: «سأتقوقع داخل رأسي. هل تريد أن تتبعني إلى هناك أيضًا؟».

في لحظة واحدة، اندمج ليف في لعبة «فاير باور آند ماجيك»، وهي لعبة تبعده عن حياته وذكرياته، لكنه، رغم ذلك، يعلم أن ماركوس قد تبعه فعلًا إلى داخل رأسه. وكذلك كونور وريسا وماي وبلين وكليفر وسايفي، كلهم يتنافسون للسيطرة على تفكيره. لن يفقدهم أبدًا، ولن يتخلى عن أي منهم، وهو غير واثق حتى من رغبته في ذلك.

***

تغير كل شيء في اليوم الذي أتت فيه فتاة الكشافة.

كان صباحًا شديد البرودة لأحد أيام الاثنين، عقب يوم أحد آخر شهد زيارة الأطفال المُعرَّضين لخطر الانقسام، والركض رغم برودة الجو. قضى الليلة معهما دان -الذي تعاني سيارته مشكلاتٍ في احتراق الوقود- بدلًا من أن يعلق على الطريق ليلة الأحد. في الصباح أخذ يُعِدُّ الإفطار، في أثناء استعداد ماركوس للذهاب إلى العمل.

قال دان لليف، وهو يقدم له بيضًا مخفوقًا: «أنت تعلم أنني ضد التفكيك، لكنَّ المقاومة ضد الانقسام تبدو بالنسبة إليَّ كيانًا معارضًا للنظام بشكل فِج. عمري المتقدم لا يسمح لي بالاحتجاج الغاضب ضد النظام. ما أفعله هو التعبير للنظام عن ألمي فحسب».

لكنَّ ليف كان يعرف أنه يفعل ما هو أكثر من ذلك بقليل. إنه يتحدث ضد التفكيك لأي شخص يستمع، وهو شيء غير مسموح لليف أن يفعله، ووفقًا لماركوس، لن يجدي نفعًا على أيِّ حال.

قال دان: «لقد تواصلتْ معي المقاومة طبعًا، لكني كنتُ قد اكتفيت من التعامل مع المنظمات منذ مدة، بصرف النظر عن مدى وَجَاهة السبب. أُفضِّل أن أكون عميلًا حرًّا يُلهِب شعور الجماهير بحديثه».

سأل ليف: «في رأيك، ما الذي عليَّ فعله إذن؟».

فكر القس السابق، وهو ينظر إلى البيض الذي يتشبث بملعقته، وقال: «أعتقد أن عليك تنظيف غرفتك. لقد رأيتُها، ويبدو أنها ستتفكك، متحولة إلى شيء لا يعلمه إلا الله».

- أحدثكَ بجدية.

وضع الملعقة جانبًا، وجلس بجواره، قائلًا: «وأنا أيضًا.. إنك في الرابعة عشرة من عمرك يا ليف. معظم الأطفال في سن الرابعة عشرة لا يحاولون بنشاط إصلاح العالم. أبعدْ نفسك عن هذا الأمر، وحاولِ التعامل مع الأشياء العادية التي يفكر بها من هم في مثل عمرك. صدقني، مقارنة بإنقاذ العالم، فإن تنظيف غرفتك سيكون أشبه بالحصول على إجازة».

التقطَ ليف البيض من طبقه، قائلًا: «قبل أن يحدث هذا كله، كانت غرفتي نظيفة تمامًا».

- هذا ليس بالضرورة أمرًا جيدًا أيضًا.

جاء ماركوس ليجلس إلى طاولة المطبخ، في اللحظة نفسها التي دقَّ فيها جرس الباب، فتنهَّد ونظر إلى ليف الذي انتهى لتوِّه من تناول الطعام، وقال: «هل يمكنك أن تفتح الباب؟».

ظنَّ ليف أن من يطرق الباب هي دارسي، معلمته المعيَّنة من قبل الدولة، لأن حتى الإرهابيين السابقين يجب أن يعرفوا حل المعادلات التربيعية. ومع ذلك، فهي عادة لا تأتي مبكرًا.

فتح الباب، ليجد إحدى فتيات الكشافة تقف هناك وتحمل حاوية كرتونية مليئة بصناديق الكعك متعدد الألوان.

- مرحبًا، هل ترغب في شراء بعض كعك فتيات الكشافة؟

سألها ليف بابتسامة متكلفة: «ألستِ أكبر عمرًا من أن تصبحي فتاة كشافة؟».

قالت الفتاة: «في الواقع، الأمر لا يرتبط بالعمر، وعلى أيٍّ حال، أنا في الرابعة عشرة من عمري فحسب. لكنْ نعم، عادة ما تبيع الكعك الفتيات الأصغر عمرًا، لذا فأنتَ على حق بشكل ما. لو أنك تصر على المعرفة، فأنا أساعد أختي الصغرى. هل يمكنني الدخول إذن؟ الجو بارد هنا في الخارج».

كانت الفتاة لطيفة إلى حد ما، ومضحكة نوعًا ما، ونقطة ضعف ليف هي كعك «الساموا»، وكذلك الفتيات اللطيفات خفيفات الظل، فقال لها: «بالتأكيد، تفضلي بالدخول، فلنرَ ما لديكِ».

تجاوزتِ الباب، ووضعتِ الصندوق على طاولة غرفة الطعام، وأخرجت كعكة من كل نوع. نادى ليف: «هل تريد بعض كعك فتيات الكشافة يا ماركوس؟».

أجابه شقيقه من المطبخ: «بالتأكيد.. أحضرْ لي علبةً بزبدة الفول السوداني».

صاح دان: «فلتجعلها اثنتين».

توجَّه ليف بالحديث إلى الفتاة، قائلًا: «حسنًا، اثنتان من زبدة الفول السوداني، وعلبة من كعك «الساموا»».

قالت: «إنه لذيذ! كعك «الساموا» هو المفضل لديَّ أيضًا. (سلَّمته الصناديق) الحساب ثمانية عشر دولارًا.. أواثق أنت أنك لا تريد أيًّا من كعك النعناع الرفيع؟ إنه الأعلى مبيعًا لدينا!».

- لا، شكرًا لكِ.

أخرج حافظة نقوده، وهو واثق تمامًا أنه لا يملك نقودًا كافية، لكنه أراد التحقق، قبل أن يطلب مالًا من ماركوس. وبينما ينظر إلى داخل حافظته، وجدت الفتاة الفرصة للنظر إليه مليًّا.

قالت: «أنا أعرفك، أليس كذلك؟».

كتم ليف تنهيدة كبيرة، وهو يفكر: «ها هي ستبدأ!».

- نعم.. أنت ذلك الفتى.. المُصفِّق! ياه، إنني أبيع الكعك للفتى المُصفِّق!

قال لها ليف بوضوح: «لم أصفق. (وكان من المريح أن وجد عشرين دولارًا في حافظته، فسلمها إياها) تفضلي. شكرًا على الكعك. احتفظي بالباقي».

لكنها لم تأخذ المال. بدلًا من ذلك، مالت إلى الأمام، واضعة يديها على ساقيها، وهي تواصل النظر إليه، قائلة: «مصفق لا يصفق. هذا نوع من الإخفاق في تحقيق الهدف، أليس كذلك؟».

لوَّح لها بالمال، قائلًا: «عليكِ أن تغادري الآن».

لكنها أبتْ أن تأخذ المال، قائلة: «احتفظْ بمالك. الكعك هدية مني لك».

- لا. خذي المال، واذهبي فحسب.

هنا أصبحت عيناها مركزتين عليه، وهي تقول: «مُصفِّق لا يصفق. أتخيل أن هذا من شأنه أن يثير غضب علية القوم حقًّا. أولئك الذين يكرسون وقتهم وأموالهم للتأكد من أن مهمة كل مُصفِّق تتم دون أي أخطاء».

فجأة شعر ليف بانقباض في معدته، ذكَّره مباشرة بما سمعه في الصين: «إن أولئك المنظمين استباقيون للغاية، والمُصفِّق الذي لا يكمل مهمته يُسيء إلى سمعتنا جميعًا».

ثم ابتسمتِ الفتاة، وهي تباعد ما بين كفيها، فصرخ ليف: «ماركوس! دان!.. احتميا بأي شيء!».

قالت الفتاة، وهي تحرك كفيها في الهواء، لتقربهما من بعضهما: «هذه هدية أخرى.. دعني أفتحها لك».

قفز ليف خلف الأريكة، ليتخذها كساتر، في حين التقى كفاها ببعضهما. كل ما يتطلبه الأمر هو تصفيقة واحدة. دفع الانفجار ليف نحو الحائط، وانقلبت الأريكة فوقه، وثبتته أسفلها. صوت الزجاج المحطم، والخشب

المتهشم، والألم المتصاعد بشدة في أذنيه. هذا كله أقنعه بأن جمجمته قد شُجَّت. ثم -في لحظات قليلة- تلاشت أصوات الانفجار، مُخلِّفة رنينًا شديدًا في أذنيه، وإحساسًا واضحًا بأن العالم قد انتهى للتو.

بدأ الدخان يحرق رئتيْه، ويُسِيل الدموع من عينيه. دفع الأريكة بعيدًا، ليخرج من تحتها، وبينما كان ينظر خلال الغرفة، رأى فِراشه -الذي كان في الطابق العلوي منذ لحظات قليلة- يرقد الآن في غرفة المعيشة كحطام سفينة. لا يوجد طابق علوي الآن، ولا سطح بأعلاه، فقط السماء المليئة بالغيوم، والنيران من حوله تقاتل بشغف لتلتهم الحطام.

بينما كان في طريقه للخروج إلى غرفة الجلوس عندما صفقتِ الفتاة، اندفع دان إلى الخلف مصطدمًا بالحائط، مُخلِّفًا عليه بقعة دماء ضخمة على شكل جسده، وهذا ما يشير إلى تأثير الصدمة. وها هو يرقد جثة هامدة على الأرض. مات القس دان، الرجل الذي طلب من ليف أن يهرب يوم تنفيذ نذر العُشر، وأول من زاره بمجرد أن احتجزتْه الشرطة، الرجل الذي أصبح أبًا له أكثر من والده.

- لا!

زحف ليف فوق الأنقاض تجاه جسد دان، لكنه عندئذٍ رأى شقيقه في المطبخ. سقطتْ عارضة خشبية في منتصف الغرفة، محطمة مائدة الإفطار الزجاجية، ثم انغرزت في أحشاء أخيه. كانت الدماء في كل مكان، لكنَّ ماركوس ما زال حيًّا. احتفظ بوعيه، وهو يرتجف، محاولًا الكلام، لكنه يختنق بالدم.

لم يدرِ ليف ماذا عليه أن يفعل، لكنه أدرك أنه إذا لم يُصفِّ ذهنه بما يكفي للتصرف، فسيموت شقيقه أيضًا.

قال لأخيه، كاذبًا: «لا بأس يا ماركوس.. سيكون كل شيء على ما يرام».

بكل قوته، رفع ليف العارضة الخشبية، فصرخ ماركوس من الألم، فيما يسند ليف العارضة بكتفه، ويدفع ماركوس بعيدًا عنها، ثم ترك العارضة تهوي، ليسقط الجزء المتبقي منها بالكامل، مُدمِّرًا ما تبقى من الطاولة الزجاجية بصوت مُروِّع. مدَّ ليف يده إلى جيب ماركوس، مُخرِجًا هاتفًا مُلطَّخًا بالدماء، وهو يدعو الله أن يكون ما زال يعمل، واتصل برقم خدمة الطوارئ 911.

***

رفض ليف -المغطّى بآثار الانفجار السوداء، والذي ما زال يسمع رنينًا في أذنيه- أن يركب سيارة إسعاف أخرى، وأصرَّ على مرافقة ماركوس في السيارة نفسها، محدثًا جلبة كبيرة، إلى أن سمحوا له بذلك. كان يشعر برفرفة في أذنه اليسرى مع كل صوت، كما لو أن فراشة قد وجدتْ طريقها إلى داخلها. كانت رؤيته ضبابية، وبدا له كما لو أن الزمان نفسه قد تغير. كما لو أن ليف وماركوس قد دُفِعَا إلى بُعد بديل؛ يحدث لبس بين السبب والنتيجة. لم يستطع ليف أن يحدد أكان هو هنا لأن الفتاة انفجرتْ، أم أن الفتاة قد انفجرت لأنه هنا!

عمل المسعفون على محاولة إنقاذ ماركوس، وهم يسرعون إلى المستشفى، وحقنوه بمادة ما.

قال ماركوس، وعيناه تكافحان للبقاء مفتوحتين: «لــ.. لــ... ليف».

أمسك ليف يده، اللزجة البنية، بعدما جف عليها الدم، وقال: «أنا هنا».

قال له المسعف: «أبقِه مستيقظًا.. لا نريده أن يُصاب بصدمة».

قال ماركوس، وهو يقاتل لإخراج الكلمات: «اسمعني! استمع لي».

- كلي آذان مصغية.

- سيحاولون نقل بعض الأعضاء إليَّ.. أعضاء المفككين.

تجهَّم وجه ليف، وهو يُعِدُّ نفسه لما سيسمعه. إنه يعرف ما سيقوله ماركوس. إن ماركوس يفضل الموت، على الحصول على أجزاء من أجساد المفككين.

- ســـ.. ســـ.. سيريدون إعطائي كُلى.. كبدًا.. أيًّا كان.. أجزاء من أجساد المفككين...

- أعرف يا ماركوس، أعرف.

عندئذٍ، فتح ماركوس عينيه نصف المغمضتين لتتسعا أكثر، موجهًا نظره إلى ليف، وممسكًا يده بقوة أكبر، قائلًا: «دعهم!».

- ماذا؟

- دعهم يفعلون ذلك يا ليف. لا أريد أن أموت. (توسَّل إليه) أرجوك يا ليف.. دعهم يعطوني أجزاءً من أجساد المفككين.

ضغط ليف يد أخيه، مطمئنًا، وقال: «حسنًا يا ماركوس، سأفعل» وبكي بامتنان لأن شقيقه لم يحكم على نفسه بالموت، لكنه أيضًا كره نفسه لأن هذا هو شعوره.

فحص الأطباء ليف بدقة، وأخبروه أنه مصاب بثقب في طبلة الأذن، وتمزقات وكدمات مختلفة، وربما ارتجاج في المخ. ضمدوا جروحه الطفيفة وعالجوه بالمضادات الحيوية، واحتجزوه بالمستشفى لمراقبة حالته. لم يسمع أي كلمة عن ماركوس، الذي نُقِلَ إلى غرفة العمليات لحظة وصولهم. وباستثناء الممرضة، التي تقيس نبضه وضغط دمه كل ساعة، لم يزرْ ليف سوى رجال الشرطة، الذين طرحوا عليه أسئلة، تلتها أسئلة، ثم المزيد من الأسئلة.

- هل تعرف الفتاة التي نفذت هذا الهجوم؟

- لا.

- هل تعرَّفتها خلال تدريبك لتصبح مُصفِّقًا؟

- لا.

- هل كانت من أعضاء خلية المُصفِّقين التي كنت تنتمي إليها؟

- قلت لك إنني لا أعرفها!

وطبعًا أغبى سؤال على الإطلاق:

- هل تعرف سبب استهدافهم لك؟

- أليس هذا واضحًا؟ أخبرتْني أنه عقاب لعدم التصفيق، وأن المسؤولين غاضبون.

- ومن هم المسؤولون؟

- لا أعلم. لا أعرف سوى مجموعة الصبية الآخرين المتوفين الآن، بعد أن انفجروا جميعًا. لم أقابل أيَّ مسؤول قطُّ!

غادر رجال الشرطة، وهم راضون إلى حد ما. ثم ظهر مكتب التحقيقات الفدرالي، ليسأله الأسئلة نفسها التي وجهتها له الشرطة، لكنْ لم يخبره أحد أي شيء عن ماركوس.

أخيرًا، في وقت لاحق من عصر اليوم، وفي أثناء أحد الفحوص الروتينية التي تجريها، أشفقتْ عليه الممرضة المناوبة، وقالت: «لقد أُمِرْتُ ألا أتحدث معك عن أخيك، لكنني سأفعل على أيٍّ حال. (ثم جلستْ على مقعد بالقرب منه، وخفضت صوتها) كان يعاني الكثير من الأضرار الداخلية. لكنْ من حسن الحظ، لدينا وحدة خزائن الأعضاء الأفضل تجهيزًا في الولاية. حصل شقيقك على بنكرياس جديد وكبد وطِحال وجزء كبير من الأمعاء الدقيقة. كان يعاني ثقبًا في الرئة، وبدلًا من تركها تلتئم، اختار والداك استبدالها أيضًا».

- والداي؟ أهما هنا؟

قالت الممرضة: «نعم.. إنهما في غرفة الانتظار. هل تريدني أن أستدعيهما؟».

سألها ليف: «هل يعرفان أنني هنا؟».

- نعم.

- هل طلبا رؤيتي؟

ترددت قليلًا، ثم قالت: «أنا آسفة يا عزيزي، لم يفعلا».

أشاح ليف بنظره بعيدًا، لكنْ لم يكن هناك ما يستدعي النظر إليه. كان التلفاز في غرفته بالمستشفى مفصولًا، بسبب التغطية الواسعة للانفجار. قال ليف: «لا أريد أن أراهما إذن».

ربَّتت الممرضة يده، وابتسمتْ له، وهي تقول معتذرة. «يؤسفني وجود الكثير من الدماء الفاسدة في جسدك يا عزيزي. يؤسفني أن كل هذا قد حدث لك».

تساءل هل كانت تعرف كل شيء، ورَجَّح أنها تعرف.

- كان يجب أن أدرك أنهم سيطاردونني في نهاية المطاف. أقصد المصفقين.

تنهدت الممرضة، قائلة: «بمجرد أن تتورط مع الأشرار، يصبح تحرير نفسك منهم أملًا لا يُدرَك أبدًا. (ثم تمالكت نفسها) أعتذر.. كان هذا اختيارًا مؤسفًا بشدة للكلمات، أليس كذلك؟ عليَّ أن أغلق شفتيَّ، وأصمت الآن».

أجبر ليف نفسه على الابتسام، قائلًا: «لا بأس. عندما تكادين أن تنفجري مرتين تقريبًا، لن تصبحي شديدة الحساسية بشأن اختيار الكلمات».

ابتسمت لقوله.

- ماذا سيحدث الآن إذن؟

- حسنًا، ما فهمتُه هو أن أخاك هو الوصي القانوني عليكَ. هل هناك أي شخص آخر قد يتقدم لمساعدتك؟ أو مكان آخر يمكنك الذهاب إليه؟

هزَّ ليف رأسه نفيًا. كان القس دان هو الشخص الآخر الوحيد الذي يمكنه الاعتماد عليه. لا يمكنه حتى التفكير في دان الآن، لأن الأمر -ببساطة- يؤلمه كثيرًا. قال لها: «لقد كنتُ قيد الإقامة الجبرية. لا يمكنني الذهاب إلى أي مكان، دون إذن من سلطة الأحداث، حتى لو كان هناك من أذهب معه».

نهضتِ الممرضة، قائلة: «حسنًا، هذا الأمر لا يتعلق بالقسم الذي أعمل به يا عزيزي. لماذا لا تسترخي الآن؟ ما أعرفه هو أن السلطات تريدك أن تبيت هنا الليلة، ربما يكون في الصباح حل لكل الأمور».

- أيمكنكِ أن تخبريني في أي غرفة يوجد شقيقي؟

قالت له: «إنه ما زال في مرحلة التعافي، لكنْ بمجرد أن يخصصوا له غرفة، أعدكَ أنكَ ستكون أول من يعلم». غادرت الغرفة، ودخل بدلًا منها محقق، ليطرح الأسئلة نفسها، بطرق جديدة.

وفعلًا أوفتِ الممرضة بعهدها، وأخبرتْه أن ماركوس يوجد في الغرفة رقم 408، وهكذا بعد حلول الظلام، عندما انتهتِ الاستجوابات وهدأتِ القاعات، غامر ليف بالخروج من غرفته، متجاهلًا الأوجاع التي تملأ معظم جسده. وبمجرد خروجه من باب غرفته مباشرة، رأى الشرطيَّ المكلفَ بحراسته يغازل إحدى الممرضات الأصغر سنًّا في نهاية الردهة، فتسلل بهدوء لزيارة ماركوس.

وبينما يفتح باب الغرفة 408، كان أول ما رآه هو والدته جالسة على مقعد، وعيناها مثبتتان على ماركوس الذي تمدَّد فاقدًا الوعي، تملأه الأنابيب، ويتصل بجهاز تنفس صناعي يُصدِر صوتًا رتيبًا. كان والده هناك أيضًا، وبدا شعره أشيب قليلًا مما كان عليه قبل عام. شعر ليف بالدموع تُهدِّد بالسقوط من عينيه، لكنه سيطر عليها، وامتصَّ شعوره ومنعها من الظهور بحزم. رأتْه أمه أولًا، فمدتْ يدها إلى الأب لجذب انتباهه. نظرا إلى بعضهما لحظةً، تشاركا خلالها ما لدى المتزوجين من تخاطر مزعوم. ثم وقفتِ الأم، متجهة إلى ليف، دون أن تنظر إليه مرة واحدة، إذ احتضنته في حرج، ثم غادرت الغرفة.

والده كذلك لم ينظر إليه. ليس في البداية على أيٍّ حال. أخذ ينظر إلى ماركوس فحسب، ويشاهد صدره يرتفع وينخفض بإيقاع بطيء وثابت ينظمه جهاز التنفس.

سأل ليف: «كيف حاله؟».

- إنه في غيبوبة مستحثَّة. قالوا إنهم سيبقونه هكذا لمدة ثلاثة أيام، حتى تتمكن تقنية النانو من تسريع الشفاء.

لقد سمع ليف أن ألم العلاج بالنانو لا يُطاق. من الأفضل أن ينام ماركوس خلاله. كان ليف واثقًا أن والديه قد منحا ماركوس أعضاءً جاءت كلها من الأعشار. أغلى الأعضاء ثمنًا على الإطلاق. كان يعرف هذا، لكنه لن يسأل. أخيرًا نظر إليه والده، وسأله: «هل أنت راضٍ الآن؟ هل أنت سعيد بنتائج أفعالك؟». تخيل ليف هذه المحادثة بينه وبين والده مائة مرة. في كل من تلك المواجهات العقلية، كان ليف دائمًا هو من يُوجِّه الاتهامات، وليس العكس. كيف يجرؤ؟ كيف يجرؤ؟ أراد ليف أن ينطلق مهاجمًا، لكنه رفض أن يبتلع الطعم، فلم ينبس ببنت شفة.

قال والده: «ألديك أدنى فكرة عما مرَّت به هذه الأسرة؟ عما شعرت به من عار؟ عما لحق بها من سخرية؟».

لم يستطعْ ليف المحافظة على صمته، فقال: «ربما إذن يجب ألا تحيط نفسك بأشخاص مثلكَ، يُصدِرون أحكامًا على الآخرين». نظر والده إلى ماركوس مرة أخرى، مقررًا بحزم: «سيعود شقيقك معنا إلى البيت». ولأن أي أعضاء يحظى بها ماركوس الآن، دفع والده ثمنها، فلن يكون أمامه الكثير من الخيارات.

- وماذا عني؟

مرة أخرى، لم ينظر إليه والده، وقال: «لقد أوفى ابني بنذر العُشر العام الماضي. هذا هو الابن الذي اخترتُ أن أتذكره. أما أنت، فيمكنك أن تفعل ما يحلو لك. هذا لا يقلقني». ولم يقل أكثر من ذلك.

قال ليف: «عندما يستيقظ ماركوس، أخبره أنني قد غفرتُ له».

- غفرتَ له ماذا؟

- هو سيعرف.

وغادر ليف الغرفة، دون أن يقول وداعًا.

في نهاية الردهة، رأى والدته مرة أخرى -وأفرادًا آخرين من أسرته- في غرفة الانتظار بالطابق الرابع. أخ وأختان وأزواجهم. لقد جاءوا من أجل ماركوس. لم يحضرْ أحدهم لرؤيته. تردَّد متسائلًا أكان ينبغي له أن يدخل الغرفة. أسيتصرفون مثل والده، بمرارة وقسوة وبرود، أم مثل والدته، يمنحونه عناقًا مؤلمًا، لكنهم يرفضون النظر إليه؟

ثم -في لحظة التردد تلك- رأى إحدى شقيقاته تنحني وتحمل طفلًا. إنه ابن أخت جديد، لم يكن ليف يعلم أنه قد حظي به.

وكان الطفل يرتدي ملابس بيضاء بالكامل.

هُرِعَ ليف إلى غرفته، لكنْ حتى قبل أن يصل إلىَ هناك، شعر أن البركان قد بدأ يثور بداخله. إنه يبدأ في أعماق أمعائه، ثم يتصاعد بغضب غير متوقع، مسببًا تقلصات شديدة في بطنه. اضطُرَّ إلى التحامل على نفسه بشدة، وهو يخطو خطواته الأخيرة نحو غرفته التي بدت مضاعفةً، وهو بالكاد قادر على التقاط أنفاسه، فيما تفجرت الدموع من عينيه.

في مكان ما من أعمق أعماق ذهن ليف -ربما المكان الذي تذهب إليه أحلام الطفولة- كان يحمل أملًا سريًّا في أن يقبل والداه عودته فعلًا. أن يُرحِّبا به يومًا في المنزل. أخبره ماركوس أن ينسى الأمر، وأن ذلك لن يحدث أبدًا، لكنْ لا شيء يمكن أن يمحو هذا الأمل العنيد الذي كان يختبئ بداخله.. حتى اليوم.

صعد إلى سريره في المستشفى ودفن وجهه في وسادته، في حين تصاعدت حدة تنهداته، متحولة إلى عويل. مخزون عام كامل من آلام القلب المكبوتة تدفق من روحه كشلالات «نياجرا»، دون أن يهتم حتى لو غرق في البياض القاتل لمياهه المضطربة.

***

استيقظ ليف دون أن يتذكر أنه قد نام. إنه يعلم أنه قد استغرق في النوم بالضرورة، لأن ضوء الصباح كان يتدفق إلى داخل الغرفة.

- صباح الخير يا ليف.

أدار رأسه نحو الصوت بحدة شديدة، فشعر بالغرفة تدور من حوله. كان هذا أحد تداعيات الانفجار. ما زال في أذنيه رنين، لكنْ على الأقل توقفتِ الرفرفة في أذنه اليسرى.

وجد امرأة تجلس على مقعد بالقرب من نهاية فراشه، وهي ترتدي ملابس فاخرة إلى حد ما، وهذا ما يعني أنها ليست جزءًا من طاقم المستشفى.

- هل أنتِ من المباحث الفيدرالية؟ أو من الأمن الوطني؟ هل أتيتِ إلى هنا، لتطرحي عليَّ المزيد من الأسئلة؟ لأن ليس لديَّ المزيد من الإجابات.

ضحكتِ المرأة بخفة، قائلة: «أنا لا أنتمي إلى أي وكالة حكومية. أنا أمثل «صندوق كافينو». هل سمعت به؟».

هز ليف رأسه نفيًا، وقال: «أمن المفترض أن أفعل؟».

أعطته كتيبًا ملوَّنًا، وعندما نظر إليه، اقشعر بدنه.

- يبدو كأنه كتيب خاص بمخيم حصاد.

قالت وقد بدا بوضوح أنها قد شعرتْ بالإهانة: «مطلقًا».

كان هذا هو الرد الصحيح بالنسبة إلى ليف. قالت له المرأة: «ببساطة، «صندوق كافينو» هو أموال طائلة، خصصتْها أسرة -كانت يومًا فاحشة الثراء- لمساعدة الشباب الجانحين. ونعتقد أن قلة من الشباب في مثل جنوحك».

منحته ابتسامة صغيرة ملتوية، وهي تظن نفسها لطيفة -لكنها لم تكن كذلك- وقالت: «أيًّا ما كان الأمر، لقد فهمنا أنه ليس لديك مكان تذهب إليه عند خروجك من المستشفى، وبدلًا من تركك تحت رحمة خدمات حماية الطفل التي لا تستطيع بالتأكيد حمايتك من أي هجمات تصفيق مستقبلية، نحن مستعدون لتوفير مكان إقامة لكَ -بموافقة كاملة من سلطة الأحداث طبعًا- مقابل الحصول على خدماتك».

سحب ليف ركبتيْه إلى أعلى تحت غطائه، وانكمش بعيدًا عنها. إنه لا يثق بمن يرتدون ملابس أنيقة، ويُقدِّمون عروضًا مشروطة.

- أي نوع من الخدمات؟

ابتسمتْ له بمودة، قائلة: «مجرد وجودك يا سيد كالدر. حضورك وشخصيتك الطاغية».

رغم أنه لم يستطع التفكير في أي شيء أكسبتْه إياه شخصيته، فإنه قال: «بالتأكيد، لمَ لا؟». لأنه يدرك أنه لم يتبقَّ له شيء على الإطلاق ليخسره. تذكر الأيام التي تلت انفصاله عن ساي-فاي، وقبل وصوله إلى المقبرة. كانت أيامًا مظلمة بالتأكيد، لكنْ تخللها القليل من الضوء، عندما وجد نفسه في محمية، استحوذ عليها «المحظوظون». علَّمه قوم «المحظوظين» أنه عندما لا يكون لديك ما تخسره، فلا توجد مقامرة خاسرة. ثم خطر له شيء ما. شيء ظل في أعماق عقله منذ مدة، لكنه طفا اليوم إلى السطح.

قال ليف: «لكنْ هناك أمر واحد».

- ما هو؟

- أريد تغيير اسم أسرتي بشكل قانوني. هل يمكنكِ فعلها؟

رفعت حاجبيها، قائلة: «طبعًا، ما دامت هذه هي رغبتك. هل لي أن أسأل ماذا سيكون لقبك الجديد؟».

قال لها: «أي لقب. ما دام ليس كالدر».

***

22 - الصندوق

يوجد منزل في شارع بشمال «ديترويت». إنه الآن المسكن القانوني الرسمي لليفي جيديديا جاريتي. إنه منزل صغير، لكنه ملائم، موَّله سخاء «صندوق كافينو» المخصص لمساعدة الشباب الجانح. يوجد خادم بدوام كامل، لقضاء احتياجات ليف، ومعلم جديد للعناية بدروسه. بل إن الصندوق قد زرع شرطيًّا دائمًا في الخارج، لردعٍ أي ضيوف غير مرغوب فيهم، والمحامين المشتبه فيهم. لا يمكن للمُصفِّقين أن يقتربوا من محيط الباب الأمامي للمنزل.

كان الوضع ليصبح مثاليًّا بالنسبة إلى ليف، باستثناء حقيقة أنه لا يعيش هناك فعلًا. صحيح أن شريحة التتبع -المزروعة تحت الجلد في رقبته- تؤكد أنه هناك، لكنَّ الشريحة تعرضت للاختراق بسهولة. الآن، يمكن للشريحة إرسال إشارة من أي مكان يريدون أن يبدو ليف فيه.

لا أحد يعرف أنهم قد أحضروه إلى «قصر كافينو»، على بعد أربعين ميلًا تقريبًا. «قصر كافينو» هو مبنى عملاق، مُقام على مساحة خمسة وسبعين هكتارًا منعزلة، تطل على «بحيرة أوريون» بـ «ولاية متشيجان». صُمِّمَ ليبدو كـ «قصر فرساي»، وبُنِيَ بأرباح السيارات، في الأيام التي سبقت انتحار صناعة السيارات الأمريكية -في ما يشبه التصفيق- لتختفي من الوجود.

معظم الناس لا يعرفون أن القصر ما زال هناك. إنهم في الغالب على حق، لأنه بالكاد موجود. التعرض لعوامل التعرية طوال هذه السنوات، سيجعل عاصفة واحدة إضافية كفيلة بإنهاء وجوده. كان القصر يُستخدَم كمقر قيادة الغرب الأوسط لـ «لواء الاختيار» خلال «حرب الجوهر»، حتى استُولِي عليه، وأصبح مقرًّا لـ«جيش الحياة». على ما يبدو، رأى رجال «لواء الاختيار» و«جيش الحياة» قيمةً كبيرةً في امتلاك نسخة من «قصر فرساي».

كان المكان يتعرض للهجوم باستمرار، حتى أتى اليوم الذي أنهت فيه «اتفاقية التفكيك» المعارك، وقدَّمت أسوأ حل وسط ممكن، ومع ذلك كان البند الوحيد الذي اتفق عليه الجانبان هو: قداسة الحياة من الحمل حتى سن الثالثة عشرة، مع خيار تفكيك المراهقين الذين يُعتبَر قدومهم إلى الحياة على سبيل الخطأ.

لسنوات عدَّة بعد الحرب، ظلت حالة «قصر كافينو» تتدهور، فتكلفة ترميمه باهظة للغاية، لكنه في الوقت نفسه أكبر من أن يُهدَم. بقي الوضع هكذا، إلى أن تبرع تشارلز كافينو الابنُ بالقصر -للتخفيف من ذنب استمرار امتلاكه أموالًا قديمة في عصر جديد- إلى صندوق ائتماني، يملكه صندوق ائتماني آخر، والذي تُغسَل أمواله من خلال صندوق ائتماني ثالث، تملكه المقاومة ضد الانقسام.

***

مكتبة
t.me/soramnqraa

23 - ليف

استقبل تشارلز كافينو الابنُ شخصيًّا ليفَ عند مدخل القصر المنهار. كان يرتدي ثيابًا تشي بثرائه الفاحش، ولا يقلقه كونها تفتقر إلى الأناقة والتناسق. حتى مع اختفاء ثروة أسرة كافينو منذ مدة طويلة، خمَّن ليف أن هناك ثروة متبقية تكفي ليحيا جيله كله على الأقل حياة الصفوة. الشيء الوحيد الذي خان ولاءه للمقاومة هو شعره الخفيف. ففي هذه الأيام، لا يعاني الأغنياء تساقطَ الشعر، وإذا حدث ذلك، فإنهم يستبدلون به شعرَ شخصٍ آخر.

أمسك يد ليف بكلتا يديه، وصافحه بقوة، محافظًا على ثبات التواصل بالعين معه -وهو ما رآه ليف مُربِكًا- وقال: «إنه لشرف لي أن ألتقيك يا ليف!».

لم يجد ليف شيئًا آخر ليقوله سوى: «شكرًا لك. الشعور متبادل».

- يؤسفني بشدة ما سمعتُه عن وفاة صديقك، وإصابات شقيقك. لا يسعني إلا أن أفكر في أننا لو كنا قد تواصلنا معك في وقت سابق، لما حدثتْ تلك المأساة قطُّ.

نظر ليف إلى القصر. بالكاد كانت توجد به نافذة سليمة. الطيور تطير من خلال الزجاج المكسور بأطرافه الحادة.

قال كافينو: «لا تدعْ ذلك يخدعك. ما زال بالداخل بعض الحياة، والمظهر الذي يبدو عليه مفيد في الواقع. إنه تمويه لخداع أي شخص يحاول النظر من كثب».

لم يستطعْ ليف أن يتخيل وجود أي شخص يتلصص على المكان الذي يقع على مساحة خمسة وسبعين هكتارًا يحيط بها سياج، وسط حقل عشبي،

كان في السابق مرجًا محاطًا من جميع الجهات بغابات كثيفة. الطريقة الوحيدة لمجرد رؤية القصر هي النظر من أعلى.

فتح كافينو بابًا خشبيًّا نخره السوس، وقاد ليف إلى ما كان في السابق بهوًا كبيرًا. البهو الآن ليس له سقف. هناك مجموعتان من درجات السلم تقود إلى الطابق الثاني، لكنَّ معظم الخشب الموجود على الدرج قد انهار، ونمتِ الأعشاب الضارة من خلال شقوق في الأرضية، وهذا ما جعل البلاط الرخامي يخرج من مكانه، مرتفعًا إلى أعلى، فأصبح غير مستوٍ بعشوائية.

- من هنا.

قاده كافينو، متوغلًا إلى داخل المبنى المُدمَّر، ليدخل ممرًّا معتمًا حالته مُروِّعة بالقدر نفسه. رائحة العفن جعلتِ الهواء يبدو لزجًا. أوشك ليف أن يستنتج أن كافينو مجنون، ثم يركض هاربًا في الاتجاه الآخر، لكنْ عندئذٍ، فتح الرجل بابًا ثقيلًا أمامهما، فكشف عن قاعة طعام كبيرة.

- لقد رمَّمنا الجناح الشمالي. في الوقت الحالي هذا كل ما نحتاج إليه. اضطُرِرْنا طبعًا إلى تعتيم جميع النوافذ، فوجود أضواء ليلًا في مكان خَرِب مهجور، سيلفت الانتباه بشدة.

لم يقتربِ المكان من الحالة التي لا بدَّ أنه كان عليها في السابق. ما زال هناك طلاء مقشَّر، وبقع رطبة على السقف، لكنه أكثر ملاءمة للعيش من بقية القصر مترامي الأطراف. احتوت قاعة الطعام على ثريتين غير متطابقتين، ربما جاءتا من مناطق أخرى من القصر. أشار وجود ثلاث طاولات طويلة ومقاعد، إلى أن الكثير من الناس يتناولون وجباتهم هنا.

في الطرف البعيد من الغرفة، كانت توجد مدفأة ضخمة، وفوقها صورة شخصية بالحجم الطبيعي، أكبر من الحياة. في البداية، ظنَّها ليف لوحة لأحد أبناء أسرة كافينو عندما كان صبيًّا، إلى أن نظر عن قرب.

- انتظر.. أهذا... أنا؟

ابتسم كافينو، قائلًا: «التشابه كبير، أليس كذلك؟».

عندما اتجه نحوها، رأى ليف أن التشابه كبير حقًّا. أو على الأقل تصوير جيد لهيئته منذ عام. في الصورة، كان يرتدي قميصًا أصفر يتوهج كالذهب. في الواقع، رُسِمَتِ اللوحة لتعطي بشرته نوعًا من الإشراق السماوي. التعبير البادي على وجهه المرسوم كان ينطق بالحكمة والسلام -السلام الذي لم

يجذه ليف في الحياة بعد- وفي قاعدة الصورة، كان يطأ ملابس الأعشار البيضاء بقدميه بشكل مجازي.

رد فعله الأول كان الضحك، وهو يسأل: «لماذا هذا كله؟».

- الأمر يتعلق بالقضية التي ناضلتَ من أجلها يا ليف. يُسعدني أن أقول إننا بدأنا من حيث توقفتَ أنتَ.

على الرف الموجود أسفل اللوحة، وجد الكثيرَ من الأشياء، من الزهور إلى الملاحظات المكتوبة بخط اليد، وصولًا إلى قطع الجواهر والحُلي الأخرى.

شرح كافينو: «بدأتْ هذه الأشياء تظهر بعفوية بعد أن علقنا اللوحة. لم نتوقع ذلك، لكنْ ربما كان علينا أن نفعل».

كان ليف ما زال يحاول أن يستوعب الأمر. وللمرة الثانية، كل ما أمكنه فعله هو الضحك، وقال: «أنت تمزح، أليس كذلك؟».

وهنا نادتهما امرأة عن يمينه، عند مدخل الممر المجاور: «إن المقيمين قد أصابهم القلق يا سيد كافينو. أيمكنني السماح لهم بالدخول؟».

رأى ليف صبية يُجاهدون، ليروا ما أمام المرأة ذات الوزن الثقيل.

قال لها كافينو: «امنحينا لحظة من فضلك. (ثم ابتسم لليف) كما يمكنكَ أن تتخيل، إنهم متحمسون للغاية لمقابلتكَ».

- مَن؟

- الأعشار طبعًا. لقد أجرينا مسابقة، ووقع الاختيار على سبعة منهم لتحيتك شخصيًّا.

تحدث كافينو كما لو أن كل هذه الأشياء ينبغي لليف أن يعرفها فعلًا. هذا كله أكثر بكثير مما يمكن لعقله أن يستوعبه.

- الأعشار؟

- الأعشار السابقون. لقد أُنقِذوا في الواقع قبل وصولهم إلى مخيمات الحصاد.

وفجأة، استنتج ليف كيف يمكن أن يكون ذلك ممكنًا، فقال: «قراصنة الأعضاء الذين يستهدفون الأعشار!».

قال كافينو: «نعم، هناك بالتأكيد قراصنة أعضاء، لكنْ على حد علمي، لم يأخذ أحد منهم أي أعشار. ومع ذلك، هذه قصة جيدة تصلح كستار لتضليل سلطة الأحداث، ودفعها إلى السير في الاتجاه الخطأ».

فكرة إنقاذ الأعشار، بدلًا من بيعهم في السوق السوداء، لم تخطرْ على بال ليف قطُّ.

- أأنت مستعدٌ للقاء فريق سفرائنا الصغير؟

- بالتأكيد، لمَ لا.

أشار كافينو إلى المرأة للسماح لهم بالدخول، فدخلوا في موكب منظَّم، لم يخفِ الإثارة العالية البادية في خطواتهم. كلهم يرتدون ملابس زاهية الألوان، عمدًا. اختفى اللون الأبيض تمامًا من ملابس المجموعة كلها. وقف ليف هناك مذهولًا، وهم يحيونه واحدًا تلو الآخر. اثنان منهم فقط حدَّقا إليه وهما يومئان برأسيهما، وقد منعتهما دهشتهما الشديدة من قول أي شيء. صبي آخر صافحه بقوة شديدة، حتى اضطُرَّت كتف ليف إلى امتصاص الصدمة. كان أحد الأولاد متوترًا للغاية، فتعثَّر وكاد يسقط عند قدميْ ليف، ثم احمرَّ وجهه خجلًا، وهو يبتعد.

قالت إحدى الفتيات: «شعرك مختلف. (ثم أصابها الرعب، خوفًا من أن تكون قد أهانته بشدة) لكنه جميل! يروق لي! أنا أحب الشعر الطويل!».

صرَّح صبي آخر: «أنا أعرف كل شيء عنك. حقًّا، اسألني عن أي شيء».

ورغم أنَّ الفكرة قد أزعجت ليف إلى حد ما، فإنه قال: «حسنًا، ما نوع الآيس كريم الذي أفضِّله؟».

قال الصبي دون أدنى تردد: ««شيري جارسيا»!».

كان الجواب صحيحًا طبعًا. ولم يستطعْ ليف تحديد شعوره حيال ذلك.

- أخبروني، هل كنتم جميعًا من الأعشار؟

قالت فتاة ترتدي ملابس خضراء فاتحة: «نعم، إلى أن أنقذونا».

- نحن نعلم الآن مدى خطأ نذر العُشر.

قال آخر: «نعم.. لقد تعلمنا أن نرى بعينيك!».

وجد ليف نفسه مرتبكًا، وواقعًا في غرامهم. لم يشعرْ بأنه «مميز» منذ أيامه كعُشر. بعد ما حدث في «الحطاب السعيد»، رآه الجميع إما ضحية مثيرة

للشفقة، وإما وحشًا يجب أن يُعاقَب. لكنَّ هؤلاء الصبية يقدسونه كبطل. لم يستطعْ أن ينكر أنه بعد كل ما مرَّ به، شعر بالارتياح. وكان شعورًا جيدًا حقًّا.

كانت هناك فتاة ترتدي ملابس بنفسجية صارخة، لم تستطعْ أن تتمالك نفسها، وأحاطتْه بذراعيها، وهي تقول باكية: «أحبك يا ليف كالدر!».

أبعدها أحد الصبية الآخرين عنه، قائلًا: «آسف، إنها قوية بعض الشيء».

قال ليف: «لا بأس، لكنَّ اسمي لم يعد كالدر. إنه جاريتي».

قال الصبي الذي يعرف كل شيء فجأة، وبلا لياقة: «تيمنًا باسم القس دانيال جاريتي! الشخص الذي مات في انفجار المُصفِّقة منذ أسبوعين. (كان الصبي فخورًا للغاية، لأنه يملك المعلومات، لكنه لا يدرك أن موت دان القريب ما زال مؤلمًا للغاية بالنسبة إلى ليف) بالمناسبة، كيف حال طبلة أذنك المصابة؟».

- إنها تتحسن.

تدخل كافينو -الذي كان يقف في الخلف- متقدمًا ليجمعهم، ويرسلهم بعيدًا، وهو يقول لهم: «هذا يكفي الآن. لكنكم ستحصلون جميعًا على فرصتكم لحضور لقاء نجمه ليف».

قال ليف، وهو يكتم ضحكته لمجرد الفكرة: «لقاء؟ من أكون أنا ليحدث ذلك؟ البابا؟». لكنْ لم يضحك أحد، وخطر على باله أن مزاحه مع القس دان، قد أصبح حقيقة واقعة. إن هؤلاء الصبية يتبعون دين «ليفياثان».

***

أربعة وستون. هذا هو عدد الأعشار السابقين الذين يؤويهم قصر كافينو ويوفر ملاذًا آمنًا لهم. أعطى هذا ليف أملًا لم يشعر به منذ إقرار قانون «كاب-17» الذي اتضح أنه كان انتكاسة إلى الخلف، بقدْر ما كان قفزة إلى الأمام.

قال كافينو لليف: «في النهاية، سنمنحهم هويات جديدة، ونضعهم مع الأُسَر التي نثق أنها ستحفظ سرهم. هذا ما نُطلِق عليه «برنامج إعادة التوطين الكامل»».

اصطحب كافينو ليفَ في جولة كبرى بالجناح الشمالي المرمَّم. على الجدران، وُجِدَتْ صور محاطة بإطارات، ومقاطع إخبارية عن ليف. وكانت

في أحد الممرات لافتة تعلن أنهم يجب أن يعيشوا جميعًا مثل ليف! بدأ إحساسه بالدوار، يتحول إلى اضطراب في معدته.

كيف يمكنه أن يرقى إلى مستوى هذا التطلعات المتراكمة كلها؟ أعليه حتى أن يحاول؟

سأل كافينو: «ألا تعتقد أن هذا نوع من... المبالغة؟».

- لقد أدركنا أنه بإبعادنا لهؤلاء الصبية عن نذر العُشر، فقد أزلنا محور حياتهم؛ الشيء الوحيد الثابت الذي آمنوا به. كنا بحاجة إلى ملء ذلك الفراغ، مؤقتًا على الأقل. وكنت أنت المرشح الطبيعي.

نُسِخَت على الجدران اقتباسات وعبارات منسوبة إلى ليف. أشياء مثل «الاحتفال بحياة غير مقسَّمة هو أفضل هدف للجميع»، و«مستقبلك ملك لك بالكامل». إنه شعور يتفق معه، لكنه لم يتفوَّه به قطُّ.

قال له كافينو: «لا بدَّ أنه من الغريب أن تجد نفسك محورَ مثل هذا الاهتمام النبيل. آمل أن توافق على كيفية استخدامنا صورتَك، لمساعدة هؤلاء الصبية».

لم يجد ليف نفسه في وضع يسمح له بالموافقة، أو الرفض، أو حتى تقييم الحكمة مما حدث. كيف تحكم على سطوع الضوء عندما تكون مصدره؟ لا يستطيع الضوء الموجَّه رؤية الظلال التي يلقيها. كل ما يمكنه فعله هو مسايرة الأمر، واتخاذ موقعه كشخصية مُوحِية روحيًّا. توجد أشياء أسوأ من هذا، وبعد مروره بالعديد منها، لا شك في أن هذا أفضل.

في يومه الثاني هناك، بدأوا في ترتيب لقائه الجماهيري مع الأعشار السابقة، بضعة منهم فحسب يوميًّا حتى لا يسببوا له ارتباكًا. استمع ليف لقصص حياتهم، محاولًا إسداء النصيحة، بالأسلوب الذي تعامل به مع الصبية المسجونين «المعرَّضين لخطر الانقسام» الذين اعتاد زيارتهم أيام الأحد مع القس دان. لكنْ بالنسبة إلى هؤلاء الأعشار السابقين -أيًّا كان ما يقوله ليف- فإنهم يعتبرونه وحيًا مقدسًا. لو قال حتى إن السماء وردية، سيجدون لهذا معنى صوفيًّا ورمزيًّا.

قال له كافينو: «كل ما يريدونه هو التأكد من سيرهم على الطريق الصحيح، والحصول على ذلك منك هو أعظم هدية يمكن أن يأملوا الحصول عليها».

بحلول نهاية الأسبوع الأول، توافَق ليف مع إيقاع المكان. وجبات الطعام لا تبدأ حتى يصل. عادة ما يستدعونه ليتلو صلاة شكر. يقضي صباحه في اللقاءات الجماهيرية، وفي وقت ما بعد الظهر، يُتاح له قضاء بعض الوقت مع نفسه. لقد حثه كافينو والموظفون على كتابة مذكراته، وهو ما بدا كطلب سخيف موجه إلى مراهق في الرابعة عشرة من عمره، لكنهم كانوا جادين تمامًا. حتى غرفة نومه سخيفة، فهي غرفة ملكية كبيرة جدًّا بالنسبة إليه، وواحدة من الغرف القليلة التي تحتوي نافذة فعلية غير مغطاة تطل على الخارج. غرفته أكبر من الحياة، وصورته أكبر من الحياة والموت مجتمعيْن، ومع ذلك فإن هذه الأشياء كلها تجعله يشعر بشكل متزايد أنه صغير. ومما زاد الطين بلة، أنه في كل وجبة يواجه تلك اللوحة المرسومة لذلك الـ «ليف» الذي يظنونه هو. يمكنه أن يؤدي هذا الدور بالتأكيد، لكنَّ عينيْ تلك الصورة -اللتين تتبعانه خلال الغرفة- تحملان اتهامًا. تقول هاتان العينان: «أنت لستَ أنا. لم تكنْ، ولن تكون أنا أبدًا». لكنْ ظلت الزهور والملاحظات والإشادات تظهر على الرف أسفل اللوحة، فأدرك ليف أنها ليست مجرد صورة... إنه مذبح.

***

خلال أسبوعه الثاني، استدعوه لاستقبال الوافدين الجدد، وذلك لأول مرة منذ وصوله. لقد غادروا الشاحنة المخطوفة منذ قليل، وكل ما يعرفونه أن جهة ما قد اختطفتهم، وخدرتهم. إنهم لا يعرفون بعد شخصية الخاطفين.

قال له كافينو: «نريدك أن تكون أول ما يرونه عند إزاحة الستار عنهم».

- لماذا؟ حتى يكون لي تأثير قوي فيهم مثل صغار البط؟

زفر كافينو في سخط خفيف، قائلًا: «لا. على حد علمهم، أنت الوحيد الذي أفلت من تنفيذ نذر العُشر. إنك لا تدرك التأثير العميق لوجودك في طفل آخر مُساق إلى المصير نفسه».

أرشدوا ليف إلى قاعة الرقص التي ظلت في حالة مؤسفة، وربما تكون قد أصبحت غير قابلة للترميم. كان واثقًا أن هناك بعض الأسباب النفسية التي جعلتْهم يوجهونه لتحية الصبية هنا، لكنه لم يُردْ حقًّا أن يسأل عنها.

عندما وصل إلى هناك، كان الوافدان الجديدان موجودَيْن فعلًا. صبي وفتاة. كانا مقيدَيْن على مقعديْهما وعيناهما معصوبتين، وهذا أوضح ما كان يعنيه كافينو بعبارة «إزاحة الستار». الرجل يميل بشدة إلى الأداء المسرحي.

بكى الصبي، وأخذتِ الفتاة تحاول تهدئته، قائلة: «لا بأس يا تيموثي. مهما حدث، سنكون على ما يرام».

جلس ليف أمامهما، وهو يشعر بالارتباك والخوف إزاء خوفهما. كان يعلم أنه بحاجة إلى إبداء الثقة والراحة، لكنَّ مواجهة زوجين من ضحايا الاختطاف المذعورَيْن، تختلف عن مواجهة الأعشار السابقين.

لم يكن كافينو هناك، لكنَّ اثنين من الراشدين العاملين لحسابه كانا يقفان على أهبة الاستعداد. ازدرد ليف لعابه، وهو يحاول منع يديْه من الاهتزاز، بإمساك ذراعي مقعده، وقال: «حسنًا، يمكنكما نزع العصابات عن عينيهما».

كانت عينا الصبي حمراوين من أثر البكاء. أما الفتاة فبدأتْ فعلًا تنظر حولها، وتستطلع الوضع.

قال ليف: «أعتذر حقًّا لأننا اضطُرِرنا إلى إحضاركما بهذه الطريقة. لا يمكننا المخاطرة بتعرضكما للأذى، أو معرفتكما المكان الذي اصطحبناكما إليه. لقد كانت الطريقة الوحيدة لإنقاذكما بأمان».

قالت الفتاة: «إنقاذنا؟ أهذا ما تسميه إنقاذًا؟».

حاول ليف تجاهل الاتهام الواضح في صوتها، لكنه لم يستطعْ. أجبر نفسه على الحفاظ على التواصل البصري كما يفعل كافينو، آملًا أن يتمكن من الظهور في هيئة الواثق.

- حسنًا، قد لا يكون هذا هو شعوركما في الوقت الحالي، ولكنَّ هذا هو بالضبط ما فعلناه.

تجهمتِ الفتاة في تحدٍّ مطلق، لكنَّ عينيِ الصبي المبللتين بالدموع اتسعتا، وهو يقول لاهثًا: «إنك هو! أنت ذلك العُشر الذي أصبح مُصفِّقًا! أنت ليفي كالدر!».

منحه ليف ابتسامة اعتذار خفيفة، دون أن يكلِّف نفسه عناء تصحيح الاسم الأخير، وقال: «نعم، لكنَّ أصدقائي يدعونني ليف».

تطوَّع الصبي بتقديم نفسه ورفيقته: «أنا تيموثي! تيموثي تايلور فانس! وهي اسمها مــ... مــ...، لا أستطيع أن أتذكر تمامًا، لكنه يبدأ بحرف الميم، أليس كذلك؟».

قالت: «اسمي يخصني وحدي وسيظل كذلك».

نظر ليف إلى ورقة التلقين الصغيرة التي حصل عليها، قائلًا: «اسمك ميراكولينا روسيلي. يسرني لقاؤك يا ميراكولينا. هل يدعونك ميرا؟ (أوضح تحديقها الغاضب المتواصل أنها لا تفضل هذا الاسم) حسنًا، سأدعوكِ ميراكولينا إذن».

قالت بصوت يشبه الهدير: «ما الذي يمنحك الحق في ما تفعل؟».

اضطُرَّ ليف إلى التواصل بالعينين مرة أخرى. إنها تعرف من هو، لكنها تكرهه. بل تحتقره. لقد رأى تلك النظرة من قبل، لكنْ فاجأته رؤيتها هنا.

- ربما لم تسمعني.

قال ليف، غاضبًا إلى حد ما: «لقد أنقذناكِ للتو».

- من الذي أطلق على ذلك اسم «إنقاذ»؟

للحظة، للحظة فحسب، رأى نفسه في عينيْ هذه الفتاة، ولم يحب ما رآه.

قال، محاولًا إخفاء الرعشة في صوته: «أنا سعيد لأنكما هنا. سنتحدث مرة أخرى». ثم أشار للراشدين، ليأخذا الصبيين بعيدًا.

جلس ليف في قاعة الرقص لمدة عشر دقائق. في سلوك ميراكولينا شيء ما بدا مألوفًا بشكل مزعج. حاول أن يتذكر عندما أخرجه كونور من سيارته الليموزين في يوم تنفيذه لنذر العُشر. أكان هو ذلك المحارب؟ ذلك الفتى غير المتعاون؟ لقد نسي الكثير مما حدث في ذلك اليوم. في أي مرحلة بدأ يدرك أن كونور لم يكن العدو؟

سيكسب ودها. عليه أن يفعل. لقد غيَّر الأعشار السابقون أفكارهم في النهاية. تخلصوا من غسل المخ. لم يعودوا مبرمجين.

لكنْ ماذا لو كانت هذه الفتاة هي الاستثناء؟ ماذا سيحدث بعد ذلك؟ وفجأة، بدت عملية الإنقاذ بأكملها -التي بدت كأنها فكرة عظيمة ورائعة- صغيرة جدًّا. وشخصية للغاية.

***

24 - ميراكولينا

وُلِدَتْ ميراكولينا لإنقاذ حياة أخيها، ثم إهدائها إلى الرب مرة أخرى، وهي لن تقف ساكنة إزاء هذا الانتهاك، وإفساد مصيرها المقدَّس، وتحويلها إلى هاربة تعيش حياة زائلة. حتى والديها أصابهما الضعف في النهاية، وكانا على استعداد لكسر اتفاقهما مع الرب، وإنقاذها من نذر العُشر. تساءلتْ، أسيسعدهما أسرها وإجبارها على العيش ككيان كامل؟ أن ينكرا السر المقدس للحالة المنقسمة؟

ليس عليها أن تعاني هذا الإذلال فحسب، بل عليها أيضًا أن تعانيه على يد الصبي الذي تعتبره عمليًّا الشيطان متجسدًا. ميراكولينا ليست فتاة تستلم للكراهية والحكم الجائر، لكنَّ مواجهة هذا الصبي أثبتتْ أنها ليست متسامحةً كما كانت تعتقد.

فكرت: «ربما لهذا السبب وُضِعْتُ على هذا الطريق، لأصبح أكثر تواضعًا، وأدرك أنني قادرة على الكراهية، تمامًا كأي شخص آخر.

في ذلك اليوم الأول، حاولوا خداعها بوضعها في غرفة نوم مريحة، حالتها أفضل كثيرًا من معظم الأماكن بالقصر.

- يمكنكِ أن تستريحي هنا، إلى أن تتلاشى آخر آثار المخدر.

هكذا قالت لها امرأة لطيفة ممتلئة الجسم التي قدمت لها أيضًا وجبة من اللحم البقري والملفوف، مع كوب طويل من مشروب غازي.

قالت: «إن اليوم هو عيد القديس باتريك، ألا تعرفين؟ تناولي طعامكِ يا عزيزتي. هناك المزيد إذا أردتِ». كانت محاولة صارخة لكسب ودها. أكلتْ، لكنها رفضتِ الاستمتاع بالطعام.

وجدتْ مقاطع فيديو وكتبًا في غرفتها للترفيه عنها، لكنَّ رد فعل ميراكولينا كان الضحك، لأن مثلما كانت توجد أفلام سعيدة ومناسبة للأسرة فحسب في

شاحنة مخيم الحصاد، فإن العناوين التي يتعيَّن عليها الاختيار من بينها هنا لها أجندة واضحة أيضًا. إنها تدور حول تعرض الأطفال لسوء المعاملة، ولكنهم يتجاوزون ذلك، أو عن حصول الأطفال على مكانتهم بأنفسهم في عالم لا يفهمهم. كل شيء من ديكنز إلى سالينجر، كما لو كانت ميراكولينا روسيلي يمكن أن تشترك في أي شيء مع هولدن كولفيلد. هناك أيضًا أدراج مليئة بالملابس ذات الألوان الزاهية، وكلها مطابقة لمقاسها، وارتجفتْ عندما راودتها فكرة أنهم قد حصلوا على قياساتها، وأعدوا خزانة ملابس، عندما كانت فاقدة الوعي. لقد أصبح زي الأعشار الأبيض متسخًا، لكنها لن تمنحهم الشعور بالرضا، بتغييره.

أخيرًا، جاء رجل أصلع في منتصف العمر، يحمل ملفًّا، وبطاقة اسم مكتوب عليها بوب فحسب.

أخبرها بوب بعد تقديم نفسه كما عليه: «كنتُ طبيبًا نفسيًّا محترمًا، إلى أن تحدثتُ ضد التفكيك. ورغم ذلك، كان نبذي من المجتمع نعمةً مُقنَّعةً، لأنه سمح لي بالمجيء إلى هنا، حيث يحتاج الناس إلى وجودي حقًّا».

أبقت ميراكولينا ذراعيها معقودتين أمام صدرها، دون أن تبدي له أي رد فعل. إنها تعرف ما يحدث. إنهم يسمونه «إلغاء البرمجة»، وهو مصطلح مهذَّب لإلغاء غسل المخ، بالمزيد من غسل المخ.

قالت له: «لقد اعتدتَ أن تكون محترمًا، وهذا ما يعني أنك لم تعدْ كذلك.. وأنا أيضًا لا أحترمكَ». بعد تقييم نفسي قصير، رفضتْ أن تأخذه على محمل الجد، تنهَّد بوب ونقر قلمه ليغلقه، قائلًا: «أعتقد أنك ستفهمين أن اهتمامنا بكِ حقيقي، وأننا نريدكِ أن تُزهري حقًّا».

قالت له: «أنا لستُ نباتًا محفوظًا في أصيص»، وألقتْ كوب المشروب الغازي على الباب، وهو ينغلق خلفه.

سرعان ما اكتشفت أن بابها غير مقفل من الخارج. أهي حيلة أخرى؟ خرجتْ لاستكشاف قاعات القصر. لا يمكنها أن تنكر أن حتى في أثناء غضبها من الاختطاف، شعرت بالفضول حيال ما يجري هنا. كم عدد الصبية الآخرين الذين اختُطِفُوا قبل تنفيذ نذر أجسادهم؟ كم عدد الخاطفين؟ ما فرصها في الهروب؟

اتضح أن هناك الكثير من الصبية الآخرين. يتسكعون في غرف النوم أو المناطق العامة. إنهم يعملون على إصلاح الضرر -الذي لا يمكن إصلاحه- والعفن المنتشر بالقصر، ويتلقون دروسًا يلقيها أشخاص آخرون مثل بوب.

تجولتْ في منطقة اجتماعية، لها أرضية محطَّمة، وبها طاولة بلياردو مدعومة بالخشب، لإبقائها مستوية. نظرت إليها فتاة، وأخذت تفحصها، وتقترب. بطاقة اسمها مكتوب عليها «جاكي».

قالت جاكي، وهي تلتقط يدها لتصافحها، لأنَّ ميراكولينا لم تمدها: «لا بدَّ أنكِ ميراكولينا. أعلم أن التكيُّف صعب، لكنني أعتقد أننا سنكون صديقتيْن رائعتيْن». كان لجاكي المظهر المِميز للأعشار -ككل الصبية الآخرين في المكان- مستوى معين من النظافة، والسمو على الأمور الدنيوية. رغم عدم ارتداء أحدهم الثياب البيضاء، فلا يمكنهم إخفاء ما كانوا عليه من قبل.

سألتها ميراكولينا «هل كلفوكِ بمرافقتي؟».

هزَّت جاكي كتفيها معتذرة، وقالت: «نعم. شيء من هذا القبيل».

- شكرًا لصراحتكِ، لكنكِ لا تروقين لي، ولا أريد أن أكون صديقتكِ.

كان من الواضح أن جاكي -التي لم تكن طبيبة نفسية محترمة سابقًا، ولكنها مجرد فتاة عادية تبلغ ثلاثة عشر عامًا- قد جرحتْها كلماتها، فندمتْ ميراكولينا عليها على الفور. يجب ألا تسمح لنفسها بأن تصبح قاسية ومستنزفة. يجب أن تسمو فوق هذا.

- أعتذر. لستِ أنتِ مَن لا تروقين لي، إنه ما يحثونك على فعله. إذا كنتِ تريدين أن تصبحي صديقتي، فحاولي مرة أخرى عندما لا يكون ذلك لمجرد تنفيذ مهمتكِ.

قالت جاكي: «حسنًا، أنتِ على حق. لكنْ سواء كنا صديقتيْن أم لا، وسواء أعجبكِ ذلك أم لا، من المفترض أن أساعدكِ على الاندماج مع البرنامج».

توصَّلتِ الفتاتان إلى تفاهم؛ تعود جاكي إلى صديقاتها، لكنها تظل تراقب ميراكولينا، ما دامت في الغرفة.

تيموثي -الصبي الذي اختطفتْ معه- كان موجودًا في الغرفة أيضًا، مع عُشر سابق بدا أنه مكلَّف بمرافقته.

كان الاثنان يتحدثان، كأنهما صديقان حميمان فعلًا. من الواضح أن تيموثي «قد اندمج مع البرنامج»، ولأنه لم يكن حريصًا للغاية على التفكيك على أيِّ حال، فكل ما تطلبه الأمر لإلغاء برمجته هو تغيير ملابسه.

قالت له عندما استطاعتْ أن تجده بمفرده في وقت لاحق من اليوم: «كيف يمكنكَ أن تكون... سطحيًّا للغاية؟».

قال، والابتسامة تملأ وجهه، كأنه قد حصل للتو على جرو جديد: «إذا كان هذا ما تطلقينه على الأمر، فلا بأس. لكنْ إذا كانت الرغبة في الحياة تعني السطحية، فأنا سطحي للغاية!».

إلغاء البرمجة! هذا يكفي ليُشعرها بالغثيان. إنها تحتقر تيموثي، وتتساءل كيف يمكن مقايضة إيمان أحدهم مدى الحياة، باللحم البقري والملفوف.

بحثتْ جاكي عنها في وقت لاحق من اليوم، بعد أن اكتشفتْ ميراكولينا أن «حريتها» تنتهي عند باب مُغلق، وهو الذي يحجز الأعشار السابقين في جناح واحد من القصر. قالت لها جاكي: «باقي القصر ما زال غير صالح للسكن. هذا هو سبب السماح لنا بالتجول فقط داخل الجناح الشمالي».

أوضحتْ جاكي أنهم يقضون أيامهم في الحصول على صفوف دراسية مصمَّمة لمساعدتهم على التكيف.

سألتها ميراكولينا بابتسامة متكلَّفة: «ماذا يحدث لمن يرسبون؟».

لم تحرْ جاكي جوابًا، بل نظرت إليها فحسب، كما لو أنه مفهوم لم يكن في حسبانها.

***

في غضون أيام قليلة، حصلت ميراكولينا على كل ما يمكنها احتماله من الصفوف الدراسية. يبدأ الصباح بجلسة علاجية جماعية مشحونة بالعواطف، إذ ينفجر شخص واحد على الأقل باكيًا، ويصفق له الآخرون لفعله ذلك. عادة لا تشارك ميراكولينا بالحديث، لأن الدفاع عن نذر العُشر أمر يستاء منه أعضاء هيئة التدريس.

هذا ما يقولونه جميعًا إذا تحدثتْ علنًا ضد إعادة البرمجة: «حقك في الرأي مكفول.. لكننا نأمل أن يتغير رأيك في النهاية». وهذا ما يعني أن ليس لها الحق في إبداء الرأي حقًّا.

هناك صف دراسي في التاريخ الحديث، وهو شيء تُعلِّمه مدارس قليلة في الواقع. يتضمن المنهج حربَ الجوهر، واتفاقيةَ التفكيك، وكل ما يتعلق بهما، وصولًا إلى اليوم الحالي. هناك نقاشات عن الجماعات المنشقَّة داخل العديد من الأديان الرئيسية التي تبنَّت نذر العُشر البشري، وأصبحتْ «عبادات نذر العُشر» يُقرُّها المجتمع. قال لهم المعلم: «لم تكن هذه حركات شعبية. بدأ الأمر بالأُسَر الثرية -المديرين التنفيذيين وأصحاب الأسهم في الشركات الكبرى- كطريقة لإعطاء نموذج يُحتذى للعامة، لأنه إذا وافق حتى الأثرياء على التفكيك، فعلى الجميع الموافقة. كانت طوائف نذر العُشر جزءًا من خطة محسوبة لمد جذور التفكيك في نفوس المواطنين». لم تستطع ميراكولينا أن تمنع نفسها من رفع يدها. قالت للمعلمة: «عفوًا، لكني كاثوليكية ولست أنتمي إلى إحدى عبادات نذر العُشر. فكيف تفسرون حالتي؟».

ظننتْ أن المعلمة قد تقول: «أنت الاستثناء الذي يُثبت القاعدة»، أو شيئًا خبيثًا بالدرجة نفسها، لكنها لم تفعل. بدلًا من ذلك، قالت فقط: «حسنًا، هذا مثير للاهتمام. أراهن أن ليف سيرغب في التحدث معك عن ذلك».

بالنسبة إلى ميراكولينا، كان هذا أسوأ تهديد يمكن أن تلوح به المعلمة، وهي تعلم ذلك. لقد جعل هذا ميراكولينا تصمت. ومع ذلك، فإن مقاومتها للمقاومة معروفة في القصر، واشتهرتْ بكونها من غير المرغوب في حضورهم لقاءات مع الصبي الذي لم ينفجر.

لكنَّ اللقاء حدث صباح الاثنين. لقد انسحبتْ من العلاج الجماعي غير المحتمل، وأخذوها إلى قسم من القصر لم تره من قبل، لم يرافقها عامل واحد، بل اثنان من العاملين في المقاومة. ورغم أن لا سبيل لها للتأكد، فقد اشتبهت أن أحدهما على الأقل مسلح. رافقاها إلى مشتل مليء بالنباتات، تملأه الصوبات الزجاجية وأشعة الشمس، ويحافظون على دفئه، كما رمموه ليستعيد مجده السابق. في المنتصف كانت هناك طاولة من خشب الماهوجني ومقعدان. كان الصبي -الذي تتمحور حوله طقوس تقديس البطل الغريبة هذه- هناك فعلًا، جالسًا على أحد المقاعد. جلست أمامه وانتظرت أن يتحدث أولًا. وقبل حتى أن يتكلم، أمكنها أن تقول إنه مهتم بها حقًّا: الفرس الجامح الوحيد في القصر بأكمله الذي لا يمكن ترويضه.

قال بعد أن تأملها، فاحصًا بضعَ لحظات: «أخبريني، ما الجديد لديك؟».

استاءتْ من الطابع غير الرسمي للسؤال، كما لو أن موقفها من كل ما يجري في هذا المكان هو مسألة «حدوث شيء ما». حسنًا، ستوضح له اليوم أن تحديها هو أكثر من مجرد سلوك.

- هل أنتَ مهتم بي حقًّا أيها المُصفِّق، أم إنني الحشرة التي لا يمكنك أن تسحقها تحت حذائك الحديدي فحسب؟

أضحكه قولها، معلقًا: «الحذاء الحديدي، هذا تعبير جيد. (رفع قدمه ليُظهِر لها نعل حذائه «النايكي») سأعترف أنه ربما تكون هناك بعض العناكب التي سحقها نعل الحذاء، ولكنَّ هذا كل ما في الأمر».

قالت له: «إذا كنت تنوي استجوابي بسيل من الأسئلة، فلننتهِ من هذا الأمر. لو أن الخيار ما بين منحي الطعام أو الماء؛ قد يكون الماء هو الخيار الأفضل. فأنا سأعطش قبل أن أجوع».

هز رأسه غير مصدقٍ، وقال: «أتعتقدين حقًّا أنني كذلك؟ لماذا تظنين هذا؟».

قالت وهي تتكئ على الطاولة، لتميل نحوه: «لقد اختطفتموني بالقوة، وتحتجزونني هنا رغمًا عني (فكرتْ أن تبصق في وجهه، لكنها قررتِ الاحتفاظ بهذه الإيماءة كعلامة تُحدِث أثرًا في لحظة ملائمة أكثر) سيظل السجن سجنًا، بصرف النظر عن عدد طبقات القطن التي تُغلِّف الأمر بها». جعله هذا يميل مبتعدًا، وعلمتْ هي أنها قد ضغطتْ زرًّا ما. تذكرت رؤية تلك الصور له -عندما كان كل ما يخصه يظهر في الأخبار- وهو ملفوف بالقطن ومحتجز في زنزانة مقاومة للقنابل.

قال، وفي صوته بعض الغضب هذه المرة: «أنا لا أفهمكِ حقًّا. لقد أنقذنا حياتك. يمكنكِ على الأقل أن تظهري بعض الامتنان».

«لقد سرقتم مني -ومن الموجودين هنا جميعًا- هدفنا. هذا ليس إنقاذًا، إنه لعنة».

- يؤسفني أن هذا هو شعورك.

هنا حان دورها لتغضب، قائلة: «نعم، يؤسفك أن هذا هو شعوري، الجميع يشعرون بالأسف لأن هذا هو شعوري. أستواصلون هذا إلى أن يتغير شعوري؟».

وقف فجأة، دافعًا مقعده إلى الخلف، وسار وأوراق نبات السرخس تحتك بملابسه. أدركتْ أنها قد تمكنتْ منه، فقد بدا على وشك الانفجار، لكنْ بدلًا من ذلك، تنفَّس بعمق، وعاد إليها، قائلًا: «أنا أعرف ما تمرين به. لقد غسلتْ أسرتي مخي من قبل، حتى أرغب حقًّا في التفكيك، وليست أسرتي فقط،

بل أيضًا أصدقائي، وكنيستي، وكل شخص كنت أتطلَّع إليه. صوت العقل الوحيد الذي تحدث كان أخي ماركوس، لكنني كنتُ أعمى لدرجة منعتني من الاستماع له حتى يوم اختطافي».

قالت، محاولة عرقلة استرساله بلطف: «تعني رؤيته».

- ماذا؟

- أعمى لدرجة منعتك من رؤيته، وأصم لدرجة منعتك من الاستماع له. تعرَّف حواسك بشكل صحيح. أو ربما لا يمكنكَ ذلك، لأنك بلا عقل.

ضحك قائلًا: «إنكِ ماهرة».

- وعلى أيِّ حال، لستُ بحاجة إلى سماع قصة حياتكَ، فأنا أعرفها فعلًا. لقد علقتَ في زحام الطرق السريعة، واستخدمكَ إوُول آكرون كدرع بشري -منتهى النبل منه- ثم غيَّر طبيعتكَ، كما يحدث للجُبن عندما يتعفن.

- لم يغيِّرني. لقد كان الابتعاد عن نذر العُشر، ورؤية التفكيك على حقيقته، هما ما جعلاني أتغير.

- لأن كونكَ قاتلًا، أفضل من أن تكون عُشرًا، أليس كذلك أيها المُصفِّق؟

جلس مرة أخرى، وقد أصبح أهدأ، وأحبطها أنه قد أصبح مُحصَّنًا ضد استفزازها.

قال: «عندما تعيش حياة بلا أسئلة، تكون غير مستعد للأسئلة عندما تأتي. تغضب وتفتقر تمامًا إلى المهارات اللازمة للتعامل مع الغضب. لذا نعم، لقد أصبحتُ مُصفِّقًا، لكنْ فقط لأنني كنتُ بريئًا للغاية، حتى إنني لم أدركْ كم كنتُ مذنبًا».

هنا بدا عليه التوتر، وتبللتْ عيناه بالدموع. اقتنعتْ ميراكولينا أنه صادق، وأن هذا ليس مجرد عرض تمثيلي يقدمه أمامها. ربما قال حتى أكثر مما كان يقصد قوله. بدأتْ تتساءل هل أساءت الحكم عليه، ثم غضبتْ من نفسها، لأنها تتساءل عن مثل هذا الأمر.

قالت ميراكولينا: «إنك تظن أنني مثلك، لكنني لستُ كذلك. أنا لستُ جزءًا من جماعة دينية تعتنق نذر العُشر. لقد فعل والداي ذلك بالمناقضة لمعتقداتنا، وليس بسببها».

- لكنْ يظل الأمر أنكِ تربيتِ على الاعتقاد بأن هذا هو هدفك، أليس كذلك؟

- كان هدفي هو إنقاذ حياة أخي، من خلال تبرعي بالنخاع، لذا تحقَّق هدفي قبل أن أبلغ من العمر ستة أشهر.

- ألا يغضبكِ أن السبب الوحيد لوجودكِ في هذا العالم هو مساعدة شخص آخر؟

قالت بسرعة شديدة: «لا على الإطلاق». ثم ضمتْ شفتيها، واضطجعت إلى الخلف في مقعدها، وهي تتأرجح قليلًا، حتى أنَّ المقعدُ إلى حد ما من تحتها. وقالت: «حسنًا، ربما أشعر بالغضب من حين إلى آخر، لكنني أفهم لماذا فعلا ذلك. لو كنت مكانهما، لفعلتُ المثل».

قال: «أتفق معكِ. لكن بمجرد تحقيق هدفكِ، ألا يجب أن تكون حياتك ملكًا لك؟».

أجابت: «المعجزات ملك الله».

قال: «لا، المعجزات هي عطايا الله. إن تسميتها بممتلكاته يهين إحساس العطاء الإلهي».

فتحتْ فمها لترد، لكنها لم تجد ردًّا، لأنه محق. لعنتْه لكونه على حق، لا شيء به يجب أن يكون صحيحًا!

قال لها: «سنتحدث مرة أخرى عندما تتغلبين على نفسك». وأشار لحارس منتظر، ليأخذها بعيدًا.

***

في اليوم التالي، أُضيف صف دراسي إلى جدولها، لكي لا يصبح عقلها خاملًا للغاية. كان الصف يُسمى التصور الإبداعي، ويُقدَّم في غرفة دراسية كانت يومًا غرفة معيشة من نوع ما، وتوجد على جدرانها المتقشرة لوحات باهتة أكلتها العثة. تساءلت ميراكولينا هل كانت الوجوه الرديئة الموجودة في اللوحات تنظر إلى الدروس المقدمة بالغرفة بنظرات الموافقة أو الرفض أو اللامبالاة المطلقة.

قال المعلم، الذي يرتدي نظارة بعدسات دائرية صغيرة مزعجة: «أريدكم أن تكتبوا قصة».

نظارة! لم يعد أحد بحاجة إلى أشياء من العصور القديمة، في وجود عمليات الليزر، وجراحات استبدال العين بأسعار في متناول الجميع. هناك نوع معين من التكبر يرتبط بها. كما لو أن من يختارون ارتداء النظارة، يشعرون بأنهم متفوقون على غيرهم إلى حد ما.

قال المعلم، وهو يتجوَّل في الغرفة، ويشير في الهواء، متخيلًا نفسه أفلاطون ربما، أو شخصًا له الثقل نفسه: «أريدكم أن تكتبوا قصتكم، قصة

حياتكم. ليست الحياة التي عشتموها، بل الحياة التي ستعيشونها. إنها سيرتكم الذاتية التي قد تكتبونها بعد أربعين وخمسين عامًا من الآن.. تصوروا أنفسكم في المستقبل. فليقلْ لي كل منكم من يعتقد أنه سيكون. أعلم أن هذا سيكون صعبًا عليكم جميعًا. لم تجرؤوا سابقًا قطُّ على التفكير في المستقبل، لكنْ يمكنكم ذلك الآن. أريدكم أن تستمتعوا بالأمر. اجمحوا بخيالكم كما تريدون. استمتعوا بالأمر!».

ثم جلس، مُرخِيًا ظهره على المقعد، ويداه خلف رأسه، وهو يشعر بالرضا عن نفسه للغاية.

أخذت ميراكولينا تنقر بقلمها الصفحةَ بنفاد صبر، في حين يكتب الأطفال الآخرون. أيريد أن يعرف المستقبل الذي تحلم به؟ حسنًا. ستمنح هؤلاء الناس شيئًا صادقًا، حتى لو لم يكن ما يريدون سماعه.

كتبت: بعد سنوات من الآن، ستنتمي يداي إلى أم فقدت يديها في حريق. لديها أربعة أطفال. إنها تُربِّتهم، تُحمِّمهم، تُمشِّط شعرهم، وتُغيِّر حفاضاتهم بهاتين اليدين. إنها تقدر يديَّ، لأنها تعرف كم هما غاليتين. إنها تضع طلاء الأظفار أسبوعيًّا من أجلي، رغم أنها لا تعرف من أكون.

ساقاي أصبحتا لفتاة تعرضتْ لحادث تحطم طائرة. لقد كانت نجمة سباقات جري، لكنها اكتشفتْ أن ساقيَّ ببساطة لم تُخلقا لذلك. لمدة من الوقت حزنتْ على فقدان حلمها الأولمبي، لكنها أدركتْ بعد ذلك أن ساقيَّ يمكنهما الرقص. تعلمتْ رقصة التانجو، وذات يوم التقتْ أميرًا في أثناء رقصها في «موناكو»، وفي أثناء الرقص، وجدتْ طريقها إلى قلبه. تزوجا، والآن يقيم الزوجان الملكيان حفلًا كبيرًا كل عام. أهم ما يميز الحفل هو رقصها المذهل مع أميرها.

مع كل كلمة تكتبها، كانت ميراكولينا تمتلئ بغضب أعمق، بسبب كل الفرص التي سُلِبَتْ منها.

ذهب قلبي إلى عالِم على وشك اكتشاف طريقة لتسخير ضوء النجوم، وتلبية احتياجات العالم من الطاقة. كان قريبًا للغاية من تحقيق هدفه، لكنه أصيب بنوبة قلبية شديدة. ورغم ذلك، فقد نجا بفضلي، وأتمَّ أهم عمل في حياته، وهذا ما جعل العالم مكانًا أفضل لنا جميعًا. حتى إنه فاز بـ «جائزة نوبل».

أمِن الغريب أن ترغب في منح نفسك بشكل كامل وإجمالي؟ لو أن هذه هي الرغبة الكامنة في قلب ميراكولينا، فلماذا يحرمونها منها؟

أما عقلي، وذكرياتي المليئة بطفولة محبة، فقد ذهبوا جميعًا إلى النفوس المضطربة التي لم تكن تملك مثل هذه الذكريات الخاصة. لكنِ الآن -في وجود هذا الجزء مني بداخلهم- فقد عرف الشفاء طريقه إلى العديد من الجراح التي أصيبوا بها في حياتهم.

سلَّمت ميراكولينا ورقتها، وقرأها المعلم -الذي ربما شعر بفضول نحوها، أكثر من ورقة أي صبي آخر- في حين ما زال الصبية الآخرون يكتبون. راقبتْ وجهه -المليء بتعبيرات تنمُّ عن التفكير- وهو يقرأ. إنها لا تعرف لماذا تهتم، لكنها دائمًا تهتم بما بآراء معلميها. حتى أولئك الذين لم تحبهم. عندما أنهى المعلم القراءة، جاء إليها.

- ما كتبتِه مثير جدًّا للاهتمام يا ميراكولينا، لكنكِ لم تذكري شيئًا واحدًا.

- ما هو؟

قال: «روحك. من يحصل على روحك؟».

قالت له بثقة: «روحي تذهب إلى الله».

فتل بعض شعيرات شاربه الرمادي، قائلًا: «مم.. إذن، أستذهب روحك إلى الله، حتى لو كان كل جزء من جسدك ما زال حيًّا؟».

واجهت ميراكولينا تساؤله بثبات، قائلة: «من حقي أن أؤمن بذلك، ما دامت هذه هي رغبتي».

- هذا صحيح طبعًا. لكنْ رغم ذلك، هناك مشكلة واحدة. أنت كاثوليكية، أليس كذلك؟

- بلى.

- وترغبين طواعية في التعرض للتفكيك.

- وبناءً عليه؟

- حسنًا.. إذا غادرتْ روحك هذا العالم، فإن التفكيك التطوعي لا يختلف عن الانتحار بمساعدة، وفي العقيدة الكاثوليكية، يُعتَبر الانتحار خطيئة قاتلة. وهذا ما يعني أنكِ لو اتبعتِ ما تؤمنين به، فستذهبين إلى الجحيم.

ثم ترك أبخرة الغضب تتصاعد من رأسها، ومنح مقالها درجة تقل قليلًا عن العلامة الكاملة. وافترضتْ هي أن الدرجات الناقصة، سببها اللعنة الأبدية على روحها.

***

25 - ليف

لم يكنْ لدى ميراكولينا أدنى فكرة عن مدى تأثير عنادها فيه. معظم المراهقين هنا إما خائفون من ليف، وإما يقدسونه، أو كلاهما، لكنَّ ميراكولينا لا تخافه ولا توقِّره؛ إنها تكرهه فحسب، بكل بساطة ووضوح. لا ينبغي أن يزعجه ذلك. لقد اعتاد أن يكون مكروهًا، لأن -كما قال شقيقه ماركوس- بقدر ما حزِن الناس على الصبي الصغير المسكين، فقد احتقروا أيضًا «الوحش» الذي تحوَّل إليه. حسنًا. لقد كان بريئًا، وكان وحشًا، لكنْ هنا في قصر كافينو، لا شيء من هذا له أهمية، لأنه هنا على بعد خطوة واحدة من أن يصبح إلهًا. هناك نوع غريب ولذيذ من المتعة في ذلك، لكنَّ ميراكولينا هي الدبوس الذي يُفجِّر الفقاعة. سيكون لقاؤه التالي بها في الأسبوع التالي لحفل عيد الفصح الراقص. الأعشار معروفون بعدم الكفاءة، عندما يتعلق الأمر بالتفاعل بين الفتيان والفتيات. نظرًا إلى إدراكهم أن المواعدة -وكل ما يتبعها- لن تكون جزءًا من مستقبلهم المحدود، فإن الأعشار وأُسَرهم لا يوجهون الكثير من الاهتمام إلى العلاقات بين الأولاد والبنات. لقد قلَّلوا من قيمتها في الواقع، لأنها ستخلق نوعًا من الشوق الحزين الذي ينبغي ألا يشعر به العُشر.

قال كافينو، متعجبًا، في الاجتماع الأسبوعي لموظفي الإنقاذ: «هؤلاء الأطفال كلهم يتمتعون بذكاء حاد كالسيف، لكنَّ مهاراتهم الاجتماعية تليق بأطفال في سن السادسة». كان هذا وصفًا دقيقًا لما كان عليه ليف أيضًا في اليوم المقرر له لتنفيذ نذر العُشر، وهو غير واثق أنه قد حقق تقدمًا كبيرًا منذ ذلك الحين. فهو لم يخرج في موعد مع فتاة حتى الآن.

كان هناك ما يقرب من عشرين موظفًا، وليف هو الوحيد الذي يقل عمره عن ثلاثين عامًا. كل وجه من وجوههم يمتلئ بقلق عاشوه طويلًا، ويبدو مطبوعًا على تعبيراتهم. تساءل هل كان شغفهم يأتي من تجاربهم الخاصة

مع التفكيك. هل فكَّكوا أحد أطفالهم -مثل الأدميرال- وندموا على القرار؟ هل كان الأمر شخصيًّا بالنسبة إليهم، أم إن تفانيهم للقضية جاء من اشمئزاز عام من الوضع الراهن للمجتمع؟

أعلن كافينو من موقعه على رأس طاولة الاجتماع: «سنقيم حفلًا راقصًا في عيد الفصح، ونشجِّع أصدقاءنا الأعشار السابقين على التصرف كالمراهقين العاديين. في حدود المقبول، طبعًا. (ثم خصَّ ليف بالحديث) هل يمكننا الاعتماد عليكَ يا ليف -بصفتك سفير النوايا الحسنة لدينا- في المشاركة بالاحتفالات؟».

انتظر الجميع إجابته. وأزعجه ذلك، فقال: «ماذا لو قلتُ لا؟».

نظر إليه كافينو بعدم تصديق، وسأله: «لماذا بحق السماء؟ الجميع يحب الحفلات!».

أوضح ليف: «غير صحيح. آخر الحفلات التي أقامها هؤلاء الصبية كانت حفلات نذر العُشر. هل تريد حقًّا تذكيرهم بذلك؟».

تمتم الآخرون حول الطاولة متحدثين إلى بعضهم، وهم يدرسون ما قاله ليف، إلى أن أبدى كافينو رفضه، قائلًا: «حفلات نذر العُشر كانت بمنزلة وداع. ستكون حفلاتنا دعوة إلى بدايات جديدة. أنا أعتمد على حضورك».

تنهد ليف، قائلًا: «بالتأكيد».

غير مسموح بتحدي الأفكار في قصر كافينو، عندما تأتي هذه الأفكار من الرجل الذي يحمل القصر اسمه. اتفقتِ الآراء على أن قاعة الرقص في حالة سيئة للغاية، لا تسمح لها باستضافة حفل للمراهقين، لذلك تقرر استخدام قاعة الطعام، فتُزال الطاولات والمقاعد، وتقام منصة موسيقية «دي جي» أسفل اللوحة. ولأن الحضور إلزاميًّا، فقد حضر كل سكان القصر من الأعشار السابقين.

كما توقع ليف، تجمَّعوا حسب الجنس على جانبي الغرفة وكأنها لعبة كرة المناورة[1]، الفتيان ضد الفتيات. شُغِلَ الجميع باحتساء مزيج عصير فواكه،

(1) كرة المناورة أو الدودج بول -(بالإنجليزية: dodgeball)- هي نوع مختلف من رياضة كرة اليد، وتشارك فيها مجموعة من اللاعبين لرمي الكرة بقوة في جسد اللاعب المنافس، لكي يربحوا المباراة. (المترجم).

وتناول نقانق صغيرة، وهم يسترقون النظرات السرية إلى الفريق المنافس، كما لو أن الإمساك بهم وهم ينظرون، سيسيء إليهم.

بذل أحد البالغين قصارى جهده لتقمص شخصية «الدي جي»، وعندما لا يفلح التشجيع، كان يطالب الجميع بتشكيل دائرة على الحلبة لأداء رقصة «الهوكي بوكي». لكنْ بعد عشر ثوانٍ من الرقص، أدرك فجأة كم كانت فكرة خاطئة أن يطالب الأعشار السابقين بأداء رقصة تتطلب التواصل الجسدي. ارتبك «الدي جي»، وهو يحاول تخطي هذا الجزء، وصولًا إلى هتاف «اندمج بالكامل في الأمر»، لكنَّ المراهقين كانوا مستمتعين للغاية بالأمر كله، حتى إنهم واصلوا الغناء والرقص المصحوب بالتواصل الجسدي، حتى بعد توقف الموسيقى. ومن المفارقات، أن هذه الرقصة قد شكَّلت نقطة فارقة، أذابت الجليد بين الجانبين بشكل مثالي، وعندما بدأتِ الموسيقى الراقصة مرة أخرى، كان هناك مراهقون يرقصون فعلًا، لكنَّ ليف لم يكن منهم. كان أكثر من راضٍ بدوره كمراقب، على عكس حقيقة استطاعته اختيار رفاق يشاركونه الرقص، رغم شكه في أنه إذا طلب فعلًا من إحدى هؤلاء الفتيات الرقص معه، فقد تحترق تلقائيًّا في مكانها من فرط الحماس.

لكنْ بعد ذلك، رصد ميراكولينا خلال الغرفة، تتكئ على الحائط وذراعاها معقودتان أمام صدرها بحزم، وقرر أن هذا تحدٍّ يستحق أن يخوضه.

في اللحظة التي رأته يقترب فيها، أشاحت بنظرها بعيدًا، وهي تشعر ببعض الذعر، آملة أن يتجه نحو شخص آخر. ثم تنفستْ بشكل مُلاحَظ، عندما أدركتْ أنها محور اهتمامه.

قال ليف، بأقصى ما يستطيع من تلقائية: «أخبريني، أترغبين في الرقص؟».

أجابته: «هل تؤمن بنهاية العالم؟».

هز ليف كتفيه، قائلًا: «لا أعلم. لماذا؟».

- لأن اليوم الذي يلي نهاية العالم، هو الذي سأرقص فيه معك.

ابتسم ليف، قائلًا: «أنت خفيفة الظل. لم أكن أعتقد أنك تمتلكين روح الدعابة».

- سأخبركَ شيئًا. إذا نفدتِ الفتيات اللاتي يتهافتن عليك، يمكنكَ أن تسألني مرة أخرى. وستظل الإجابة بالنفي، لكنني سأقدم لك مجاملة التظاهر بالتفكير في الأمر.

قال لها: «لقد قرأتُ مقالك»، فكان رد فعلها هو تحريك رأسها بحدة، فأحدثتْ فقرات رقبتها صوتًا لطيفًا.

واصل هو: «تمتلكين خيالَ أميرة راقصة، لا تنكري ذلك».

- ساقايَ تمتلكان خيال أميرة راقصة.

- أعتقد إذن أنني حتى أتمكن من الرقص مع ساقيكِ، سأُضطر إلى احتمال باقي جسدك.

قالت: «لا، لن تفعل، لأنه لن يكون هناك أي جزء مني. (ثم نظرت إلى صورة ليف، التي أنارتها الأضواء القوية الملونة بشكل غريب، ثم قالت مقترحة) لماذا لا ترقص مع صورتك؟ إنكما تستحقان بعضكما».

ثم غادرت المكان مندفعة. حاول الكبار عند الباب منعها من العودة إلى غرفتها، لكنها تجاوزتهم رغم ذلك.

بعد رحيلها، سمع ليف تذمرًا من حوله. قال أحدهم: «يا لها من فاشلة!».

التفتَ ليف إلى المتحدث، فوجده تيموثي، الصبي الذي وصل معها، فقال له منتقمًا: «يمكنني أن أقول الشيء نفسه عنكَ! (ثم أشاح برأسه) بل عنكم جميعًا!».

ثم صمتَ، قبل أن يتمادى أكثر من ذلك، وأضاف: «لا، هذا ليس صحيحًا. لكن يجب ألا تُصدِر أحكامًا عليها».

قال تيموثي في طاعة: «أمرك يا ليف.. لن أفعل، أعتذر يا ليف».

ثم تقدمتْ منه فتاة خجول، على ما يبدو أقل خجلًا من الفتيات الخجولات الأخريات، وقالت: «سأرقص معك يا ليف».

وهكذا، صعد إلى حلبة الرقص، وألزمها هي وكل الفتيات الأخريات هناك بالرقص، في حين كانت صورته تنظر إليهم بازدراء، بنظرتها المزعجة، المعبِّرة عن الاستعلاء المقدس.

***

في اليوم التالي تعرضتِ اللوحة للتخريب.

كُتِبَتْ عبارة بذيئة بطلاء مرشوش في منتصفها مباشرة. أُجِّل موعد الإفطار إلى أن تُزال الصورة من مكانها. كانت هناك علبة اسبراي طلاء مفقودة من غرفة التخزين، لكنْ بلا أدنى أثر يشير إلى من فعل ذلك. كل مِن الموجودين له نظرية، ومعظم هذه النظريات أشارت إلى الشخص نفسه.

حاول الصبية الآخرون إخبار ليف: «نحن نعلم أنها هي الفاعلة! ميراكولينا هي الوحيدة هنا التي تحمل لك ضغينة!».

سألهم ليف: «كيف عرفتم أنها الوحيدة؟ إنها الوحيدة التي لديها الشجاعة الكافية لإعلان ذلك بصوت مرتفع».

احترامًا لرغبة ليف، لم يتهمها الصبية الآخرون في وجهها، أما الكبار فهم يتحلَّوْن بما يكفي من الدبلوماسية، للاحتفاظ بآرائهم لأنفسهم.

اقترح كافينو: «ربما نحتاج إلى المزيد من كاميرات المراقبة».

قال له ليف: «ما نحتاج إليه هو المزيد من حرية التعبير عن الآراء. وبعدها، لن تحدث مثل هذه الأشياء».

شعر كافينو بإهانة حقيقية، فقال: «تتحدث كأن هذا القصر مخيم حصاد. الجميع يتمتعون بالحرية في التعبير عن آرائهم هنا».

- حسنًا، لا أعتقد أن هذا هو شعور الجميع.

****

26 - ميراكولينا

بعد انقضاء يوم من المعاملة بعداء من كل الموجودين في القصر، طرق أحدهم بابها. لم تقلْ أي شيء، لأن أيًّا من كان الطارق، سيدخل على أي حال، فغرف النوم بالقصر ليست لها أقفال.

انفتح الباب ببطء، ليدخل ليف. وهنا تسارعت ضربات قلبها عندما رأته. أخبرتْ نفسها أن هذا تعبير عن الغضب.

- إذا كنتَ هنا لتتهمني بتخريب صورتك، فأنا أعترف. لا أستطيع إخفاء الحقيقة بعد الآن. أنا فعلتُ هذا. من فضلك، عاقبني الآن بمصادرة كل الأفلام التي تلهمني.

حافظَ ليف على ذراعيه إلى جانبه فحسب، وقال: «توقفي عن ذلك. أعلم أنكِ لم تفعليها».

- أها.. إذن فقد قبضتَ أخيرًا على العُشر المشاغب؟

- ليس بالضبط. أنا فقط أعرف أنكِ لستِ الفاعلة.

شعرتْ ببعض الارتياح لتبرئتها، رغم أنها شعرت ببعض السرور المذنب لكونها مشتبهًا فيه رئيسيًّا. سألته: «ماذا تريد إذن؟».

- كنتُ أنوي الاعتذار عن الطريقة التي أحضروكِ بها إلى هنا. التخدير وعصابة العينين وكل شيء. أعني أن ما يفعلونه هنا مهم، لكنني لا أتفق دائمًا مع كيفية عمل ذلك.

لاحظت ميراكولينا أن هذه هي أول مرة تسمعه فيها يستخدم ضمير الغائب «هم»، بدلًا من ضمير المتكلم «نحن».

قالت: «أنا هنا منذ أسابيع. لماذا تخبرني بهذا الآن؟».

مدَّ ليف يده إلى رأسه، ليرفع شعره عن عينيه، قائلًا: «لا أعرف. لقد كان الأمر يزعجني فحسب».

- أستعتذر لكل صبي هنا إذن؟

اعترف ليف: «لا، أنتِ فقط».

- لماذا؟

بدأ يخطو داخل الغرفة الصغيرة، رافعًا صوته: «لأنكِ الوحيدة التي ما زالتِ غاضبة! لماذا أنت غاضبة إلى هذه الدرجة؟».

قالت ميراكولينا بهدوء معادٍ: «الشخص الوحيد الغاضب في هذه الغرفة هو أنت. وهناك الكثير من الصبية الغاضبين هنا. وإلا فلماذا ستتعرض صورتك للتخريب؟».

صاح ليف: «انسي ذلك! إننا نتحدث عنكِ أنتِ!».

- إذا لم تتوقف عن الصراخ، فسأطلب منكَ المغادرة. في الواقع، أعتقد أنني سأطلب منكَ المغادرة على أيِّ حال.

ثم أشارت إلى الباب، قائلة: «اخرج!».

- لا.

هنا التقطتْ فرشاة شعر، وألقتها عليه. صدمتْه في رأسه، ثم ارتدَّت إلى الحائط، حيث سقطت خلف التلفاز.

أمسك برأسه، وقال عابسًا: «آه! هذا مؤلم!».

- هذا جيد. من المفترض أن يكون مؤلمًا.

ضمَّ ليف قبضتيه، هادرًا، ثم استدار كأنه سيخرج، لكنه لم يفعل. وبدلًا من ذلك، استدار إليها، وفرد قبضتيه، وهو يمد كفيه إليها، مستعطفًا، كأنه يستعرض آثار الصلب على جسده. نعم، قد تكون هناك دماء على يديه، لكنها بالتأكيد لا تتدفق من كفيه.

سألها: «أهكذا سيكون الأمر؟ ستُنفِّسين عن غضبك، وتقذفين الأشياء، وتجعلين الأمور بائسة للجميع هنا؟ ألا تريدين شيئًا من الحياة أكثر من ذلك؟».

قالت له: «لا، لأن حياتي انتهت في عيد ميلادي الثالث عشر. على حد علمي، منذ تلك اللحظة كان من المفترض أن أكون جزءًا من حياة الآخرين.

كنت راضية بذلك. هذا ما أردتُ. وهذا الذي ما زلتُ أريده. لماذا تجد صعوبة في تصديق ذلك؟».

نظر إليها لحظةً طويلة للغاية، في حين حاولت هي أن تتخيله يرتدي ملابس بيضاء بالكامل كالأعشار. كان من الممكن أن تشعر بالإعجاب تجاه ذلك الفتى الذي ما زال نقيًّا وغير ملوث. لكنَّ الصبي الذي أمامها الآن هو شخص مختلف.

قالت، دون أن تشعر بالأسف على الإطلاق: «أنا آسفة. أعتقد أنني قد رسبتُ في مادة إعادة البرمجة». أدارتْ ظهرها إليه وانتظرتْ بضع لحظات، وهي واثقة أنه يواصل الوقوف هناك، ثم استدارت مرة أخرى، لتجد أنه ليس كذلك. لقد غادر، وأغلق الباب بهدوء حتى إنها لم تسمع صوتًا.

***

27 - ليف

جلس ليف في اجتماع آخر لفريق الإنقاذ. إنه لا يعرف لماذا يُلزِمونه بالحضور. كافينو لا يستمع أبدًا لما يقوله. هذه الاجتماعات تجعله يشعر حقًّا كأنه تميمة حظ، أو حيوان أليف مفضل. لكنه عازم هذه المرة على أن يجعلهم يستمعون.

قبل حتى أن يبدأوا، تحدث ليف بصوت عالٍ، بما يكفي لجذب انتباه الجميع، وسرق الأضواء من كافينو قبل أن تتاح له الفرصة ليسلطها على نفسه.

سأل ليف: «لماذا عادتْ صورتي إلى قاعة الطعام؟ لقد تشوهتُ فعلًا، لِمَ أعدتموها؟».

سؤاله جعل الجميع يهدأ، والنظام يسود في الغرفة.

قال كافينو: «لقد أمرتُ بإصلاحها وإعادتها، فالارتياح والتركيز اللذان توفرهما للأعشار السابقين لا يقدران بثمن».

قالت إحدى المعلمات: «أتفق معك! أعتقد أنها توجِّه تركيزهم نحو ما هو إيجابي (ثم أكدت ملاحظتها بإيماءة نفاق تجاه كافينو) أنا -على سبيل المثال- تروق لي اللوحة، وأوافق على إعادتها».

لأول مرة، عبَّر ليف عن شعوره بصوت مرتفع، قائلًا لهم: «حسنًا، أنا لا يروق لي ذلك، ولا أوافق عليه. ينبغي ألا أكون نوعًا من الآلهة. ينبغي ألا توضع صورتي على قاعدة أشبه بالمذبح. أنا لست -ولم أكن قطُّ- بهذه الصورة التي تحاولون أن تجعلوني أبدو عليها».

ساد صمت أرجاء الغرفة، انتظر الجميع ليروا كيف سيكون رد فعل كافينو الذي أخذ وقته، وفي النهاية قال: «لكل منَّا عمله هنا. عملكَ أنتَ واضح

جدًّا وبسيط للغاية: أن تكون نموذجًا يحذوه الأعشار السابقون الآخرون. هل لاحظتَ أن الأطفال يتركون شعرهم ليطول؟ في البداية اعتقدتُ أن شعرك سيكون موضع استهجان، لكنهم الآن يتشبهون بكَ. هذا ما يحتاجون إليه في هذه المرحلة».

هبَّ ليف واقفًا وصرخ، دون أن يدرك وقوفه حتى: «لستُ بقدوة! لقد كنت مُصفِّقًا. إرهابيًّا! لقد اتخذتُ قرارات فظيعة!».

لكنَّ كافينو ظل هادئًا، وهو يجيبه: «إنها قراراتكَ الجيدة التي نهتم بها. والآن اجلس، ودعنا نبدأ هذا الاجتماع».

نظر ليف في أرجاء الطاولة، لكنه لم يرَ أي دعم. لو أن هناك شيئًا قد رآه، فقد رأى أنهم جميعًا يعتبرون انفعاله الغاضب هذا أحد قراراته السيئة، ومن الأفضل نسيانه. غلتْ دماؤه بنوع الغضب نفسه الذي حوَّله يومًا إلى مُصفِّق، لكنه كتمه بداخله، وجلس، وبقي صامتًا حتى نهاية الاجتماع.

بعد انتهاء الاجتماع فحسب، أمسك كافينو يده. لا ليصافحها، لكنْ ليقلبها ويفحص أصابعه، أو بشكل أكثر تحديدًا، لينظر تحت أظفاره.

ثم قال: «عليك تنظيفهما بشكل أفضل قليلًا يا ليف. أعتقد أن اسبراي الطلاء يُزال بزيت «التربنتين»».

***

28 - ريسا

لم تحتفلْ ريسا بعيد الفصح. لم تستطعْ حتى التأكد من اليوم الذي يوافق عيد الفصح، لقد فقدتْ تتابع الأيام. لا يمكنها في الواقع حتى أن تعرف مكانها على وجه الدقة. في البداية احتجزتْها سلطة الأحداث في «توكسون»، ثم نُقِلَتْ في سيارة مُصفَّحة بلا نوافذ إلى مقر احتجاز آخر -يبعد ما يقرب من ساعتين- في «فينيكس»، كما تفترض. وفي هذا المكان، أرسلوا المحققين لطرح الأسئلة عليها.

مكتبة
t.me/soramnqraa

- كم عدد الأطفال في المقبرة؟
- مجموعة منهم.
- من يرسل إمداداتكم؟
- جورج واشنطن. أم إنه أبراهام لينكولن؟ لقد نسيتُ.
- كم مرة تلتقين الوافدين الجدد؟
- بقدر ما تضرب زوجتكَ.

غضب المحققون من عدم تعاونها، لكنْ لم تكن لديها أي نية لإخبارهم بأي شيء مفيد. هذا إضافة إلى أنها تعلم أنهم يطرحون عليها أسئلة يعرفون إجاباتها فعلًا. الأسئلة هي مجرد اختبارات لمعرفة أكانت ستقول الحقيقة، أم ستكذب. لكنها لم تفعل هذا ولا ذاك، بل سخرتْ من كل سؤال يُوجَّه إليها.

قالوا لها: «تعاونكِ قد يجعل الأمور أسهل عليكِ».

فأجابت: «لا أريد الأمور سهلة. لقد عشتُ حياة صعبة. أفضِّل التمسك بما هو مألوف».

تركوها تجوع، لكنْ ليس حتى الموت. أخبروها أن إلفيس روبرت مولارد رهن الاحتجاز، وأنهم قد عقدوا معه صفقة للحصول على معلومات، لكنها

كانت تعلم أنهم يكذبون، لأنه لو كان بين أيديهم، لعلموا أنه ليس مولارد على الإطلاق، ولكنه كونور.

هكذا سارتِ الأمور لأسبوعين، ثم في أحد الأيام، دخل عليها شرطي أحداث. صوَّب مسدسًا نحوها، وبفظاظة أصابها برصاصة تخدير، ليس في ساقها -حيث يكون الألم أقل- ولكن في صدرها مباشرة، حيث آلمتها بشدة، إلى أن فقدت وعيها.

استيقظتْ، لتجد نفسها في زنزانة مختلفة. أحدث قليلًا وربما أكبر، لكنها تظل زنزانة. لم تكنْ لديها أدنى فكرة عن المكان الذي نقلوها إليه هذه المرة، أو عن سبب النقل. هذه الزنزانة الجديدة ليست مصممةً على الإطلاق للمصابين بشلل نصفي، ولم يقدمْ محتجزوها أيَّ مساعدة منذ وصولها. لا يعني هذا أنها كانت ستقبل لو فعلوا، لكنْ بدا الأمر كما لو أنهم أرادوها أن تعاني لعبور عتبة باب الحمام، أو للصعود على سريرها، المرتفع بشكل غير طبيعي، وبما يكفي لجعل الصعود إليه محنة.

لمدة أسبوع، أخذتْ تعاني بسبب الطعام الذي يحضره لها حارس صامت يرتدي زيَّ شرطي، يبدو مُستأجَرًا. إنها تعلم أنها لم تعدْ في يد سلطة الأحداث، لكنَّ شخصية محتجزيها الجدد تُعَدُّ لغزًا. هؤلاء السجانون الجدد لا يطرحون أيٍ أسئلة، وهذا يقلقها، تمامًا كما تُقلق كونور دائمًا حقيقة أن المقبرة لم تُقتحم قطُّ. أهم غير مهمين في المخطط الكبير للأشياء، لدرجة أن إدارة الأحداث لم تعذبها حتى للحصول على المعلومات التي تريدها؟ هل كانوا يخادعون أنفسهم عندما ظنوا أنهم يحدثون فرقًا؟

طوال هذا الوقت، أجبرت نفسها على عدم التفكير في كونور، لأن -ببساطة- من المؤلم للغاية التفكير فيه. كم شعر بالرعب عندما سلمتْ نفسها! لا بدَّ أنه كان مذعورًا ومذهولًا. حسنًا، لا بأس، فليكن؛ سيتجاوز الأمر. لقد فعلتْها من أجله، تمامًا كما فعلتها من أجل الصبي المصاب، لأن بقدر ما يؤلمها الاعتراف بذلك، تعرف ريسا أنها أصبحت مجرد إلهاء لكونور. إذا كان حقًّا سيقود هؤلاء الصبية في المقبرة، كما فعل الأدميرال، فلا يمكنه أن يدلِّك ساقيْ ريسا، ويقلق بشأن تلبية احتياجاتها العاطفية. ربما يحبها، لكنْ من الواضح أنه لا مجال في حياته في هذه اللحظة للاهتمام بها بأكثر من التشدق بالكلام.

ريسا ليست لديها أدنى فكرة عما يخبئه لها مستقبلها الآن. كل ما تعرفه هو أنها يجب أن تركز على ذلك المستقبل، وليس على كونور، مهما كان ذلك مؤلمًا.

***

بعد بضعة أيام، أتى لريسا أخيرًا زائر حقيقي: كانت امرأة حسنة الملبس، تفوح منها رائحة السُّلطة.

- صباح الخير يا ريسا. إنه لمن دواعي سروري أن ألتقي أخيرًا الفتاةَ التي أحدثتِ الجلبة.

قررتْ ريسا على الفور أن أيٰ شخص يستخدم كلمة «الجلبة»، لا يمكن أن يكون صديقها.

جلستِ المرأة على المقعد الوحيد الموجود في الزنزانة. مقعد لم يُستخدَم من قبل، لأنه ليس مصممًا خصوصًا للمصابين بشلل نصفي. يبدو في الواقع أنه مصمم خصوصًا حتى لا يمكن لريسا الوصول إليه، مثل معظم الأشياء الأخرى في زنزانتها.

- أثق أنهم قد أحسنوا معاملتك.

- لم «يعاملني» أحد على الإطلاق. لقد تجاهلوني.

قالت لها المرأة: «لم يتجاهلوكِ. لقد سمحوا لك فحسب ببعض الوقت، لتستقري. بعض الوقت بمفردك للتفكير».

- بشكل ما أشك في أنني كنت وحدي في أي وقت منذ إحضاري إلى هنا.

ألقتْ ريسا نظرة على مرآة حائط كبيرة، كانت ترى ظلالًا خلالها أحيانًا، وسألت مباشرة: «إذن هل أنا سجينة سياسية بشكل ما؟ إذا كنتم لن تعذبوني، فهل تخططون لتركي أتعفن هنا؟ أو ربما ستبيعونني إلى أحد قراصنة الأعضاء. الأجزاء الصالحة للعمل في جسدي على الأقل».

قالت المرأة: «لا شيء من هذا. أنا هنا لمساعدتك. وأنتِ يا عزيزتي سوف تساعدينا».

دفعتْ ريسا مقعدها المتحرك لتبتعد، رغم أنها لا تستطيع أن تبتعد كثيرًا، وقالت: «أشك في ذلك».

لم تنهضِ المرأة من مقعدها. لم تتحرك حتى. ظلتْ تجلس هناك بارتياح. أرادتْ ريسا أن تسيطر على هذا الموقف، لكنَّ هذه المرأة تواصل السيطرة بصوتها فقط.

- اسمي روبرتا. أنا أمثل منظمة تسمى «المواطنة الاستباقية». هدفنا -من بين أمور أخرى- هو عمل الخير في هذا العالم. نحن نسعى إلى تعزيز أسباب العلم والحرية، بالإضافة إلى توفير شعور بالتنوير الروحي.

- وما علاقة ذلك بي؟

ابتسمتْ روبرتا وصمتتْ للحظة، محافظة على ابتسامتها، قبل أن تقول: «سأُسقط التهم الموجهة إليكِ يا ريسا. ولكنَّ الأهم من ذلك، سأخرجكِ من هذا المقعد المتحرك، وأعطيكِ عمودًا فقريًّا جديدًا».

التفتت إليها ريسا، وهي تمتلئ بشعور مختلط، أكثر مما يمكنها تحديده الآن، وقالت: «لا، لن تفعلي! من حقي أن أرفض العمود الفقري لأحد المفككين».

قالت روبرتا بهدوء شديد: «نعم، إنه كذلك. لكني أؤمن إيمانًا راسخًا أنك ستغيرين رأيكِ».

عقدتْ ريسا ذراعيها أمام صدرها، بإيمان أرسخ من إيمان روبرتا أنها لن تغير رأيها.

***

عادوا إلى المعاملة الصامتة معها مرة أخرى، لكنْ لا بدَّ أن صبرهم قد بدأ ينفد، لأن بعد يومين فقط هذه المرة -بدلًا من أسبوع- عادتْ روبرتا لتجلس مرة أخرى على المقعد المصمم لمن يمكنهم السير. هذه المرة أحضرتْ معها ملفًا، لكنَّ ريسا لم تستطع رؤية ما بداخله.

سألتها روبرتا: «هل فكرتِ في عرضي؟».

- لستُ بحاجة إلى ذلك. لقد منحتكِ إجابتي فعلًا.

قالت روبرتا: «إن التمسك بالمبدأ، ورفض العمود الفقري لأحد المفككين، أمر غاية في النبل. ومع ذلك، فإنه يمثل عقلية خاطئة، ليست منتجة ولا قابلة للتكيف. إنه في الواقع تفكير رجعي، ويجعلكِ جزءًا من المشكلة».

- أنوي الحفاظ على «عقليتي الخاطئة»، وكذلك المقعد المتحرك.

تحركتْ روبرتا في مقعدها، ربما كانت غاضبة إلى حد ما، أو مترقبة فحسب، وقالت: «حسنًا. لن أحرمكِ من اختيارك. لكنْ هناك شخص أود أن تقابليه».

ثم نهضتْ، وفتحتِ الباب. أدركتْ ريسا أن أيًا من كان القادم، فقد كان ينتظر في الغرفة الأخرى، ويراقبهما من خلال المرآة ذات الاتجاه الواحد.

قالت روبرتا بمرح: «يمكنكَ الدخول الآن». مكتبة سُر مَن قرأ

خطا صبي بحذر إلى الداخل. بدا في السادسة عشرة من عمره تقريبًا. له بشرة متعددة الألوان، وشعر متعدد الألوان. في البداية افترضتْ أنه نوع من التعديل الشديد للجسم، لكنها سرعان ما أدركتْ أن الأمر أكبر من ذلك. هناك شيء خاطئ للغاية بشأنه. قال، مبتسمًا في تردد بأسنان مثالية: «مرحبًا. أنا كام. كنت أتطلع إلى لقائك يا ريسا».

تراجعتْ ريسا، إلى أن اصطدم مقعدها المتحرك بالحائط. أدركتْ في تلك اللحظة فقط ما تراه بالضبط، وعرفتْ بدقة لماذا يبدو هذا الصبي «غريبًا». لقد شاهدت تقريرًا إخباريًا عن هذا المخلوق. بدأتْ رعشة تسري في جسدها الذي لو كان قادرًا، لزحف خلال فتحات التهوية، ليهرب مما تراه.

- أبعدي هذا الشيء عني! إنه مثير للاشمئزاز! أبعديه!

كانت تعبيرات وجهه انعكاسًا للرعب البادي على ريسا. فتراجع واصطدم بالحائط هو أيضًا. قالت روبرتا: «لا بأس يا كام. أنت تعلم أن الناس يحتاجون دائمًا إلى اعتيادك. وهذا ما سيحدث معها». قدمتْ له روبرتا المقعد، لكنْ فجأة لم يعد كام يرغب في البقاء بالمكان، يريد الهروب، تمامًا كريسا. وجهتْ ريسا نظرها إلى روبرتا، حتى لا تضطر إلى النظر إلى كام، وقالت: «قلتُ أخرجي هذا الشيء من هنا».

قال كام بإصرار: «أنا لستُ شيئًا».

هزت ريسا رأسها، قائلة: «بل أنت كذلك. (واصلتْ عدم النظر إليه مباشرة، وكررتْ) أخرجيه من هنا الآن، وإلا أقسم إني سأمزق كل جزء مسروق في جسده بيديَّ العاريتين».

حاولتْ ألا تلتفت إلى نظرته، لكنها لم تستطع منع نفسها. بدأ «الشيء» يبكي بدموع، تسيل من القنوات الدمعية المسروقة من شخص آخر، وهذا جعلها تغضب فحسب.

قال: «انغرس الخنجر عميقًا».

لم تفهم ريسا ما يتحدث عنه، لكنها لم تهتم حقًّا. وصرختْ في روبرتا: «أبعديه عن مجال رؤيتي، وإذا كنتِ تتحلين بأي احترام أو لياقة على الإطلاق، فاقتليه!».

نظرتْ إليها روبرتا بصرامة، ثم التفتتْ إلى كام، قائلة: «يمكنكَ الذهاب يا كام. انتظرني بالخارج».

غادر كام بسرعة، وارتباك، فأغلقت روبرتا الباب. وهنا تفجَّرت غضبًا. لو أن ريسا قد حصلت على شيء إيجابي مما حدث، فهو أنها تفوقت على روبرتا.

قالت روبرتا: «أنت فتاة قاسية».

- وأنتِ وحش، لصنعكِ شيئًا كهذا.

- التاريخ سيحكم علينا، وعلى ما فعلناه.

ثم وضعت ورقة على الطاولة، قائلة: «هذه استمارة موافقة. وقِّعيها، وستحصلين على عمود فقري جديدٍ وسليم بحلول نهاية الأسبوع».

التقطتْ ريسا الورقة، لتمزقها إلى أشلاء، وتلقي القطع في الهواء. لا بدَّ أن روبرتا كانت تتوقع هذا، لأنها سحبت على الفور استمارة موافقة أخرى من ملفها، وألقتها على الطاولة.

- ستُشفيْن، وستُعوِّضين كام عن سوء معاملتك له اليوم.

- ليس في هذه الحياة، أو في أي حياة أخرى.

ابتسمتْ روبرتا، كأنها تعرف شيئًا لا تعرفه ريسا، وقالت: «حسنًا إذن... فلنأمل أن يتغير شعورك فجأة». ثم غادرتِ الغرفة، تاركة القلم واستمارة الموافقة على الطاولة.

نظرتْ ريسا إلى استمارة الموافقة، بعد مدة طويلة من رحيل روبرتا. إنها تعرف أنها لن توقِّعها، لكنْ حقيقة أنهم يريدونها أن توقع، تثير فضولها. لماذا من المهم للغاية بالنسبة إليهم إصلاح جسدها المصاب؟ توجد إجابة واحدة فقط عن ذلك: لسبب ما، أصبحتْ ريسا أكثر أهمية مما تتخيل على الإطلاق. مهمة للطرفين.

***

29 - كام

جلس في غرفة المراقبة. لقد كان هناك لمدة أطول مما يرغب في الاعتراف به، كان يتجسس على ريسا، رغم أنه عندما يُسمَح بذلك رسميًّا من خلال مرآة ذات اتجاه واحد، لا يُسمَّى ذلك تجسسًا. إنها تسمى مراقبة.

على الجانب الآخر من الزجاج، حدَّقت ريسا إلى العقد -الذي وضعتْه روبرتا أمامها- بوجه صخري وفك مشدود. في النهاية، التقطتِ الورقة.. ثم طوتْها على شكل طائرة ورقية، وألقتْها نحو المرآة. أجفل كام لا إراديًّا. كان يعلم أنها لا تستطيع رؤيته، لكنها رغم ذلك، تنظر إلى المرآة في المكان الصحيح تقريبًا للتواصل بالعينين. شعر كام للحظة أنها تستطيع الرؤية، ليس من خلال الزجاج فحسب، بل من خلاله أيضًا، وأن عليه النظر بعيدًا.

كره حقيقة أنها تكرهه. كان يجب أن يتوقَّع ما حدث، لكنْ مع ذلك، فقد جرحتْه كلماتها بشدة، وجعلتْه يرغب في رد الإهانة إليها. لكنْ لا.. إنه رد فعل المفككين المختلفين الموجودين في رأسه فحسب. الصبية الذين يبادرون بالعنف عند أدنى استفزاز. لن يستسلم لتلك المحفزات. بداخله ما يكفي من الأجزاء العاقلة، لخلق التوازن، والسماح له بالتحكم في تلك الأجزاء التي تهدد بزعزعة السلام. وذكَّر نفسه -كما قالت روبرتا- إنه المثال الجديد، أو النموذج الجديد لما يمكن أن تكون عليه الإنسانية، وينبغي أن تكون عليه. سيعتاده العالم، وفي الوقت المناسب سيحترمه. وكذلك ريسا.

دخلتْ روبرتا الغرفة من خلفه وتحدثتْ بهدوء: «لا فائدة من البقاء هنا».

قال: «"أريحا"[1].. إنها كجدار محصَّن، لكنها ستنهار. أعلم أن هذا سيحدث».

ابتسمتْ له روبرتا، قائلة: «ليس لديَّ شك في أنكَ ستكسبها في صفك. في الواقع، أظن أنها ستغير رأيها في وقت أقرب مما تعتقد».

حاول كام أن يقرأ ما خلف ابتسامتها، لكنها لم تكشف شيئًا، فقال: إنكِ تخفين شيئًا ما، لا يروق لي الأمر عندما تخفين عني أسرارًا».

قالت له روبرتا: «لا يوجد سر. إنه إيمان دائم بالطبيعة البشرية، فحسب. والآن هيا، لقد اقترب موعد التقاط صورتكَ».

تنهد كام، متسائلًا: «صورة أخرى؟».

- أتفضِّل مؤتمرًا صحفيًّا؟

- عصا حادة في العين؟ لا، شكرًا!

اعترف كام بأن هذا النهج الجديد لمخاطبة وسائل الإعلام، أفضل بكثير من المؤتمرات والمقابلات الصحفية. أعدَّتْ روبرتا وأصدقاؤها في «المواطنة الاستباقية» حملة إعلانية من الدرجة الأولى. لوحات إعلانية، إعلانات مطبوعة ورقمية، وكل ما يمكن عمله. كل شيء بالصور فقط، لكنْ مع ذلك، فالإعلانات قوية.

ستعرض الجولة الأولى من الإعلانات لقطات مقربة شديدة لأجزاء مختلفة منه. عين، أجزاء من شعره متعدد الألوان، الانفجار النجمي لدرجات البشرة على جبهته. سيصاحب كل صورة وصف توضيحي، لكنه غامض، مثل «حان الوقت» أو «الغد الرائع»، بلا أي شرح آخر عما يُعلَن. بعد ذلك، عندما يُثار فضول الجمهور، ينتقلون إلى المرحلة الثانية، فتُظهِر الإعلانات وجهه وجسده، وأخيرًا يظهر بالكامل.

قالت له روبرتا: «سنصنع لغزًا من حولك. سنلعب على افتتانهم الصبياني بالأشياء الغريبة، إلى أن يتحرَّقوا شوقًا إلى رؤية المزيد».

قال كام: «مثل عروض التعري».

---

(1) يشير إلى معركة «أريحا»، وهي -حسب القصة التي ذُكِرَتْ في العهد القديم- أول معركة خاضتْها طوائف بني إسرائيل في غزوهم لكنعان، وانتهتْ بانهيار أسوار «أريحا» المنيعة، بعد حصارها لمدة سبعة أيام، ثم إطلاق الناس للصيحة بأمر من يوشع. "المترجم"

أقرَّت روبرتا بالأمر، قائلة: «أعتقد أنها نسخة مطوَّرة من المفهوم نفسه». «بمجرد انطلاق الحملة الإعلانية، ستدخل إلى عيون العامة، ليس كنوع من الغرائب، لكنْ كشخصية مشهورة، وعندما تتخلى أخيرًا وتوافق على إجراء المقابلات، سيكون ذلك وفقًا لشروطنا».

صحَّح لها كام: «شروطي أنا».

- نعم طبعًا. وفقًا لشروطك.

عندئذٍ، وبينما يراقب كام ريسا من خلال الزجاج أحادي الاتجاه، تساءل ما الذي يمكن أن يجعلها هي أيضًا تعيش وفقًا لشروطه. أخبرتْه روبرتا أن بإمكانه الحصول على أي شيء يريده، لكنْ ماذا لو كان أكثر شيء يرغب فيه هو أن تختار ريسا أن تكون معه بمحض إرادتها؟

- من فضلك يا كام.. تعالَ الآن، وإلا سنتأخر.

نهض كام، لكن قبل أن يغادر، ألقى نظرة أخيرة -من خلال المرآة- على ريسا التي جاهدتْ إلى أن صعدت على فراشها، وفي تلك اللحظة كانت تستلقي ممددة على ظهرها، وهي تنظر بحزن إلى السقف. ثم أغلقتْ عينيها.

فكَّر كام: «الأميرة النائمة إلى الأبد.. لكني سأحررك من تلك العلائق السامة التي تحيط بقلبكِ. وبعد ذلك لن يكون لديكِ خيار، سوى أن تحبيني».

***

30 - نيلسون

ذهب شرطي الأحداث، الذي تحوَّل إلى قرصان أعضاء، في رحلة جانبية للتحقق من أحد أكثر فخاخه نجاحًا. إنه -رغم ذلك- يوجد في مكان مؤسف. مؤسف لأنه في حقل تغمره الفيضانات في أثناء العواصف. لا شيءَ أكثر إزعاجًا من غريق هارب من التفكيك. ربما باستثناء التخلص من أحدهم. إنه يفضل الاستمرار في البحث عن مخابئ، على أمل العثور على كونور لاسيتر في أحدها، لكنْ مع توقع حدوث عواصف كبرى في جميع أنحاء الغرب الأوسط، فإن فحص هذا الفخ بالذات يستحق الجهد المبذول.

المصيدة قطعة من أنبوب تصريف -أسطوانة خرسانية يبلغ ارتفاعها خمس أقدام، وطولها عشرين قدمًا- موضوعة في أرض حقل لم يزرعه أحد منذ سنوات. توجد في الحقل نصف دستة من هذه الأنابيب، محاطة بالأعشاب، ومهجورة بالكامل منذ إلغاء بعض مشاريع الأشغال العامة. إنه مكان جميل للاختباء بالنسبة إلى المفككين الهاربين، ويحتوي أحد أقسام النفق على متجر للأطعمة المعلَّبة في المنتصف. لكنَّ السطح الداخلي للأسطوانة نفسها مطلي بغراء فائق الالتصاق، يلتصق بالملابس والأجساد بمنتهى الإصرار، كل مَن يعلق داخل الأنبوب، قد يصبح مثبتًا أيضًا في الخرسانة. أن يمكنه الإمساك بالمفككين، كما يصيد الآخرون الصراصير، لهو أمر يثير حماس نيلسون.

من المؤكد وجود طفل ملتصق بالأنبوب. صاح الصبي كذبابة سقطت في شبكة عنكبوت: «ساعدني! ساعدني من فضلك!».

كان الطفل هزيلا، ممتلئًا بالبثور، وله أسنان ملتوية صفراء، بسبب مضغ التبغ، أو مجرد عوامل وراثية سيئة. في جميع الأحوال، فهو ليس عينة عالية الجودة، ولن يجلب الكثير من المال في السوق السوداء. كان شعره مُلتصِقًا بالصمغ، رغم أن نيلسون شك في أنه لا يبدو أفضل حالًا عندما يكون نظيفًا.

قال نيلسون، متظاهرًا بالقلق: «يا إلهي! ماذا حدث لك؟».

- يبدو كغراء، أو شيء من هذا القبيل! لا يمكنني الخروج!

قال نيلسون: «حسنًا، أعتقد أنه يمكنني إخراجك من هناك. لديَّ القليل من مزيل المواد اللاصقة في الشاحنة». في الواقع، كان معه فعلًا. تظاهر بالركض بعيدًا، ثم الركض عائدًا، ثم نقع قطعة قماش كريهة الرائحة في السائل، وتسلق داخلًا إلى النفق، وبدأ يدلِّك ملابس الطفل وجلده. رويدًا رويدًا، تحرر الصبي من المادة اللاصقة.

قال الصبي: «شكرًا يا سيدي.. شكرًا جزيلًا!».

تسلق نيلسون خارجًا، وانتظر عند مدخل النفق، في حين ينزلق الصبي اللزج المغطى بالغراء خارجًا، تمامًا كطفل يُولد. وعندما خرج إلى ضوء النهار، انتبه عقله محدود الذكاء إلى شيء ما. فقال: «مهلًا، انتظرْ لحظة.. لماذا سيكون بحوزة أحدهم مزيل للمواد اللاصقة، إلا إذا...».

لم يمنحه نيلسون الفرصة لإنهاء تفكيره. أمسك الصبي، وشد ذراعيه خلف ظهره، ولفَّ سلكًا بلاستيكيًّا حول معصميْه. ثم دفعه نيلسون إلى الأرض، ووخزه بقارئ الحمض النووي، معلنًا بياناته والصبي يتأوه: «ويليام يوتس.. هارب من التفكيك منذ أربعة أيام. إنك لا تجيد الاختباء، أليس كذلك؟».

صرخ يوتس: «إنك لن تسلمني للشرطة! لن تسلمني!».

قال له نيلسون: «أنت على حق، لن أفعل. أنت لن تدخل زنزانة، بل سيرتفع ثمنكَ، وسأحصل على الكثير من المال ثمنًا لك!». في إشارة إلى عرضه للبيع لأعلى سعر في مزاد السوق السوداء.

بدا وجه الصبي شاحبًا، ومحمرًّا في الوقت نفسه، وهذا ما ملأه بالبقع. فاجأه نيلسون بحقنة تحت الجلد. لكنها لم تكن مُخدِّرة. قال للصبي: «إنها مضادات حيوية. لتنظف أي أمراض تسللتْ إلى جسدك في أثناء وجودك في هذا الأنبوب، وحتى تلك التي كنت مصابًا من قبل. معظمها، على أي حال».

- من فضلك يا سيدي، لا يجدر بك أن تفعل ذلك. أرجوك...

ركع نيلسون على ركبتيه، وألقى نظرة فاحصة عليه، وقال: «هل أخبرك بشيء ما؟ عيناك تروقان لي، لذلك سأعقد معك صفقة».

قطع القيود المصنوعة من الأسلاك، وعرض الصفقة نفسها التي يقدمها دائمًا. عد تنازلي. فرصة للهرب. لا يدرك هؤلاء الهاربون من التفكيك أبدًا أن

اللعبة تنطوي على الغش. لا يخطر على بالهم أبدًا أن نيلسون يمكنه العد بالسرعة التي يختارها، وهم لا يعرفون أنه ماهر للغاية في التصويب.

هذا الصبي -مثل كل الآخرين- ظنَّ أنه الوحيد الذي تمكن من الهرب. انطلق، راكضًا بأقصى سرعة في الميدان، وتمالك نفسه، ونيلسون يعد. اقترب من الطريق عندما وصل نيلسون إلى «ثمانية» ورفع سلاحه، وهو يصيح: «تسعة». كان هدفه واضحًا، وهو الشعار على ظهر ملابس الطفل.

- عشرة!

ثم خفض نيلسون مسدسه، دون أن يطلق النار. بدلًا من ذلك، راقب الطفل، وهو يندفع خلال الطريق، وكادت سيارة تصدمه، لكنها انحرفت متجنبة إياه. ثم اختفي الطفل في الغابة.

مدح نيلسون قدرته على ضبط النفس. كان من السهل للغاية قنص الطفل. لكنْ كان يدبر خططًا أخرى لهذا الهارب من التفكيك. لم تكنِ الحقنة التي أعطاها للطفل مضادًّا حيويًّا على الإطلاق، بل نظام توصيل لشريحة تتبع مجهرية، وهو النوع المستخدم لمراقبة تجمعات الأنواع المهددة بالانقراض. منذ أن بدأت مهمته الجديدة، كانت هذه هي المرة الرابعة التي يحقن نيلسون فيها أحد الهاربين من التفكيك بهذه الشريحة، ثم يُطلقه في البرية. بأي قدر من الحظ، ستلتقطهم المقاومة، وترشدهم بوضوح إلى مكان الملاذ الآمن، الذي يتحصن به كونور لاسيتر. لكنْ في الوقت الحالي، هناك الكثير من الخيوط المحلية التي يمكن تتبعها. ابتسم نيلسون. من الجيد أن يكون لك هدف. شيء ممتع نتطلع إليه.

***

31 - ميراكولينا

لأسابيع، تحملتْ ميراكولينا أسْرها، وإلغاء برمجتها على يد المقاومة ضد الانقسام، لكنها لم تستسلم في داخلها قطُّ. لم تستسلم قطٌّ للأشياء التي يحاولون تعليمها إياها. آه، صحيح، لقد تعلمتْ كيف تتعامل في عالمهم الصغير المكوَّن من الأعشار السابقين، وأن تفعل ما هو منتظر منها، حتى يتركوها وشأنها. أحضروا المزيد من الأعشار، والبعض الآخر نقلوه ليحيا مع أُسر، ويحصل على هُويَّات جديدة. لم تكن هناك خطة مماثلة لميراكولينا. فحتى لو كانت شبه متعاونة، ستظل تشكل مخاطرة كبيرة. لكنْ ليست لديهم أي فكرة عما تخطط له حقًّا.

تعتبر ميراكولينا نفسها على استعداد لأي تحدٍّ. رغم كونها عُشرًا، فإنها لم تعش الحياة المنعزلة التي يحياها معظم الأعشار الآخرين، ورغم أنها فتاة لم تختبرْ قسوة العيش في الشوارع، تعتبر نفسها قادرة على التعامل مع صعوبات الحياة، كما ترى نفسها منفتحة على العالم. سيكون الهروب من القبضة المخملية للمقاومة تحديًا، لكنه ليس تحديًا مستحيلًا.

في وقت مبكر، حذَّرها ليف شخصيًّا من عبث محاولة الهروب. قال لها: « في كل مكان قناصون يحملون بنادق تهدئة»، وهو ما يجعل الأمر يبدو ميؤوسًا منه. ومع ذلك، فإن كل معلومة صغيرة تساعدها، لأن ليف ذكر سهوًا أن رغم وجود سياج، فإنه ليس مُكهْربًا. من الجيد أن تعرف ذلك. إنها تستكشف كل ركن يمكنها الوصول إليه من أركان القصر الضخم، مع إيلاء اهتمام خاص بالعديد من الغرف والممرات غير المستخدمة، والمتداعية التي لم تُرمَّم بعد. معظم النوافذ مغطاة بألواح خشبية، والأبواب الخارجية كلها مقفلة. لكنْ كلما كانت إحدى المناطق منسية، كانت تلك الأقفال عليها أقل متانة، ومواضع تثبيت القفل تستمد قوتها من كفاءة الخشب المثبتة فيه. مثل

القفل الموجود على باب الحديقة، الذي ينتشر فيه النمل الأبيض بشكل مزعج. بمجرد أن تجد الباب، تحفظ المعلومة كمرجع لتستخدمه في المستقبل. عادة ما تُقدَّم وجبات الأعشار السابقين في أوانٍ من الخزف مكسور الأطراف، لا بدَّ أنها جزء من مجموعة مقتنيات كافينو في أيام الازدهار، لكنْ في أيام الأحد، يُحضِرون أفضل الأشياء، من بين ذلك أطباق التقديم الفضية التي يعتبر حجمها مناسبًا، ويمكنها إخفاء أحدها أسفل ملابسها، كدرع. مرة أخرى، تحتفظ بالمعلومات، كمرجع للمستقبل. كل ما تحتاج إليه الآن هو عامل إلهاء، ليس فقط داخل القصر، لكنْ في الخارج أيضًا. من سوء الحظ، هذا ليس شيئًا يمكنها صنعه، لذا فهي تقضي وقتها، واثقة من أن فرصة ما ستقدم نفسها. فرصة مثل احتمال حدوث إعصار في إحدى ليالي الأحد.

***

نشطت الرياح فعلًا في وقت العَشاء. انتشر الحديث عن العاصفة المقبلة بين حشد المراهقين؛ بعضهم خائف، والبعض الآخر متحمس. غاب ليف عن المشهد بشكل مُلاحَظ. ربما غادر، لتفادي العاصفة؛ نقله حرسه بعيدًا إلى مكان يتمتع بمزيد من الأمان. عندما انتهى تناول الطعام، نظَّفت ميراكولنينا طبقها من البقايا، وحملتْ طبقيْ تقديم فضييْن، من المفترض أن تحملهما إلى المطبخ.

قالت إحدى معلماتها: «ليس عليك أن تفعلي ذلك يا ميراكولينا».

قالت مبتسمة: «لا بأس، أنا لا أمانع». بادلتْها المعلمة الابتسام، وشعرتْ بالسعادة، لرؤيتها متكيفة في المكان أخيرًا.

هبَّتِ العاصفة، كما تفعل عواصف الربيع، رياح تحذيرية في البداية، ثم يحدث طوفان، كما لو أن السماء نفسها قد انفجرت. تدفق المطر خلال فتحات في السقف، في المناطق التي لم تُرمَّم بعد. وصل الماء في قاعة الرقص -حيث ألقى ليف التحية على ميراكولينا لأول مرة- لارتفاع بوصة واحدة على الأقل. امتلأتِ المقالي الموضوعة أسفل مواضع تسرب المياه في غرف النوم، ولا بدَّ من تفريغها. أصبح الأمر يشبه إنقاذ سفينة تغرق. عرضتْ قناة الطقس مُخطَّطًا لمقاطعات «متشيجان»، أظهرها وهي تومض باللون الأحمر الغاضب، مع تحذيرات من الإعصار.

قال أحد المعلمين: «لا تقلقوا، هناك قبو للحماية من العاصفة، إذا أطلقوا إنذارًا بحدوث إعصار في منطقتنا». وهو ما حدث في تمام الساعة 8:43 مساءً.

بدأ الموظفون على الفور في تجميع الصبية. أصبح من الصعب متابعة الجميع، في ظل ضربات البرق، وانفعالات الصبية. هنا تسللت ميراكولينا مبتعدة، وهي تحمل العديد من أطباق التقديم، لتختفي في نهاية ممر جانبي، مسرعة نحو الباب المتداعي بفعل النمل الأبيض.

وقفت قبالة الباب، ودفعت أطباق التقديم الكبيرة تحت قميصها من الأمام والخلف. كانت باردة وغير مريحة، لكنها ضرورية للغاية. وضعتْ طبقيْ تقديم أصغر حجمًا أسفل ظهر سروالها الرياضي، وحولتهما إلى درعين لحماية مؤخرتها. انتظرت حدوث موجة قوية من البرق ملأت السماء بومضات متقطعة، وفي اللحظة التي هدر فيها الرعد بعد بضع ثوانٍ، ضربت الباب بكتفها. انفتح في المحاولة الثانية، في حين ظل صوت الرعد عاليًا، فأخفى صوت الباب وهو ينفتح.

كانت هناك بقايا طريق ما زالت موجودة وسط أطلال الحديقة. أسرعت تجري على الطريق، ليغرقها المطر على الفور، ويكاد يعمي عينيها. ثم اندفعت من الحديقة إلى مكان إزالة الأعشاب الضارة، الذي يقود إلى الغابة، في مجال رؤية مفتوح لأي قناص، وتساءلت هل كانت عدسات الأشعة تحت الحمراء يمكنها الرصد من خلال زخات المطر. إنها تعرف أن المعدن موصل للكهرباء، وفي أعماق عقلها خشيت أن يصعقها البرق، لكن كان عليها أن تصدق أن ذلك لن يحدث. عليها أن تؤمن أن الله قد سخَّر لها هذه العاصفة، حتى تتمكن من الهرب، حتى تتمكن من فعل ما كان مقدَّرًا لها أن تفعله. وإذا أصابها البرق، ستكون هذه علامة من السماء أيضًا، أليس كذلك؟ لذلك تلت صلاة صامتة. «يا رب، إذا كان ما أفعله خطأ، فعندئذ عاقبني بكل الوسائل. أو حررني».

***

32 - ليف

سطع البرق، لا ليصعق ميراكولينا، لكن ليسلط عليها الضوء بحيث يراها الجميع. أو على الأقل من يتصادف بحثه عنها.

معظم الناس موجودون بالداخل فعلًا، أو في طريقهم إلى قبو العاصفة الذي قد يتحمل أو لا يتحمل قوة الإعصار، لكونه بناءً قديمًا. لكنَّ ليف -الذي لطالما أحب العواصف، ولديه فعلًا نافذة في غرفته لمشاهدتها- تباطأ في المغادرة.

وقف، مستغرقًا بضع لحظات لمشاهدة عنف الطبيعة الخام. عاصفة من الرياح تهز النوافذ القديمة حتى كادت تحطمها، وومضة طويلة من ضربات البرق. في ذلك الضوء الوامض، رأى شخصًا يركض وسط العشب، ويدخل الغابة. كانت مجرد لمحة سريعة، لكنها كَفَتْه ليعرف من هي بالضبط، حتى لو لم يتمكن من رؤية وجهها.

***

33 - ميراكولينا

لم تسمع صوت البندقية عند إطلاقها للمرة الأولى، لكنها شعرتْ بسهم التخدير، وهو يصطدم بطبق التقديم الفضي المربوط بظهرها، وعلق رأسه الحاد في قماش قميصها. لم تعرف مكان القناص، في ما عدا أنه خلفها. كانت تأمل أن يكون القناصة قد تركوا أماكن تمركزهم، وذهبوا إلى مخبأ ليحتموا من العاصفة، لكنَّ واحدًا منهم على الأقل -وربما أكثر- ما زال يراقب، ربما لعلمه أن عاصفة كهذه هي فرصة فرار واضحة لأي مراهق لم تُلغَ برمجته بعد.

سهم آخر تجاوزها، على بعد بوصات قليلة، ومن اتجاه مختلف. ما زال هناك أكثر من قناص في مكانه. إنها تعلم أنهم يستهدفون جسدها لأنهم لن يخاطروا برصاصة في الرأس، لذا ضمَّتْ ذراعيها أمام جسدها، وجعلتْ من نفسها هدفًا أصغر. اصطدم سهم آخر بأحد الطبقين الصغيرين اللذين يغطيان مؤخرتها. كادت ألا تضعهما هناك، لأنهما عاقا قدرتها على الجري. لكنْ في تلك اللحظة كانت سعيدة لأنها استخدمتهما. هذه المرة لم يعلق السهم، بل ارتدَّ في الهواء.

في لحظة، أصبحتْ في الغابة، وأغصان الأشجار تتطاير من حولها. لو أن هناك أي قناصين هنا في الغابة، فستكون مفاجأة حقيقية لها. على الأرجح أن الطلقات جاءت من القصر نفسه. إنها تشك أن حتى أكثر القناصين تفانيًا قد يحتفظون بمواقعهم في الغابة وسط تهديد الإعصار. ليست لديها أي فكرة عن الاتجاه الذي تسير فيه، لكنْ أي اتجاه هو الاتجاه الصحيح، ما دام بعيدًا عن القصر. إنها تعلم أنها ستصل في النهاية إلى السياج. يمكنها فقط أن تأمل ألا يكون شديد الارتفاع، لدرجة تمنعها من تسلقه.

مجال الرؤية الوحيد أمامها كان يأتي على شكل لقطات ثابتة في ومضات البرق. ثيابها ممزقة ووجهها خدشته الأغصان. كانت تتعثر في الوحل، لكنها تلتقط أنفاسها وتواصل السير. ثم -في ومضة من الضوء- رأتْ أمامها سياجًا من الأسلاك المتقاطعة، يبلغ ارتفاعه نحو ثماني أقدام، ليس من الصعب للغاية تسلقه، لكنْ يوجد سلك شائك في الجزء العلوي. هذا يعني المزيد من الخدوش والجروح، لكنها ستتحمل. إنها واثقة أن أي إصابات ستلتئم قبل تفكيكها.

ألقتْ بنفسها على السياج. وهي متقطعة الأنفاس، وقدرتها على الاحتمال تقترب من النفاد، لكنْ قبل أن تصل إليه بقليل، تلقتْ ضربة من شخص أسرع منها، فأسقطها على الأرض المبتلة. لم ترَ وجهه سوى في لمحة سريعة، لكنها كانت كافية لتعرف من هو. لقد جاء الصبي المميز بنفسه للإمساك بها.

قالت، وهي تدفع ليف وتخدشه: «ابتعد عني!». ثم أخرجت الصحن من أسفل ملابسها ولوَّحت به، فاصطدم برأسه، محدثًا صوتًا مكتومًا، فسقط، لكنه نهض مرة أخرى على الفور، فقالت: «أقسم إنني سأنتزع رأسك بهذا الطبق لو اضطررتُ إلى ذلك! دعني أذهب. لا يهمني إذا كانوا يبجلونك، ولا يعنيني إذا كنت قديسهم المرشد. سأرحل، ولا يمكنك إيقافي!».

هنا تراجع ليف، وهو يتنفس بصعوبة، قائلًا: «خذيني معكِ».

لم يكن هذا ما توقعتْ أن تسمعه، فسألتْ في دهشة: «ماذا؟».

- لا يمكنني أن أكون جزءًا من هذا بعد الآن. لا أستطيع أن أكون كما يريدونني أن أكون. أنا لست قديسًا مرشدًا لأحد، ويمكنهم إنقاذ الأعشار جيدًا من دوني. لذلك سأغادر أنا أيضًا.

لم تكن ميراكولينا تملك الوقت لمعرفة أهذه خدعة، أم لا. لم يكن لديها وقت حتى للتفكير في ما يقوله، لكن إذا كان يقول الحقيقة، يمكنها اختبار عزمه.

- ساعدني لأتسلق السياج.

فعل ما طلبتْه دون تردد. ساعدها لتصعد، فخدشتها الأسلاك الشائكة، وهي تسقط على الجانب الآخر، لكنها على الأقل أصبحتْ على الجانب الآخر! ثم تسلق ليف -الصبي الذي اعتبرتْه سجانها- ولحق بها.

قال: «هناك طريق، ربما على بعد مائة ياردة -أو نحو ذلك- خلال الغابة. يمكننا إيقاف سيارة لنركبها».

- من الذي قد يقود سيارته في ليلة كهذه؟

- هناك دائمًا شخص ما، يستقتل للذهاب إلى مكان ما.

هدأتِ الرياح قليلًا بحلول الوقت الذي وصلا فيه إلى الطريق، لكنْ في جو الإعصار قد يكون ذلك علامة جيدة أو سيئة. لم يريا البَرَد حتى الآن، والبَرَد علامة أكيدة على أن شيئًا أسوأ في الطريق.

كانت هناك بالتأكيد حركة مرور على الطريق المكون من حارتين، لم تعبُر سيارات كثيرة، واحدة فقط كل دقيقة أو دقيقتين، لكنْ كل ما يحتاجان إليه هو سيارة واحدة.

قال ليف: «لن يعرفوا أننا ذهبنا إلا بعد انتهاء العاصفة. إذا اصطحبنا أحدهم، فعديني أنكِ لن تخبريه عن القصر، وما نفعله هناك».

قالت له ميراكولينا: «لن أعد بشيء».

توسل إليها ليف: «أرجوكِ.. الصبية الآخرون هناك ليسوا مثلك. إنهم لا يريدون أن يُنفَّذ فيهم نذر العُشر. لا تحكمي عليهم بشيء لم يكن اختيارهم قطُّ».

رغم أن قوله يتعارض مع غرائزها، فإن الخط الفاصل بين الصواب والخطأ كان ضبابيًّا بما يكفي لتقول: «حسنًا. لن أقول».

قال ليف: «سنبتكر قصة. لقد خرجنا لركوب الدراجات، وحاصرتنا العاصفة. عليكِ فقط مجاراتي في أي شيء أقوله. ثم عندما نغادر السيارة، إذا أردتِ حقًّا تنفيذ نذر العُشر، فاذهبي وسلمي نفسك. لن أوقفك».

ورغم عدم ثقتها بأنه سيجعل الأمر بهذه السهولة، فإنها وافقت، وقالت: «ماذا عنك؟ أين ستذهب؟».

قال لها: «لا أعرف». ومضتْ عيناه وهو يقول ذلك، وهذا ما جعلها تتأكد أن المجهول هو الطريق الذي يريده بالضبط.

اقتربتْ أضواء مصابيح أمامية، ونشطتِ الرياح مجددًا. لوحا بأذرعهما، فتوقفتِ المركبة -شاحنة- على جانب الطريق. انفتحتْ إحدى النوافذ، فأسرعا إلى الشاحنة.

قال السائق: «يا إلهي! ماذا تفعلان هنا في هذا الجو؟».

قال ليف: «كنا نقود دراجاتينا.. لم نكن نعلم أن هناك عاصفة قادمة».

- أين الدراجتان؟

انضمتْ ميراكولينا إلى المحادثة، قائلة «لقد تركناهما على مسافة بعيدة».

قال ليف: «سوف نعود إليهما بعد العاصفة. هناك فرص مُهيَّئة لحدوث إعصار خلال ساعات. نحتاج فقط إلى الخروج من هنا. هل يمكنك أن تساعدنا؟»

- طبعًا.

فتح قفل أمان السيارة، ففتح ليف الباب الجانبي. وفي أثناء ذلك، اشتعل ضوء الكابينة، ليسقط على وجه الرجل لأول مرة. ورغم أن اللحظة تستدعي -بالمعنى الحرفي للكلمة- اللجوء إلى أي ميناء خلال العاصفة، لم تستطعْ ميراكولينا منع نفسها من الشعور بقليل من الانزعاج عند رؤية وجه الرجل في أثناء ركوبها الشاحنة. كان في وجهه شيء غريب. أو ربما هي عيناه فقط.

***

34 - ليف

لم يولِ ليف اهتمامًا كبيرًا للسائق. كان سعيدًا فحسب بالخروج من العاصفة، وبالحصول على وسيلة مواصلات، تنقله بعيدًا عن قفصه المذهب. لقد كذب على ميراكولينا. إنه لا ينوي أن يتركها تسلِّم نفسها إلى سلطة الأحداث. إنه يعلم أنه قد لا يكون قادرًا على إيقافها، لكنَّ هذا لا يعني أنه لا يمكنه المحاولة.

كادت الرياح الشديدة تدفع الشاحنة خارج الطريق في أثناء القيادة، وأخذ السائق يقاومها بإحكام كلتا يديه على عجلة القيادة. قال الرجل وهو ينظر إلى ليف في مرآة الرؤية الخلفية: «يا لها من عاصفة! أليس كذلك؟» تجنَّب ليف نظرته، فآخر ما يريده هو أن يتعرَّفه أحدهم بصفته «ذلك الطفل المُصفِّق».

سأل الرجل: «أتشعران بالراحة في الكابينة الخلفية؟».

لم يسألهما بعد عن وجهتهما. راجع ليف في ذهنه أسماء البلدات التي يعرفها في المنطقة، ليكون مستعدًّا عندما يُطرَح السؤال حتمًا.

في الخارج، أخذ المطر يهطل على الزجاج الأمامي بزاوية عنيفة، وأخفقتِ المسَّاحات في عملها، وأصبح عليهم التوقف. استدار الرجل إليهما.

- أتقول إن هناك فرصًا مهيئة لحدوث إعصار خلال ساعات؟ أتفترض أنه سيأخذنا إلى «أرض أوز»[1]؟

بدا مرحًا للغاية في ظل تلك الظروف.

---

(1) «أرض أوز»: جاء ذكرها في فيلم الفانتازيا الأمريكي الموسيقي الشهير «ساحر أوز»، من إنتاج عام 1939، وفيه يحدث إعصار، يحمل أبطال الفيلم إلى أرض سحرية خيالية اسمها «أوز». "المترجم".

اقترحت ميراكولينا: «كلما أسرعنا جميعًا في العودة إلى المنزل، كان ذلك أفضل».

أجابها السائق بنبرة الصوت المبتهجة نفسها: «نعم، لكنكما لستما ذاهبين إلى المنزل. جميعنا يعرف هذا، أليس كذلك؟».

ألقت ميراكولينا نظرة قلقة على ليف. أما الرجل، فقد ثبَّت عينيه على ليف، وعندئذٍ فقط رأى ليف أن عينيه غير متطابقتيْن. أثار المنظر في جسده قشعريرة، لا علاقة لها بالعاصفة.

- أعلم أنكَ لا تتذكرني يا سيد كالدر، لأنكَ كنت فاقدَ الوعي في لقائنا الأخير، لكنني أتذكرك بالتأكيد.

وصل ليف إلى باب الشاحنة، لكنه كان مغلقًا بقفل الأمان، ولا توجد طريقة مرئية لفتحه.

صرخت ميراكولينا: «ليف!»، وعندما نظر إلى الخلف، رأى الرجل وقد أخرج مسدس تهدئة، بدا كبيرًا للغاية واستخدامه سيئ في مثل هذا المكان الضيق. بدأ البَرَد الثقيل يضرب الشاحنة، فاضطر الرجل إلى الصياح ليعلو صوته على هذا الضجيج، وقال: «أول مرة أطلقت عليكَ النار فيها، كانت حادثًا غير مقصود. لكنْ هذه المرة ليست كذلك». ثم خدَّرهما، قبل أن يتمكنا من النطق بكلمة واحدة. لاحظ ليف أن عينيْ ميراكولينا تدوران في محجريهما، ثم سقطتْ على المقعد، قبل أن يبدأ في الغرق في مزيجه المخدر، وأخذ يدور، وهو يسقط إلى أسفل، إلى أسفل، إلى أسفل، بينما فَسَح صوت البَرَد في الخارج المجال أمام هدير يشبه صوت قطار شحن ينطلق خلال الجحيم.

***

35 - نيلسون

خلال إحدى ومضات البرق، لمح الإعصار. كان يقطع الأشجار الموجودة على جانب الطريق، على بعد ما لا يُكمل مائة ياردة أمامه. كان يحطم الطريق نفسه، وقطع الأسفلت تتطاير في السماء. شيء ما -قطعة من الطريق أو طرف شجرة- صنع انبعاجًا في السقف، كما لو أن عملاقًا قد وطأه بغضب. تحطمتْ إحدى النوافذ الجانبية، وسُحِبَتِ الشاحنة من جانب الطريق إلى منتصفه.

لم يشعر نيلسون بالخوف، بل بالرهبة فحسب. بدأت الشاحنة تميل إلى اليسار. شعر أن السيارة بأكملها قد وقعت ضحية لعبة شد الحبل بين الرياح والجاذبية. في النهاية، فازت الجاذبية، وبقيت السيارة جسمًا ثقيلًا ثابتًا على الأرض، بدلًا من التحول إلى قذيفة محمولة جوًّا تزن طنيْن. ثم في لحظة مضى الإعصار في طريقه، راسمًا خطًّا متعرجًا، ومتجهًا للتسبب في بؤس شخص آخر. تلاشى الزئير، وهطلتِ الأمطار الغزيرة مرة أخرى.

عرف نيلسون أن هذه هي اللحظة الحاسمة الثانية له. الأولى كانت رصاصة التهدئة التي سرقتْ حياته. لكنِ الآن أُنقِذَتْ حياته. لم تُنقَذ فحسب، بل ثبتت فعَّاليتها، كل ذلك في اللحظة نفسها. لم يكنِ القبض على ليف كالدر من قبيل المصادفة. لم يؤمنْ نيلسون قطُّ بالعناية الإلهية، لكنه منفتح على فكرة التوازن، وأن هناك بطريقة ما عدالة في المخطط الكبير للأشياء. إذا صحَّ هذا، فإن العدالة ستزوره قريبًا جدًّا، وستضع كونور لاسيتر بين يديه المنتظرتين.

***

الجزء الخامس

لدواعي الضرورة

من «الإندبندنت» - مجلة إخبارية بريطانية: «مجرمون.. حمقى.. حثالة»:

كيف تشيطن وسائل الإعلام المراهقين

بقلم ريتشارد جارنر - محرر التعليم - الجمعة 13 مارس 2009

أفاد بحث جديد أن تصوير الفتيان المراهقين في وسائل الإعلام بوصفهم «أشقياء» جعل الأولاد حذرين من المراهقين الآخرين.

تُظهِر الأرقام أن أكثر من نصف المقالات عن الفتيان المراهقين في الصحف الوطنية والإقليمية في العام الماضي (4374 من أصل 8629) كانت عن الجريمة. الكلمة الأكثر شيوعًا لوصفهم كانت «أشقياء» (591 مرة)، تليها «بلطجية» (254 مرة)، و«مرضى نفسيين» (119 مرة) و«أعداء المجتمع» (96 مرة). تشمل المصطلحات الأخرى المستخدمة كثيرًا لوصف الفتيان المراهقين:

«مجرمون» و«حمقى» و«بلا قلب» و«أشرار» و«مخيفون» و«حثالة» و«وحوش» و«غير آدميين» و«يشكلون تهديدًا».

أظهر البحث -الذي تم بتكليف من منظمة «نساء في الصحافة»- أن أفضل فرصة للمراهق لتلقي تغطية صحفية متعاطفة، هي أن يلقى حتفه.

وخلُصَ البحث إلى الآتي: «وجدنا بعض التغطيات الإخبارية التي تصف الفتيان المراهقين بعبارات براقة، مثل «طالب نموذجي» أو «ملاك» أو «فتى المذبح» أو «الابن المثالي لكل أم»، لكنْ يا للأسف كانت هذه الأوصاف مخصصة للفتيان المراهقين الذين لقوا حتفهم بعنف مفاجئ».

يمكنكم أن تجدوا المقال كاملًا على:

http://www.independent.co.uk/news/uk/home-news/hoodies- louts-scum-how-media-demonises-teenagers-1643964.html

36 - كونور

ينفِّس كونور عن غضبه في كيس الملاكمة مرتيْن على الأقل يوميًّا. يضطر إلى فعل ذلك. إذا لم يفعل، فقد يُخرجه في وجه شخص ما. الصبي الكسلان الذي لا ينظف المراحيض؛ الفتاة الحمقاء التي هرَّبت هاتفًا محمولًا، حتى تتمكن من الاتصال بأصدقائها وإخبارهم بمكانها؛ أو الفتى الذي يمزح بعد كل انفجار ينفذه المصفِّقون. ضرب كونور كيس الملاكمة بقوة، ومن المدهش أنه لم ينفجر.

لقد اختفت ريسا.

مرَّ شهر تقريبًا. على حد علمه، لقد لقيتْ حتفها على يد سلطة الأحداث، أو «المواطنة الاستباقية»، أو أيًّا من كان الذي وقعتْ في براثنه. لا يعنيهم أنها في السابعة عشرة من عمرها ومعاقة، أي لا يمكن تفكيكها. يمكن للحكومة التي ترى كل شيء، أن تكون قصيرة النظر للغاية، عندما يتعلق الأمر بفحص إجراءات مرافقها.

كونور لم يعد كما كان.

إنه يشعر بأن أنماطه السلوكية وعاداته القديمة تعود. هي نفسها التي حصل بسببها على أمر التفكيك في بداية الأمر. عاد بذكرياته إلى الأيام التي سبقتْ تحوله إلى هارب من التفكيك، عندما كان مجرد صبي يتسبَّب في المشكلات. لقد عاد إلى تلك اللحظة مرة أخرى، إنه في الوقت الحالي صبي يتسبب في المشكلات، ومسؤول عن مئات الصبية الآخرين الذين يتسببون في مشكلات. لا يسعه إلا أن يعتقد أن هذا كله ليس نابعًا منه هو فحسب. يبدو أن غضبه يتجمع دائمًا في يد رولاند.

قال له ستاركي خلال مباراة البلياردو ذات مساء: «إذا أردتَ المغادرة، فلن يلومك أحد. عليكَ أن تذهب وتحاول العثور على ريسا. يوجد آخرون يمكنهم تولي إدارة هذا المكان. ترايس يمكنه أن يفعل ذلك. أو حتى آشلي أو هايدن. (استبعد نفسه، بشكل لافت للغاية) ربما يمكننا طرح الأمر للتصويت، بمجرد رحيلك. اجعل كل شيء ديمقراطيًّا».

قال كونور، مواجهًا بالأمر الذي يواصل ستاركي اللف والدوران حوله: «وأنت فعلًا تضمن الحصول على الأقل ربع الأصوات، أليس كذلك؟».

لم يتجنب ستاركي النظر إليه، ولا أنكر الأمر، بل قال: «يمكنني إدارة هذا المكان، إذا اضطررتُ إلى ذلك. (ثم أسقط الكرة رقم ثمانية في الجيب، في وقت مبكر للغاية، فخسر اللعبة) اللعنة، لقد فزتَ مرة أخرى».

ألقى كونور نظرة فاحصة على ستاركي الذي بدا دائمًا صريحًا وصادقًا منذ البداية. ولكنَّ ترايس أيضًا كذلك. هنا فقط، بدأ كونور يشك في أن دوافع ستاركي قد تكون أشبه بالخطط المدبَّرة.

قال كونور لستاركي: «أنت جيد في تقديم الطعام على المائدة، وقد منحتَ المنقولين بعض الاحترام لذواتهم، لكنْ لا تعتقد أن هذا يجعلك هبةَ الله للمفككين».

قال ستاركي: «لا. أظن أن هذا الوصف يقتصر عليك». ثم وضع عصا البلياردو على الطاولة، وغادر.

أنَّب كونور نفسه بشدة لكونه متشككًا للغاية. الحقيقة هي أنه قد يرغب فعلًا في تهيئة ستاركي ليحلَّ محله يومًا ما.. لكنْ من هو ليهيئ أي شخص لأي شيء؟ في الماضي، اعتاد أن يبوح بمخاوفه إلى ريسا. كانت تجيد دعمه، بوضع الضمادات على إحساسه بالشك في ذاته، وتتركها مدةً كافية إلى أن يُشفى، وتتم المهمة. يمكنه أن يحاول الثقة بهايدن، لكنَّ هايدن يسخر من كل شيء. يعرف كونور أنها آلية دفاعية، ولكنَّ هذا يجعل من الصعب التحدث معه عن بعض الأمور. صديقه الحقيقي الوحيد الآن هو ترايس. يكره كونور حقيقة أن ترايس يظل أقرب حلفائه، حتى بعد أن كشف بنفسه خيانته للجانبين. لكنْ إذا كانت ريسا ضمادة، فإن ترايس هو كحول يطهر الجرح المفتوح.

- كل منَّا فقد أشخاصًا بطريقة أو بأخرى، وريسا لا تختلف عنهم، لذا أوقف ألمك الداخلي، وأدِّ عملك.

قال له كونور: «أنا لست بوفًا. لم أتدربْ على أن أكون بلا شعور».

- لسنا بلا شعور، نحن نعرف فقط كيفية تسخيره وتوجيهه نحو أهداف محددة.

وهذا ما قد يصبح كونور قادرًا على فعله، لو كان له هدف، لكنَّ الحياة في المقبرة تبدو بلا اتجاه أكثر فأكثر. إنها جهاز المشي الرياضي الذي يُسقِط المراهقون من عليه عندما يبلغون السابعة عشرة.

أحدهم -اشتبه كونور في أنه هايدن- أبلغ الأدميرال بأنه لا يتقبل القبض على ريسا بشكل جيد، لذا، فاجأه الأدميرال بالزيارة.

وصل إلى المقبرة في سيارة ليموزين سوداء مُشمَّعة إلى درجة أكسبتها نوعًا من اللمعان الناعم، لا يتجمَّع عليها الغبار الذي تثيره في أثناء سيرها. تعرَّفه كونور بالكاد عندما غادر السيارة. أصبح الأدميرال نحيفًا. ليس نحيفًا فحسب، بل هزيلًا. بشرته التي كانت في الماضي برونزية -بسبب السنوات التي قضاها تحت شمس المقبرة- أصبحتْ شاحبة، ولم يكن يرتدي زيه العسكري المغطى بالنياشين، بل ارتدى سروالًا وقميصًا منقوشًا، كما لو كان في جولة للعب الجولف. ومع ذلك، ظلَّ منتصبًا في وقفته، متمتعًا بشخصية الضابط القائد، بشكل لا لبس فيه.

توقَّع كونور أن الأدميرال سيصبُّ عليه جام غضبه، وسينتقده بصرامة أكبر مما فعل هو مع ستاركي، لكنْ كما هي الحال دائمًا، لا يمكن التنبؤ باستراتيجية الأدميرال.

قال له الأدميرال: «لقد نمتْ عضلاتك منذ أن رأيتُكَ آخر مرة. أسأل الله ألا تكون قد تعاطيتَ المنشطات العسكرية اللعينة التي يمنحونها للبوف، فهي تؤثر سلبًا في الخصوبة».

- لا يا سيدي.

- أحسنتَ. لأن جيناتك قد تستحق في الواقع أن تمررها للأجيال القادمة.

دعا كونور إلى الانضمام إليه في سيارته الليموزين الفخمة المكيفة، وجلسا باسترخاء في السيارة المتوقفة على ممر الطائرات، كما لو أنها ستنبت لها أجنحة، وتُقلِع في أيِّ لحظة.

دارتْ بينهما محادثة قصيرة إلى حد ما. أخبره الأدميرال عن «تجمع هارلان الكبير»: إنه حفل ضخم شهد حضورَ كل من حصلوا على أعضاء ابنه.

- أقسم حتى يوم وفاتي إن هارلان كان هناك، حيًّا في تلك الحديقة، ولا يمكن لأحد أن يثبت أنه لم يكن كذلك.

أخبر كونور أنه عندما ذهبت «الأجزاء» كل في طريقه، لم يكن لدى إمبي -صديق هارلان المصاب بالربو- مكان يلجأ إليه، لذلك أبقاه الأدميرال معه، ويربيه الآن كما لو كان حفيده.

قال الأدميرال: «إنه ليس الأكثر تميزًا أو ذكاءً، لكنه شديد الإخلاص».

كما أخبر الأدميرال كونور أن ما بقي له ليحياه يُقدَّر بستة أشهر، بسبب اعتلال قلبه.

- طبعًا، كان ذلك منذ عام تقريبًا. كثيرًا ما يكون الأطباء حمقى.

فكَّر كونور في أن الأدميرال ربما يظل حيًّا معافى لسنوات.

وأخيرًا تطرق إلى السبب الحقيقي لزيارته. قال الأدميرال: «سمعتُ أن ما حدث لريسا يؤثر فيك». ثم صمت، وهو يعلم أن كونور سيشعر في النهاية بأنه مُضطَّر إلى كسر هذا الصمت، وهو ما حدث فعلًا.

- ماذا تريدني أن أفعل؟ أواصل حياتي كما لو أن شيئًا لم يحدث قطُّ؟ كأنها لم تكنْ موجودة من قبل؟

لم يغيِّر الأدميرال أسلوبه، رغم إحباط كونور، وقال: «لم أعهدْك ذلك الشاب الذي يضيِّع وقته في الشعور بالأسى على نفسه».

- أنا لا أشعر بالأسى! أنا غاضب!

- الغضب يكون صديقنا، فقط عندما نعرف قدره، وكيفية توجيهه.

هذا القول جعل كونور ينفجر مقهقهًا فجأة بصوت مرتفع بما يكفي ليجعل السائق يلقي نظرة على الكابينة الخلفية.

- هذا جيد! يجب أن يُسجِّل أحدهم هذا الاقتباس باسمك.

- حدث هذا فعلًا. إنه في الصفحة الثالثة والتسعين من «دليل قانون طلبة الأكاديمية العسكرية»، في طبعته الخامسة.

التفتَ الأدميرال، لينظر من النوافذ -المكسوة بطبقة تمنع رؤية ما بداخلها- إلى ما يجري في المقبرة، وقال: «مشكلتكم جميعًا أيها الهاربون

من التفكيك، هي أنكم تستخدمون غضبكم كقنبلة يدوية، تنفجر في أيديكم نصف الوقت. (ثم نظر إلى ذراع كونور) لا أقصد الإساءة إليك».

- لا بأس.

لكنْ بعد أن نظر الأدميرال إلى ذراع كونور، لفت شيء ما انتباهه، فدقَّق النظر أكثر، متسائلًا: «هل أعرف هذا الوشم؟ (ثم حكَّ أصابعه معًا محدثًا صوتًا) رولاند. ألم يكن هذا اسمه؟ لقد كان مصدر إزعاج حقيقي».

- إنه هو.

أخذ الأدميرال يتأمل سمكة القرش للحظة أخرى، ثم قال: «لا أظن أن الحصول على ذراعه كان اختيارك».

قال له كونور: «لم يكن اختياري أن أحصل على ذراع أي مفكك. لو كنتُ أملك الخيار، كنتُ سأرفضها، تمامًا كما رفضتَ قلبًا يخص أحد المفككين. وكما رفضتْ ريسا الحصول على عمود فقري جديد. (شعر كونور بقشعريرة باردة تسري في ذراعه، بسبب الهواء الخارج من مكيف الهواء الذي يقترب من برودة القطب الشمالي) لكنني حصلتُ عليها فعلًا، ولا يسعني أن أبترها لأتخلص منها».

قال الأدميرال: «حسنًا، عليكَ الاحتفاظ بها! ربما أساء رولاند التصرف، لكنه كان إنسانًا رغم كل شيء، واستحق نهاية أفضل. أنا واثق أنه سيكون راضيًا، عندما يعلم أن ذراعه تحكم المقبرة بقبضة حديدية».

اضطُرَّ كونور إلى أن يضحك، تاركًا الأدميرال يحاول أن يفهم ما لا معنى له. ثم صمت الرجل لوهلة، قبل أن يقول بجدية: «استمع لي. عليك أن تنسى موضوع ريسا.. عليكَ أن تتخلى عنه من أجل الجميع».

لكنْ هناك بعض الأشياء التي لا يستطيع كونور أن ينساها.

- ما كان لي أن أتركها تقوم بتلك الرحلة إلى المستشفى.

- لو لم تذهب، فكما فهمتُ، كان الصبي البريء سيُفكَّك.

- وماذا في ذلك؟ كان عليها أن تتركه يُفكَّك.

قال الأدميرال بهدوء: «سأمحو من ذاكرتي أنك قلت هذا».

تنهَّد كونور، قائلًا: «ما كان لك أن تضعني في موقع المسؤولية. أردتَ أن يدير إوُول آكرون هذا المكان، لكنه غير موجود، ولم يوجد يومًا. إنه مجرد أسطورة».

- أنا مسؤول عن قراري. أنت ترى نفسك فاشلًا، لكنَّ هذا ليس ما أراه. عندما تكون في خضم معاناتك الخاصة، فمن السهل بالتأكيد إقناع نفسك بأنك معدوم الفائدة، لكننا جميعًا نتعرض لاختبارات في هذه الحياة يا كونور. لا يقاس الرجل بمقدار معاناته في الاختبار، لكنْ بكيف يخرج منه في النهاية.

ترك كونور كلمات الرجل تخترق أعماقه، متسائلًا متى سينتهي هذا «الاختبار» بالتحديد، وما عدد الطبقات غير المكتشفة التي ربما ما زال يحتوي عليها. جعله هذا يفكر في كل ما أخبره به ترايس.

- هل سمعتَ عن شيء يسمى بـ «المواطنة الاستباقية» يا أدميرال؟

فكر الأدميرال في الاسم، قائلًا: «الاسم يبدو مألوفًا إلى حد ما. ألا تمول بعض تلك الإعلانات المدافعة عن التفكيك؟ (هزَّ رأسه في اشمئزاز) إن تلك الإعلانات تذكرني بإعلانات «جيل الإرهاب» القديمة».

جذب هذا انتباه كونور، كسمكة التقطتْ طعمًا، فسأل: «جيل الإرهاب؟».

- أتعرف انتفاضات المراهقين؟ وأعمال الشغب السريعة المعادية للمجتمع؟

- لا أعرف شيئًا على الإطلاق!

نظر إليه الأدميرال، كأنه أحمق، قائلًا: «يا إلهي! ألا يعلمونكم شيئًا في تلك المدارس اللعينة الآن؟ (ثم هدأ قليلًا) لا، أفترض أنهم لن يفعلوا. التاريخ يكتبه المنتصرون، وعندما لا يكون هناك منتصرون، ينتهي الأمر بوضع التاريخ في آلات تمزيق المستندات». نظر من النافذة بنظرة مستسلمة حزينة، لرجل يعرف أنه الآن أكبر عمرًا من أن يغير العالم.

قال: «يجب أن تتثقف نفسك يا سيد لاسيتر. ربما لا يعلمونكم ما حدث، لكنْ لا يمكنهم مسحه بالكامل. هذا هو السبب الحقيقي وراء إقبال الناس على قبول «اتفاقية التفكيك». وهو السبب الأساسي خلف أسلوب حياتنا غير السوي».

قال كونور: «أعتذر عن جهلي الشديد».

- لا تعتذرْ. افعلْ شيئًا حيال ذلك فحسب، وإذا كنت مهتمًّا بهذه «المواطنة الاستباقية»، فثقفْ نفسكَ بشأنها أيضًا. ما الذي سمعتَه عنها؟

فكَّر كونور في إخباره بكل شيء عرفه من ترايس، لكنه كان يعلم أن هذا لا يمكن أن يكون جيدًا لقلب الرجل. الأدميرال متقاعد، وبينما يمكن استدعاؤه لمنح كونور دفعة نفسية سريعة وضرورية، سيكون من الخطأ أن يشركه كونور في الأمور الآن.

قال له كونور: «لا شيء.. مجرد شائعات».

قال الأدميرال: «اتركِ الأمرَ لمن ليس لديهم ما يفعلونه أفضل من النميمة. والآن يا رجل، اخرج من سيارتي الليموزين بحق الجحيم، وأنقِذْ حياة هؤلاء الصبية».

***

بمجرد رحيل الأدميرال، طلب ترايس بكل احترام عقد اجتماع خاص مع كونور. رغم اعترافه بأنه يعمل لحساب شرطة الأحداث و«المواطنة الاستباقية»، فإنه ما زال يعامل كونور باحترام كامل، بصفته الضابط القائد. لم يعرف كونور كيف عليه أن يفسر هذا. لا يمكنه الجزم هل كانت عملية احتيال، أم إن ترايس يصدقه القول. رغم أن كونور لا يستطيع تحمل كونه بيدقًا لشرطة الأحداث بالحفاظ على مخزونهم من المفككين، فإنه لا يستطيع أن ينكر أن تلقي معلومات مميزة من ترايس يجعله يشعر بأنه هو من يضع الغمامة على عيون سلطة الأحداث، وليس العكس. الحقيقة لم تحرر كونور، كما قال ترايس، لكنها على الأقل أعطتْه إحساسًا بالقوة في مواجهة سجانيه.

قادا السيارة على أحد الممرات الشرقية، ومرَّا بصفوف الطائرات المقاتلة التي كانت نوافذ قمرة القيادة بها تغطيها الأتربة، لدرجة تجعلها لا تبدو كالزجاج. ابتعدا بما يكفي عن أي بؤرة نشاط في المقبرة، حتى يكون اجتماعهما خاصًّا للغاية.

قال له ترايس: «لا بدَّ أن تعرف أن هناك أمورًا تُدبَّر الآن».

- أي نوع من الأمور؟

- من واقع المعلومات الاستخباراتية التي تمكنتُ من جمعها، توجد معارضة في سلطة الأحداث. البعض يريد تدميرنا.. إنهم فقط بحاجة إلى سبب.

- إذا كانوا يريدون تدميرنا، فإن حقيقة وجودنا هنا ستكون سببًا كافيًا.

- قلت إن البعض يريد ذلك. لكنَّ القيادات التي أعمل لحسابها ليست من هذا البعض، وما دام كل شيء سلسًا هنا، فيمكنهم مواصلة السيطرة على شرطة الأحداث. إنني مخبر صغير ماهر، وأواصل إبلاغهم أن إلفيس روبرت مولارد يدير الدفة بحزم.

ضحك كونور: «أما زالوا يجهلون أن إلفيس قد غادر عالمنا؟».

قال ترايس: «نعم، إنهم لا يعرفون شيئًا على الإطلاق، ولم أمنحهم أيَّ سبب للشك في كلامي. (توقف عن الحديث للحظة) هل أخبرتَ الأدميرال عني؟».

قال له كونور: «لا.. لم أخبر أحدًا».

- أحسنتَ. القائد يجب أن يعرف الأشياء التي لا يعرفها أحد سواه، وأن يصرِّح بالمعلومات بناءً على قاعدة الحاجة إلى المعرفة.

قال له كونور: «اعفني من الدرس العسكري. أهذا كل ما تريد التحدث عنه؟».

- هناك المزيد.

وصلا إلى نهاية الممر، حيث أوقف ترايس السيارة، قبل أن يتجه إلى الممر التالي، وأخرج قصاصة ورقية من جيبه، سلمها إلى كونور. كان عليها اسم مكتوب بخط اليد. جينسون راينشيلد.

سأل كونور: «هل هذا شخص من المفترض أن أعرفه؟».

- لا. إنه شخص يفترض ألا يعرفه أحد.

نفد صبر كونور، فقال: «لا تضيِّع وقتي في الألغاز».

قال ترايس: «هذا هو بيت القصيد.. إنه لغز».

ضبط السيارة «الجيب» على وضع بدء الحركة، واتجه إلى الممر التالي.

- أتذكرَ الأسبوع الماضي، عندما ذهبتُ إلى «فينكس» للحصول على مكونات للنظام الكهربائي للطائرة «دريملاينر»؟

قال كونور: «لم تذهبْ إلى «فينكس». لقد ذهبتَ للقاء رؤسائك في «المواطنة الاستباقية». أتظن أنني لا أعرف ذلك؟».

بدا ترايس مدهوشًا إلى حد ما، ثم تحول تعبيره إلى السرور، قائلًا: «لم أخبرك، لأنني لم أكن أعرف أكنت تثق بي، أم لا».

- لا أثق بك.

- لديك ما يكفي من الأسباب. على أيِّ حال، كان الأمر مختلفًا هذه المرة. لم يقابلوني فحسب، لقد نقلوني بالطائرة إلى مقرهم الرئيسي في «شيكاغو»، طلبوا مني تقديم تقرير كامل داخل غرفة اجتماعات يملأها الحضور. طبعًا أغفلتُ بعض الأشياء الأساسية، مثل خطة الهروب. أخبرتُهم أن «دريملاينر» هي طائرة مهجع جديدة، وأن قُمرة القيادة قد فُكِّكَتْ وبِيعت.

- أها، إذن فلستُ وحدي من تكذب عليه؟

- إنه ليس كذبًا. إنها معلومات مضلِّلة. بعد الاجتماع، قمت ببعض الاستطلاع. كان في الردهة نصب رخامي، لتخليد ذكرى الرؤساء السابقين للمنظمة -بعض أسمائهم ربما تعرفها- من عمالقة الاقتصاد قبل الحرب، وبعدها.. لكنْ كان هناك اسم واحد مفقود. منزوع مباشرة من اللوحة الرخامية، دون أي محاولة لإعادته. ثم تكرَّر الأمر، وجدتُ في الحديقة تماثيلَ لمؤسسي المنظمة. كانوا خمسة، لكنْ من الواضح أن قاعدتهم قد بُنِيَتْ لستة تماثيل، فقد ظلت هناك بقع صدأ في المكان الذي احتله ذلك التمثال السادس يومًا.

- جينسون.. ما اسمه الثاني؟

- راينشيلد.

حاول كونور أن يجد تفسيرًا للأمر، لكنه لم يستطعْ، فقال: «لا معنى لهذا. لو أنهم يريدون إخفاءه، فلماذا لا تُصلَّح اللوحة الرخامية؟ ولِمَ لا يستبدلون بقاعدة التماثيل، أخرى أصغر؟».

قال ترايس: «لأنهم لم يرغبوا فقط في إخفائه.. لقد أرادوا التأكد من أن أعضاءهم لن ينسوا أبدًا أنهم أخفوه».

شعر كونور بقشعريرة باردة، رغم حرارة الصحراء، وسأل: «ما علاقة هذا كله بنا إذن؟».

- قبل أن يعيدوني بالطائرة، أخذني اثنان من أكثر القادة لطفًا إلى ناديهم الخاص، وهو مكان يقدم أنواعًا من المشروبات الكحولية التي لا يمكنك حتى الحصول عليها من السوق السوداء. «الفودكا» الروسية الحقيقية. «تيكيلا» من عهد ما قبل انقراض الصبار الأمريكي. أشياء لا بدَّ أن تكلفة الكأس الواحدة منها آلاف الدولارات، وكانا ينهلان منها كالماء. عندما ثملا إلى حد ما، سألتُ عن التمثال المفقود. تفوَّه أحدهم باسم جينسون راينشيلد، ثم شعر بالقلق، لأنه قاله. بعد ذلك، غيَّرا الموضوع، وظننتُ أن الأمر قد انتهى.

ثم أوقف ترايس السيارة، حتى ينظر إلى كونور مباشرة في عينه، وهو يتحدث: «لكنْ بعد ذلك -في أثناء مغادرتي- قال لي أحدهما شيئًا لم أتمكن من محوه من ذهني. ربَّت كتفي، ودعاني «صديقه»، وأخبرني أن التفكيك أكثر من مجرد عملية طبية، إنه جوهر أسلوب حياتنا. قال: ««المواطنة الاستباقية» مُكرَّسة لحماية أسلوب الحياة هذا، وإذا كنت تعرف مصلحتكَ جيدًا، فستنسى أنك قد سمعتَ اسمه يومًا»».

***

37 - ريسا

إعلان الخدمة العامة

«كنت مجهولة النسب، وعلي وشك أن أُفَكك، لذا فقد أصبحت هاربة من التفكيك. هذا يعني أنني لا ينبغي أن أكون هنا الآن. قد تعتقد أنني محظوظة، لكنْ لأني بقيت كاملة، ماتت مورينا ساندوفال، البالغة من العمر أربعة عشر عامًا -وهي طالبة وُضِعَ اسمها في لوحة الشرف، وكان ينتظرها مستقبل مشرق- لأنها حُرِمَتْ من الكبد التي كنت سأقدمها. توفي جيرين شتاين، وهو أب لثلاثة أطفال، بنوبة قلبية قاتلة، لأن قلبي لم يكن متاحًا عندما كان في أمسّ الحاجة إليه. وفقد رجل الإطفاء ديفيس ميسي حياته بسبب الاختناق الرئوي، لأن رئتيَّ لم تكونا موجودتين لتحلَّا محلَّ رئتيْه المحترقتيْن.

أنا اليوم حيَّة، لأنني هربتُ من التفكيك، وأنانيتي كلفتْ هؤلاء -وآخرين كثيرين- حياتهم. اسمي ريسا وورد، هاربة من التفكيك، والآن عليَّ أن أعيش، وأنا أعرف عدد الأبرياء الذين قتلتُهم».

موَّله مواطنون، لينال الهاربون من التفكيك الجزاء العادل.

***

38 - هايدن

حدق هايدن إلى شاشة الكمبيوتر، في محاولة لإقناع نفسه بأن «إعلان الخدمة العامة» الذي قدمتْه ريسا ليس إلا مزحة سخيفة، لكنه كان يعلم أنه ليس كذلك. أراد أن يغضب من تاد، فني الشبكات الصغير المشغول الذي لفت انتباهه للإعلان، لكنه كان يدرك أن هذا ليس خطأه.

سأل تاد: «ماذا نفعل الآن؟».

نظر هايدن في أرجاء «الكومبوم». وأخذ المراهقون الثمانية الذين يعملون في مجال الاتصالات ينظرون إليه، كما لو أن بإمكانه إخفاء الفيديو.

صاحت إسمي: «يا لها من خائنة لعينة!».

صاح هايدن: «اصمتي! اخرسي فحسب، دعيني أفكر». حاول أن يجد تفسيرات بديلة. ربما ذلك الإعلان ليس حقيقيًّا، مجرد صورة رقمية. قد تكون خدعة مصممة لإضعاف صورتهم.. لكنَّ الحقيقة تصرخ بصوت أعلى من أي تخمين. إن ريسا تتحدث علنًا لتأييد التفكيك. لقد انضمت إلى الجبهة الأخرى.

قال هايدن: «لا يمكن لكونور أن يعرف بشأن ذلك».

هز تاد رأسه متشككًا، وقال: «لكنَّ الإعلان عُرِضَ في التلفاز، ويتصدر محركات البحث على الإنترنت منذ الصباح. إنه ليس واحدًا فقط. لقد أصدرتْ مجموعة كاملة من إعلانات الخدمة العامة، وهناك مقابلة معها أيضًا».

سار هايدن في المساحة الضيقة للطائرة، في محاولة لتجميع فكرة متماسكة. ثم قال: «حسنًا.. (مجبرًا نفسه على الهدوء) حسنًا.. جميع أجهزة الكمبيوتر المتصلة بالإنترنت موجودة هنا في «الكومبوم»، وفي المكتبة، أليس كذلك؟ وكل أجهزة التلفاز الموجودة في طائرة الترفيه تحصل على التغذية مباشرة من هنا».

- هذا صحيح.

- هل يمكننا إذن توجيه كل شيء من خلال برنامج تعرُّف الوجه، قبل أن ينتشر الأمر، ونحجبها في كل مرة تظهر فيها؟ هل لدينا برنامج يمكنه ذلك؟

لم يجب أحد لبضع ثوان. ثم تحدث جيفان: «لدينا أطنان من برامج الأمن العسكري القديمة، لا بدَّ أن من بينها برامج لتعرُّف الوجه. أراهن أنني أستطيع إيجاد شيء يفيدنا».

قال هايدن: «افعلها يا جيفز. (ثم التفت إلى تاد) اقطع التغذية عن طائرة الترفيه والمكتبة إلى أن ننتهي من العمل. لا بث متلفز أو اتصال بالإنترنت على الإطلاق. سنخبر الجميع أن القمر الصناعي معطَّل، أو أن أحد حيوانات «المُدرَّع» قد عبث بطبق الاستقبال، أو أي سبب آخر. هل فهمتم؟ (وافق الجميع) وإذا ذكر أحدكم كلمة عن هذا لأي شخص، فسأحرص شخصيًّا على أن يقضي السنوات القليلة التالية من حياته في تنظيف الفضلات من المراحيض. القنبلة التي فجرتْها ريسا ستبقى في «الكومبوم»، مفهوم؟».

مرة أخرى حدث اتفاق كامل، لكنَّ تاد لم يكن مستعدًّا تمامًا لترك الأمر يمر، فقال: «هناك شيء ما بشأن الإعلان يا هايدن، ولا أعرف إذا كنتَ قد لاحظتَ ذلك. هل رأيتَ كيف...».

قال هايدن، ليخرسه: «لا، لم أفعل! لم أرَ شيئًا. ولا أنتم أيضًا».

***

39 - كونور

قال الرجل الذي يعمل لحساب «المواطنة الاستباقية» إن التفكيك هو جوهر أسلوب حياة البلد.

لقد سببتْ هذه العبارة غصةً لكونور، تمامًا كما فعلت لترايس. كان كونور يعرف أن الأشياء لم تكن دائمًا كما هي الآن، لكنْ عندما يرسم العالم طريقًا واحدًا لحياتك بأكملها، من الصعب أن تتخيلها على نحو مختلف. منذ سنوات، حتى قبل بلوغه سن التفكيك، أصيب كونور بالتهاب الشعب الهوائية، وواصل المرض مهاجمته بشكل متكرر. كان هناك حديث فعلًا حول حصوله على رئتين جديدتين، لكنَّ المشكلة انتهت. تذكر أنه قد شعر بالمرض لمدة طويلة، حتى إنه بعد مدة، نسي كيف كان شعور التعافي.

هل يمكن أن يكون الأمر كذلك بالنسبة إلى مجتمع بأكمله؟

هل يعتاد مجتمع مريض مرضَه، فلا يتذكر إحساس التعافي؟ ماذا لو كانت الذكرى تمثل خطرًا دَاهِمًا على من تروق لهم الأمور كما هي؟

خصَّص كونور وقتًا للذهاب إلى طائرة المكتبة لإجراء بعض الأبحاث، لكنه وجد أجهزة الكمبيوتر غير متصلة بالإنترنت، فذهب مباشرة إلى هايدن.

سأل هايدن: «هل تقول إن كل شيء معطَّل؟».

تردَّد هايدن قبل أن يرد: «لماذا؟ ماذا تحتاج؟». كاد يبدو مريبًا، وهذا لا يشبه طبيعته.

قال له كونور: «أريد أن أبحث عن شيء ما».

- هل يمكن تأجيل الأمر؟

- ممكن، لكنني لا أطيق الانتظار.

تنهَّد هايدن، قائلًا: «حسنًا، يمكنني توصيلك بالإنترنت في «الكومبوم»، بشرط أن تسمح لي بتصفح الإنترنت نيابة عنك».

- ماذا؟ هل تخشى أن أتسبب في تعطيل الإنترنت؟
- فقط دعني أفعلها، حسنًا؟ لقد واجهنا الكثير من مشكلات الكمبيوتر، وأنا أعمل بشدة على حماية المعدات.
- حسنًا، دعنا نفعلها فحسب، قبل أن أُضطَرَّ إلى التعامل مع فكرة شخص ما عن الحالات الطارئة.

شعر الصبية في «الكومبوم» بتوتر مُلاحَظ، بمجرد رؤيتهم كونور. لم يكنْ يدري أنه يتسبب في هذا المستوى من الخوف، فقال لهم: «هوِّنوا على أنفسكم. لا أحد في ورطة. (ثم أضاف) حتى الآن».

قال لهم هايدن: «خذوا استراحة لمدة عشر دقائق»، فغادر الصِّبية المكان، ونزلوا على الدرج، وهم سعداء بالتحرر -مؤقتًا على الأقل- من مواقعهم.

جلس هايدن مع كونور الذي أخرج القصاصة الورقية التي منحها له ترايس، وقال: «ابحث عن هذا الاسم».

كتب هايدن في محرك البحث «جينسون راينشيلد»، لكنَّ النتائج لم تكن واعدة.

- مم.. هناك جوردان راينشيلد، محاسب في «بورتلاند»، وجاريد راينشيلد، يبدو أنه طالب في الصف الرابع، وفاز بإحدى المسابقات الفنية في «أوكلاهوما».
- ألا يوجد جينسون؟

قال له هايدن: «هناك عدد قليل باسم ج. راينشيلد». فحصهم، ليجد من بينهم أمًّا لها مدونة -ليس عليها إقبال- عن أطفالها؛ وشخصًا آخر يعمل سباكًا. لا يبدو أن أحد هؤلاء كان له تمثال برونزي مُقام لتخليده، ثم تعرَّض للتدمير.

- أخبرني، مَن ذلك الرجل؟
- عندما أكتشف ذلك، سأخبرك.

أدار هايدن مقعده، لمواجهة كونور، قائلًا: «أهذا كل ما كنتَ تبحث عنه؟».

ثم تذكر كونور شيئًا. ألم يتحدث الأدميرال أيضًا عن الأحداث التي أدت إلى «أسلوب حياتنا غير السوي»؟ ما تلك الأمور التي قال إن على كونور تثقيف نفسه بشأنها؟

- أريدك أن تبحث عن «جيل الإرهاب».

كتب هايدن المطلوب، وهو يسأل: «ما هذا؟ اسم فيلم؟».

لكنْ عندما بدأت النتائج تظهر، كان من الواضح أنه ليس كذلك. هناك الكثير من المراجع. الأدميرال كان على حق، جميع المعلومات موجودة هناك لكل من يبحث عنها، لكنها مدفونة بين المليارات من الصفحات، على شبكة الإنترنت. هناك تركيز على مقال إخباري.

قال هايدن: «انظر إلى التاريخ. أليس هذا في وقت قريب من «حرب الجوهر»؟».

قال كونور: «لا أعرف. هل تعرف التواريخ الفعلية للحرب؟».

لم يحرْ هايدن جوابًا. هذا غريب، لأن كونور كان يتذكر التواريخ الرئيسية للحروب الأخرى، لكنَّ «حرب الجوهر» غامضة. لم يعلِّمه أحد شيئًا عنها من قبل، ولم يشاهد برامجَ تلفزيونية عنها من قبل. بالتأكيد هو يعلم أن تلك الحرب قد وقعت، ويعرف أسبابها، لكنْ لا شيء أكثر من ذلك.

المقال الأول كان يتحدث عن تجمع شبابي عفوي في العاصمة «واشنطن». شغَّل هايدن مقطعًا إخباريًّا، ثم قال: «انتظر! أهؤلاء هم كل الناس؟».

أدرك كونور ما يقصده، فقال: «مراهقون. كلهم مراهقون».

أظهر المقطع ما لا بدَّ أنهم مئات الآلاف من المراهقين يحتشدون في «مول واشنطن» بين «مبنى الكابيتول» و«نُصب لنكولن التذكاري»، لا يمكنكَ حتى رؤية العشب.

سأل هايدن: «أهذا جزء من الحرب؟».

- لا، أعتقد أنه شيء آخر.

كان المراسل يدعوها «مسيرة المراهقين الإرهابية»، وهذا ما أدى فعلًا إلى وصم المسيرة سلبيًّا: «هذه -إلى حد بعيد- أكبر أعمال شغب سريعة شهدها أي شخص على الإطلاق. وقد سُمِحَ للشرطة باستخدام الرصاص المهدئ الجديد المثير للجدل، لإخضاع الحشد».

فكرة أن رصاصات التهدئة يمكن أن تكون مثيرة للجدل، جعلتِ الأفكار تدور في رأس كونور. إنها مجرد جزء مقبول من الحياة، أليس كذلك؟

انتقل هايدن إلى أسفل: «يقول المقال إنهم يحتجون على إغلاق المدارس». هذا أيضًا ألقى كونور في دوامة. هل يمكن أن يحتجَّ أي مراهق في كامل قواه العقلية على إغلاق مدرسته؟

قال، مشيرًا إلى رابط يقول «الخوف على المستقبل»: «هناك».

نقره هايدن، مخرجًا مقطعًا تحريريًّا لبعض الخبراء السياسيين. يتحدث عن الاقتصاد المتعثِّر، وانهيار نظام التعليم العام. «أمة من المراهقين الغاضبين، بلا وظائف ولا مدارس، والكثير من الوقت متاح لهم؟ أشعر بالخوف بالتأكيد، ويجب أن تخاف أنت أيضًا».

المزيد من التقارير، أولئك المراهقون الغاضبون أنفسهم طالبوا بالتغيير، وعندما لم يحصلوا عليه، خرجوا إلى الشوارع، وشكَّلوا حشودًا عشوائية، أحرقتِ السيارات، وحطمتِ النوافذ، مشعلةً نوعًا من الغضب الجماعي. في أثناء اندلاع «حرب الجوهر»، دعا الرئيس موس -قبل أسابيع قليلة من اغتياله- إلى حالة طوارئ إضافية، وأمر هذه المرة بفرض حظر تجول على كل مَن هو تحت سن الثامنة عشرة. «أي شخص يُقبض عليه في أثناء خرق حظر التجول، سيُنقَل إلى معسكرات احتجاز الأحداث». كانت هناك تقارير عن صبية غادروا منازلهم أو طُرِدُوا منها. «أعداء المجتمع»، هكذا أطلقت عليهم الأخبار. مثل الكلاب الضالة. ثم جاء مقطع فيديو مهتز لثلاثة مراهقين يقاربون بين أكفهم في اللحظة نفسها. فجأة، ظهر وميض أبيض، ثم أصبحتِ الصورة ثابتة. قال مذيع الأخبار: «على ما يبدو، فإن هؤلاء الانتحاريين أعداء المجتمع قد غيَّروا كيمياء دمائهم، بحيث يؤدي ضم أيديهم معًا إلى الانفجار».

قال هايدن: «يا للهول! إنهم أول المُصفِّقين!».

أوضح كونور: «هذا كله حدث خلال «حرب الجوهر». كانت الأمة تمزق نفسها بسبب حق الحياة وحق الاختيار، لكنها تجاهلتْ تمامًا مشكلات المراهقين الموجودين فعلًا. أعني أنه لا توجد مدارس، ولا عمل، ولا دليل أسيوجد مستقبل حتى. لقد أصيبوا بالجنون!».

- اهدم كل شيء، وابدأ من جديد. هل تلومهم؟

وفجأة اتضح لكونور لماذا لا يُعلِّمون هذا الجزء من التاريخ في المدارس. بمجرد إعادة هيكلة التعليم وإضفاء الطابع المؤسسي عليه، لم يرغبوا في أن يعرف المراهقون كم اقتربوا من إسقاط الحكومة. لم يرغبوا في أن يعرف المراهقون مقدار القوة التي يمتلكونها حقًّا.

قادت الروابط المختلفة كونور وهايدن إلى صورة مألوفة وأكثر انتشارًا: المصافحة عند التوقيع على «اتفاقية التفكيك». في خلفية الصورة، ظهر الأدميرال كرجل أصغر سنًّا بكثير مما هو الآن. تحدث التقرير عن إعلان السلام بين «جيش الحياة» و«لواء الاختيار»، وهذا ما منح الأمل للجميع في التطبيع الداخلي. لم تُذكَر انتفاضات المراهقين في أي مكان، لكنْ خلال أسابيع من توقيع الاتفاقية، أُنشِئَتْ سلطة الأحداث، وتحوَّلت مراكز احتجاز أعداء المجتمع إلى مخيمات حصاد، وأصبح التفكيك.. أسلوب حياة.

وهنا صدمت الحقيقة كونور بوحشية، حتى إنه قد شعر بدُوار، وقال: «يا إلهي! لم تكنْ «اتفاقية التفكيك» لإنهاء الحرب فحسب، بل كانت أيضًا وسيلة للقضاء على جيل الإرهاب!».

مال هايدن مبتعدًا عن الكمبيوتر، كما لو أنَّ الجهاز قد يبدأ في التصفيق ويفجرهم جميعًا. وقال: «لا بدَّ أن الأدميرال كان يعرف ذلك».

هزَّ كونور رأسه، وقال: «عندما اقترحتْ لجنته «اتفاقية التفكيك»، لم يعتقد قطُّ أن الناس سيعقدونها فعلًا، لكنهم فعلوا.. لأنهم كانوا خائفين من أبنائهم، أكثر من خوفهم من ضمائرهم».

كان كونور يعرف أن جينسون راينشيلد -أيًّا كان- لا بدَّ أنه قد أدى دورًا في هذا في مكان ما، لكنَّ «المواطنة الاستباقية» كانت دقيقة للغاية في محو وجهه من العالم.

***

40 - ستاركي

لم يكنْ مايسون ستاركي يعرف شيئًا عن جينسون راينشيلد، أو جيل الإرهاب، أو «حرب الجوهر». ولو عرف، لما اهتمَّ بالأمر. فانتفاضة المراهقين الوحيدة التي يهتم بها على الإطلاق هي الخاصة بـ «نادي المنقولين».

دوافعه كانت مزيجًا معقدًا من المصلحة الذاتية والإيثار. إنه يريد حقًّا أن يرفع الصبية المنقولين إلى المجد، ما داموا جميعًا سيعرفون أنه الشخص الذي فعل ذلك. نسب الفضل إلى صاحبه، وتكريم المحتال الذي أصبحتْ أوهامه حقيقة في النهاية. كان ستاركي يأمل انقلابًا صامتًا، لكنه كان مستعدًّا لأي شيء. إما أن يتم الأمر بكرامة، ويرى كونور أن من الحكمة التنحي جانبًا لمصلحة قائد أقدر منه.. وإلا سيُخلَع بالقوة. لن يشعر ستاركي بأي ذنب إذا وصل الأمر إلى ذلك. ففي النهاية، رغم ادعاءات كونور بتحري العدالة، فإنه يظل رافضًا إنقاذَ المنقولين من التفكيك.

قال له كونور: «إننا ننقذ الصبية الذين من المرجح أن نفلت من عاقبة إنقاذهم. ليس ذنبنا أن المنقولين يعيشون في أُسَر أكبر، وفي مواقف أكثر تعقيدًا».

كان ذلك العذر نفسه الذي قدَّمه هايدن له، لكنْ في نظر ستاركي، هذا ليس عذرًا على الإطلاق.

- أيسعدك إذنْ أن تتركهم يُفككون؟

- لا! لكن هناك الكثير جدًّا يمكننا فعله!

- تقصد القليل جدًّا.

فقد كونور أعصابه وقتها -وهو ما يفعله هذه الأيام أكثر فأكثر- وقال: «لو كان الأمر بيدك، لفجَّرنا مخيمات الحصاد، أليس كذلك؟ هذه ليست الطريقة

التي سنربح بها هذه المعركة! إنها ستزيد الأمور صعوبةً على كل هارب من التفكيك فحسب، كل هارب من التفكيك».

أراد ستاركي أن يواصل الجدال حتى نهايته، إلى أن ينال من كونور، لأنه يترك المنقولين دون إنقاذهم، لكنه تراجع عن ذلك، وقال لكونور: «أعتذر. أنت تعلم أن العواطف تسيطر عليَّ، عندما يتعلق الأمر بالمنقولين».

قال له كونور: «عواطفك تكون محمودة، عندما توظفها من منظور صحيح».

كان من الممكن أن ينتقد كونور لذلك القول، لكنه ابتسم موافقًا فحسب، وغادر المكان، مطمئنًا لمعرفة أن كونور سيواجه يومًا منظورًا جديدًا تمامًا.

***

بينما كان كونور يتلقى درسًا في التاريخ مع هايدن في «الكومبوم»، استرخى ستاركي في طائرة الترفيه، حيث أخذ يُعلِّم الصبية حِيلًا بسيطة بأوراق اللعب، ويُبهرهم بالسحر القريب[1] الذي يمكنه فعله خلال نومه. كانت ساعة المنقولين. من السابعة إلى الثامنة مساءً. إنه أفضل الأوقات. يكون هناك نسيم لطيف يهبُّ أسفل الطائرة. إنه وقت مثالي من اليوم. إحدى المنقولات أحضرتْ له مشروبًا، حتى لا يُضطَرَّ إلى النهوض من مقعده المريح. لقد كان يومًا صعبًا في تقديم الطعام، ورغم أنه لا يفعل ذلك بنفسه في الواقع، فإن الإشراف يمكنه أن يكون أمرًا صعبًا.

مرَّ دريك -فتى المزرعة الذي يدير الممر الأخضر- وحدجهم بنظرة قذرة. نظر ستاركي إلى الخلف ودوَّن ملاحظة في ذهنه. عندما يتولى القيادة، سيتكوَّن «قدس المكتملين» الجديد بالكامل من المنقولين. ستُخفَض رتبة دريك، وتصبح مهمته قطف الفاصوليا، أو تنظيف فضلات الدجاج. ستتغير أشياء كثيرة عندما يتولى ستاركي القيادة، وكان الله في عون كل مَن لن يشمله بعطفه.

سألتْه بام وهي تشير إليه بعصاها كالرمح: «أستنهض لتلعب معي البلياردو؟ أم إن مهاراتي المتفوِّقة تتحدى رجولتك؟».

---

(1) السحر القريب (المعروف أيضًا باسم سحر الطاولة) هو سحر يُمارَس في مكان قريب من الجمهور، لا يبعد عن المتلقين عادةً أكثر من ثلاثة أمتار، ويمارسه الساحر في الغالب في أثناء الجلوس إلى طاولة. "المترجم".

حذَّرها ستاركي: «انتبهي يا بام». لم يكن ليلعب معها، لأنه يعلم أنها ستفوز. القاعدة الأولى للمنافسة هي ألا تقبل أبدًا الاقتراح الخاسر. إنه يخسر عندما يلعب في مواجهة كونور طبعًا، لكنَّ هذا مختلف. إنه يتعمَّد الخسارة، ويعمل على أن يعرف الصبية المنقولين الآخرين ذلك.

بعيدًا في نهاية الممر الرئيسي، نزل كونور سلم «الكومبوم» مع هايدن.

سألت بام: «في رأيك، ما سبب اجتماعهما؟».

احتفظ ستاركي برأيه لنفسه. وفي النهاية، نهضَ لإلقاء نظرة أفضل على الموقف. ودَّع كونور وهايدن بعضهما. ثم اتجه هايدن نحو دورة المياه، وعاد كونور إلى طائرته الصغيرة. وأوضحتْ بام: «إنه يعقد اجتماعات خاصة مع ترايس أيضًا. لكنه لم يشاركك أي أسرار، أليس كذلك؟».

أخفى ستاركي غضبه من استبعاده من أي شيء يُخطِّط له كونور، وقال: «لا بدَّ أنه راضٍ عن خدمة الطعام».

قالت بام بابتسامة: «إنه بمنزلة بقرة سمينة، على وشك أن تُذبَح».

- لن أسمح لكِ بسبِّ قائدنا العام.

استدارتْ بام وبصقتْ على الأرض، قائلة: «أنت منافق غريب الأطوار». ثم عادت للعب البلياردو ضد الصبية الذين لا يهزمونها أبدًا.

لكنَّ ستاركي لا حاجة له في سب كونور. جذب الانتباه يليق بأولئك الذين لا يملكون خطة عمل، والليلة ستاركي لديه شيء جديد في جَعبته. هدية لكونور. يتعلق الأمر بجيفان الذي أدت مهارته في التعامل مع أجهزة الكمبيوتر إلى تعيينه في «الكومبوم»، والذي تصادف أنه عضو مخلص في نادي المنقولين. لا أحد يعرف هذه الحقيقة سوى ستاركي طبعًا. «جيفز» هو أحد «العميليْن النائميْن»، اللذيْن يحتلان موقعيْن مرموقيْن، وولاؤهما له، وليس لكونور. ويا لها من هدية قدمها جيفز! كان ستاركي يحتفظ بها للحظة المناسبة بالضبط. وقد استنتج أن الآن -مع بداية استعادة كونور لتوازنه- هو الوقت المثالي للكشف عن تلك الهدية.. وفي أثناء وجودها بين يديه، سيسحب البساط من تحت قدميه.

***

41 - كونور

جلس كونور وحيدًا في طائرته، مُحدِّقًا إلى الفضاء، ومحاولًا استيعاب ما تعلَّمه للتو. قال له الأدميرال ذات مرة: «لا يمكننا وقف التفكيك. أفضل ما يمكن أن نأمله هو إنقاذ أكبر عدد ممكن من هؤلاء الصبية». لكنْ بطريقة ما، بعد رؤية تلك التقارير الإخبارية القديمة، بدأ كونور يشعر أنه ربما أخطأ الأدميرال. ربما تكون هناك طريقة لوضع نهاية للتفكيك، لو أنه فقط توصَّل إلى كيفية التعلُّم حقًّا من الماضي.

ظلَّ كونور يفكر في شبح التاريخ المظلم حتى وقت متأخر من المساء، عندما ظهر ستاركي أمام طائرته. فتح كونور له الباب، متسائلًا: «ماذا هناك؟ أثمة مشكلة؟».

قال ستاركي في غموض: «عليكَ أنتَ أن تخبرني لو أن هذا يمثل مشكلة. أيمكنني الدخول؟».

سمح له كونور بالدخول، قائلًا: «لقد كان يومًا قاتلًا، أتعشم أن ما أنت بصدد قوله سيكون جيدًا».

- هناك تلفاز هنا، أليس كذلك؟

أشار كونور إلى التلفاز، قائلًا: «نعم، لكنْ ليس به مدخل للصوت، وألوانه سيئة».

قال ستاركي: «لسنا بحاجة إلى مدخل للصوت، ولن تكون الألوان مهمة، عندما ترى ما لديَّ. (أخرج جهاز تخزين بيانات صغير، وأوصله بالتلفاز) يجب أن تجلس».

ضحك كونور، قائلًا: «أشكرك، لكنني أفضل الوقوف».

- أأنت واثق؟

منحه كونور نظرة استغراب، وبقي واقفًا، ينتظر ظهور صورة على الشاشة.

تعرَّف البرنامجَ المعروضَ على الفور. إنها مجلة إخبارية أسبوعية شاهدها عدة مرات من قبل. صحفية تلفزيونية مألوفة تناقش قصة مميزة. كان الشعار المعروض خلفها مكتوبًا عليه «ملاك الانقسام».

بدأتْ حديثها قائلة: «منذ أكثر من عام بقليل، فجَّر المُصفِّقون منشأة للتفكيك في «مدينة هابي جاك»، بـ «ولاية أريزونا». ما زال صدى التداعيات الاجتماعية والسياسية لهذا الحدث يتردَّد حتى اليوم، لكنَّ فتاة واحدة -مشاركة سيئة السمعة في ذلك الحدث- تتحدث على الملأ. لكنَّ رسالتها ليست كما تعتقدون. ربما تكونون قد شاهدتموها في العديد من إعلانات الخدمة العامة التي تُذاع من خلال موجات البث. في وقت قصير، تحوَّلت من أحد أهم المطلوب القبض عليهم من جانب سلطات الأحداث، إلى الوجه الإعلاني لقضية التفكيك. نعم، لقد سمعتموني بشكل صحيح: تتحدث لتأييد التفكيك. اسمها ريسا وورد، ولن تنسوها في أي وقت قريب».

أخذ كونور نفسًا عميقًا مرتجفًا، وأدرك أن ستاركي كان على حق، إنه يحتاج إلى الجلوس. خانته ساقاه وتهاوتا عمليًا إلى أسفل، وهو يغرق في المقعد.

انقطعتِ الصورة عن الاستوديو، لتنتقل إلى مقابلة مع ريسا في مكان فخم، أجرتْها الصحفيَّة نفسها. كان هناك شيء مختلف بشأنها، لكنَّ كونور لم يتمكن حتى تلك اللحظة من معرفته.

بدأتِ الصحفية المقابلةَ، قائلةً: «لقد كنتِ يا ريسا من نزلاء ملاجئ الولاية المقرر تفكيكهم، وأصبحتِ شريكًا في التعاون مع إوُول آكرون سيئ السمعة، حتى إنك كنت في «مخيم حصاد هابي جاك» حيث شهدتِ وفاته. بعد كل ذلك، كيف تتحدثين الآن مؤيدة التفكيك؟».

ترددتْ ريسا قبل أن تجيب، ثم قالت: «إن الأمر معقد».

عقد ستاركي ذراعيْه أمام صدره، قائلًا: «نعم، أراهن على ذلك».

قال كونور: «اصمت».

قالت الصحفية بابتسامة مزعجة، جعلت كونور يرغب في توجيه لكمة إلى وجهها بقبضة رولاند: «هل يمكنكِ أن تشرحي لنا الأمر بالتفصيل؟».

- دعينا نقول فقط إنني الآن أرى الأمور من منظور مختلف عن ذي قبل.

- هل أصبحتِ ترين أن التفكيك أمر جيد؟

أجابت: «لا، إنه أمر فظيع. (منحت إجابتها الأمل لكونور.. إلى أن أردفت) لكنه أقل الشرور. هناك سبب لوجود التفكيك، وسيكون العالم مختلفًا تمامًا من دونه».

- عذرًا لأنني أشير إلى هذا، لكنْ من السهل عليكِ أن تقولي ذلك الآن، بعد أن بلغتِ السابعة عشرة من العمر، وتجاوزتِ سن التفكيك.

قالت ريسا: «لا تعليق»، وكانت إجابتها أشبه بخنجر يلتف ببطء في أحشاء كونور، ممزقًا إياها.

قالت الصحفية، وهي تنظر إلى دفتر ملاحظاتها: «لنتحدث عن التُّهم الموجهة إليكِ.. سرقة الممتلكات الحكومية، وتحديدًا نفسك؛ التآمر لارتكاب أعمال إرهابية؛ التآمر لارتكاب جريمة قتل.. ومع ذلك أُسقِطَتْ كل هذه التهم الموجهة إليكِ. هل لهذا علاقة بتغيير رأيك؟».

قالت ريسا: «لن أنكر وجود صفقة عُرِضَتْ عليَّ، لكنَّ إسقاط هذه التهم ليس سبب وجودي هنا اليوم». ثم فعلتْ شيئًا بسيطًا للغاية، شيئًا لن يلاحظه أحد على الإطلاق، باستثناء أولئك الذين يعرفونها جيدًا...

لقد وضعتْ ريسا ساقًا فوق الأخرى.

بالنسبة إلى كونور، بدا الأمر كما لو أن الهواء قد امتُصَّ من الطائرة. فتوقع جزئيًّا أن تسقط أقنعة الأكسجين من السقف.

قال ستاركي، وهو يبدو في الواقع مستمتعًا: «إذا كنت تعتقد أن هذا سيئ، فاستمع لهذا الجزء التالي».

- هل تُسمِّين تغيير رأيكِ مسألةً توافقيةً، أم مسألة ضمير يا ريسا؟

استغرقتْ ريسا وقتًا في صياغة إجابتها، لكنَّ هذا لم يجعلها أقل تدميرًا. قالت: «لا هذا ولا ذاك. بعد كل ما واجهتُه، أجد أنه ليس لديَّ خيار. إن دعم التفكيك بالنسبة إليَّ هو مسألة ضرورة».

قال كونور: «أوقفِ التشغيل».

- ما زال هناك المزيد، يجب أن تسمع النهاية حقًّا.

- قلت أغلقه!

مدَّ ستاركي يده، وأطفأ التلفاز، في حين شعر كونور أن عقله ينغلق بقوة مثل باب يعزله عن النار، لإبعاد كل الأمور المشتعلة التي لا يمكنه التعامل معها.. لكنه كان يعلم أن الأوان قد فات؛ لقد قفزت النار فعلًا إلى الداخل. في تلك اللحظة تمنى لو أنه قد تفكك منذ عام. تمنى لو أن ليف لم يحضر لإنقاذه، لأنه حينها لم يكن ليُضطَرَّ قطُّ إلى الشعور بما يشعر به الآن.

- لماذا جعلتَني أشاهد هذا؟

هزَّ ستاركي كتفيْه، قائلًا: «رأيتُ أنه من حقكَ أن تعرف. لقد عرف هايدن، لكنه كان يخفي الأمر عنك. أعتقد أن هذا خطأ، وغير عادل تمامًا بالنسبة إليك. معرفة من هو صديقك، ومن هو عدوك يمكن أن تجعلك أقوى، أليس كذلك؟».

قال كونور في شرود: «بلى.. بلى.. بالتأكيد».

أمسك ستاركي كتفه، قائلًا: «لا بأس، سوف تتخطى الأمر. نحن جميعًا هنا لدعمك». ثم غادر، وقد أنجز مهمته التنويرية.

جلس كونور لمدة طويلة دون أن يتحرك. رغم علمه أن عليه أن يكون قويًا بما يكفي لحمل هذا العبء، فإنه شعر بتمزق شديد في داخله، ولم يعرف كيف يمكنه قضاء الليل، ناهيك بالاعتناء بمئات من المفككين في الأيام المقبلة. تلك الأفكار النبيلة المتعلقة بكشف التاريخ، ووضع نهاية للتفكيك انفجرتْ، متحولةً إلى فكرة يائسة واحدة.

ريسا. ريسا. ريسا.

كان ينهار. كيف يمكن ألا يعرف ستاركي مدى الدمار الذي سيسببه له ذلك؟ إما أنه أغبى مما اعتقد كونور... وإما أنه أذكى بكثير.

***

42 - ستاركي

أحضر جيفز نسخة من قائمة أوامر التفكيك المحلية وسلَّمها لستاركي. لم يكنْ في هذه القائمة سوى ثلاثة أطفال يُعتبرون قابلين للإنقاذ، وليس من بينهم أحد من المنقولين. لكنَّ اليوم هو اليوم الذي تتغير فيه الأشياء. في القائمة صبي منقول، يعاني التجاهل والنسيان.

الاسم: جيسوس لافيجا.

العنوان: 287 زقاق «شمال برايتون».

حسنًا، كونور لا يحتكر إنقاذ المفككين. لقد حان الوقت لتولي ستاركي تلك الأمور بنفسه.

عندما أخبر ستاركي أعضاء «نادي المنقولين» بخطته، قال أحدهم: «فلننقذْ نحن جيسوس».

ضربه آخر على رأسه، قائلًا: «إنها تُنطق «هايسوس» أيها المعتوه».

لكنْ بصرف النظر عن الطريقة التي يُنطَق بها اسمه، فإن جيسوس على وشك تلقي زيارة من المكتملين.

***

في تمام الساعة الحادية عشرة مساءً، قبل يوم واحد من وصول شرطة الأحداث إلى جيسوس، اقتحم ستاركي وتسعة من أعضاء «نادي المنقولين» المنزل في 287 زقاق «شمال برايتون». كانوا مسلحين، لأن ستاركي كسرَ

قفل ترسانة الأسلحة. وكانت معهم سيارات، لأن الصبي المسؤول عن صيانة المركبات، عضو مخلص في «نادي المنقولين».

لم يطرقوا الباب، أو يدقوا الجرس. بل كسروا الأبواب من الأمام والخلف، وحطَّموا المكان كما يفعل فريق الأسلحة والخطط الخاصة، عندما يهدم منزلًا متصدعًا.

صرختِ امرأة، وقادتْ طفلين صغيرين إلى غرفة خلفية. لم يرَ ستاركي أحدًا في السن المناسبة ليكون هدفَ إنقاذهم. ذهب إلى غرفة الجلوس في الوقت المناسب، ليرى رجلًا يسحب ماسورة ستار، ويلتفت إليه، إنه أقرب شيء تمكن الرجل من إيجاده، ليستخدمه كسلاح دون سابق إنذار. نزع ستاركي سلاح الرجل بسهولة، ودفعه نحو الحائط، مُصوِّبًا فوهة مدفعه الرشاش إلى صدره، وقال: «جيسوس لافيجا. قل لي أين هو. الآن!» تحركتْ عينا الأب جيئة وذهابًا في ذعر، ثم ركزتا على شيء ما خلف ستاركي. استدار ستاركي في الوقت المناسب، ليرى مضرب بيسبول يندفع متجهًا إليه. انحنى، ليمر المضرب على مسافة بوصة واحدة من رأسه. كان الصبي الذي يحمل المضرب في حجم مدافع البيسبول.

- لا! توقف! أنت جيسوس لافيجا، أليس كذلك؟ لقد أتينا لإنقاذك!

لكنَّ هذا لم يمنعه من الإطاحة بالمضرب مرة أخرى، ليصيب ستاركي في جانبه، الذي تفجَّر به الألم. سقط ستاركي، وطار سلاحه خلف الأريكة، وعندئذٍ أصبح الصبي فوقه، وهو يرفع المضرب مرة أخرى. لم يستطعْ ستاركي التقاط أنفاسه. كان جانبه يؤلمه بشدة، لدرجة جعلتْه يكاد يعجز عن تنفس الهواء.

لهث ستاركي، وهو يقول: «شرطة الأحداث! هنا! غدًا! والداك! سيفككانك!».

قال، وهو يُرجِع المضرب إلى الخلف، متأهبًا للإطاحة به مرة أخرى: «محاولة جيدة! اهربْ يا أبي! اخرج!». حاول الرجل الهروب لكنَّ الصبية المنقولين الآخرين حاصروه. ألا يفهم هذا الصبي؟ ألا يدرك أن والديه قد وقَّعا فعلًا على أمر تفكيكه؟ شدَّ جيسوس لافيجا عضلاته، استعدادًا للإطاحة بالمضرب، في اللحظة نفسها التي أتى أحد المنقولين من أتباع ستاركي من خلفه، حاملًا كأس كرة قدم كبيرة، ليضربه بالقاعدة الرخامية على رأسه. أصاب الحجر الثقيل مؤخرة رأس جيسوس، لينهار على الفور متكومًا على الأرض. أما الكأس، فقد سقطت مُحطَّمة على الأرض.

صرخ ستاركي: «ماذا فعلت؟».

صرخ المنقول: «كان سيقتلك!».

ركع ستاركي بجانب جيسوس الذي تدفق الدم من رأسه، لتتشربه السجادة. كانت عيناه نصف مفتوحتين. تحسس ستاركي معصمه، لكنه لم يجد نبضًا، وعندما أدار رأس الصبي، رأى مدى الضرر الذي تعرضتْ له جمجمته، بسبب قاعدة الكأس الثقيلة. كان هناك شيء واحد مؤكدًا: جيسوس لافيجا لن يُفكك. لأنه مات.

نظر ستاركي إلى الصبي الذي فعلها، والذي شعر بالذعر من نظرته، فقال: «لم أقصدْ ذلك يا ستاركي! حقًّا! أقسم لكَ! كان سيقتلك!».

قال له ستاركي: «هذا ليس خطأكَ»، ثم التفت إلى والد الطفل المحاصر كعنكبوت، وصرخ: «إنها فعلتكَ أنت.. لقد أبقيتَه هنا طوال حياته، حتى تتمكن من تفكيكه فحسب. هل تهتم حتى بموته؟».

ارتعب الرجل عند سماع الخبر، وقال: «مات؟ لا!».

- لا تتظاهر بالاهتمام.

لم يستطعْ ستاركي السيطرة على نفسه أكثر من ذلك. لم يكن بإمكانه التراجع. هذا الرجل -هذا الوحش الذي كان سيُقدِم على تفكيك ابنه المنقول- عليه أن يدفع ثمن فعلته! تجاهل ستاركي ألم جانبه، وأطاح بقدمه راكلًا جذع الرجل. يجب أن يشعر هو بهذا الألم، وليس أنا. يجب أن يشعر به كاملًا! استمرَّت ركلات ستاركي مرارًا وتكرارًا. أخذ الرجل يصرخ، وينتحب، لكنَّ ستاركي واصل ركله بقدمه، عاجزًا على التوقف، بدا كما لو كان يفرغ غضب كل طفل تركوه على عتبة الباب، كل طفل غير مرغوب فيه، كل الأطفال في كل مكان، ممن عُومِلوا كشيء أقل من الإنسان، لمجرد أن أمهاتهم لم يردنهم.

أخيرًا، أمسك أحد المنقولين الآخرين بستاركي، وسحبه بعيدًا، قائلًا: «هذا يكفي يا رجل.. لقد وصلتْ إليه وجهة نظرك».

كان الرجل -المعتدى عليه وملطخ بالدماء- ما زال يمتلك القوة الكافية، ليزحف خارجًا من الباب. كما هرب باقي أفراد أسرته أيضًا، ليلجؤوا إلى الجيران. من المحتمل أنهم قد اتصلوا بالشرطة، وأدرك ستاركي أنه لم يعد بإمكانه التوقف الآن، لقد تمادى للغاية، وعليه أن يواصل الطريق حتى النهاية. لم يكن هذا ما أراده، لكنْ بطريقة ما يمكنه استغلال الموقف. صحيح

أن الصبي الذي جاءوا لإنقاذه قد مات، لكنَّ هذه الليلة لا يمكن أن تنتهي هكذا. لا بدَّ لها أن تدل على شيء ما. لا بدَّ أن تكون ذات قيمة. ليس فقط لستاركي، لكنْ لجميع المنقولين.

صرخ، خارجًا من الباب الأمامي، فيما تعثر الرجل مبتعدًا: «ليكنْ هذا تحذيرًا». رأى الجيران في شرفاتهم. الغرباء موجودون ليستمعوا لكلماته. هذا جيد! حان الوقت لكي يستمع الناس. قال مجددًا: «ليكن هذا تحذيرًا.. لأي شخص قد يُقدِم على تفكيك صبي منقول! ستنالون جميعًا جزاءكم!». ثم -في إلهام خاطف- ركض خلال المنزل إلى المرأب.

صرخ أحد الباقين من خلفه: «ماذا تفعل -بحق الجحيم- يا ستاركي؟».

- سترى.

في المرأب وجدَ وعاء بنزين. كان نصف ممتلئ فحسب، لكنَّ نصفه يكفي. أخذ يركض في أرجاء المنزل، ويصب البنزين في كل مكان، وعلى الرفِّ الذي يعلو المدفأة، وجد علبة أعواد الثقاب.

بعد لحظات، كان يعدو مسرعًا فوق العشب، مبتعدًا عن المنزل، في اتجاه أصدقائه الموجودين داخل سيارات «الجيب» المنتظرة، في حين ارتفع وهج مشؤوم داخل المنزل من خلفه. بحلول الوقت الذي قفز فيه داخل إحدى السيارات «الجيب»، كانت ألسنة اللهب تتصاعد خلال النوافذ، وفي اللحظة التي انطلقتْ فيها سيارات «الجيب» مبتعدة في ظلام الليل، بدأتْ تلك النوافذ تنفجر، وتدفق الدخان من الجحيم المتصاعدة. أصبح المنزل بأكمله منارةً مشتعلةً، ليعلم العالم أن مايسون ستاركي كان هنا، وأن الناس سيدفعون الثمن.

***

43 - انهيار جليدي

هذا المستند أُوَقِّعَه بمحض إرادتي.

كان هذا هو السطر الأخير من استمارة الموافقة التي وقَّعتها ريسا وورد، تمامًا كما توقَّعت روبرتا أنها ستفعل. منحها توقيع هذه الاستمارة عمودًا فقريًّا جديدًا والقدرة على استخدام ساقيها، لكنَّ هذا ليس كل ما فعله. لقد أطلق سلسلةً متتاليةً من الأحداث التي لم تكن ريسا لتتنبأ بها، لكنَّ روبرتا وشركاءها وأموالهم نظَّموها بخبرة.

... أوقِّع بمحض إرادتي.

لم تذهب ريسا للتزلج قطُّ، مثل هذه الأنشطة الترفيهية لم تكن متاحة لنزلاء ملاجئ الولاية، لكنها كانت تحلم مؤخرًا بأنها تتزلج على منحدر ماسي ثلاثي أسود، في حين تطاردها حافة كتل جليدية منهارة. لا يمكنها التوقف، حتى تصل إلى القاع، أو تقفز من منحدر صخري لتلقى حتفها.

... محض إرادتي.

قبل المقابلات الإخبارية، وقبل إعلانات الخدمة العامة، وقبل أن تعرف أيًّا مما سيُطلب منها فعله، استُبدِلَ عمود ريسا الفقري التالف، لتستيقظ بعد غيبوبة دامت خمسة أيام بسبب العلاج الطبي، لتواجه حياتها الجديدة الشجاعة.

***

44 - ريسا

قالت إحدى الممرضات، وهي تحكُّ إصبع قدم ريسا بشريط من البلاستيك: «أخبريني إذا كنت تشعرين بهذا». لهثتْ ريسا رغمًا عنها. نعم، كانت تشعر بذلك، وليس مجرد إحساس وهمي. أمكنها أن تشعر بالملاءات وهي تلامس ساقيها. استطاعتِ الشعور بأصابع قدميْها مرة أخرى. حاولتْ تحريكهما، لكنَّ مجرد تحريك أصابع قدميْها يجعل كل جزء من جسدها يؤلمها. قالت لها الممرضة: «لا تحاولي الحركة يا عزيزتي. دعي عوامل الشفاء تؤدي عملها. نحن نستخدم الجيل الثاني من عوامل الشفاء. ستقفين على قدميك، وتمشين خلال أسبوعين». تسارعتْ دقات قلبها عند سماع هذه الكلمات. تمنتْ أن يكون الارتباط بين قلبها وعقلها أكثر مباشرة، حتى إن الجزء منها الذي يريد لهذا أن يحدث، سيطر عليه بإحكام الجزء الذي لا يريد ذلك، لأنه رغم أن عقلها يريد أن يحتقر ما فعلوه لها، كان الجزء المفتقر تمامًا إلى العقل يمتلئ فرحًا باحتمال تمكُّنها من الحفاظ على توازنها، والتحرك بقوة ساقيها.

- ستحتاجين إلى الكثير من العلاج الطبيعي، طبعًا. لكنْ، ليس بقدر ما قد تعتقدين.

فحصتِ الممرضة الأجهزةَ المتصلةَ بساقيها. كانت محفزات كهربائية تتسبب في تقلص عضلاتها، وإيقاظها من حالتها الضامرة، وإعادة بنائها، لتتناغم بشكل أساسي مع جسدها. كل يوم، كانت تشعر كأنها تركض أميالًا، رغم أنها لم تغادر فراشها.

لم تعدْ في زنزانة. لم يكن مستشفى أيضًا بالضبط. خمنتْ أنه منزل خاص من نوع ما. كانت تسمع هديرَ أمواج المحيط خارج نافذتها.

تساءلت هل كان الموظفون يعرفون مَن هي وماذا حدث لها. اختارت عدم إثارة الأمر، لأنه مؤلم للغاية. فضَّلت أن تتعامل مع الأمر يومًا بعد يوم، وتنتظر

حتى تأتي روبرتا لتراها مرة أخرى، لتخبرها بما عليها أن تفعله بخلاف هذا، للوفاء بشروط العقد المزعوم.

لم تكنْ روبرتا هي من زارتها -رغم ذلك- بل كام. كان آخر شخص أرادت رؤيته، هذا لو أن بإمكانها حقًّا أن تُطلِق عليه وصف «شخص». امتلأتْ فراغات شعره قليلًا منذ أول مرة رأتْه فيها، وأصبحتْ ندوب وجهه من الرُّقع المتنوعة أخف. بالكاد أمكنها رؤية أماكن تلاحم الجلد، حيث تتلامس ألوان البشرة المختلفة.

قال: «أردتُ أن أرى كيف تشعرين».

قالت له: «أشعر بانزعاج شديد، لكنَّ هذا لم يبدأ إلا عندما دخلتَ أنت».

ذهب إلى النافذة، وفتح الستائر أكثر قليلًا، تاركًا ضوء الظهيرة يدخل الغرفة. تحطمتْ موجة صاخبة للغاية على الشاطئ خارج النافذة. قال: «المحيط عازف موسيقى عظيم»، كان اقتباسًا من شخص ربما لم تسمع به من قبل.

قال لها كام: «عندما يمكنكِ المشي، يجبْ أن تنظري إلى إطلالة غرفتك. من المؤكد أن المنظر جميل في هذا الوقت من اليوم». لم تجبه. كانت تنتظر فحسب إلى أن يغادر، لكنه لم يفعل.

سألها: «أريد أن أعرف لماذا تكرهينني. لم أفعل شيئًا يسيء لكِ. إنكِ حتى لا تعرفينني، لكنكِ تكرهينني. لماذا؟».

اعترفتْ ريسا: «أنا لا أكرهك. لا وجود «لك» لأكرهك».

جلس بجوارها على الفراش، قائلًا: «أنا هنا، أليس كذلك؟».

وضع يده على يدها، فأبعدتها عنه، قائلة: «أنا لا أهتم بمن أو ما أنت، لا أحد مسموح له أن يلمسني». فكَّر للحظة، ثم قال بكل جدية: «أتودين أن تلمسيني أنت إذن؟ يمكنكِ أن تشعري بكل أماكن تلاحم البشرة. يمكنكِ أن تري ما يجعلني أنا».

لم تحترمْ قوله، حتى بالرد عليه، بل سألتْه: «أتعتقد أن الأطفال الذين تفكَّكوا، ليصبحوا جزءًا منك، أرادوا ذلك؟».

قال كام: «إذا كانوا أعشارًا، فقد فعلوا، وبعضهم كانوا كذلك فعلًا. أما الآخرون، فلم يكن لديهم خيار.. كما لم يكن لديَّ خيار في أن أُصنع».

للحظة -وفي خضم الغضب الذي كانت تشعر به تجاه من صنعوه- أدركتْ ريسا أن كام ضحية أيضًا، بقدر كل الصِّبية الذين تفككوا لصنعه.

سألته: «لماذا أنت هنا؟».

قال كام بفخر: «لديَّ الكثير من الإجابات عن هذا السؤال. الغرض الوحيد من وجود البشر، هو إشعال الضوء في ظلمة الوجود المجرد. مقولة لكارل يونج».

تنهَّدت ريسا، وقالت غاضبة: «لا، لماذا أنت هنا في هذا المكان، وتتحدث معي؟ أنا واثقة أن «المواطنة الاستباقية» لديها أشياء أهم، ليفعلها اختبارها التجريبي أكثر من التحدث معي».

قال: «أنا هنا حيث يوجد قلبي. مم... أعني، أنا هنا لأن هذا منزلي. لكني هنا أيضًا لأنني أريد أن أكون هنا».

ابتسم لها، لكنها كانت تكره صدق ابتسامته. كان عليها أن تُذكِّر نفسها باستمرار بأنها ليست ابتسامته على الإطلاق. إنه يرتدي أجساد الآخرين فحسب، وإذا نُزِعتْ منه كاملة، فلن يبقى شيء أسفلها. إنه أكثر قليلًا من خدعة قاسية.

- أخبرني، هل جاءتْ خلايا دماغك مُبرمَجة سلفًا؟ رأس يمتلئ بأنسجة عصبية مزروعة من أفضل وأذكى العناصر؟

قال كام بهدوء: «ليست كلها.. لماذا تحملينني مسؤولية الأشياء التي لا أتحكم فيها؟ إنني ما أنا عليه».

- تتحدث كإله حقيقي.

قال، مستعيرًا بعضًا من أسلوبها: «في الواقع، لقد قال الرب: «أنا من أنا».. هذا وفقًا لنسخة الملك جيمس من الكتاب المقدس».

- أنت تقول إذن أنك مُبرمَج بالكتاب المقدس كاملًا.

قال كام: «بثلاث لغات. أكرر، هذا ليس خطأي، إنه موجود فحسب».

ضحكتْ ريسا على جرأة صانعيه، هل خطر على بالهم أن ملأه بمعارف الكتاب المقدس، وهو يؤدي دور الإله، كان غطرسة مطلقة؟

- وعلى أيِّ حال، ليس الأمر كما لو أنني أستطيع تحليله وفهم معانيه حرفيًّا، لديَّ فحسب معرفة أساسية بالعديد من الأشياء بشكل إجمالي.

نظرتْ إليه، متسائلة هل كان التغيير المفاجئ في أسلوب حديثه من الأكاديمي الرسمي، إلى الدارج غير الرسمي مزحةً مقصودةً، لكنها خمنت أنه ليس كذلك. افترضتْ أنه يتحدث بأساليب مختلفة، بسبب التواصل بين الأجزاء المختلفة والمتنوعة من مخه.

سألها: «هل لي أن أسألكِ ما الذي جعلك تغيرين رأيك؟ لماذا وافقتِ على إجراء العملية؟».

نظرتْ ريسا بعيدًا، وقالت له: «أنا متعبة»، رغم أنها لم تكن كذلك، واستدارتْ بجسدها إلى الجهة المقابلة، حتى لا تواجهه. حتى مجرد الاستدارة على جانبها في سريرها، كانت شيئًا لم تستطع إنجازه بسهولة قبل العملية.

عندما أصبح واضحًا أنها لن تجيبه، سألها: «هل يمكنني أن أحضر لرؤيتكِ مرة أخرى؟».

أبقتْ ظهرها مواجهًا له، وقالت: «بصرف النظر عما أقول، ستأتي على أيٍّ حال، فلِمَ تهتم بالسؤال؟».

قال وهو يغادر: «في الواقع، سيكون من الجيد أن أحصل على إذن بالزيارة».

ظلَّت راقدةً على الوضع نفسه مدة طويلة، محاولة عدم ترك مساحة لأي من الأفكار التي تسبح في ذهنها. وفي النهاية استسلمتْ للنوم. كانت هذه هي الليلة الأولى التي حلمتْ فيها بالانهيار الجليدي.

***

كانت روبرتا في مكان ما تعتني بأعمالها، في اليوم الأول الذي مشتْ فيه ريسا، بعد أسبوع فقط من استيقاظها، بدلًا من أسبوعين. كان يومًا أثار في رأسها كل شعورها المتضارب. أرادت أن تكون هذه لحظة شخصية، لا شيئًا مشتركًا، لكنْ كالعادة، جاء كام بلا دعوة.

قال لها بمرح: «إنها محطة مهمة! لا بدَّ أن يشهدها أحد الأصدقاء».

حدجتْه بنظرة جليدية، فيما تغير أسلوب حديثه، وهو يقول: «وااا لعدم وجود أصدقاء، سأؤدي أنا هذا الدور».

كان بالغرفة ممرض بدا أشبه ببوف منتفخ العضلات، أمسك بذراع ريسا من أعلى، وساعدها لتدلِّي ساقيها من السرير. كان إحساسًا غريبًا أن تشعر

بساقيها متعامدتين فعليًّا على الأرض. ثنت ركبتيها المرتجفتين إلى أن شعرت بأطراف أصابع قدميها تلامس الأرضية الخشبية.

قال كام للممرض الجذَّاب مفتول العضلات: «عليهم وضع بساط على الأرض، لتصبح ألطف لها».

أجاب الممرض الجذاب: «السجاد يسبب التعثر».

بدعم الممرض الذي أسندها من جانب، في حين تولى كام الجانب الآخر، وقفت على قدميْها. الخطوة الأولى كانت الأصعب. شعرتْ أنها تجر قدمها في الوحل، لكنَّ الخطوة الثانية تمت بسهولة مُلاحَظة.

قال الممرض، كما لو كان يخاطب طفلة تخطو خطواتها الأولى: «تاتا!»، وبشكل ما كانت كذلك. لم تكنْ متوازنةً قطُّ، وشعرت أن ركبتيها قد تستسلمان في أيٍّ لحظة، لكنهما لم تفعلا.

قال كام: «استمري. إنك رائعة!». في الخطوة الخامسة، لم تتمكن من كبح جماح السرور العميق الذي كانت تقمعه، فملأتِ الابتسامة وجهها. أخذتْ تضحك فرحًا بشيء بسيط كالمشي، حتى تقطَّعت أنفاسها من فرط الانفعال.

قال كام: «هكذا تم الأمر. إنكِ تنجحين! لقد اكتملتِ من جديد يا ريسا! من حقكِ أن تستمتعي بذلك!».

ورغم أنها لم تعتقد أن هذا صحيح، فإنها لم تتمكن من مقاومة اللحظة.

قالت: «النافذة! أريد أن أنظر من النافذة».

عندما استداروا قليلًا نحو النافذة، تركها الممرض الجذاب مؤقتًا، لتبقى ريسا فحسب مع كام الذي تلتف ذراعها حول كتفه، وذراعه حول خصرها؛ وأرادت أن تغضب لأنها عالقة في هذا الوضع معه، لكنَّ هذا الشعور تغلبتْ عليه الأحاسيس الفائقة الصادرة من قدميْها وكعبيْها وساقيْها وفخذيْها، تلك الأجزاء من جسدها التي لم تكن تشعر بشيء قط منذ أيام قليلة.

***

45 - كام

بالنسبة إلى كام، كانت هذه هي الجنة، ولا أقل منها. كانت تحتضنه. تستند إليه. أقنع نفسه أن هذه هي اللحظة التي ستسقط فيها كل الحواجز. كان مقتنعًا بأنها ستلتفت إليه وتُقبِّله، قبل حتى أن يصلا إلى النافذة.

أمسكتْ رقبته بإحكام لتحصل على الدعم. كانت قبضتها الموضوعة عليه تضغط على موضع الالتحام في هذا الجزء من جسده، لكنه كان شعورًا جيدًا. أخذ يتخيلها، وهي تضغط جميع مواضع الالتحام لديه، وهذا ما يسبب له الألم، فليس هناك على الإطلاق ما هو أمتع من هذا الألم.

وصلا إلى النافذة. لم تقبِّله، لكنها لم تتركه أيضًا. لا تستطيع أن تبتعد عنه وإلا ستسقط، لكنَّ كام أراد أن يصدق أنها كانت لتحتضنه في جميع الأحوال.

كان البحر ثائرًا ذلك الصباح. انطلق الرذاذ عاليًا في الهواء، مُشكِّلًا زبدًا أبيضَ مستديرًا يصل حتى ارتفاع ثماني أقدام. ومن بعيد، بدتْ إحدى الجزر.

- لم يخبرني أحد أين نحن.

قال لها كام: ««مولوكاي».. في «هاواي». الجزيرة كانت في السابق مستعمرة جذام».

- وروبرتا تمتلك هذا المكان؟

استشعر كام المرارة الواضحة التي تنطق بها ريسا اسمها، وقال: «إنها مملوكة للـ«المواطنة الاستباقية». في الواقع، أعتقد أنها تمتلك نصف الجزيرة تقريبًا. كان هذا المكان منزلًا صيفيًّا لأحد الأثرياء في الماضي، لكنه الآن مركز أبحاثهم الطبية، وروبرتا هي رئيسة قسم الأبحاث الطبية».

- هل أنت مشروعها الوحيد؟

كان سؤالًا لم يخطر على بال كام من قبل. على حد علمه، إنه محور عالم روبرتا.

- أنتِ لا تحبينها، أليس كذلك؟

- من؟ أنا؟ لا، أنا أحبها كثيرًا. النساء اللئيمات الشريرات، اللاتي يدبرن المكايد هنَّ النوع المفضل لديَّ من الناس.

شعر كام بتحفظ مفاجئ، وموجة غضب غير متوقعة، فقال مرتبكًا: «ضوء أحمر! إنها تكاد تكون الأم بالنسبة إليَّ».

- كنتَ ستصبح أفضل حالًا، لو أنها تخلتْ عنك.

- من السهل عليكِ أن تقولي ذلك. نزيلة ملاجئ مثلك، لا تعرف حتى معنى الأم.

لهثتْ ريسا، ثم أعادتْ يدها إلى الوراء، لتلطمه بقوة على وجهه. أفقدها زخم اللطمة توازنها، فسقطتْ إلى الخلف، لكنَّ الممرض أمسك بها. ألقى نظرة على كام، ثم عاد انتباهه ليتركز على ريسا. قال الممرض مفتول العضلات: «يكفي هذا الآن.. فلتعودي إلى فراشك».

ساعد ريسا على العودة إلى الفراش، في حين وقف كام عاجزًا عند النافذة، لا يعرف من هو الشخص الذي عليه أن يغضب منه، نفسه، أم هي، أم الممرض لأنه أبعدها عنه.

سألتْه بلؤم واضح في صوتها: «هل أوجعتْك اللطمة بشكل متساوٍ يا كام، أم إن كلًّا من الصبية المجتمعين في وجهك شعر بها بشكل مختلفٍ؟».

قال، رافضًا ترك تعليقها يلتصق به: «تفلون!... (ثم أضاف حتى لا يسمح لنفسه بفلتات اللسان مرة أخرى، أبدًا) كمامة!». أخذ نفسًا عميقًا، وتخيل أن البحر الصاخب قد هدأ، متحولًا إلى بحيرة صفحتها صافية لامعة كالزجاج.

قال لها بهدوء: «أعلم أنني قد تسببتُ في تلك اللطمة، لكن انتبهي عندما تتحدثين عن روبرتا. أنا لا أتحدث بطريقة غير لائقة عمَّن تحبينهم، فلتعامليني بالاحترام نفسه».

*****

منح كام ريسا بعضَ المساحة الخاصة. كان يعلم أن هذا التغيير في حياتها، لا بدَّ أنه مؤلم بقدر ما هو رائع بالنسبة إليها. ظلَّ لا يفهم تمامًا ما الذي جعل ريسا تُغيِّر رأيها بشأن السماح بإجراء العملية، لكنه كان يعرف قدرة روبرتا على الإقناع. كان يروق له التظاهر بأن الأمر له علاقة به جزئيًّا، وأنها في أعماقها -وخلف رفضها المبدئي- كانت تشعر بالفضول نحوه،

وربما حتى أعجبتْها الفسيفساء التي نتجت عن كل أجزائه المتباينة. ليست تلك الناتجة عن الأجزاء التي جمعوه منها، وإنما الناشئة من كيفية استخدامه لكل ما حصل عليه، وتحقيقه التناغم والنجاح به كله.

كانا يتناولان وجبة واحدة معًا يوميًّا. قالت له روبرتا: «إنه أمر حتمي -إذا كنتما سترتبطان في أي وقت- أن تتناولا الطعام معًا. وقت الوجبات هو أكثر الأوقات التي تضعف فيها النفس أمام التعلق العاطفي».

تمنى لو أن روبرتا لا تجعل كل شيء يبدو علميًّا للغاية. اعتياد كل منهما صحبةَ الآخر، لا ينبغي أن يعتمد على «ضعف ريسا أمام التعلق العاطفي».

لم تكن ريسا تعرف بعد أنها هنا لتكون رفيقته. قالت روبرتا لكام: «لا تتعجل الأمر. يجب إعدادها لهذا الدور، ولدينا خطط أخرى لها أولًا. إننا نستغل مكانتها الأسطورية الشعبية لمصلحتنا، ونخلق حضورًا إعلاميًّا قويًّا، قبل أن نربط بينكما علنًا. سيستغرق ذلك بعض الوقت. خلال هذا الوقت، كنْ على طبيعتكَ الرائعة الساحرة. عليكَ أن تفوز بها».

- وإذا لم أفعل؟

- ثقتي بك كاملة يا كام.

كانت ريسا تحتل أفكاره وهو يزاول أنشطته على مدار اليوم. لقد أصبحتْ خيطًا يربط بين كل مواضع الالتحام في عقله، ويجعلها تتماسك معًا بشكل أكثر إحكامًا. هي أيضًا كانت تفكر به. كان يعرف هذا من الطريقة التي تراقبه بها في الخفاء. في عصر أحد الأيام، أخذ يلعب كرة السلة مع واحد من الحرس، خارج مواعيد عمله. وقتها خلع قميصه، كاشفًا ليس عن مواضع الالتحام في جسده فقط، بل أيضًا عن عضلاته، التي بدتْ في أبهى صورة. عضلات بطن الملاكم المثالية الست البارزة، وعضلات صدر السباح القوية، باختصار مجموعات عضلية بلا عيوب، تتحكم بها قشرة دماغية دقيقة، لتكون النتيجة أداءً مثاليًّا لرميات كرة السلة. راقبته ريسا وهو يلعب، من نافذة في غرفة الجلوس الرئيسية. كان يعرف، لكنه لم يُظهِر ذلك، بل اكتفى بممارسة اللعبة بأداء مذهل، وهذا ما سمح لجسده بالتحدث عن نفسه. لم ينظر إليها، إلا عندما انتهى من اللعب، ليبلغها بأن نظراتها المسروقة إليه، لم تُسرَق على الإطلاق، بل مُنِحَتْ إياها مجانًا. ابتعدتْ عن النافذة لتختفي خلف الظلال، لكنَّ كليهما كان يعرف أنها تراقب. ليس لأنها مُضطَرَّة، بل لأنها أرادت ذلك، وأدركَ كام أن هذا يُحدث كل الفرق.

46 - ريسا

قضتْ ريسا أيامها في صعود، السلم الحلزوني ونزوله، وممارسة التمارين مع كيني متخصص العلاج الطبيعي الذي واصل إخبارها بمدى سرعة اكتسابها القوة. لم تسمع أي أخبار عن العالم الخارجي. فبالنسبة إليها، لم يعد للعالم وجود، وعيادة الجزيرة -التي هي ليست عيادة على الإطلاق- سرعان ما أشعرتها كأنها في المنزل. وكانت تكره ذلك.

بقدر ما خشيت ريسا الوجبة اليومية مع كام، وجدتْ نفسها أيضًا تتطلع إليها. إذا سمح الجو بذلك، كانا يتناولان الطعام خارجًا في الشرفة، وأيًّا كان نوع الطعام، كانت تشعر دائمًا أنها أفضل وجبات اليوم.

كام -الذي أسعده الزهو أمامها عن بعد بلياقته البدنية الرائعة، كان يرتبك عند تناول الوجبات، ولا يشعر بالراحة لوجودهما معًا مثلها تمامًا، كما لو كان لقاؤهما نوعًا من الزواج المدبَّر. لم يتحدثا قط عن اليوم الذي لطمته فيه. لم يتحدثا كثيرًا عن أي شيء. ريسا تسامحتْ معه. كام تسامح مع تسامحها معه. وفي النهاية، أذاب الجليد، قائلًا وهما يأكلان شرائح اللحم معًا في الشرفة: «أعتذر عمَّا حدث في ذلك اليوم.. لقد كنتُ مستاءً فحسب. لا يعيبك أنكِ كنت من نزلاء ملجأ الولاية. في الحقيقة، إن بعض أجزائي تعرف كيف يبدو الأمر. لديَّ ذكريات عن ملاجئ الولاية. أكثر من مكان منهم».

نظرت ريسا إلى طعامها، قائلة: «من فضلك لا تحدثني عن ذلك، إنني أتناول طعامي».

لكنه لم يتوقف، وتابع: «إنها ليست أجمل الأماكن، أليس كذلك؟ عليك أن تقاتل من أجل كل ذرة اهتمام، وإلا فإنك ستعيش حياة الكفاف، وهي أسوأ حياة على الإطلاق».

رفعتْ عينيها إليه. لقد عبَّر عن الشعور الذي كانت تشعر به دائمًا، بشأن الطريقة التي نشأت بها.

سألته: «هل تعرف الملاجئ التي أقمت فيها؟».

قال لها: «ليس بالضبط. هناك صور وشعور وذكريات خاصة، لكنْ في الغالب، مركز اللغة في عقلي لم يأتِ من ملاجئ الولاية».

قالت ريسا، وهي تبتسم: «هذا لا يفاجئني، فالمهارات اللغوية ليست نقطة قوة في ملاجئ الولاية».

سألها كام: «هل تعرفين تاريخك؟ كيف انتهى بكِ الأمر هناك؟ من هما والداك البيولوجيان؟».

شعرتْ ريسا بغصة في حلقها، حاولتِ التخلص منها، وقالت: «لا أحد يعرف تلك المعلومات».

قال كام: «يمكنني الحصول عليها من أجلك».

أشعرها قوله بالرهبة والترقب. وهذه المرة أسعدها للغاية انتصار الرهبة، فقالت: «لم تكن بي حاجة قطُّ إلى معرفة ذلك في الماضي، ولست بحاجة إلى معرفته الآن».

خفض كام عينيه، مُحبَطًا بعض الشيء، وربما مُحطَّمًا قليلًا، فوجدت ريسا نفسها تمد يدها خلال الطاولة، لتتشابك مع يده، قائلة: «أشكركَ على هذا العرض. لقد كان لطفًا منك، لكنه شيء استطعت تسويته». عندما تركتْ يده فحسب، أدركتْ أنها أول مرة تواصلت معه فيها جسديًّا طواعية. لم يغفل هو أيضًا عن إدراك ذلك.

قال كام: «أعلم أنكِ كنتِ تحببين الصبي الذي يسمونه إوُول آكرون».

حاولت ريسا ألا ترد.

فقال كام: «تؤسفني وفاته. (نظرت إليه ريسا في رعب حتى قال) لا بدَّ أنه كان يومًا فظيعًا في مخيم حصاد «هابي جاك».. أعني أن يحدث ذلك في وجودك».

تنفستْ ريسا بعمق، وهي ترتجف. كام لا يعرف إذن أنه حيٌّ. هل هذا يعني أن «المواطنة الاستباقية» لا تعرف أيضًا؟ إنه شيء لا تستطيع الحديث بشأنه، ولا يمكنها السؤال عنه، لأنه سيثير الكثير من الأسئلة.

سأل كام: «أتشتاقين إليه؟».

هنا تمكنت ريسا من إخباره الحقيقة: «نعم. أشتاق إليه للغاية».

مرَّ وقت طويل، قبل أن يتحدث كام مرة أخرى، وعندما فعل، قال: «لن أطلب أبدًا احتلال مكانه في قلبك، لكنْ آمل أن يكون لي مكان به كصديق».

قالت ريسا، محاولة أن تبدو أقل انزعاجًا مما تشعر به حقًّا: «لا أعدكِ بذلك».

سألها كام: «أما زلتِ تعتقدين أنني قبيح؟ أما زلت تعتقدين أنني بشع؟».

أرادتْ ريسا أن تجيبه بصدق، لكنَّ الأمر استغرق منها بعض الوقت للعثور على الكلمات الصحيحة، فظن هو أن ترددها محاولة لتجنب جرح شعوره، فأطرق برأسه، قائلًا: «فهمتُ».

قالت ريسا: «لا، لا أعتقد أنكَ بشع. كل ما في الأمر أنه لا توجد طريقة لقياسك. الأمر يشبه النظر إلى إحدى لوحات بيكاسو، ومحاولة تحديد هل كانت المرأة المرسومة بها قبيحة أم جميلة. أنت لا تعرف، لكنْ لا يمكنك التوقف عن النظر إليها».

ابتسم كام، قائلًا: «إنك ترينني بمنزلة عمل فني. يروق لي ذلك».

- أها، في الواقع، أنا لم أهتم قطُّ بأعمال بيكاسو الفنية.

ضحك كام لقولها هذا، وشاركته ريسا الضحك بدورها، لا إراديًّا.

***

تحتوي المزرعة الواقعة في اتجاه الجرف على حديقة ورود مليئة بشجيرات مُشذَّبة جيدًا، وأزهار عطرية غريبة.

ريسا -التي نشأتْ في الحدود الخرسانية لأحد ملاجئ الولاية داخل المدينة- لم تكنْ قطُّ فتاة تهوى الحدائق كثيرًا، لكنْ بمجرد أن سُمِحَ لها، بدأتْ بالخروج يوميًّا، حتى لو كان ذلك فقط لتتظاهر بأنها ليست سجينة. ظل الإحساس بالمشي مرة أخرى جديدًا، بما يكفي ليشعرها أن كل خطوة بمنزلة هدية.

لكنْ في ذلك اليوم، كانت روبرتا هناك، وهي تُعِدُّ لإنتاج فيلم قصير من نوع ما. كان هناك طاقم تصوير صغير، ومقعدها المتحرك القديم في وسط

الحديقة. أعادت إليها رؤيته طوفانًا من الأحاسيس المتعددة، التي لم تستطع تصنيفها في تلك اللحظة.

سألت ريسا، وهي تشك أنها تريد حقًّا أن تعرف: «أتمانعين في إخباري ماذا يحدث هنا؟».

أخبرتْها روبرتا: «لقد مر أسبوع تقريبًا منذ أن وقفتِ على قدميكِ. والآن حان الوقت لتقدمي أولى الخدمات التي وافقتِ على أدائها».

- أشكركِ على صياغة عبارتكِ بالأسلوب الذي يجعلني أشعر أنني داعرة تبيع نفسها.

للحظة، شعرت روبرتا بالارتباك، لكنها سرعان ما استعادتْ ثباتها، قائلة: «لم أقصدْ ذلك نهائيًّا، لكنكِ موهوبة في تحريف الأمور. (ثم سلَّمت ريسا ورقة) هذا هو النص الذي ستؤدينه. ستسجلين إعلانًا للخدمة العامة».

ضحكتْ ريسا على قولها، وهي تسأل: «أستجعلينني أظهر في التلفاز؟».

- وفي الإعلانات المطبوعة، وعلى الإنترنت. إنها الخطة الأولى بين العديد من الخطط التي رسمناها لكِ.

- حقًّا؟ وماذا خططتم أيضًا؟

ابتسمتْ لها روبرتا، قائلة: «ستعرفين في الوقت المناسب».

قرأتْ ريسا الفقرة الوحيدة بالورقة، فاخترقتِ الكلمات جوفها مباشرة.

قالت روبرتا: «إذا كنتِ غير قادرة على حفظها، فلدينا بطاقات جاهزة يمكنك القراءة منها».

اضطُرَّتْ ريسا إلى قراءة الفقرة مرتين، لتقنع نفسها أن ما تراه أمامها حقيقي فعلًا، ثم قالت: «لا! لن أقول هذا الكلام، لا يمكنكِ أن تجبريني على قول هذا!» ثم جَعَّدت الورقة، وألقت بها على الأرض.

فتحتْ روبرتا ملفها بهدوء، وسلَّمتها ورقة أخرى، قائلة: «لا بدَّ أنكِ تعلمين الآن أن هناك دائمًا نسخة أخرى».

رفضت ريسا أن تأخذ الورقة، وقالت: «كيف تجرُئين على إجباري على قول هذا؟».

- أداؤكِ المسرحي هذا لا مسوِّغ له. الورقة لا تحتوي إطلاقًا على شيء ليس صحيحًا.

- لا يهم. المشكلة ليست في الكلمات، بل في ما تعنيه ضمنيًّا!

هزَّت روبرتا كتفيها في لا مبالاة، قائلة: «الحقيقة هي الحقيقة. التداعيات موضوعية. سيسمع الناس كلماتكِ، ويتوصَّلون إلى استنتاجاتهم الخاصة».

- لا تحاولي التشكيك في ذكائي يا روبرتا. أنا لستُ غبية أو ساذجة كما يحلو لكِ أن تعتقدي.

هنا تغير التعبير على وجه روبرتا، ليصبح هادئًا ومباشرًا. لا مزيد من الملاطفة: «هذا هو المطلوب منكِ، لذا فهذا ما ستفعلينه. أو ربما نسيتِ اتفاقنا».

كانت تهدِّدها بشكل مستتر. وفجأة سمعت كلتاهما صوتًا يقول: «أي اتفاق هذا؟».

التفتتْ كلتاهما، لترَيا كام وقد خرج إلى الحديقة. رمقتْ روبرتا ريسا بنظرة تحذير، فخفضتْ ريسا عينيها، ناظرة إلى الورقة المجعدة عند قدميها، دون أن تقول شيئًا.

قالت روبرتا: «أقصد الاتفاق المتعلِّق بعمودها الفقري طبعًا. في مقابل جراحة استبدال العمود الفقري الحديثة والمكلِّفة للغاية، وافقتْ ريسا على أن تصبح جزءًا من أسرة «المواطنة الاستباقية». ولكل فرد في الأسرة دور يؤديه». ثم مدَّت يدها إلى ريسا بالنص مرة أخرى. أدركتْ ريسا أن ليس لديها خيار سوى أن تأخذه. نظرتْ إلى طاقم التصوير الذي ينتظر بفارغ الصبر لأداء عمله، ثم عادت تنظر إلى روبرتا، وسألتها: «هل تريدين أن أقف بجوار المقعد المتحرك؟».

قالت لها روبرتا: «لا، عليكِ أن تجلسي عليه، ثم تنهضين في منتصف التصوير. سيكون ذلك أكثر فعَّالية، أليس كذلك؟».

إعلان خدمة عامة

«لقد أُصِبْتُ بالشلل. كنت ضحية هجوم المُصفِّق في مخيم حصاد «هابي جاك». اعتدتُ أن أكره فكرة التفكيك في حد ذاتها، ثم بين عشية وضحاها أصبحتُ أنا الشخص الذي لديه حاجة طبية ماسة. لولا التفكيك، لحُرِمْتُ من فرصة الحصول على عمود فقري جديد. دون التفكيك كنتُ سأظل على هذا المقعد المتحرك بقيةَ حياتي. كنت من نزلاء ملاجئ الدولة. كنت هاربة من التفكيك. كنت مصابةً

بشلل نصفي، لكنني الآن لستُ أيًّا من ذلك. اسمي ريسا وورد، وقد غيَّر التفكيك حياتي».

- مؤلته الجمعية الوطنية للصحة العامة.

لطالما اعتبرت ريسا نفسها قادرة على النجاة من مختلف الأزمات. لقد تمكنت من التعامل مع الأجواء الغادرة في ملجأ ولاية «أوهايو» رقم 23، حتى اليوم الذي أصبحت هي فيه جزءًا من «تخفيض الميزانية»، وأمروا بتفكيكها. ثم نجتْ بالهروب من التفكيك، ونجتْ مجددًا في مخيم الحصاد، ثم نجتْ من انفجار مدمر كان من المفترض أن يقتلها. لطالما كانت قوتها هي عقلها النشيط وقدرتها على التكيف.

عليها إذن أن تتكيف مع هذا:

حياة قاصر مشهورة، متاح لها كل وسائل الراحة التي يمكن أن تتمناها، وفتى ذكي وساحر مفتون بها.. ومطلوب منها التخلي عن كل ما تؤمن به، إضافة إلى التنازل عن ضميرها.

جلست ريسا على مقعد فخم بالحديقة، في الفناء الخلفي للمنزل بجوار الجرف، وأخذت تتأمل غروب الشمس الاستوائي، وهي تفكر في هذه الأمور، وتحاول بث رؤيتها في الحياة والسلام في نفسها من جديد. هناك اندفاع قوي يحارب روحها، اندفاع لا هوادة فيه، كالأمواج المتلاطِمة بالأسفل التي تذكرها أن بمرور الوقت تآكلت أقوى الجبال وابتلعها البحر، وهي لا تعرف كم من الوقت يمكنها مقاومة ذلك، أو حتى هل ينبغي لها أن تقاوم.

كانت في ذلك الصباح مقابلة إخبارية. حاولت الإجابة عن الأسئلة دون أن تضطر إلى الكذب أبدًا. صحيح أن دعمها للتفكيك هوَ «مسألة ضرورة»، لكنْ لا أحد -سواها وروبرتا- يعرف ما الذي جعله ضروريًا للغاية. لكنْ رغم أنها حاولت بشدة، فقد خرجت من فمها أشياء، هي نفسها لا تصدق أنها قالتها. التفكيك هو أقل الشرور. هل هناك جزء منها يؤمن بذلك فعلًا؟ لقد أدى التلاعب المتواصل إلى إصابة بوصلتها الداخلية بالجنون، فأخذ دليلها يدور في كل الاتجاهات، وخشيتْ ألا تجد اتجاه الشمال الحقيقي مرة أخرى. كانت منهكة، فغفتْ، وبدا أن بعد ثوانٍ فحسب، أيقظها أحدهم، وهو يربِّت

كتفها بلطف. لقد حلَّ الليل، ولم يبقَ سوى أثر أزرق طفيف في الأفق يحمل ذكرى الغسق.

قال كام: «غطيط.. لم أكن أعرف أنك تغطين في نومك».

قالت وهي ما زالت غير متزنة من أثر النوم: «لا أفعل.. وأنا مصرَّة على ما أقول».

كان بحوزة كام بطانية. لم تدرك كم شعرت بالبرودة في أثناء نومها، إلا عندما لفها حولها. حتى في هذه البيئة الاستوائية، قد يصبح الهواء باردًا ليلًا.

قال: «أتمنى لو أنكِ لا تقضين الكثير من الوقت بمفردكِ. لستِ مضطَّرة إلى ذلك، كما تعلمين».

- عندما تكون قد قضيتَ معظم حياتكَ في ملجأ الولاية، تصبح الوحدة أشبه بالرفاهية.

ركع على ركبتيه بجوارها، قائلًا: «أول مقابلة صحفية تجمعنا معًا ستكون الأسبوع المقبل، سينقلوننا جوًّا إلى البر المقابل للجزيرة. هل أخبرتكِ روبرتا؟».

تنهَّدت ريسا، قائلة: «أنا أعرف كل شيء عن ذلك».

- من المفترض أن نبدو كثنائي واقع في الحب.

- لذلك سأبتسم وأؤدي عملي أمام الكاميرا. لا تقلق.

- كنت أتمنى ألا ترين الأمر كمهمة عمل.

بدلًا من النظر إليه، نظرت إلى أعلى لترى سماء مليئة بالنجوم، أكثر من سماء المقبرة، لكنْ هناك نادرًا ما كان لديها الوقت أو الميل إلى النظر إلى السماء.

تطوَّع كام، قائلًا: «أعرف كل أسماء النجوم، هذا...».

- لا تكن سخيفًا. هناك مليارات النجوم، مستحيل أن تعرفها جميعًا.

قال: «إنها مبالغة. أعتقد أنني أبالغ، لكنني أعرف كل النجوم المهمة». ثم بدأ يشير إلى النجوم، واتخذ صوته لهجة «بوسطن» الخفيفة عندما وصل إلى مخطط النجوم الموجود برأسه: «هذا «ألفا سنتوري» الذي يعني اسمه «قدم

القنطور»[1]. إنه أحد أقرب النجوم إلينا. أما هذا المُشرق على اليمين، فهو «سيريوس»، ألمع نجم في السماء».

بدأ صوته يُحدِث في نفسها أثرَ التنويم المغناطيسي، ويجلب لها لمحة من السلام الذي كانت تتوق إليه. سألت ريسا نفسها: هل أجعل هذا أكثر صعوبة مما يجب أن يكون؟ أيجب أن أجد طريقة للتكيف؟

- ذلك النجم الداكن هناك اسمه «سبيكا»، وهو في الواقع أكثر سطوعًا من «سيريوس» مائة مرة، لكنه أبعد منه بكثير.

كان على ريسا أن تُذكِّر نفسها بأن اختيارها الانضمام إلى برنامج «المواطنة الاستباقية» لم يكن بدافع الأنانية، لذا أليس من المفترض أن يكون ضميرها مطمئنًا؟ وإذا لم يكن.. إذا كان ضميرها هو الشيء الوحيد الذي يسحبها إلى أعماق مظلمة، ألا يجب تكون قادرة على التحرر منه، لتنجو؟

- هذه «أندروميدا»، وهي في الواقع مجرة كاملة.

كانت هناك رنة غطرسة في تفاخر كام بمعلوماته، لكنه تفاخر يمتزج أيضًا بالبراءة، مثل طفل صغير يريد التباهي بما تعلَّمه في المدرسة ذلك اليوم. لكنه لم يتعلم أي شيء من هذا، أليس كذلك؟ اللهجة التي يتحدث بها توضح أن المعلومات كانت لشخص آخر وضعوه في رأسه.

قالت لنفسها: «كفى يا ريسا!. ربما حان الوقت لترك الجبل يتآكل». ولإسكات الجزء منها الذي قد يقاوم، نهضتْ من مقعدها، واستلقتْ على العشب إلى جواره، وأخذت تنظر إلى النجوم المنثورة.

- من السهل دائمًا العثور على النجم القطبي. إنه يقع مباشرة فوق القطب الشمالي، لذا فإذا كنتِ تعرفين مكانه، يمكنك دائمًا العثور على اتجاه الشمال الحقيقي.

لهثتْ عند سماع قوله هذا. واستدار هو لينظر إليها، قائلًا: «ألن تُسكتيني؟».

ضحكتْ ريسا، قائلة: «كنت أتمنى أن تتركني أعود إلى النوم».

- ياه.. أأنا ممل إلى هذا الحد؟

---

(1) القنطور: هو مخلوق أسطوري في الميثولوجيا الإغريقية، نصفه السفلي حصان، وله جذع ورأس إنسان، وتقول الأسطورة إن هذا المخلوق كان يعيش في الغابات وعلى الجبال، وأنه يرمز لدى الإغريقيين إلى الظلام وقوة الطبيعة. "المترجم".

- قليلًا فقط.

عندئذٍ، مدَّ يده ومسح على ذراعها برفق، فابتعدتْ عنه ريسا، واعتدلتْ جالسة، وهي تقول: «لا تلمسني! أنت تعلم أنني لا أحب أن يلمسني أحد».

- هل السبب هو أنكِ لا تحببين أن يلمسك أحد.. أم إنكِ لا تحبين أن ألمسك أنا بالتحديد؟

لم تجبه، بل سألت وهي تشير إلى أعلى: «ما هذا هناك؟ الأحمر؟».

قال لها: «إنه نجم «منكب الجوزاء». (ثم، بعد صمت محرج، قال) «كيف كان؟».

- من؟

- أنت تعرفين من.

تنهَّدت ريسا، قائلة: «لن ترغب في التطرق إلى هذا يا كام».

- قد أرغب.

لم تمتلك القوة الكافية للمقاومة، لذا استلقتْ، وثبتت عينيها على النجوم وهي تتحدث: «كان مندفعًا.. عميق التفكير.. وفي بعض الأحيان كان يكره ذاته».

- يبدو كجوهرة حقيقية.

- لم تتركْني أكمل حديثي. إنه أيضًا قائد ذكي، ومخلص، وعاطفي، ومسؤول، وقوي، لكنه متواضع للغاية؛ لا يعترف لنفسه بذلك كله.

- لم تتحدثين عنه بصيغة المضارع؟

قالت لتداري الأمر: «أشعر أحيانًا أنه ما زال هنا».

- أعتقد أنني كنت سأود أن أتعرَّفه.

هزت ريسا رأسها، قائلة: «كان سيكرهك».

مكتبة
t.me/soramnqraa

- لماذا؟

- لأنه كان غيورًا أيضًا.

حال الصمت بينهما مرة أخرى، لكنه هذه المرة لم يكن مُربكًا على الإطلاق.

قال كام: «يسعدني أنك قد بُحتِ لي بذلك. يوجد شيء أود أبوح لكِ به أيضًا».

لم تكن ريسا تدري ما سيقوله، لكنها وجدتْ نفسها تشعر بالفضول فعلًا.

سألها: «هل كنتِ تعرفين صبيًّا اسمه سامسون عندما كنتِ في ملجأ الولاية؟».

فكرت قليلًا، ثم قالت: «نعم.. كان معي في حافلة مخيم الحصاد».

- حسنًا، لقد كان معجبًا بكِ في الخفاء.

في البداية شعرت ريسا بالحيرة حول كيفية معرفته بهذا الأمر، وعندما أشرقتْ عليها شمس الحقيقة، فإن اندفاع الأدرينالين الانعكاسي في جسدها، ولَّد لديها الرغبة إما في الشجار، وإما الهروب. نهضتْ، وهي مستعدة تمامًا للركض عائدة إلى القصر، أو القفز من الجرف، أو أي شيء يتطلبه الأمر للابتعاد عن هذا الكشف، لكنَّ كام وقف في طريقها، كما يكسف القمر أحد نجومه الثمينة.

قال لها: «الجبر! لقد كان بارعًا في الرياضيات. حصلتُ منه على الجزء الماهر في الجبر. إنه مجرد جزء صغير، لكنْ عندما صادفتُ صورتكِ، أعتقد أن ذلك الجزء كان كافيًا ليجعلني أتوقف وألاحظك. بعد ذلك، عندما علمتْ روبرتا بنبأ القبض عليكِ، تدخلتْ، مُحركة خيوط الأمر من بعيد، حتى توصلكِ إلى هنا.. إرضاءً لي. لذا، فوجودكِ هنا هو خطأي أنا».

لم ترغبْ في النظر إليه، لكنها لم تستطع التوقف عن ذلك. الأمر يشبه النظر إلى حادث مروري.

- كيف يفترض بي أن أشعر حيال هذا يا كام؟ لا أستطيع التظاهر بأني لا أشعر بالرعب! أنا هنا بسبب نزوة راودتك، لكنها لم تكن حتى نزوتك! كانت نزوة ذلك الصبي المسكين!

قال كام بسرعة: «لا، لم يكن الأمر كذلك.. لقد كان سامسون بمنزلة.. صديق نقر كتفي لجذب انتباهي.. لكنْ ما أشعر به تجاهك، كله شعوري أنا. ليس الجبر فحسب، بل المعادلة بأكملها».

أدارتْ ظهرها إليه، والتقطتِ البطانية، لتلفَّها حول جسدها، قائلة: «أريدك أن تذهب الآن».

قال: «أنا آسف، لكني لم أرغب في وجود أي أسرار بيننا».

- أرجوك أن تذهب.

حافظ على مسافة بينهما، لكنه لم يذهب، وقال: «أفضِّل أن أكون رائعًا جزئيًّا، على أن أكون معدوم الفائدة تمامًا.. ألم يكن هذا هو آخر شيء قاله لكِ؟ أشعر بمسؤوليتي نحو تحقيق هذه الأمنية».

وأخيرًا دخل إلى المنزل، تاركًا إياها وحدها مع الكثير من أفكار الناس.

***

بعد مرور عشر دقائق، ظلَّت ريسا تقف والبطانية تلتف حول جسدها، دون أن ترغب في دخول المنزل، لكنَّ أفكارها التي تدور في حلقات مفرغة بدأت تغضبها.

لا يمكنني الاستسلام لهذا.. يجب أن أستسلم.. لا يمكنني الاستسلام لهذا، مرارًا وتكرارًا حتى أصبح كل ما تريده هو إخراس نفسها فحسب. عندما دخلتِ المنزل أخيرًا، سمعت صوت موسيقى، وهو أمر غير معتاد، لكنَّ هذه الموسيقى لم تكن تُبث من خلال نظام الصوت. شخص ما كان يعزف على الجيتار الكلاسيكي. بدت المقطوعة إسبانية، ورغم من أن العديد من النغمات تبدو إسبانية عند العزف على 12 وترًا كلاسيكيًّا، فإن هذه المقطوعة منحتها بوضوح إحساس موسيقى «الفلامنكو» الإسبانية.

تتبعت ريسا النغمات إلى غرفة الجلوس الرئيسية، حيث جلس كام، محتضنًا الآلة الموسيقية، وهو مندمج تمامًا في الموسيقى التي يعزفها. لم تكن تعرف حتى إنه يستطيع العزف، لكن لا ينبغي أن يفاجئها ذلك؛ لقد جاء ممتلئًا عن آخره بحشد يتمتع بالمهارات الحقيقية.

ومع ذلك، فإن العزف على الجيتار بهذه المهارة، يتطلب الجمع بين العديد من الأشياء: ذاكرة العضلات، جنبًا إلى جنب مع الذاكرة العقلية والسمعية، وكل ذلك يرتبط معًا من خلال جذع مخ قادر على تنسيق كل شيء.

هدَّأتها الموسيقى، وأفقدتْها تحفزها، وسحرتْها، فبدأتْ تدرك أن هذه ليست مجرد أجزاء من أشخاص آخرين. هناك شخص ما يتحكم بهذه الأجزاء معًا. لأول مرة، بدأتْ ريسا ترى كام حقًّا كفرد مستقل، يكافح لتحقيق التناغم بين كل الهدايا العدَّة التي حصل عليها. لم يطلب هذه الأشياء، ولا يمكنه رفضها لو أراد. وبقدر ما شعرت بالرعب منذ خمس دقائق، فإن هذا الكشف الجديد قد هدأ من روعها. أجبرها ذلك على الجلوس أمام البيانو عبر الغرفة، والبدء في عزف مرافق بسيط.

عندما سمعها، اقترب بجيتاره، وجلس إلى جوارها. لم يقولا شيئًا على الإطلاق، وإنما أخذا يتواصلان من خلال الإيقاعات والتناغم. منحها السيطرة على المقطوعة، وتركها طوع يديها، ثم بتناغم لا مثيل له، أعادت القيادة إليه من جديد. كان بإمكانهما المواصلة لساعات، وسرعان ما أدركا أنهما قد فعلا ذلك فعلًا، لكنْ لم يرغب أحدهما في أن يكون أول من يتوقف.

فكرتْ ريسا، ربما تكون هناك وسيلة لإنجاح هذه الحياة، وربما لا، لكنْ في الوقت الحالي، في اللحظة الحالية، لا يوجد ما هو أروع من تسليم نفسها للموسيقى. حتى تلك اللحظة، كانت قد نسيت كم هو رائع هذا الشعور.

***

47 - الجمهور

بعد انتهاء الإعلان، صفق جمهور الإستوديو عند تلقي الإشارة المتفق عليها، كما لو أن المشاهدين في المنازل قد فاتهم شيء.

قال أحد مقدمي البرنامج: «لمن انضموا إلينا للتو، أنوه بأن ضيفينا اليوم هما كامو كومبري وريسا وورد».

لوَّح الشاب ذو البشرة متعددة الألوان -التي هي غريبة لكنْ جذابة- للجمهور بإحدى يديه. وبالأخرى أمسك يد الفتاة الجميلة الموجودة بجواره. بديا كثنائي مثالي، كما لو أن من المقدر لهما أن يكونا معًا. عرف الجمهور سريعًا أن كامو يفضل أن يدعوه الآخرون كام. كانت مشاهدته شخصيًّا أكثر إثارة للاهتمام من العديد من الإعلانات التشويقية التي شاهدوها، الإعلانات التي أعدَّتهم لشيء غامض ورائع. لكنَّ هذا الصبي لم يكنْ غامضًا على الإطلاق، كان رائعًا فحسب، وبالتأكيد لم يصدمهم مظهره، لأن الإعلانات جعلتِ الصدمة تختمر، وحوَّلتها إلى فضول قوي.

جمهور الاستوديو، وكذلك الجمهور في المنزل، كانوا أكثر من مهيَّئين، لأنهم كانوا يعرفون أن هذا حدث خاص، كان هذا أول ظهور علني رئيسي لكام. ولا توجد وسيلة أفضل طريقة للترحيب به في دائرة الضوء من ظهوره في «إفطار متأخر مع جارفيس وهولي»، وهو برنامج حِواري صباحي ودود لا ينطوي على أي تهديد. الجميع يحب جارفيس وهولي، اللذين يتميزان بخفة الظل معًا، ويديران بشكل مريح موقع التصوير المتخذ هيئة غرفة معيشة مؤثَّثة بشكل عصري.

سألت هولي: «سؤالي إلى كام، هناك جدل كبير حول كيفية... مجيئك إلى الحياة. أتساءل ما شعورك حيال ذلك؟».

قال كام: «هذه ليست مشكلتي. في البداية، كان يزعجني أن يقول الناس أشياء فظيعة عني، لكنني أدركتُ بعد ذلك أن ما يعتقده شخص واحد فقط هو المهم».

حثَّته هولي على الإجابة: «تقصد نفسك».

قال، وهو ينظر إلى ريسا: «لا، بل هي».

ضحك الجمهور، وابتسمتْ ريسا في تواضع. ثم دخل هولي وجارفيس في مزاح صغير لطيف عن من تكون له السيطرة في العلاقات المختلفة. طرح جارفيس السؤال التالي: «لقد مررتِ بالكثير يا ريسا. نزيلة في أحد ملاجئ الولاية، ثم هاربة من التفكيك خضعتْ لإعادة التأهيل.. أنا على ثقة أن جمهورنا سيحب أن يعرف كيف التقيتِ كام؟».

قالت ريسا للعالم: «تعرَّفتُ كام بعد جراحة العمود الفقري التي أُجرِيَتْ لي، في العيادة نفسها التي جمَّعوه فيها. كان يأتي كل يوم، ليراني ويتحدث معي. في النهاية أدركتُ أن... (ترددتْ للحظة، ربما غُصَّ حلقها بعواطفها) أدركتُ أنه ككيان واحد كان أعظم من مجموع أجزائه».

يحب الناس سماع هذا النوع من التصريحات. أصدر الجمهور كله صيحة جماعية «واو...». وابتسم كام لريسا، وأمسك يدها بإحكام أكبر.

قالت هولي: «لقد شاهدنا جميعًا إعلانات الخدمة العامة، التي قدمتِها.. ما زلتُ أشعر بقشعريرة، عندما أراك تنهضين من ذلك المقعد المتحرك. (ثم التفتتْ إلى الجمهور) ألستُ على حق؟ (صفَّق الجمهور موافقًا. ثم عادت توجه حديثها إلى ريسا) ومع ذلك، ظننتُ أن في المدة التي كنتِ فيها هاربة من التفكيك، لا بدَّ أنكِ كنت تعارضين التفكيك بشدة».

قالت ريسا: «في الواقع.. من ذا الذي لن يكون ضده، عندما يكون هو نفسه بصدد التعرض للتفكيك؟».

- إذن، متى بالضبط تغير شعورك؟

تنفستْ ريسا بعمق واضح، وضغط كام يدها مرة أخرى، ثم قالت: «لم يتغير كثيرًا.. لكني وجدتُ نفسي مضطَّرة إلى قبول الأمر من منظور أوسع. لولا التفكيك، لما وُجِدَ كام، ولما كنا هنا معًا اليوم. كانت ستصبح في العالم معاناة دائمة، لكنَّ التفكيك يمحو معاناة من هم مثلنا. (ترددتْ مرة أخرى) إنه يجعل من هم مثلنا يعيشون حياةً ذات معنى».

سألها جارفيس: «أخبريني إذن، ماذا تقولين للصِّبية الهاربين من التفكيك؟»

أطرقتْ ريسا إلى أسفل بدلًا من النظر إلى جارفيس، وهي تقول: «أودُّ أن أقول إذا كنت هاربًا، فواصلْ هروبك، لأن لك كل الحق في محاولة البقاء حيًّا. لكنْ بصرف النظر عما يحدث لكَ، فاعلم أن لحياتك معنى».

حثَّها جارفيس: «ربما تكون حياتهم أكثر أهمية إذا خضعوا للتفكيك؟».

- ربما يكون هذا صحيحًا.

ثم قدَّم البرنامج أحد كبار مصممي الأزياء الذي حضر لعرض خط جديد كليًّا، يبرز اتجاه الموضة إلى الملابس التي تجمع بين مزيج من الأشكال والألوان والنقوش، والمستوحاة من كامو كومبري. تصميمات للرجال والنساء، والأولاد والبنات.

قال المصمم: «إننا نطلق على هذه المجموعة اسم «التجميع الأنيق» أو (ريوايند شيك)»، وقدمتِ العارضات الموديلات، وسط تصفيق مبهج.

***

48 - ريسا

بمجرد انتهاء ظهورهما مع جارفيس وهولي، أمسكتْ ريسا بيد كام، إلى أن أصبحا خلف الكواليس، وبعيدًا عن أنظار الجمهور. ثم تركتها في اشمئزاز. لم تكن مشمئزةً منه، لكنْ من نفسها.

سألها كام: «ما هذا؟ أعتذر لو كنتُ قد فعلتُ شيئًا خاطئًا».

- اصمت! اخرس فحسب!

بحثت عن دورة المياه، لكنها لم تجدها. مبنى الاستوديو المدهش هذا متاهة، والجميع من المتدربين إلى الطاقم يحدق إليهما في أثناء مرورهما، كما لو كانا من أفراد الأسرة المالكة. لا بدَّ أن هذا البرنامج يستضيف مشاهير يوميًّا، فما الذي يجعلهما مختلفين؟ لكنها كانت تعرف الإجابة على ذلك: بعد مدة، يصبح المشهور أحد المشاهير فحسب، لكنْ هناك كامو كومبري واحد فقط. إنه الابن المميز الجديد للبشرية، أما ريسا، فهي «مميزة» بالتبعية.

أخيرًا، وجدتْ دورة المياه، وأغلقت الباب عليها، وجلست على المرحاض، ودفنت رأسها بين كفيها. كان الاضطرار إلى الدفاع عن التفكيك، والقول إن العالم مكان أفضل، لأن المراهقين الأبرياء يُفكَّكون، يمزق أعماقها. ذهب احترامها لذاتها ونزاهتها. أصبحت لا تتمنى فحسب لو أنها لم تنجُ من الانفجار الذي وقع في «هابي جاك»، بل تمنت لو أنها لم تولد قطُّ.

لماذا فعلتِ هذا يا ريسا؟

كانت أصوات كل الصبية في المقبرة. لماذا؟ كان صوت كونور الذي يكيل لها الاتهامات، وهو محق في ذلك. تمنتْ لو أمكنها أن تشرح له أسبابها، والاتفاق الشيطاني الذي أبرمتْه مع روبرتا. ذلك الشيطان المتمثل في هيئة امرأة، لديها السلطة التي صنعت لها فتى كاملًا.

ربما يكون كاملًا بمثالية. على الأقل وفقًا لتعريف المجتمع للكمال. لم تستطع ريسا أن تنكر أن إمكانات كام تنمو أكثر فأكثر، يومًا بعد يوم. إنه ذكي وقوي، ولديه القدْرة على أن يكون حكيمًا للغاية عندما لا يكون شديد التركيز على ذاته. كانت حقيقة أنها قد بدأت تراه كصبي حقيقي -وليس بينوكيو المُجمَّع- تكاد تزعجها بنفس درجة ما قالته اليوم أمام الكاميرا.

هنا علا صوت قرع محموم على باب دورة المياه.

ناداها كام: «ريسا.. هل أنتِ بخير؟ اخرجي من فضلك، إنكِ تخيفينني».

صاحت ريسا: «دعني وشأني!».

لم يقلْ شيئًا آخر، لكنْ عندما غادرتْ دورة المياه أخيرًا بعد مرور خمس دقائق، كان لا يزال واقفًا هناك، منتظرًا. ربما كان لينتظر طوال النهار وطوال الليل. تساءلت أكان هذا الإصرار الذي لا يتزعزع يأتي من أجزائه، أم إنها قدرة اكتسبها بنفسه.

وفجأة وجدتْ نفسها تنفجر باكية، وتلقي بنفسها بين ذراعيه، دون أن تعرف السبب. كانت تريد تمزيقه إربًا إربًا، لكنها ترغب بشدة أن يواسيها. تريد تدمير كل ما يمثله، لكنها تريد أن تبكي على كتفه، لأنها لا تجد كتفًا أخرى تبكي عليها. أخذ الناس حولهما يحدِّقان إليهما، محاولين أن يكونوا غير مبالين بهما. ما بدا كعناق بين روحين واقعتين في الحب، أدفأ قلبيهما.

قال لها: «هذا ظلم. ينبغي ألا يجبروكِ على تلك الأمور، إذا لم تكوني مستعدة لها». وحقيقة أنه -محور هذا الاهتمام كله- يفهمها، ويتعاطف معها، وبشكل ما يساندها، كانت تربك كل شيء بداخلها أكثر.

همس لها كام: «لن يكون الأمر دائمًا على هذا النحو». كانت تريد أن تصدق ذلك، لكن في ذلك الوقت لم يمكنها إلا أن تتخيل أن الأمور ستصبح أسوأ.

***

49 - كام

كانت هناك أشياء لم تخبره بها روبرتا. فسيطرتها على ريسا كانت أكثر من مجرد مسألة فرض إرادة. فريسا لم تكن تمتثل لأوامرها من باب الامتنان، بعد حصولها على عمود فقري جديد؛ الأمر ليس بهذه البساطة، لأن ريسا لم تكن ممتنةً على الإطلاق. كان واضحًا للغاية أن عمودها الفقري يمثل عبئًا تتمنى ألا تحمله. لماذا وافقت إذن؟

في كل لحظة اجتمعا فيها معًا، كان السؤال يظل معلقًا بثقل في الهواء، لكنْ عندما يطرح الموضوع، كل ما تقوله ريسا هو: «لقد كان شيئًا لا بدَّ أن أفعله»، وعندما يحاول التحقيق بشكل أعمق، تفقد صبرها وتخبره أن يتوقف عن الإلحاح، قائلة: «إن أسبابي تخصني وحدي».

كان يود أن يصدق أنه السبب في فعلها كل الأشياء التي تفعلها، تلك الأشياء التي تتعارض بوضوح مع رغبتها. لكنْ إذا كانت أيًّا من أجزائه ساذجة بما يكفي لتصدق أنها تجري هذه المقابلات والإعلانات من أجله، فالأجزاء التي تدرك أن هذا غير صحيح هي الأغلبية.

لقد أوضح ظهورهما في «إفطار متأخر مع جارفيس وهولي» بشكل مؤلم، أن الألم الذي تشعر به ريسا بسبب دورها في كل هذا، عميق للغاية. حقيقة أنها سمحت له بمواساتها لم تغير ذلك، لكنْ ربما جعلته يشعر بالمسؤولية عن الوصول إلى الحقيقة، ليس من أجله فحسب، لكنْ من أجلها. فكيف يمكن أن يكون أي شيء بينهما حقيقيًّا، دون مكاشفة كاملة؟

يعود الأمر كله إلى اليوم الذي وقَّعت فيه استمارة الموافقة تلك، لكنَّ سؤال روبرتا عن الأمر، لم يكن ليجدي. ثم أدرك كام أنه ليس مُضطرًّا لذلك.. لأن روبرتا هي ملكة فيديوهات المراقبة.

بعد عودتهما إلى «مولوكاي»، قال كام لأكثر حارس أمن يعامله بودية، وهو الشخص الذي يلعب معه كرة السلة: «أحتاج إلى رؤية تسجيلات المراقبة ليوم السابع عشر من أبريل».

قال لكام على الفور: «لا يمكنني أن أفعل ذلك.. لا أحد يشاهد هذه التسجيلات، دون إذن من الشخص الذي تعرفه جيدًا. احصل على إذنها، وسأريك ما تريد».

- لن تعرف أبدًا.

- لا يعنيني ذلك.

- لكنه سعينيك إذا أخبرتها أنني ضبطتكَ تحاول السرقة من القصر.

هذا القول جعل الحارس يتردد. فقال كام: «اسمح لي.. إنك تقول لنفسك: «أيها اللعين، لا يمكنك أن تفعل ذلك»، وأنا أقول: «نعم، يمكنني فعلها، ومن تظن أنها ستصدق، أنا أم أنت؟ (ثم أعطاه كام وحدة تخزين بيانات صغيرة) لذلك، ضع الملفات على هذه، وستكون حياة الجميع أسهل».

نظر إليه الحارس غير مصدق، قائلًا: «إنك شديد الدهاء حقًّا، أتعرف ذلك؟ التفاحة لا تسقط بعيدًا عن الشجرة».

ورغم أن كام كان يعرف من يشير إليه، إلا أنه قال: «لديَّ الكثير من الأشجار، يجب أن تكون أكثر تحديدًا».

في ذلك المساء، ظهرت وحدة تخزين البيانات في درج مكتبه، وعليها ملفات الفيديو. أصبح حصوله على شريك في لعبة كرة السلة بعد ذلك محل شك، لكنها كانت تضحية صغيرة لا بدَّ من بذلها. عندما تأخر الوقت بما يكفي، بحيث لا يقاطعه أحد، حمَّل الملفات على جهازه الشخصي، وشاهد شيئًا لم يكن من المفترض أن يراه قطُّ...

***

50 - ريسا

السابع عشر من أبريل. منذ ما يقرب من شهرين. قبل المقابلات وإعلانات الخدمة العامة، وقبل العملية التي استبدلت العمود الفقري لريسا.

جلست ريسا على مقعدها المتحرك في زنزانة غير منظمة، دون أن يشغل وقتها سوى أفكارها. أما استمارة الموافقة، فكانت مطوية على شكل طائرة ورقية تقبع على الأرض، أسفل مرآة أحادية الاتجاه.

قضت وقتها في التفكير في أصدقائها.. في كونور في الغالب. تساءلت كيف سيكون حاله من دونها. تمنت أن يكون أفضل. تمنتْ لو أن باستطاعتها فقط إبلاغه أنها حيَّة، وأنها لم تتعرض للتعذيب على يد شرطة الأحداث، وأنها ليست حتى في أيديهم، لكنْ في يدي منظمة أخرى.

جاءت روبرتا -كما فعلت في اليوم السابق- باستمارة موافقة جديدة. جلست على الطاولة، دافعة استمارة الموافقة والقلم نحو ريسا مرة أخرى.

ابتسمتْ لريسا، لكنها كانت ابتسامة ثعبان على وشك الالتفاف حول فريسته، وسألتها: «هل أنتِ مستعدة للتوقيع؟».

أجابت ريسا: «هل أنت مستعدة لرؤيتي أدفع بطائرة ورقية أخرى في الهواء؟».

قالت روبرتا ببراعة: «الطائرات! نعم، لِمَ لا نتحدث عن الطائرات؟ خصوصا تلك الموجودة في ساحة التخزين. المكان الذي تطلقون عليه اسم المقبرة. فلنتحدث عن العديد من أصدقائك الموجودين هناك».

فكرت ريسا: «أخيرًا.. ستستجوبنني»، وقالت: «سلي ما تريدين. لكنْ لو كنتُ مكانكِ، فلن أثق بشيء أقوله».

قالت روبرتا: «لا داعي لطرح أسئلة عليك يا عزيزتي. إننا نعرف ما نحتاج إلى معرفته عن المقبرة. كما ترين، نسمح لملاذ رفاقك الهاربين من التفكيك الصغير بالبقاء، لأنه يخدم احتياجاتنا».

- احتياجاتكم؟ أتقولين أنكم تتحكمون في سلطة الأحداث؟

- دعينا نقول فقط إن لدينا نفوذًا كبيرًا. سلطة الأحداث ترغب في مداهمة المقبرة منذ مدة طويلة، لكننا نحن من نعوقهم. ومع ذلك، فبإشارة مني، سينظِّفون المقبرة، ونقل المراهقين -الذين حاربتِ ببسالة شديدة لإنقاذهم- إلى مخيمات حصاد، وتفكيكهم.

شعرتْ ريسا بالبساط يُسحَب من تحتها، وقالت: «إنه مجرد تهديد فارغ».

- أهو كذلك؟ أعتقد أنكِ تعرفين رجلنا داخل المقبرة. اسمه هو ترايس نيوهاوسر.

نزل عليها الخبر كالصاعقة، فرددت: «ترايس؟».

- لقد زودنا بكل المعلومات التي نحتاج إليها، حتى تكون عملية إزالة مقبرة الطائرات سريعة وسهلة. (دفعت استمارة الموافقة، لتقترب بوصة واحدة من ريسا) لكنْ، ليس من الضروري أن يحدث هذا أبدًا. لا أحد من أولئك الهاربين عليه أن يُفكك. من فضلك يا ريسا، اقبلي الحصول على عمود فقري جديد، ونفذي ما نطلبه منكِ. لو فعلتِ، سأضمن لكِ شخصيًا أن كل أصدقائك السبعمائة لن يصيبهم أذى. ساعديني يا ريسا، وأنقذيهم.

نظرتْ ريسا إلى الاستمارة، ورأتْها في ضوء جديد رهيب. سألتها: «ما طلباتك؟ أي نوع من الأشياء ستطلبين مني عمله؟».

- سيبدأ الأمر بكام. سيكون عليكِ أن تنحي شعوركِ جانبًا -أيًا كانت- وتتعلمي كيف تكوني لطيفة معه. بالنسبة إلى الأشياء الأخرى التي قد نطلبها منك، ستعرفينها في وقتها.

انتظرتْ رد ريسا، لكنها لم تصدر أي رد فعل. كان تأثير هذه القنبلة لم يهدأ بعد.

بدا أن صمت ريسا يُرضي روبرتا، لذا فقد نهضتْ، تاركة ريسا مع الاستمارة والقلم، وقالت: «كما أشرتُ من قبل، لن أحرمك من حقك في

الاختيار، سيظل من حقك أن ترفضي.. لكنْ إذا فعلتِ ذلك، آمل أن تتمكني من التعايش مع العواقب».

أمسكتْ ريسا القلم، وأخذتْ تقرأ الوثيقة للمرة الرابعة. صفحة واحدة مليئة بالمسائل القانونية غير المفهومة. لم تكنْ بحاجة إلى فك رموز الكتابات الأنيقة، فما تقوله واضح تمامًا.

بالتوقيع عليها، ستمنح روبرتا إذنًا صريحًا باستبدال عمود سليم محصود من مفكك مجهول بعمودها الفقري التالف.

لطالما تخيلتْ كيف سيكون إحساس القدْرة على المشي مرة أخرى! لكم استعادت تلك اللحظة في مخيم حصاد «هابي جاك»، عندما انهار السقف وسحق ظهرها، وتساءلت كيف سيكون الأمر لو مُحِيَتْ تلك اللحظة؟

لكنْ رغم ذلك -كما رأتْ ريسا الأمر- فإن العمود الفقري الجديد سيكلفها روحها. لم يكن بوسع ضميرها أن يسمح بذلك، لا في ذلك الوقت، ولا في أي وقت لاحق. أو هكذا اعتقدتْ.

إذا نظرتْ إلى الصورة الكبيرة ورفضتْ توقيع الاستمارة، سيكون ذلك بمنزلة بيان شخصي ضد عالم ضل طريقه.. لكنْ لن يعرف أحد أبدًا بذلك، وسيؤدي بيانها إلى تفكيك المئات من أصدقائها.

ادعتْ روبرتا أن ريسا لديها خيار، لكنْ ما الخيار الذي كانت تملكه حقًّا؟ أمسكت القلم بقوة، وتنفست بعمق.. موقعةً باسمها.

***

51 - كام

شعرتْ روبرتا بسعادة غامرة من استجابات الجمهور إلى برنامج «جارفيس وهولي». لقد تلقتْ فعلًا عشرات من الطلبات لإجراء مقابلات.

قالت لكام، في صباح اليوم التالي لمشاهدته فيديو المراقبة: «لدينا رفاهية الانتقاء. الجودة مقابل الكم!».

لم يقلْ كام شيئًا، وبينما كانت روبرتا منغمسة للغاية في خططها، لم تلاحظ أن كام ليس على طبيعته.

- سيكون عليكِ أن تنحي أحاسيسك جانبًا -أيًّا كانت- وتتعلمي كيف تكونين لطيفة معه.

أخرج إحباطه بمفرده في ملعب كرة السلة، وعندما لم يهدئه ذلك، نقل إحباطه إلى المصدر. أخذ يبحث في القصر المترامي الأطراف عن ريسا. وجدها في المطبخ، حيث كانت تُعِدُّ لنفسها شطيرة في وقت متأخر من الصباح. قالت عَرَضًا: «يصيبني السأم من تلقي الخدمة طوال الوقت. في بعض الأحيان، يكون كل ما أريده هو شطيرة زبدة الفول السوداني بالمربى التي أصنعها بنفسي. (مدَّت يدها بالشطيرة إليه) أترغب في تناول هذه؟ سأُعِدُّ أخرى».

عندما لم يأخذها، نظرت إلى عينيْه، ورأتْ مدى انطفائه، فسألته: «ما الأمر؟ هل تشاجرت مع والدتك؟».

قال لها: «لقد عرفتُ لماذا أنتِ هنا. إنني أعرف كل شيء عن صفقتكِ مع روبرتا، وأصدقائكِ في المقبرة».

ترددتْ للحظة، ثم بدأتْ في تناول شطيرتها، وهي تقول بصوت مكتوم: «لكَ اتفاقكَ معها، ولي اتفاقي». حاولتِ الابتعاد، لكنَّ كام أمسك بها. سرعان

ما تملَّصت من قبضته، ودفعتْه نحو الحائط، وهي تصرخ في وجهه: «لقد تمكنتُ من تقبل الأمر! لذلك ربما تتقبله أنت أيضًا!».

- هل كان كل شيء مجرد ادعاء كاذب إذن؟ هل كان التعامل بلطف مع الكائن الغريب مجرد أداء تمثيلي لإنقاذ أصدقائك؟

أومأت ريسا برأسها، قائلة: «نعم!.. في البداية».

- والآن؟

- أتقلل من شأن نفسك إلى هذه الدرجة؟ وهل تعتقد حقًّا أنني أجيد التمثيل؟

قال مطالبًا: «أثبتي ذلك إذن!.. أثبتي أنكِ لا تشعرين بالازدراء نحوي!».

- الآن، هذا كل ما أشعر به نحوك!

ثم خرجتْ، بعد أن ألقتِ الشطيرة في سلة المهملات.

بعد خمس دقائق، مرَّر كام بطاقة مرور تخص حارسًا مؤقتًا، واستخدمها لتجاوز باب الأمن إلى المرأب. ثم سرق دراجة نارية، وانطلق على الطريق المتعرج مغادرًا القصر. لم تكن له وجهة محددة، مجرد حاجة ملحة إلى الانطلاق بسرعة فحسب. كان واثقًا من وجود شخص واحد على الأقل في رأسه مهووس بالسرعة، وربما أكثر. إنه يعرف أن العديد من ساكني كيانه سبق لهم قيادة دراجات نارية. سلك كل منعطف بسرعة كبيرة حتى وصل أخيرًا إلى مدينة «كوالابو»، مُرضِيًا كل دوافع تدمير الذات الكامنة بداخله. ثم سلك منعطفًا حادًّا للغاية، ففقد السيطرة، وطار جسده من على الدراجة، متدحرجًا على الرصيف.

كان مصابًا، لكنْ حيًّا. توقف سائقو السيارات، وغادروا سياراتهم لمساعدته، لكنه لم يرد مساعدتهم. وقف على قدميه، وشعر بألم حاد في ركبته، ومزق في ظهره، في حين سال الدم من تحت شعره، غامرًا عينيه.

صاح أحد زوار المكان: «هل أنت بخير يا صاح؟ (ثم قطع حديثه فجأة) مهلًا مهلًا! إنه أنت! أنت الصبي المُجمَّع! أيها الناس! انظروا جميعًا! إنه الصبي المُجمَّع!».

ابتعد عنهم مسرعًا، وركب الدراجة النارية مرة أخرى، عائدًا من الطريق الذي جاء منه. بحلول الوقت الذي وصل فيه، كانت أمام القصر فعلًا سيارات للشرطة. رأته روبرتا، وأسرعت إليه، قائلة بشوق وهي تبكي: «كام! ماذا

فعلتَ؟ ماذا فعلتَ؟ يا إلهي! إنك تحتاج إلى عناية طبية! سنُحضر الطبيب على الفور! (ثم استدارت بغضب إلى حرس المنزل، متسائلة بغضب) كيف تركتم هذا يحدث؟».

صرخ كام: «إنه ليس خطأهم! أنا لستُ كلبًا أفلت من طوقه، لذا لا تعامليني بهذا الشكل!»

- دعني أرَ جروحك.

- ابتعدي عني!

كان صراخه عاليًا بما يكفي، لتتراجع روبرتا مبتعدةً عنه فعلًا. ثم تجاوز الجميع، ليصعد إلى غرفته، ويغلقها عليه، مبتعدًا عن العالم.

بعد بضع دقائق، سمع طرقًا مهذبًا على بابه، تصور أنه يعلم من الطارق. روبرتا، لا بدَّ أنها تحاول التعامل مع طفلها المتقلِّب بالأسلوب الملائم للأطفال. لكنها لم تكن روبرتا.

- افتح يا كام، أنا ريسا.

كانت ثاني وآخر مَن يرغب في رؤيته في تلك اللحظة، لكنَّ حقيقة أنها جاءت فاجأته. لذا أقل ما أمكنه فعله هو فتح الباب.

وقفتْ على عتبة بابه، حاملةً حقيبة إسعافات أولية، وقالت: «من الغباء حقًّا أن تنزف حتى الموت، لمجرد أنك غاضب».

- أنا لا أنزف حتى الموت.

- لكنكَ تنزف. هل يمكنني على الأقل تضميد أسوأ جراحك؟ صدق أو لا تصدق، لقد كنتُ كبيرة المعالجين في المقبرة، وتعاملتُ مع أشياء مثل هذه طوال الوقت.

فتح الباب على نطاق أوسع، وسمح لها بالدخول. جلس على كرسي مكتبه، وتركها تنظف جرح وجنتِه. ثم جعلتْه يخلع قميصه الممزق، وبدأتْ تطهر جراح ظهره. كان المطهِّر يلسع، لكنه تحمَّل دون أن يتذمر.

قالت له: «أنت محظوظ. هناك تمزقات في الأنسجة، لكنَّ أيًّا منها لا يحتاج إلى غرز، ولم تتمزق أيٌّ من مواضع التحام جسدك».

- أثق أن روبرتا ستشعر بالراحة لسماع ذلك.

- فلتذهب روبرتا إلى الجحيم.

لمرة واحدة اتفق كام مع قولها. ألقتْ نظرة على ركبته، وأخبرته أنه سواء وافق على ذلك أم لا، فلا بدَّ من تصويرها بالأشعة السينية. عندما انتهت من فحص جروحه، ألقي نظرة فاحصة عليها، ليتأكد هل كانت ما زالت غاضبة منه بسبب ما حدث في وقت سابق، لكنْ لم يبدُ عليها ذلك، فقال: «أعتذر. مغادرة المكان بهذا الشكل كانت تصرفًا غبيًّا».

قالت مؤكدة: «لكنه آدمي».

مدَّ كام يده، ولمس وجهها بلطف. فلتلطمه لو أرادت. فلتمزق ذراعه من منبتها، لم يكن يهتم. لكنها لم تفعل هذا ولا ذلك. قالت: «هيا! دعْني أرافقك إلى فراشك، حتى تحصل على قسط من الراحة». نهض لكنَّ وزنه كان أثقل كثيرًا مما يمكن أن تتحمله ركبته المصابة، فكاد يسقط، لكنها أمسكت به، ودعمته، كما فعل هو سابقًا في أول يوم سارت فيه. ساعدته طوال الطريق إلى الفراش، وعندما ألقى بنفسه عليه، كانت ذراعها ملتفة حول جسده، فاندفعت هي الأخرى إلى الفراش.

- أعتذر.

قالتْ له: «توقف عن الاعتذار عن كل شيء. احتفظْ بالاعتذار لأخطائك الأكثر أهمية».

كانا في هذه اللحظة يرقدان جنبًا إلى جنب على فراشه، وظهره يؤلمه أكثر بسبب ضغط الفراش والأغطية من تحته. كان بإمكانها النهوض، لكنها لم تفعل، بل استدارت بخفة قليلًا نحوه، وتحسست بأصابعها خدشًا في صدره، لتتحقق هل كان بحاجة إلى ضمادة أم لا، ثم قرَّرت أن لا حاجة إلى ذلك، وقالت له: «أنت كائن غريب جدًّا يا كامو كومبري. كيف اعتدتَ غرابتك؟ الأمر غامض بالنسبة إليَّ، لكنه حدث!».

- لكنكِ ما زلتِ تتمنين لو أنني لم أُصنع قطُّ، أليس كذلك؟

- لكنكَ صُنعت، وها أنت ذا هنا، وهأنا هنا معك. (ثم أضافت) وأنا أكرهك أحيانًا فحسب.

- وفي الأحيان الأخرى؟

مالتْ نحوه، وفكرتْ في الأمر لحظةً، ثم قبَّلته. كانت أكثر من مجرد لمسة خفيفة، أكثر بقليل فقط.

- في الأحيان الأخرى، لا أكرهك.

ثم استدارتْ عائدة، لترقد على ظهرها وتبقى إلى جواره، وبعدها قالت له: «لا تفكر كثيرًا في هذا يا كام. لا يمكنني أن أكون كما تريد».

أوضحَ لها: «هناك الكثير من الأشياء التي أريدها. من قال بوجوب أن أحصل عليها جميعًا؟».

- لأنك طفل روبرتا الصغير المدلَّل، فإنك تحصل دائمًا على ما يرغب فيه قلبك المُجمَّع.

جلس كام حتى يتمكن من النظر إليها: «علميني ألا أكون مدللًا. علميني أن أتحلي بالصبر. علميني أن هناك بعض الأشياء التي تستحق الانتظار».

- وبعض الأشياء التي قد لا تمتلكها أبدًا؟

فكر في الإجابة، ثم قال: «لو أن هذا هو ما يجب أن تعلميني إياه، فهذا ما يجب أن أتعلمه، لكنَّ أكثر ما أريده هو شيء أعتقد أن بإمكاني الحصول عليه».

- وماذا يمكن أن يكون ذلك؟

أمسك يدها: «الآن.. في هذه اللحظة، وبألف طريقة مختلفة. إذا كان بإمكاني الحصول على ذلك، فلن يهم الباقي كثيرًا».

جلستْ وسحبتْ يدها من يده، لكنْ فقط لتتمكن من تمريرها في شعره. بدا أنها تنظر إلى الجرح الموجود بفروة رأسه فحسب، لكنْ ربما لم يكن الأمر كذلك.

قالت بلطف: «إذا كان هذا هو ما تريده حقًّا أكثر من غيره، فربما يمكنك الحصول عليه. ربما يمكن لكلينا».

ابتسم كام، قائلًا: «أريد ذلك بشدة».

وللمرة الأولى منذ تجميعه، شعر بالدموع تنهمر من عينيه، وأدرك أنها حقًّا دموعه.

***

الجزء السادس

إما القتال، وإما الهروب

نتيجة بحث «جوجل»: «المراهقون أعداء المجتمع». ما يقرب من 12100 نتيجة (12,. ثانية)

أخطاء عالمية / السياسة العالمية، الاقتصاد السياسي، معاصر...

«المراهقون العدميون أعداء المجتمع» أطلقتْ عليهم صحيفة «ديلي ميل»: الشباب المجنون من جميع مسارات الحياة الذين ينطلقون في الشوارع بلا وعي و...

مقهى العلم الأسود • شاهد الموضوع - هجوم المراهقين أعداء المجتمع... 3 مشاركات - مؤلفان - آخر منشور: 7 يوليو 2007 - المراهقون أعداء المجتمع يهاجمون مرة أخرى. الجمعة 6 يوليو 2007 الساعة 10:31 مساءً. شاطئ «ويست بالم»، «فلوريدا»- اتُّهم اثنان من المراهقين...

مدونة «فيرال007» - رسائل عشوائية عن المراهقين أعداء المجتمع.. صخب عشوائي حول المراهقين أعداء المجتمع. المشكلات اليومية لوالد واحد مع المراهقين! ما الواجب عمله؟

مراهقون معادون للمجتمع يهاجمون الغرباء في فيلادلفيا 18 أغسطس 2011 - تشير كلمة «نشاط إجرامي» إلى عصابات من المراهقين يعتدون على الغرباء، لقضاء وقت لطيف و...

المراهقون «أعداء المجتمع» يضربون رجلًا حتى الموت - أخبار - «ويجان اليوم» 4 أبريل 2007 - اثنان من المراهقين «أعداء المجتمع» اللذين استهدفا رجلًا مسالمًا وضعيفًا للغاية من «ويجان»، حيث تنمَّرا عليه لأشهر، قبل أن يضرباه بوحشية...

«سيلفر سبرينج»، فردي: تناول الطعام في المطاعم المجاورة - 30 يونيو 2010 - يوجد في «بيثيسدا» عدد أقل بكثير من المراهقين أعداء المجتمع، وهذا ما يجعل تجربة وسط المدينة بأكملها أكثر إمتاعًا...

52 - ليف

استيقظ ليف بعد اندفاع ماء مثلج في وجهه فجأة. في البداية، اعتقد أنه قد خرج في العاصفة مرة أخرى. كان هناك إعصار قادم، فهل صدمتْه شجرة؟ عليه أن ينهض. يجب أن يواصل الهرب.. الهرب.

لكنه لم يكنْ في العاصفة.. ولا بالخارج. كان عاجزًا عن التركيز، بسبب ضباب يكتنف عقله، لكنْ أمكنه رؤية ما يكفي ليعرف أنه في غرفة ما، وينظر إلى جدار متسخ. لا، ليس جدارًا، كان سقفًا. سقف متشرب بالرطوبة. وهو كان راقدًا على سرير، ويداه مقيدتين فوق رأسه، ومربوطتين بقائم السرير. شعر في فمه بطعم يشبه حامض البطارية، وكانت رائحة الهواء كالعفن الفطري، ورأسه ثقيل، يزن أرطالًا، أرطالًا. عندئذٍ تذكر! كان في شاحنة صغيرة مع ميراكولينا. كان البَرَد يضرب الشاحنة. ثم خدرهم...

قال نيلسون: «هل استيقظت؟». هنا تذكر ليف اسمه. نيلسون. الضابط نيلسون. لم يكن ليف قد رأى وجه الرجل من قبل، لكنَّ اسمه ورد في الأخبار بقدر ما كان يرد اسم ليف. إنه لم يعد يبدو كشرطي أحداث إلى حد كبير الآن.

- أعتذر على استخدام المياه كمنبه. كنتُ لأتصل بك لإيقاظك، لكنْ لا توجد شبكة هاتف هنا.

على سرير بجوار ليف، كانت ميراكولينا، لا تزال فاقدة الوعي. يداها مربوطتان مثله في قائم سريرها بقيود من السلوك البلاستيكية.

سعل ليف، مخرجًا بعض الماء من حلقه، في حين جلس نيلسون على بعد بضع أقدام، وهو يضع ساقًا فوق الأخرى، ممسكًا بمسدس التهدئة.

- أتعرف؟ لقد ظللتُ أراقب «قصر كافينو» عدة أيام. كان لديَّ حدس. كل شيء كان يشير إلى وجود مخبأ رئيسي في المنطقة، لكنْ لم يستطع

أحد تحديد مكانه. لكنْ في ضيعة كافينو، كانت هناك بوابة حراسة صُمِّمَتْ لتبدوِ مهجورة، لكنها لم تُهجَر قطُّ. إضافة إلى وجود العديد من كاميرات المراقبة الحديثة في الأشجار المجاورة للقصر. لم أكن أعرف أن المقاومة تمتلك هذا الكم من المال!

لم ينبس ليف ببنت شفة، لكنْ بدا أن نيلسون لا يهتم. كان واضحًا أنه سعيد فحسب بوجود أسير بمنزلة جمهور يستمع له.

- لذا، تخيَّل دهشتي عندما وجدتكَ أنتَ وصديقتكَ على جانب الطريق، ملفوفين عمليًّا على شكل هدية!

فتح نيلسون خزانة مسدسه، مخرجًا الرصاصات، الواحدة تلو الأخرى، ثم أعاد ملئه، وجعله معدًّا للاستخدام مرة أخرى. على السرير الآخر، تأوهت ميراكولينا أخيرًا، وبدأت تتخلص من نومها العميق.

مال نيلسون مقتربًا من ليف، وقال: «هذا ما أعتقده.. لقد كنتَ تصطحب هذه الفتاة الصغيرة المسكينة الهاربة من التفكيك إلى «قصر كافينو»، لتضعها بين يدي أصدقائك المخادعين، لكنكما علقتما على الطريق في العاصفة. أأنا محق؟».

يقول ليف: «لم تقتربْ حتى من الحقيقة».

- حسنًا، التفاصيل ليست مهمة حقًّا. ما يهم هو أنكما هنا.

- وأين هذا الـ«هنا»؟

قال نيلسون وهو يلوِّح بالمسدس: «كما قلتُ، التفاصيل ليست مهمة».

نظر ليف تجاه ميراكولينا مرة أخرى. كانت عيناها نصف مفتوحتين، لكنْ لم تسترد وعيها بالكامل. قال ليف: «دعها تذهب. ليس لها علاقة بهذا الأمر».

ابتسم نيلسون، قائلًا: «كم هو نبيل منك أن تفكر بالفتاة، قبل نفسك! من قال إن الفروسية قد انتهتْ؟».

سأله ليف مباشرة، لأن رأسه يؤلمه بشكل يجعله لا يتحمَّل المحاورة والمداورة: «ماذا تريد؟ لا يمكنني أن أعيد إليكَ وظيفتكَ، وليس خطأي أن كونور قد خدَّرك، فماذا تريد مني؟».

قال نيلسون: «في الواقع، كان هذا خطأك. لو لم تُستَخدم كدرع بشري، لما كان أي منَّا هنا اليوم».

أدرك ليف مدى صحة هذا القول. لو لم يتلقَّ رصاصة نيلسون الموجهة إلى كونور، من خلال الخطأ، لكان كلاهما قد تفكَّك في الموعد المحدد.

سأل نيلسون: «هل نلعب إذن؟».

ازدرد ليف لعابه، وشعر كأن حلقه مغطى بنشارة خشب، ثم سأل: «ما اللعبة؟».

- الروليت الروسي! خزانة مسدسي معبأة بخمس رصاصات تهدئة، وقذيفة رصاص مطلية بالنيكل بطرف متفجر. لا أستطيع أن أتذكر الترتيب الذي وضعتُ به «الرصاصة الشريرة»، كنتُ مشغولًا للغاية بالتحدث معك، ولم أتمكنْ من الملاحظة. سأطرح عليكَ أسئلة، وإذا لم ترقْ لي الإجابة، سأطلق النار.

- هذه اللعبة يمكن أن تستمر أيامًا، لو أخذت أفقد وعيي بشكل متكرر.

- أو ربما تنتهي بمنتهى السرعة.

تنفَّس ليف بعمق، محاولًا ألا يُظهِر أي خوف أكثر مما ينبغي له، وقال: «تبدو لعبة مشوقة. أوافق».

- في الواقع، ليستْ مشوقة تمامًا بنفس درجة التصفيق، لكنني سأحاول منعكَ من الشعور بالملل». أرخى صمام الأمان بسلاحه، قائلًا: «السؤال الأول: هل صديقك كونور ما زال حيًّا؟».

اشتبه ليف في أنه قد يسأل هذا السؤال، لذا بذل قصارى جهده للكذب، بحيث يبدو صادقًا قدر استطاعته. قال: «لقد سمعتُ الشائعات أيضًا، لكنني لا أعرف شيئًا عن حقيقة الأمر. لقد اقتادوه من «هابي جاك»، ملطخًا بالدماء وغير واعٍ، واعتُقِلتُ أنا. ولا أعرف شيئًا عما حدث بعد ذلك».

ابتسم له نيلسون، ثم قال: «إجابة خاطئة»، ووجَّه السلاح نحو ميراكولينا.

- لا!

أطلق نيلسون النار بلا تردد، فتقوس ظهر ميراكولينا عند تلقي الرصاصة، وأطلقتْ شهقة نصف واعية، ثم صمتتْ. شعر ليف كأن قلبه على وشك الانفجار، حتى رأى علامة التهدئة الصغيرة تبرز من قميصها.

وقف نيلسون وهز رأسه قائلًا لليف: «من الأفضل أن تروق لي إجابتكَ التالية». ثم غادر، وأغلق الباب.

***

53 - نيلسون

قرَّر نيلسون منح ليف متسعًا من الوقت للتفكير في الأمر. في غضون ذلك، جلس في غرفة ملحقة بالكوخ، ليتتبع مسار الخيوط التي لديه فعلًا. لم تكن بهذه الكثرة. لقد وضع شريحة تتبع في ما يقرب من اثني عشر من الهاربين من التفكيك، وتركهم يعتقدون أنهم قد هربوا منه. ما زال بعضهم يهيم في الشوارع، بالقرب من المكان الذي أسرهم فيه في البداية. آخرون في مخيمات الحصاد، بعد أن قبضت شرطة الأحداث عليهم. أحدهم بدا في الأرجنتين، رغم أنه يشتبه في أن الصبي قد سقط في قبضة قراصنة أعضاء آخرين، وفكَّكوه في السوق السوداء، وهذا ما يعني أن الجزء الذي يحمل الشريحة فقط، هو الذي ذهب إلى أمريكا الجنوبية. كانت هناك إشارتان تصدران من «أريزونا» في موقع قاعدة جوية قديمة خارج الخدمة. هذا ما أثار فضوله أكثر. لقد سمع حديثًا عن أحد المخابئ في الجنوب الغربي، عندما كان يعمل في صفوف شرطة الأحداث، لكنَّ التفاصيل كانت سطحية، ولم يكنْ يمتلك تصريحًا أمنيًّا كافيًا لمعرفة المزيد عنه، كما لم يكنْ مهتمًّا في ذلك الوقت. في جميع الأحوال، لم يكن ليتمادى في استنتاجاته، لأن أريزونا كانت بعيدة للغاية بالنسبة إليه. إلا إذا -طبعًا- كان مُصفِّقه الصغير يضع كونور هناك.

كانت رصاصات التخدير التي يحملها نيلسون في مسدسه هي الأقل تأثيرًا، ولها أقصر مدى زمني. عندما عاد بعد ساعتين تقريبًا، مكث عند الباب من الخارج، مستمعًا. كانت الفتاة مستيقظة لكنها فاقدة توازنها، وليف لا يكفُّ عن الاعتذار لتوريطها في هذا الأمر. لا حديث عن كونور، أو أي مخابئ محتملة للهاربين من التفكيك.

ركل نيلسون الباب، لينفتح، ثم جلس بهدوء على المقعد الواقع بينهما، ولوَّح بمسدسه، تحسبًا لوجود أي تساؤل عن نواياه.

قال نيلسون: «هل أنتما مستعدان؟ بقيتْ خمس رصاصات. هناك احتمال عشرين في المائة أن تكون الرصاصة التالية قاتلة».

تجنَّب ليف التواصل بالعين معه، وجاهد لإبقاء تنفسه تحت السيطرة. ولأنه يعرف فعلًا النهاية المفاجئة للعبة، فقد صوَّب نيلسون البندقية نحو الفتاة، قبل حتى أن يطرح السؤال.

قالت الفتاة: «أنت تظن أنني أخشى الموت، لكنني لا أخشاه».

ومع ذلك، كان صوتها يقول العكس.

توسل إليه ليف: «أرجوك. لستَ مضطرًا إلى فعل ذلك».

قال له نيلسون بمرح: «أعتقد أنني مُضطَرَّ. (ازدرد لعابه) الجولة الثانية. السؤال هو.. أين يختبئ إوُول آكرون؟ لديكَ ثلاث ثوان قبل انتهاء الوقت».

توسل ليف مرة أخرى: «أرجوك، لا تفعل».

- واحد!

- أطلق سلاحك عليَّ أنا! ليست لها علاقة بهذا!

- اثنان!

- إنه أنا من يمنحك إجابات خاطئة! ليست هي!

- «ثلاثة!

- لا! انتظر! سأخبرك! سأخبرك!

داعب الزناد، قائلًا: «من الأفضل أن تسرع».

تنفَّس ليف بعمق، وهو يرتجف، وقال: ««كهوف الصدى الهندية». في «ولاية بنسلفانيا». إنه المكان الذي يختبئ فيه الهاربون من التفكيك، القادمون من الساحل الشرقي. يأخذونهم في أعماق الكهوف، ويبقونهم هناك حتى يبلغوا السابعة عشرة. كونور يساعدهم على إدارة المكان».

قال نيلسون، مفكرًا في ما سمع: «ممم.. إنه على أرض هندية. أراهن أن «المحظوظين» النتنين دائمًا ما يوفرون ملاذًا للهاربين من التفكيك».

وضع المسدس في حجره، ومال إلى الخلف في مقعده، قائلًا: «الآن، لديَّ معضلة. من بين كل الهاربين من التفكيك، الذين زُرِعَتْ بهم شريحة تتبع، لم يذهبْ أحد منهم في هذا الاتجاه. من ينبغي أن أصدق إذن؟ أنت أم بياناتي؟».

سأله ليف بسرعة: «أين كانوا عندما زرعتَ بهم الشريحة؟ إذا كانوا غرب «بيتسبرج»، فمن المحتمل أن يذهبوا إلى مكان آخر إذا التقطتْهم المقاومة، ولا تسألني أين، لأنني لا أعرف!».

ابتسم نيلسون، قائلًا: «أتعلم؟ أنا سعيد للغاية، لأنك لم تفجِّر نفسك العام الماضي أيها الشاب. لأنك قد أنقذتَ للتو حياة هذه الفتاة. هذا طبعًا، لو افترضنا أنك تقول الحقيقة».

قال ليف: «لو كنتُ أكذب، يمكنك أن تعود وتقتل كلينا».

جعل هذا نيلسون يضحك، قائلًا: «إذا اتضح أنك تكذب، كنت سأفعل ذلك على أيِّ حال، لكنْ شكرًا لك على منحي الإذن بقتلكما».

ثم غادر دون أن يحاول تحريرهما من قيودهما.

***

54 - ليف

سألتْ ميراكولينا: «هل كنتَ تقول الحقيقة؟».

قال ليف، تحسبًا لأن يكون نيلسون يواصل التنصت عليهما: «طبعًا».

بعد لحظاتٍ قليلة، سمع صوت تشغيل محرك شاحنة نيلسون، وانطلاقها. الحقيقة هي أن ما قاله ليف لم يكن مهمًّا؛ المهم هو أن يصدقه نيلسون. استخرج ليف الموقع من ذاكرته، لقد زار «كهوف الصدى الهندية» مع أسرته منذ سنوات عدَّة. تذكر أن المرشد قال وقتها إن المكان كان مخبأً للخارجين عن القانون. ظلَّ ليف قريبًا من والدته، خوفًا من احتمال أن يكون هؤلاء الخارجين عن القانون ما زالوا يتربصون في شقوق غامضة. لم يكن ليف يعرف هل كان الهاربون من التفكيك يختبئون هناك حقًّا، أم لا. كان يأمل ألا يكونوا هناك، خصوصًا بعد أن دلَّ نيسلون على المكان.

سألته ميراكولينا: «ماذا نفعل إذن؟ لو أمسك بصديقك، فلن يعود، وسنتضور نحن جوعًا حتى الموت، وإذا لم يكن صديقك هناك، فسيعود ويقتلنا».

- ظننتُ أنكِ لستِ خائفة من الموت.

- هذا حقيقي. أنا لا أريد موتًا بلا معنى فحسب.

- لن نموت، إذا ساعدتِني.

ثم بدأ يتدحرج على سريره للأمام، والخلف. كانت يداه مثبتتين بإحكام بالقيود السلكية في عمودين من أعمدة السرير المعدنية، لكنَّ قدميه كانتا حرتين، وقادرتين على الاهتزاز بشكل متوالٍ. ألقى بثقله يسارًا، ثم يمينًا، مرارًا وتكرارًا، فبدأ السرير يكشط الأرض من تحته بسبب حركته. كان يحاول

قلب السرير، لكنه لم يستطع، وفي النهاية اضطُرَّ إلى الحصول على بعض الراحة.

قالت ميراكولينا، مشيرة إلى ما هو أكثر من واضح: «هذا لا يُجدي».

- إذن ربما يجب أن تبدئي الصلاة. إنني سأفعل بالتأكيد.

بعد بضع دقائق من الراحة، حاول مرة أخرى. هذه المرة أمكنه تحريك السرير أكثر قليلًا باهتزازه، إلى أن علقت إحدى الأرجل في أحد الألواح غير المستوية في الأرضية. هنا، عندما عاد يهز السرير، أخذت الأرجل على الجانب الآخر ترتفع قليلًا عن الأرض. كان يفقد قوته، والقيود البلاستيكية المحفورة في معصميه تؤلمه. اضطُرَّ إلى أن يتوقف، لكنْ بعد بضع دقائق من التعافي، حاول مرة أخرى، وأخرى، في كل مرة كان يقترب مما يتطلبه الأمر بالضبط من قوة، وعزم. وفي النهاية، تأوَّه وهو يصرُّ على أسنانه، وألقى بكل ثقله نحو الجدار البعيد، ساحبًا ذراعيْه عمليًّا من منبتيهما، ليرتفع السرير، متأرجحًا كعملة معدنية بين الوجه والظهر، ثم انقلب رأسًا على عقب. الإطار المعدني والمرتبة سقطا فوقه. اصطدم مرفقا ليف بشكل مؤلم بالأرضية الخشبية المتعفنة، وانغرزتْ في جسده الشظايا الناتجة عن الحفر في الأرض. في وجود السرير فوقه، استعاد ذكرياته في لحظة انفجار منزل المدينة، وكيف علِق أسفل الأريكة.. تذكر وجه أخيه، ووجَّه القس دان. حاول أن يستمد قوته من تلك اللحظة، بدلًا من أن يغمره الحزن.

سمع ميراكولينا تقول، رغم أنه لم يستطعْ رؤيتها: «لقد فعلتَها! كان ذلك عظيما! ماذا سيحدث الآن؟».

- لا أعرف بعد.

ظلتْ يدا ليف مربوطتين بشكل مؤلم بقضبان واجهة السرير المعدنية. استطاع أن يرى مدى شدة نزيف معصميْه، وكان على يديه أيضًا صدأ. فكَّر في مرض «التيتانوس»، وكيف يُوجِّهونك دائمًا للحصول على تطعيم «التيتانوس» عندما تخطو على مسمار صدئ، أو شيء من هذا القبيل. فكر في كيف دمر الصدأ السياج الحديدي في منزل أسرته على الشاطئ، بسبب التعرض للهواء المالح. دمَّره الصدأ.. نظر إلى المكان الذي تتصل فيه قضبان الواجهة بإطار السرير. كان القضيب المعلقة به يده اليسرى يعلوه الصدأ عمليًّا بالكامل. تجاهل الألم مرة أخرى، وأخذ يجذب يده، حتى انكسر القضيب أخيرًا وتحررت يده.

سألته ميراكولينا: «ماذا يحدث عندك بأسفل؟».

مد يده ممسكًا بيدها، بدلًا من إخبارها بالكلمات، فأخذت تلهث من عدم التصديق.

لم يكنِ القضيب الذي يُثبِّت يده اليمنى في حالة ضعف الآخر، لكنه كان صدئًا وخشنًا أيضًا. أدرك أنه لن يتمكن من كسر هذا القضيب، كما فعل مع الآخر، لذا حاول تجربة أسلوب مختلف. بدأ يحرك معصمه إلى الأمام والخلف، ويكشط القيود البلاستيكية بالمعدن الصدئ الخشن. تآكل البلاستيك شيئًا فشيئًا، حتى انفكَّت القيود، وتحررتْ يده. مسح الدم عن معصميه في الفراش، ونهض واقفًا.

سألته: «كيف فعلتها؟».

قال لها: «قوى خارقة».

نظر إلى قيود ميراكولينا، ثم مد يده أسفل مرتبتها، ليجد المعدن الصدئ نفسه. سحب السرير بعيدًا عن الحائط، ووقف خلفه، وأخذ يركل القضبان، إلى أن انكسرت تلك المثبتة بها قيود ميراكولينا، فتحررتْ. جذبتْ يديها، وأخذتْ تزيل الطبقات البلاستيكية الملتفَّة حول مفاصل أصابعها.

سألها ليف: «هل أنتِ بخير؟»، فأومأتْ برأسها إيجابًا.

- حسنًا. فلنخرج من هنا.

لكن في اللحظة التي ألقى فيها بثقله على كعبه الأيمن، تجهَّم وجهه، وبدأ يعرج.

سألته ميراكولينا: «ما هذا؟».

قال لها ليف: «أعتقد أن كعبي قد التوى، وأنا أركل القضبان». تركته يستند إليها، وساعدته على السير.

عندما فتحا الباب الأمامي، اتضح مكان احتجازهما. كان كوخًا في الغابة، لذا كان من الممكن أن يصرخا بكل قوتهما أيامًا، دون أن يسمعهما أحد.

وجدا طريقًا ترابيًّا يؤدي إلى ما أمِل ليف أن يكون طريقًا رئيسيًّا. حاول تحميل ثقله على كعبه، لكنه تجهَّم مرة أخرى، لذا واصلتِ السماح له بإحاطة كتفها بذراعه، وقَبِلَ هو مساعدتها بامتنان.

وعندما أصبحا على مسافة بعيدة من الكوخ، قال: «سأحتاج حقًّا إلى مساعدتك الآن. عليكِ أن تساعديني في تحذير صديقي».

ابتعدتْ عنه، فكاد يسقط، لكنه تمكن من الحفاظ على توازنه.

- لن أفعل شيئًا كهذا. صديقك لا يعنيني.

- أرجوكِ، انظري إليَّ. إنني بالكاد أستطيع المشي، لا أستطيع الوصول إلى هناك بمفردي.

- سأوصلكَ إلى المستشفى.

هز ليف رأسه، قائلًا: «عندما ذهبتُ إلى «قصر كافينو»، انتهكتُ شروط الإفراج المشروط. إذا أمسكوا بي، سأُسجَن إلى الأبد».

- لا تُلقِ اللوم عليَّ في ذلك!

ذكَّرها ليف: «لقد أنقذتُ حياتكِ للتو.. لا تردي لي المعروف، بتدمير حياتي».

واجهتْه بنظرة كراهية، تكاد تقارب نظرتها إليه في اليوم الذي التقيا فيه لأول مرة، ثم قالت: «قرصان الأعضاء سيصل إلى الكهوف قبلنا. ما الهدف من الذهاب؟ (ثم تأملتْه لحظةً، كأنها تقرأ أفكاره، وقالت) إن صديقك ليس في الكهوف، أليس كذلك؟».

- نعم.

تنهدت، قائلة: «طبعًا نعم».

***

55 - ميراكولينا

لم تكنْ ميراكولينا فتاة تندفع في سلوكها. لا بدَّ من التخطيط جيدًا لكل الأمور، واستغراق الوقت الكافي للاستقرار على ما يجب فعله، قبل التنفيذ. حتى هروبها من «قصر كافينو» لم يكن تصرفًا عشوائيًّا، بل نتيجة إعداد دقيق. لذلك، لم تكنْ مستعدةً قطُّ للجنون الذي سيطر عليها، وهي تقف على ذلك الطريق الترابي مع ليف.

قالت له: «سأتواصل مع والديَّ، قبل أن أساعدك على الوصول إلى أي مكان».

أدركتْ أنها بقولها هذا، فقد دخلتْ معه في مفاوضات. كانت في الواقع تفكر في الذهاب معه. ربما كان هذا بسبب اضطراب ما بعد الصدمة.

- لا يمكنكِ الاتصال بوالديكِ. إذا فعلتِ، فسيعرفان أن حافلة الأعشار لم تتعرضْ لهجوم من جانب قراصنة الأعضاء. وبهذا تتعرض عملية كافينو بأكملها للخطر.

سألتْه: «إذا كنت تهتم كثيرًا بهذا الأمر، فلِمَ هربتَ؟».

استغرق لحظة قبل أن يجيب، ليبدِّل تحميل ثقل جسمه إلى جانبه الآخر، وقال: «عملهم جيد. إنه لا يخصني فحسب».

كان يسبب لها الحيرة. دوافعه.. نزاهته الضبابية. كان من السهل اعتبار ليف «جزءًا من المشكلة» عندما لم تكن تعرفه، لكنَّ الأمر الآن ليس بهذه السهولة. إنه متناقض. هذا الصبي كاد يُفجِّر نفسه في محاولة لقتل الآخرين، ومع ذلك فقد عرض على القرصان حياته في سبيل إنقاذ حياة ميراكولينا. كيف يمكن لشخص أن ينتقل من عدم احترام حياة الآخر، إلى الاستعداد للتضحية بنفسه من أجل شخص يعرفه بالكاد؟ كان هذا يتعارض مع

الحقائق التي حدَّدت حياة ميراكولينا. الأشرار سيئون، والأخيار صالحون، والوقوع بينهما مجرد وهم. لا يوجد رمادي.

طالبتْه بثبات: «سأتصل بوالديَّ، وأعلمهما أنني حيّة.. مجرد معرفة أنني حيَّة، سيسعدهما».

- قد يتتبع أحدهم المكالمة.

- إننا سنتحرك، أليس كذلك؟ إذا أبلغ والدايَ سلطة الأحداث عن ذلك، فلن يعرفا إلا أين كنا، وليس إلى أين نحن ذاهبان.. (ثم سألته) إلى أين نحن ذاهبان؟

قال ليف: «أعتقد أن بإمكانكِ الاتصال بوالديكِ، لكنْ لا تسألي إلى أين نحن ذاهبان. كلما قل ما تعرفينه، كان ذلك أفضل».

ورغم أن هذا أرسل علامة تحذير حمراء، أخذتْ ترفرف فوق رأسها، فإنها قالت: «حسنًا..(ثم وضعتْ يديها على أعلى ساقيها) ويمكنكَ التوقف عن التظاهر بأن كعبكَ يؤلمكَ. هذا من شأنه أن يبطئ تقدمنا فحسب».

حمَّل ليف كامل وزنه على كعبه، مانحًا إياها ابتسامة صغيرة شريرة. في تلك اللحظة أدركتْ ميراكولينا أنها خسرت هذه المفاوضات قبل أن تبدأ. لأنه قبل حتى أن يطلب منها أن تأتي معه، كان جزء منها -خفي حتى عنها- قد قرَّر فعلًا أنها ستفعل.

****

56 - ليف

اختلفتِ الرحلة إلى المقبرة في نظر ليف عن رحلته الأولى. لم يكنْ لتلك الرحلة الأولى وجهة محددة، بخلاف دوامة انحدار بطيء، وقد قام بها في حين كانت جروح روحه طازجة للغاية، وكان مُهيَّئًا للتجنيد من قِبل المصفِّقين. كان يشعر بالضياع، ولا يجد أي وسيلة حقيقية للتعامل مع غضبه.

في البداية كان هناك ساي-فاي، والصبي في رأس ساي-فاي الذي لم يكن يعرف حتى إنه قد تفكك فعلًا. ثم تُرِكَ ليف وحده ليدافع عن نفسه، فريسة للمتربصين في القاع، وهم يعادلون البعوض دهاءً في التخفي. قد يُقدِّمون المساعدة، أو المأوى، أو الطعام، لكنَّ لهم جميعًا مخططات خفية من نوع ما لمص الدماء. وجوده لمدة قصيرة وسط قوم «المحظوظين»، عزَّز من قوته، لكنْ حتى ذلك انتهى بتورطه في مشكلة كبيرة ومؤسفة مع قرصان أعضاء. الوقت الذي قضاه ليف في العيش بعيدًا عن الأنظار، جعله واسع الحيلة، وقادرًا على التعامل بذكاء في الشوارع. لقد زادتِ التجارب الهمجية التي واجهها في الحياة من قوته. في تلك الأيام القاتمة، لم تكن فكرة تفجير نفسه -وأخذ أكبر قدر ممكن من العالم معه- لتبدو كفكرة سيئة.

لكنه لم يعدْ في ذلك المكان المظلم الآن، وبات يعلم أن بصرف النظر عما يحدث له، فلن يجد نفسه في ذلك المكان مرة أخرى.

نزولًا على رغبة ميراكولينا، أخذ ليف خلسة هاتفًا محمولًا من جيب معطف أحد رجال الأعمال، حتى تتمكن من الاتصال بمنزلها. كانت المكالمة قصيرة -وكما وعدت- لم تقدم معلومات أكثر من حقيقة أنها حيَّة، وقطعت الطريق على استفسار والدتها السريع، بإنهاء المكالمة بسرعة.

حدَّقت إلى ليف، قائلة: «أأنت سعيد هكذا؟ جعلتُ المكالمة قصيرة ولطيفة».

أصرَّت على إعادة الهاتف إلى جيب رجل الأعمال نفسه، لكنه كان قد رحل منذ مدة طويلة، لذا أسقط ليف الهاتف في جيب رجل مماثل.

في ظل عدم امتلاكهما المال، فكل ما كانا يحتاجان إليه، وجب عليهما سرقته. استخدم ليف نسخًا أكثر اعتدالًا من حيل البقاء التي تعلمها لأول مرة في الشوارع. فمثلًا «حطِّم، واخطف» طبَّقها دون التحطيم؛ «اكسر الأبواب والنوافذ، وادخل» طبقها دون أي كسر فعلي. الغريب أن ميراكولينا لم تمانع قطُّ في السرقة.

قالت له: «إنني أعد قائمة بكل الأشياء التي نأخذها، ومن أين نأخذها.. كل شيء سيُدفع ثمنه بالكامل قبل تفكيكي».

ومع ذلك، فإن حقيقة أنها سمحتْ بالالتفاف حول قانونها الأخلاقي، أعطت ليف الأمل في أنها قد تلتف حوله بما يكفي للتخلص من تمسكها بنذر العُشر.

كان يعلم أن الوقت عامل جوهري. فنيلسون هو نوع من الكلاب البشرية المتعطشة إلى الدماء، والذي لن يستسلم، وسيصبح أكثر شراسة، بمجرد أن يدرك أن ليف قد كذب عليه. كان عليهما تحذير كونور.

كل من ليف وميراكولينا كانا لا يجيدان القيادة، ولا يبدوان في عمر مناسب للإفلات من العقاب، لو كانا يجيدانها، والمراهقون في مثل عمرهما الذين يسافرون في وسائل النقل التقليدية يكونون مُلاحَظين بوضوح، كأصابع الإبهام الملتهبة. لذلك كان عليهما أن يركبا وسيلة نقل دون أن يلاحظهما أحد. الحاويات ذات الثمانية عشر إطارًا، عندما يتمكنان من الدخول، تكون هناك أغطية لأسرَّة الشاحنة، فيختبئان أسفلها. تعرضا للطرد أكثر من مرة، لكنْ لم يتبعهما أحد بجدية. من حسن الحظ، معظم الناس مشغولون أشياء أكثر أهمية من مطاردة صبيين.

بعد أن هربا من سائق شاحنة عدواني للغاية، طاردهما بإطار حديدي لمسافة عشر ياردات، صرخت ميراكولينا: «أنا أكره ما نفعله، وكيف نفعله! أشعر بالقذارة، وبأنني لست إنسانة».

قال لها ليف: «هذا جيد.. الآن أنتِ تعرفين كيف يشعر هارب حقيقي من التفكيك».

اضطُرَّ إلى الاعتراف بأن العودة إلى الحياة اللاهثة أمر مبهج. في أول مرة سيطر عليه الإحساس بالخيانة والاغتراب والرغبة في النجاة. كان يكره ذلك الوقت، وما زالت تراوده كوابيس بشأنه، لكنَّ الاستسلام الآن للحدس، والدوافع اللحظية، واندفاع الأدرينالين، أشعره بالألفة، كما لو كان في المنزل، وليس طائرًا محبوسًا في قفص داخل «قصر كافينو». بدا أن بعض الإثارة المتولدة من الرغبة في النجاة، تداعب ميراكولينا، فكلما أفلتا من خطر ما، كانت تبدو على سجيتها، حتى إنها تبتسم.

قضيا أطول مرحلة من رحلتهما في مقصورة الأمتعة في حافلة «جرايهاوند»، حيث صعدا، ومكثا خلف الأمتعة بينما لم يكن أحد ينظر نحوهما. الحافلة، بدأت رحلتها من «تولسا»، متجهة إلى «البوكيرك»، على بعد ولاية واحدة فقط من وجهتهما.

- أستخبرني يومًا أين تنتهي هذه الرحلة؟

قال لها، أخيرًا: «إننا ذاهبان إلى «توكسون»». لكنه لم يذكر أي تفاصيل أكثر من ذلك.

غادرتِ الحافلة في الخامسة مساءً، وسارت طوال الليل. أوجدا لهما مكانًا مريحًا بشكل مقبول بين الأمتعة. ثم -بعد نحو ساعتين من الرحلة- أدرك ليف أنه في مشكلة. ورغم الظلام الدامس بالمقصورة الضيقة، كان واضحًا لميراكولينا وجود خطب ما، لأنها سألته: «ما الأمر؟».

قال ليف: «لا شيء... (ثم اعترف) أحتاج إلى التبول».

قالت ميراكولينا بصوت يظهر تفوقها، الذي لا بدَّ أن الأمر قد تطلب منها سنوات لتكتسبه: «في الواقع، لقد فكرتُ في هذا الأمر سلفًا، وذهبتُ إلى دورة المياه في محطة الحافلات».

في خلال عشر دقائق، أدرك ليف أن الأمر لن ينتهي بشكل محمود. سألته ميراكولينا: «هل ستبلل سروالك؟».

قال ليف: «لا!.. أفضِّل أن أنفجر».

- هكذا سمعتُ!

- يا لكِ منْ خفيفة الظل!

لكنْ عندما سارت الحافلة على طريق وعر، أصبح من الواضح بشكل مؤلم أن التحكم في الأمر لم يعد خيارًا مطروحًا. لن يحوِّل المقصورة إلى

مكان قذر.. ثم أدرك أن ما يحتاج إليه لامتصاص السائل، لا يتطلب سوى فتح سحاب أحد الامتعة فحسب. تحرك بعيدًا عن ميراكولينا، وبدأ يفتح إحدى الحقائب.

- أستتبول في حقيبة شخص ما؟

- ألديك أي أفكار أخرى؟

وفجأة بدأت ميراكولينا تضحك، وتضحك، ثم تقهقه وقد فقدت السيطرة على نفسها، وقالت: «سيتبول في حقيبة أحدهم!».

- اهدئي! أتريدين أن يسمعك الناس في الحافلة؟

لكنَّ ميراكولينا أصبحت خارج السيطرة. لقد دخلتْ في نوبة من الضحك الذي يؤلم معدتكَ في النهاية، وهي تقول: «سيفتحون حقيبتهم (تمايلت وهي تنفجر ضاحكة) ليجدوا ملابسهم مليئة بالبول!».

بالنسبة إلى ليف، لم يكن الأمر مضحكًا. فتح الحقيبة، وتحسس محتوياتها، للتأكد من أنها مجرد ملابس ولا توجد أي أجهزة إلكترونية، لأن الأمر سيكون سيئًا حقًّا. وقالت ميراكولينا، وهي تعجز عن التقاط أنفاسها: «وأنا التي اعتقدتُ أن الأمر سيئ، عندما انسكب الشامبو داخل حقيبتي!».

قال ليف: «شامبو! إنك عبقرية».

اندفع ليف يتحسس محتويات إحدى الحقائب، دون أن يرى، ثم أخرى، إلى أن عثر على زجاجة شامبو بحجم مناسب. ثم أفرغ الشامبو بشكل محموم في زاوية خزانة الأمتعة، ودون أن يخسر ثانية واحدة، استخدمها لقضاء حاجته، حتى امتلأت هي، وشعر هو بارتياح رائع. عندما انتهى، أغلق الزجاجة بإحكام. وفكر في إعادتها إلى الحقيبة، لكنه قرَّر أن من الأفضل تركها تتدحرج نحو الزاوية البعيدة لخزانة الأمتعة.

أطلق ليف تنهيدة مرتجفة، ثم عاد إلى مكانه بجوار ميراكولينا.

سألته: «هل غسلتَ يديك؟».

قال لها ليف: «أغسلهما؟ إن الشامبو يغطيهما!».

هنا أخذ كلاهما يضحك، وعندما تنفسا، ملأت رائحة شامبو زهر الكرز المنعشة الهواء من حولهما، وهذا ما جعلهما يضحكان أكثر، حتى أنهكهما الضحك.

وفي الصمت الذي سقط بعد ذلك، تغيَّر شيء ما. التوتر الشديد بينهما منذ اللحظة التي التقيا فيها تلاشى في تلك اللحظة. سرعان ما بدأتْ حركة الحافلة تبعث النعاس في نفسيهما. شعر ليف بميراكولينا تتكئ على كتفه. لم يتحرك، خوفًا من إيقاظها. كان مستمتعًا بإحساس وجودها بهذا القرب منه، وكان واثقًا أنها لم تكن لتفعل شيئًا كهذا قطُّ، لو كانت مستيقظة.

وهنا قالت، دون أي أثر للنوم في صوتها: «لقد سامحتكَ».

شعر ليف أن الفوران قد بدأ في أعماقه، تمامًا كما حدث في اليوم الذي أدرك فيه أن والديه لن يستعيداه أبدًا. كان تضخمًا عاطفيًّا لا يمكن احتواؤه، ولا توجد زجاجة في العالم كبيرة بما يكفي لاستيعابه. ورغم كفاحه لإبقاء تنهداته صامتة، ناء بها صدره، وأدرك أنه لن يكون قادرًا على التوقف، تمامًا كما عجزتْ ميراكولينا عن التوقف عن الضحك. ورغم أنها لا بدَّ قد أدركت أنه محمَّل بالدموع، فإنها لم تقلْ شيئًا، بل أبقتْ رأسها على كتفه فحسب، بينما تساقطتْ دموعه على شعرها.

طوال هذا الوقت، لم يدركْ ليف قطُّ ما يحتاج إليه. لم يكنْ بحاجة إلى من يُقدِّسه، أو يشفق عليه. كان بحاجة إلى من يغفر له. ليس الله الذي يمتلئ بالغفران بطبيعة الحال، ولا أشخاص مثل ماركوس والقس دان، ممن يقفون في صفه دائمًا. كان يحتاج إلى غفران عالم لا يغفِر.. إلى غفران شخص احتقره يومًا. شخص مثل ميراكولينا.

بمجرد توقف نحيبه الصامت، تحدثتْ إليه، قائلة: «أنت غريب الأطوار للغاية».

تساءل هل لديها أيُّ فكرة عن الهدية التي قدمتْها له للتو. كان واثقًا أنها تعرف. أدرك ليف أن عالمه مختلف الآن. ربما يكون السبب هو الإرهاق، أو الضغط العصبي، لكنه شعر فجأة -وسط خزانة الأمتعة تلك، التي يملأها الارتجاج، والارتداد، والشامبو الزلق- أن حياته لا يمكن لها أن تكون أفضل من ذلك.

أغلق هو وميراكولينا أعينهما واستسلما للنوم بسعادة، دون أن يلاحظا الشاحنة البنية، ذات السقف المنبعج، والنافذة الجانبية المحطمة التي كانت تتبع الحافلة منذ أن غادرت «تولسا».

***

57 - كونور

قال هايدن لكونور: «ثرثرة.. كل أنواع الثرثرة».

أخذ هايدن يذرع المساحة الضيقة في طائرة كونور جيئةً وذهابًا، واصطدم رأسه في السقف أكثر من مرة. نادرًا ما رأى كونور هايدن مضطربًا لهذه الدرجة. حتى تلك اللحظة، كان يتمكن دائمًا من إبقاء العالم على مسافة بعيدة عنهم.

- أيتردَّد ذلك الحديث على موجات شرطة «توكسون»، أم موجات فرق شرطة الأحداث أيضًا؟

قال له هايدن: «في كل مكان.. اللاسلكي، رسائل بريد إلكتروني، كل اتصال أمكننا اعتراضه. برامج التحليل تحثنا على إعلان حالة التأهب القصوى».

ذكَّره كونور قائلًا: «إنها مجرد برامج.. هذا لا يعني بالضرورة ...».

- هناك حديث يدور عنَّا على وجه التحديد. كثيرًا ما تكون الكلمات المشفرة، لكنْ من السهل فك شفرتها.

بدأ كونور يتساءل هل كان جنون ارتيابه قد أصاب هايدن أيضًا، وقال: «اهدأ فحسب، وأخبرني بالتفاصيل».

قال هايدن، وهو يواصل السير، محاولًا إبطاء تنفسه: «حسنًا.. وقعتْ ثلاثة حرائق في المنازل خلال الأسبوعين الماضيين. ثلاثة منازل في أحياء «توكسون» المختلفة احترقت بالكامل، وهم يلوموننا على ذلك».

ضم كونور قبضته. ربما كانت تلك القبضة الحديدية التي تحدث عنها الأدميرال. ألم يقل ترايس إن هناك أشخاصًا يتوقون -لسبب ما- إلى تدمير المقبرة؟ إذا لم يتمكنوا من العثور على سبب، فسيكون من السهل جدًّا اختلاق سبب.

سأل كونور: «أين ترايس؟ لو أن هناك شيئًا ما يحدث فعلًا، سيعرف».

نظر إليه هايدن في حيرة، قائلًا: «ترايس؟ لماذا يعرف ترايس؟».

- لا تهتم بالسبب، سيعرف فحسب. يجب أن أتحدث معه.

هز هايدن رأسه، قائلًا: «لقد اختفى».

- ماذا تعني بقولك «اختفى»؟

- لم يرَه أحد منذ أمس. اعتقدتُ أنكَ أرسلته في مهمة ما.

لكم كونور الجدار، محطمًا الألياف الزجاجية الداخلية لطائرة الشركة: «اللعنة!». إذن فقدْ حدَّد ترايس أخيرًا في أي جانب هو، ومن دونه، ليستْ لديهم خطة للهروب. لا أحد سوى ترايس يمكنه قيادة «الدريملاينر».

قال هايدن، مترددًا لمدة كافية حتى يعرف كونور أن هناك دفعة أخرى من الأخبار السيئة: «هناك المزيد.. كل المنازل الثلاثة كان بها مفككون، وقد احترقتْ في اليوم السابق لذلك المقرر أن تأخذهم فيه دوريات شرطة الأحداث إلى مخيمات الحصاد. بالمراجعة، وجدتُ هؤلاء الصبية على قائمتنا. وكان الثلاثة كلهم من المنقولين».

***

- فيم كنتَ تفكر بحق الجحيم؟

لم يخفِ كونور غضبه، وهو يقتحم طائرة الألعاب الرياضية «جيمبو»، حيث يتمرَّن ستاركي، كأنه لا يهتم بالعالم.

- لا أعرف ما الذي تتحدث عنه.

- أنت كاذب!

ترك الصبية الآخرون حولهما الأجهزة الرياضية، مقتربين ببطء، وهم يتخذون أوضاع تهديد. هنا فقط أدرك كونور أن ستاركي قد أحاط نفسه تمامًا بأعضاء «نادي المنقولين». لم يكن بينهم صبي واحد تربى مع والديْه البيولوجيين.

سألهم كونور: «كم منكم كانوا معه؟ كم منكم في مثل جنونه؟».

اتجه ستاركي إلى صبي يجلس على مقعد جانبي، وكان يبدو غاضبًا وخائفًا في الوقت نفسه، وقال: «دعني أريكَ شيئًا يا كونور.. أريدكَ أن تقابل جاريت باركس، أحدث عضو في «نادي المنقولين». لقد حررناه الليلة الماضية».

نظر كونور إلى الصبي. كانت إحدى عينيْه تحيطها كدمات سوداء، وشفته منتفخة. لقد استُخدِمتْ معه القسوة الشديدة في أثناء «تحريره».

سأله كونور: «لقد أحرقوا منزلكَ، أنت تعرف هذا، أليس كذلك؟».

لم يستطعِ الصبي أن ينظر إلى عيني كونور، وقال: «نعم.. أعرف».

وأضاف ستاركي: «إنه يعلم أيضًا أن والديْه المزعومين كانا على وشك التخلص منه. لقد أنقذناه، وأرسلنا رسالة».

- نعم، لقد أرسلتَ رسالة، لا بأس. رسالتكَ وصلت إلى شرطة الأحداث. لقد أخبرتَهم أن الوقت قد حان لتدميرنا جميعًا. أنت لم تنقذه، لقد أدنته. لقد أدنتنا جميعًا! هل تعتقد حقًا أنهم سيقفون ساكنين، بينما نحرق المنازل؟

عقد ستاركي ذراعيْه أمام صدره، قائلًا: «دعهم يحاولون القضاء علينا. لدينا أسلحة. سنقاتلهم».

- كم من الوقت يمكننا أن نصمد في اعتقادك؟ ساعة؟ اثنتين؟ مهما كان عدد الأسلحة التي لدينا، لديهم أكثر منها، وسيستمرون في المجيء والهجوم، حتى يقتلونا جميعًا أو يأسرونا.

أخيرًا، بدأ ستاركي يُبدي لمحة من التردد. صاحتْ بام، وهي تُحدِّق إلى كونور، تمامًا كما فعلتْ في اليوم الذي فصلها فيه: «أنت مجرد جبان».

ردَّد الآخرون: «نعم، نعم، جبان».

أعطتْ جوقة الدعم ستاركي كل التسويغ الذي يحتاج إليه لدفن أي شكوك تراوده، تحت ثقته العمياء، فقال: «لقد قضيتُ هنا وقتًا كافيًا لأعرف أنك لستَ سوى جليس أطفال. إننا بحاجة إلى ما هو أكثر من ذلك. نحن بحاجة إلى شخص لا يخشى نقل هذه المعركة إلى الشوارع. منحتكَ كل الفرص حتى تغادر بإرادتك، لكنكَ أبيتَ أن تذهب. إنك لا تترك لي أيَّ خيار سوى تنحيتك بالقوة».

- لن يحدث.

كان من الواضح أن التفوق العددي ليس في صالح كونور. شكَّل المنقولون التابعون لستاركي دائرةً تضيق من حوله، لكنَّ ستاركي لم يكنِ الوحيد الذي يمتلك حيلًا في جعبته. فجأة، ظهر هايدن وستة مراهقين آخرين، كانوا ينتظرون في الخارج، وبدأوا يعبرون الباب، ويطلقون مسدسات التهدئة على كل منقول يقابلهم، حتى أصبح نصف الدائرة المقربة من ستاركي فاقدي الوعي على أرضية الطائرة، وألقى الآخرون أسلحتهم.

نظر كونور مباشرة إلى عيني ستاركي، وقال: «ضعوا الأصفاد في يديه».

قال هايدن، وهو يشد يدي ستاركي خلف ظهره، ويقيدهما معًا: «بكل سرور».

كانت حماقة كبيرة من كونور أن يثق به، معتقدًا أن طموح ستاركي كان صحيًّا وليس أعمى.

قال ستاركي، وهو يواصل التحدي: «الفارق بيني وبينك يا كونور هو أن...».

- هو أنك مقيد اليدين، وأنا لست كذلك. أخرجوه من هنا.

عند سماع صوت طلقات مسدسات التهدئة، تجمع العشرات من الصبية أمام «الجيمبو»، فيما كان رجال كونور يسحبون ستاركي إلى الخارج، ويهبطون به الدرج.

قال كونور: «ضع فريقه الصغير المتمرد في طائرة الاحتجاز مع اثنين من الحراس المسلحين».

سأله هايدن: «وستاركي أيضًا؟».

كان كونور يعرف أنه لا يستطيع وضع ستاركي في مكان الاحتجاز نفسه مع شركائه المتحالفين معه. سيؤدي ذلك فقط إلى مزيد من التآمر.

أمره كونور: «لا. احبسه في طائرتي». وهنا ألقى أحد الصبية الذين يمسكون ستاركي به أرضًا، لكنَّ كونور سحب الصبي إلى الخلف، قائلًا: «لا! نحن لسنا شرطة الأحداث. عامله بكرامة. سواء أكان يستحق ذلك أم لا».

أطاعوه، لكنْ لم يحاول أحدهم مساعدة ستاركي على النهوض. ولأن يديه كانتا مقيدتين خلف ظهره، اضطُرَّ إلى أن يتأرجح ويلوي جسده، حتى يتمكن من الوقوف على قدميه، ثم صرخ: «هذا لم ينتهِ بعد!».

- نعم، هذا ما يقولونه دائمًا عندما يكون الأمر قد انتهى فعلًا.

اصطحبوا ستاركي بعيدًا، وبدأ كونور يعمل على السيطرة على الضرر الذي وقع. استمع لمحادثات الصِّبية خلال شبكة الاتصالات المؤمنة. بعضهم كان يتساءل فحسب عما حدث بحق الجحيم، لكنْ كانت هناك أصوات أخرى. الأصوات الرافضة. أعضاء «نادي المنقولين». تساءل عن مدى الدعم الموجه لستاركي. قد يكون عرضه ميلًا، لكنَّ كونور كان يأمل أن يكون عمقه بوصة واحدة فقط.

قال كونور: «استمعوا إليَّ جميعًا. (مدركًا أن عليه أن يقنعهم بنفسه كقائد لهم، أكثر من أي وقت مضى) سواء كنت منقولًا، أو من نزلاء ملاجئ الولاية، أو نشأت مع والديك البيولوجيين، علينا أن نتحد الآن. ما نفعله الآن سيقرر هل

كنا سنعيش، أم نموت. رجال شرطة الأحداث على وشك اتخاذ خطوة. علينا أن نعمل معًا، إلا إذا كنت تريد أن ينتهي بك الأمر مفككًا إلى أجزاء».

استُقبِل خطابه بتأكيدات، وإحساس بالتضامن، إلى أن سأل شخص ما في الخلف: «ماذا عن ستاركي؟».

هنا انتظر الجميع، ليروا ماذا سيقول كونور.

قال لهم كونور: «ستاركي واحد منا. ولن أسمحَ بتفكيك أحد منا».

***

في عدم وجود أحد يمكنه قيادة «الدريملاينر»، لا وجودَ لخطة هروب، لذلك طلب كونور الاجتماع بهايدن وآشلي وستة آخرين، بعضهم من «قدس المكتملين»، وصبية آخرين كان يعرف أن بإمكانه الثقة بهم. اجتمعوا في «الكومبوم» -باعتبارها غرفة حرب مؤقتة لمواجهة حالة طوارئ عامة غير متوقعة- ووضع كونور خطة بديلة، دون إعداد سابق.

- سنكوِّن جبهتين، تتمركزان هنا وهنا.. (أشار إلى خريطة مرسومة باليد للمقبرة) سيأتي رجال شرطة الأحداث من خلال البوابة الشمالية. بمجرد دخولهم، سنقودهم مباشرة إلى نهاية الممر الرئيسي، ثم ننصب كمينًا من الجانبين، بقرابة خمسين رجلًا منَّا.

سأل هايدن: «أسنستخدم الذخيرة الحية؟».

- سنضربهم بكل ما لدينا. ذخيرة حية، رصاصات تهدئة، كل شيء.

أوضحتْ آشلي: «سيكون لديهم ذخائر أكثر مما لدينا. مهما فعلنا، سيصمدون أكثر منا».

قال لها كونور: «نعم، لكنَّ الأمر كله يتعلق بكسب الوقت. عندما تنخفض ذخيرتنا، سنتراجع إلى هنا، خلف ناقلة الوقود، شرق الطائرات المقاتلة».

سأل صبي آخر: «ألن يحاصرونا؟».

- عندما يبدأون في الاقتراب، سننفجر الناقلة ونهرب شرقًا.

قالت آشلي: «لن ننجح أبدًا!».

- لكنْ سيتحقق الهدف، رغم ذلك. في الثانية التي يواجه فيها زملاؤنا الخمسون شرطة الأحداث، سيكون أكثر من ستمائة وخمسين صبيًّا منتشرين جهة الجنوب (وعلى الخريطة، رسم كونور نمط توزيع

الصبية، على شكل مروحة باتجاه السياج الجنوبي البعيد) هذا السور مليء بالثقوب.

أومأ هايدن برأسه، علامة الفهم، مشيرًا إلى الممر الرئيسي، وقال موضحًا: «وهكذا، إذا أدى الخمسون صبيًّا عملهم هنا، ثم قادوا فريق شرطة الأحداث إلى الشرق، وأبقوهم منشغلين وشتتوا انتباههم، ففي الوقت الذي سيدركون فيه أن الآخرين يهربون، لن يكونوا قادرين على الإمساك بهم».

- قد يتمكنون من الإيقاع بالبعض، لكنَّ الآخرين سيتمكنون من الهرب. سيكون كل منهم بمفرده مرة أخرى، لكنْ على الأقل سيكونون أحياء ومكتملين.

ثم أتى السؤال الكبير: «ماذا عن الخمسين رجلًا؟».

في النهاية، كان على كونور أن يجيب: «سنضحي بأنفسنا حتى ينجو الآخرون». أمكنه في الواقع سماع صوت حركة تفاحة آدم في عنق هايدن وهو يزدرد لعابه، قبل أن يقول: «هذا سيجعل مستقبلي في مجال البث الإذاعي في خطر شديد للغاية».

قال كونور: «لو أن أيًّا منكم لا يرغب في التطوع لهذا الأمر، فلن أحاسبه أو أشعر بضغينة تجاهه لو غادر»، لكنَّ الجميع كان يعرف أن قوله هذا أشبه بتساؤل القس هل كان هناك أي شخص يعترض على عقد الزواج.

عندما لم يرفع أحد يده، قال: «حسنًا، أحسنتم. فليكوِّن كل واحد منكم فريقًا من أكثر الأصدقاء الموثوق بهم، استعدادًا لمواجهة رجال شرطة الأحداث، ثم أخبروا الآخرين بالبدء في الهرب عند سماع صوت الإنذار، وعدم التوقف عن الركض، إلا لو قُبِضَ عليهم، أو بلغوا السابعة عشرة من عمرهم».

سأل أحد الحاضرين: «لِمَ الانتظار حتى يدق الإنذار؟ لِمَ لا نهجر المقبرة الآن؟».

أوضح كونور: «لأنهم يراقبون كل تحركاتنا الآن. إذا رأونا وقد بدأنا نغادر، فستصطف فرق سياراتهم مُطوِّقة محيط السور، قبل أن نصل إلى هناك، ويمكنهم اصطيادنا كالأرانب، لكنْ إذا انغمستْ كل قواتهم في هجوم أمامي واحد، فعندئذٍ سيصبح لدينا باب خلفي نغادر منه بأمان».

وافق الجميع على منطق كونور. وبدا أنه الوحيد الذي كان يعرف أنه يرتجل دون خطة محددة.

سألت آشلي: «كم لدينا من الوقت؟».

فسَح كونور المجال إلى هايدن للإجابة عن هذا، فقال لها هايدن: «أيام إذا كنا محظوظين.. ساعات إذا لم نكن كذلك».

58 - ترايس

بينما كان كونور يعقد اجتماع قمته، كان ترايس يكسر جميع حدود السرعة، عائدًا إلى المقبرة. لقد استدعوه لعقد اجتماع طارئ مع «أصحاب العمل»، حتى يؤكد لهم أن الهاربين من التفكيك بالمقبرة، هم من كانوا خلف حرائق المنازل في «توكسون». كان هناك ما يكفي من الأدلة لتوجيه أصابع الاتهام إلى المقبرة، لذا لم يكنْ من المنطقي إنكار ذلك. ما أراد مرتدو الحلل في «المواطنة الاستباقية» معرفته هو السبب الذي دفع ترايس إلى عدم إخبارهم بهذه الهجمات سلفًا. في النهاية، كان هذا هو الهدف الأساسي من وجوده هناك، أن يبلغهم بكل شيء قبل حدوثه. لقد رفضوا تصديق أنه بوغت بالأمر، تمامًا كما حدث معهم.

سألوه: «هل لديك أي فكرة عن الموقف الذي يضعنا فيه هذا؟ سلطة الأحداث تريد مداهمة المكان، وبهذه الهجمات على الأحياء المدنية، لن نتمكن من إيقافها».

- ظننتُ أنكم تسيطرون عليهم.

قال مرتدو الحلل في تناغم غاضب: «علاقتنا مع سلطة الأحداث أكثر تعقيدًا من فهمك المبسط للعبة أيها البوف». ثم أخبروه أن مهمته قد انتهت، بداية من تلك اللحظة.

لكنْ بالنسبة إلى ترايس، لم تعدْ هذه مجرد مهمة. وانتهى وقت اللعب على الحبلين. لذا، أعد نفسه للمعركة، وانطلق مسرعًا إلى المقبرة كراكب أمواج يطارده تسونامي.

عند الغسق، وقف يصيح ويطلق نفير سيارته بلا توقف أمام البوابة المغلقة، حتى خرج الحارسان المراهقان المناوبان ليستطلعا سبب الضجة. عندما رأيا ترايس، فتحا البوابة.

- يا إلهي! أتريد أن توقظ «توكسون» كلها يا ترايس؟

ضحك الصبي الآخر المناوب، قائلًا: «لا شيء سيوقظ «توكسون»».

فكر ترايس: «يا للوغدين المسكينين. ليست لديهما فكرة عما هو قادم». نظر إلى البندقيتين اللتين يحملانهما في لا مبالاة، مثل إكسسوارات الموضة، وسألهما: «هل توجد رصاصات تهدئة في هاتين؟»

قال الصبي الأول: «نعم».

مد ترايس يده إلى مقعد الراكب في سيارته الجيب، وسلَّمهما صندوقين من الذخيرة العسكرية الأكثر فتكًا. كانت قذائف يمكنها الإطاحة برأس فيل، وقال: «استبدلا بها هذه».

نظر الصبيان إلى القذائف، وكأنما قد تسلَّما مولودًا جديدًا، ويخشيان أن يسقط أرضًا.

- ضعاها سريعًا في سلاحيكما، وفي المرة التالية التي تريان فيها شخصًا متجهًا نحو البوابة، أطلقا النار أولًا، ولا تتوقفا حتى تنفد الرصاصات، هل تسمعانني؟

قال الصبي الأول: «نعم يا سيدي». أما الصبي الآخر، فقد هز رأسه في صمت.

- لماذا يا سيدي؟

- لأن شرطيي الأحداث خلفي مباشرة!

***

59 - ليف

كان الغسق يقترب من نهايته، عندما وصل ليف وميراكولينا إلى الطريق الذي يطل على الحافة الشمالية للمقبرة. كانا يسيران على الأقدام. على الطريق، أشارت لافتة قديمة صدئة إلى الأمام، نحو ما كان سابقًا قاعدة «ديفيس» الجوية. كان الشكل الباهت للطائرة المنتصبة في الصحراء على بعد أكثر من ميل من السياج ظاهرًا للعيان.

- قاعدة جوية؟ صديقك يتحصن في قاعدة جوية؟

قال لها ليف: «لم تعدْ قاعدة، ولم تكنْ كذلك منذ وقت الحرب. إنها ساحة لتكهين الطائرات».

- إذن، فإن إوُول آكرون يختبئ في إحدى تلك الطائرات؟

- ليس هو فحسب، وليست طائرة واحدة فقط.

بدا أن السور مستمر إلى الأبد. كل بضع دقائق، تمر السيارة في طريقها إلى «توكسون» أو مبتعدة عنها. عرف ليف أن السائقين لا بدَّ أنهم يرونهما ويتساءلان عما يفعله مراهقان في مثل هذا المكان، لكنه لم يهتم. لقد أصبح على وشك الوصول، ولن يضيعَ الوقت في الاختباء من المصابيح الأمامية للسيارات.

- أعرف أن البوابة هنا في مكان ما. إن عليها حراسة، لكنهم سيتعرفونني ويسمحون لنا بالدخول.

- أأنت واثق من ذلك؟ ليس كل من في العالم مثل الأعشار الذين يقدسونك.

أخيرًا، ظهرت البوابة، فأسرع ليف الخطى.

صرخت ميراكولينا: «تمهل!».

صرخ ليف بدوره: «الحقي بي».

عندما اقترب من البوابة، رأى أحد الصبية الذين كانوا في نوبة حراسة يسرع لاستقباله. كان بين يدي الصبي شيء ما، لكنْ أمسى الظلام شديدًا، بحيث لم يتمكن من رؤية طبيعته حتى فوات الأوان، ودوًّى صوت رصاصة في الغسق المحتضر.

***

60 - ستاركي

منذ اللحظة التي وُضِعَتْ فيها الأصفاد على معصميْ ستاركي، بدأ فاصل هروبه. لم يكن بحوزته مفتاح سري، ولا سكين في حذائه لفتح القفل، لكنَّ الخبير الحقيقي يعرف كيف يرتجل.

احتفظ بسرعة بديهته عندما أحضروه إلى طائرة كونور، وقمع غضبه بسبب الإذلال الذي تعرض له أمام المقبرة بأكملها. يا لغطرسة كونور! لم يكن السماح له «بالحفاظ على كرامته» يحمل أي رائحة للكرامة. كان ستاركي يفضِّل القتال، وهم يسحبونه على الأرض القذرة. بذلك كان سيبدو محترمًا، لكنْ معاملته بمثل هذه الشفقة الضعيفة؟ هذه كانت الإهانة المطلقة.

كان الصبيان المكلفان بحراسته أكبر منه حجمًا، ومسلحيْن. بمجرد دخولهم الطائرة، أعادا غلق الأصفاد حول دعامة فولاذية، حتى يبقى ثابتًا في مكان واحد. غادر الصبيان، وأخذ أحدهما يلوِّح بالمفتاح أمامه ليهزأ به، قبل أن يدفع المفتاح إلى جيبه. أغلقا الباب، ووجد ستاركي نفسه أسيرَ حرب رسميًّا. أخذ يراقب الحارسين من نافذة الطائرة ويقيمهما. كانا يتبادلان الحديث، ربما يكونان صديقين. لا أحد منهما من المنقولين طبعًا. لقد تأكد كونور من ذلك. المنقولون أصبحوا العدوَّ الآن. حسنًا، لو شق ستاركي طريقه، فسيرى كونور كم هم عدو هائل.

أدرك ستاركي أن هذه هي نقطة التحول في حياته. ليس هروبه من شرطة الأحداث، ولا وصوله إلى المقبرة، لكنْ هذه اللحظة وحدها، وهو مكبل اليدين في طائرة. كل شيء يعتمد على الخروج من هذه الطائرة، ولا يمكن ارتكاب أي أخطاء. إذا كان سيقود المنقولين إلى المجد، فسيتعيَّن عليه إبهار الجميع بهروبه.

جلس ستاركي القرفصاء، ووضع قدميْه على السلسلة بين الأصفاد. كان يعلم إنها مصنوعة من الصلب المقوى. لن تفصلها حتى قواطع البراغي. أما الدعامة المثبتة بها الأصفاد، فهي جزء من هيكل الطائرة ولا يمكن تفكيكها. الحلقة الأضعف هنا كانت اللحم والعظام.

أخذ ستاركي بضعة أنفاس عميقة، ليستجمع شجاعته. يواجه كل «فنان هروب» يومًا ما هروبًا مستحيلًا؛ ومع ذلك، يعرف الفنان الحقيقي أنه لا يوجد شيء مستحيل، إذا كنت على استعداد لفعل ما لا يمكن تصوره.

تماسك، وأغلق فكه ليمنع نفسه من الصراخ، ثم هوى ستاركي بكعب حذائه على يده اليسرى. كان الألم بشعًا، لكنه ابتلع صراخه. هوى به مرة أخرى، وهذه المرة شعر أن عظام يده الرفيعة بدأت تتكسر. جعله الألم ضعيفًا. أخذ جسده يقاوم، لكنَّ إرادته عارضت هذا النظام البيولوجي، وهوى بكعب حذائه مرة أخرى.

وبسرعة، قبل أن يتدفَّق الدم إلى المنطقة، وهذا ما يجعلها منتفخة، حرك الأصفاد قليلًا وهوى بالكعب على معصمه. تحطمتْ عظام معصمه على السوار المعدني. شعر بالظلام يخيم تدريجيًّا على عينيه، كما لو كان مُخدرًا، لكنه طرد الغثيان والغيوم، وأخذ يتنفس ببطء وعمق، مجبرًا نفسه على البقاء واعيًا، وتحويل الألم إلى عمل. عضَّ لسانه. ملأ الدم فمه لكنه بصقه. تمت المهمة. بيده اليمنى لوى قيد كفه اليسرى. هذه المرة عجز عن كبح جماح عويل الألم، وهو يدفع يده اليسرى المحطمة من خلال الفتحة الصغيرة.

***

مكتبة
t.me/soramnqraa

61 - نوح

إن تكليفك بحراسة رجل مقيد اليدين ومحبوس داخل طائرة مغلقة ليس مهمة صعبة للغاية، لكنْ مهلًا.. إذا شعر كونور أن ستاركي بحاجة إلى حارسيْن، فمن يكون نوح فالكوفسكي ليجادل؟ كانت هذه هي المهمة الأولى التي يمنحها كونور لنوح مباشرة، بعد مرور أربعة أشهر تقريبًا على إنقاذه من التفكيك، ولن يفسد الأمر. من داخل الطائرة، أطلق ستاركي صرخة عالية.

سأل الصبي الآخر الذي يحرس ستاركي: «ما هذا بحق الجحيم؟».

قال نوح: «هذا رجل غاضب».

بعد ذلك، أتت سيارة «جيب» مسرعة باتجاههما، جعلت مصابيحها الأمامية الشفق يبدو أكثر ظلامًا من حولهما.

قال الصبي الآخر: «ما هذا بحق الجحيم؟». كان من الواضح أنه تعبيره المفضل. أطلقتِ «الجيب» صريرًا صارخًا وهي تتوقف، وترجَّل منها ترايس، ليتجه مباشرة إلى طائرة كونور.

قال نوح: «توقف يا ترايس.. كونور ليس هنا».

- أين هو؟

لم يكن نوح واثقًا تمامًا. كل ما كان يعرفه هو أن كونور قد دعا الأعضاء المتبقين من «قدس المكتملين» للاجتماع بعد واقعة ستاركي. قال لترايس: «لقد غادر الممر الرئيسي. ربما يكون في إحدى طائرات الإمداد؟».

- أنت معدوم الفائدة.

قفز ترايس مرة أخرى في سيارته «الجيب»، وأسرع نحو الطائرات البعيدة. بمجرد رحيله، سمع نوح صوتًا قويًّا من داخل طائرة كونور، لكنه

ليس نوع الصوت الذي كان يتوقع أن يصدره ستاركي. بدأ مخرج الطوارئ فوق الجناح ينفتح.

- ما هذا بحق الجحيم؟ كيف تخلص من أغلاله؟

- اخرس!

وضع نوح يده على زناد مسدسه. إنه لم يطلقه قطُّ من قبل، ويعرف أنه مجرد سلاح تهدئة، لكنه سيفي بالغرض.

لم يحب ستاركي قطُّ، ولا يمانع في أن يكون الشخص الذي يهدئه وهو يحاول الهروب من الطائرة. سقط باب الطوارئ إلى الداخل. حمل كلا الصبيين أسلحتهما على أهبة الاستعداد، لكنَّ ستاركي لم يخرج. اقتربا بحذر، وعندما نظر نوح إلى الداخل، رأى الصحراء المظلمة مباشرة خلال الطائرة على الجانب الآخر. بينما كانا يحدِّقان إلى مخرج الطوارئ هذا، كان ستاركي قد تسلق من خلال المخرج الآخر على الجانب المقابل من الطائرة، وذهب.

- اللعنة!

كان قلق نوح بشأن ستاركي، أقل من قلقه بشأن إخبار كونور بأنه قد أفسد أول مهمة حقيقية له.

***

62 - ستاركي

ارتدى معطفًا له غطاء رأس، حصل عليه من خزانة ملابس كونور لإخفاء وجهه. بدت يده اليسرى -عند نهاية معصمه- وكأنها تزن عشرين رطلًا. مع كل نبضة قلب، كانت ترتعش في ألم، حتى إن ركبتيْه كانتا تتخاذلان، وتكادان تعجزان عن حمله، لكنه بطريقة ما واصل الحركة. كان يعلم أن ترايس قد عاد، وأن هذا سيغير قواعد اللعبة. كونور لم يكن يعرف بعد، وهذا ما يعني أن ستاركي بإمكانه الاستفادة من عودة ترايس لمصلحته.

سادت المقبرة حالة تدافع. كان الصبية يعدون في كل اتجاه. في نهاية أحد الممرات، كان عند ترسانة الأسلحة حشد من الناس. كان هايدن يُسلِّم الأسلحة، ليس واحدًا أو اثنين فحسب، بل كل شيء. لم يلاحظ ستاركي.

مر أحد أعضاء «نادي المنقولين» ومعه حمولة من الأسلحة، فأمسكه ستاركي بيده السليمة. عندما تعرَّفه، كاد يصرخ باسمه، لكنَّ ستاركي أوقفه.

- اصمت، واستمع. وصِّل رسالة إلى المنقولين. عندما أمنحكم إشارتي، سنقتحم طائرة الهروب.

- لكنْ... هذه ليست الخطة.

- إنها خطتي، هل فهمت؟

- نعم، نعم، بالتأكيد يا ستاركي. (ثم نظر إلى يد ستاركي، وبدا أنه قد يطرح سؤالًا عنها، لكنه قرر ألا يفعل) ما الإشارة؟

نظر ستاركي إلى حمولة الصبي من الأسلحة، وسحب من بينها مسدس إشارات مضيئة، قائلًا: «هذه .. اذهب الآن!».

انطلق الصبي مسرعًا، لنشر الخبر.

كان ستاركي يرى سيارة ترايس «الجيب»، وهي تسرع قادمة من موقع طائرات الإمداد، لتعود في اتجاه الممر الرئيسي، بعد أن تلقى قائدها معلومات خاطئة من الأحمقين اللذين كانا يحرسانه. لم يكنْ ستاركي متأكدًا أين يوجد كونور، ربما يكون في «الكومبوم» التي من المحتمل أن تكون المكان التالي الذي سيتحقق منه ترايس.

ثم رصد ستاركي آشلي وهي تهرول قادمة من الترسانة، حاملة مدفعًا رشاشًا سيئ المظهر، فاعترض طريقها. اتسعت عيناها عندما رأته، وصاحت: «ماذا تفعل في الخارج بحق الجحيم؟ هل يعلم كونور؟».

- سيفعل، إذا لم تخفضي صوتك!

اقتربت منه آشلي، قائلة: «انسَ الأمر يا ستاركي. لماذا لا تهرب فحسب؟ لن يهتم كونور، ما دمتَ بعيدًا عن طريقه عندما يأتي شرطيو الأحداث».

- هل أنتِ من المنقولين يا آشلي، أم إنك أحد أتباع كونور في النهاية؟

عندما صاغ الأمر على هذا النحو، كان هناك حقًّا رد واحد فقط يمكن أن تقدمه «العميلة النائمة» لستاركي: «ماذا تريدني أن أفعل؟».

***

63 - ترايس

عندما لم يتمكن من العثور على كونور، عاد ترايس أدراجه بسرعة إلى الممر الرئيسي، متجهًا إلى «الكومبوم»، ومستعدًّا لتشغيل جرس الإنذار بنفسه. رأى صبية يحملون أسلحة، مبتعدين عن ترسانة الأسلحة، لكنهم لم يكونوا يتحركون بالسرعة الكافية.

كان مشتتًا للغاية؛ كاد يركض نحو آشلي التي تقف في طريقه مباشرة. أصدرتِ السيارة صريرًا وهي تقف.

- ترايس! ها أنت ذا!

- أين كونور؟ شرطة الأحداث قادمة بقوة اقتحام كاملة.

قالت له آشلي: «إننا نعلم ذلك، هايدن سمع رسائلهم. كونور يريدك أن تستعد للإقلاع بطائرة الهروب».

- أيعلم أنني عدت؟

- طبعًا، لقد رآك تسرع إلى طائرات الإمداد في ذعر.

قال ترايس: «لم يكن ذعرًا. (رغم أنه يعلم أنه كان كذلك) سأجهز «الدريملاينر» للطيران. إذا أسرعنا بما يكفي، فقد لا نُضطرُّ إلى قتالهم. أخبري كونور أن يبدأ في تحميل الصبية على متن الطائرة».

- بالتأكيد يا ترايس.

لكنها لم تفعلْ شيئًا من هذا القبيل. راقبتْ ترايس، وهو يسرع متجهًا إلى «الدريملاينر»، ويصعد سلمها، ثم ذهبت لتخبر ستاركي أنها قد أنجزت مهمتها.

***

64 - ليف

انطلقتْ رصاصة البندقية خلال بوابة المقبرة، مدوية في أذني ليف الذي صرخ: «انخفضي إلى أسفل! إنهم يطلقون النار علينا!».

لكنَّ ميراكولينا كانت بأسفل فعلًا. لم تنخفضْ فحسب، بل تكومتْ أرضًا. كانت ترقد وسط التراب بجانب الطريق، ولا تبدو عليها علامات على الحياة.

- لا!

جثا على ركبتيه بجوارها، وهو يخشى النظر إليها أو لمسها، وقال: «لا! أرجوكَ يا إلهي!». لا يمكن أن يكون هذا واقعًا. ليس مجددًا! كل شخص يقترب منه ليف إما أن يُقتَل أو يُشوَّه، ولا يمكن أن يحدث ذلك مرة أخرى! أخذ يصلي أن يتحقق المستحيل. أخذ يصلي على أمل ألا يكون هذا صحيحًا...

ثم قلَب جسد ميراكولينا، ليجد أنه لا توجد فجوة في صدرها، لكنْ على كتفها بقعة دم صغيرة، والعلم الصغير الدال على رصاصة تهدئة. لم يعرف أكان من المفترض أن يشعر بالارتياح أم الرعب.

قال نيلسون، من مكان ما في الظلام خلفه: «يبدو أن لديك مشكلة على كلا الجانبين يا ليف».

- ماذا أفعل؟ ماذا أفعل؟

ثم -من جهة البوابة- سمع صوتًا مرتعشًا يقول: «ابقَ بعيدًا، أيًا من كنت، وإلا سأطلق النار مرة أخرى!».

لكنْ قبل حتى أن يتمكن الحارس المراهق من تصويب بندقيته، أطلق نيلسون رصاصة ثانية في الظلام، فسقط الحارس أرضًا على الجانب الآخر من السياج.

قال نيلسون بهدوء: «فلنكتفِ بهذا القدر منه. والآن، ماذا كنا نقول؟».

كان ليف ما زال غير قادر على رؤية نيلسون، لكنَّ نيلسون كان يراه بوضوح، لأن ليف سمع صوت طلقة تهدئة أخرى تنطلق. أصابت ساق سرواله، لكنها انحرفت عن مسارها بعد اصطدامها بإكسسوار معدني في سرواله الجينز، وسقطت وسط الحصى بجواره. أدرك ليف أنه لا يمتلك وسيلة يدافع بها عن نفسه أمام نيلسون، لذلك فكر بسرعة، وأمسك سهم التهدئة، وغرسه في نسيج سرواله الجينز، وحرص ألا يجرح بشرته، ثم انهار متكومًا فوق ميراكولينا، وأغلق عينيه. سمع الصوت المذعور للحارس الثاني من خلف السياج، وسمع خطوات قدميْ نيلسون تقترب من الاتجاه الآخر على الحصى. تسارعتْ دقات قلب ليف كأنه قد ينفجر في صدره، لكنه ظل ثابتًا، يتظاهر بكونه ميتًا لينقذ حياته، وأخذ يصلي لتحدث معجزة ثانية خلال عدة دقائق. أخذ يصلي، داعيًا أن ينطلي تمثيله على نيلسون.

***

65 - نيلسون

لم يذهبْ قطٌّ إلى «كهوف الصدى الهندية». قاد نيلسون شاحنته إلى مقهى على جانب الطريق على بعد أميال قليلة، ثم راقب حاسوبه المحمول، منتظرًا أن تُظهِر أجهزة التعقب الدقيقة التي زرعها في دماء ليف وميراكولينا تحركهما بعيدًا عن الكوخ. ثم تبعهما. لم يكن من قبيل المصادفة أن تكون هياكل الأَسرَّة على وشك الانهيار بالكامل بفعل الصدأ. كان نيلسون يريدهما أن يهربا. لمدة، شعر بالقلق من أن يكون ليف غبيًّا للغاية، ولا يتمكن من اكتشاف كيفية التحرر، لكنْ في النهاية ارتقى الصبي إلى مستوى الحدث. لم يفصح ليف عن موقع كونور لاسيتر في ذلك اليوم، لكنَّ نيلسون سمع ما يكفي، ليعرف أنهما كانا في طريقهما لتحذيره من قرصان الأعضاء الضخم الشرير. كل ما كان على نيلسون فعله هو أن يطلق لهما العنان، ويتركهما يقودانه إلى الطريق.

والآن، بعد أن علم أن لاسيتر موجود في قاعدة القوات الجوية البائدة، لم يعد بحاجة إلى هذين الصبيين، لكنَّ قتلهما سيتطلب وقتًا طويلًا للتخلص منهما. إلى جانب ذلك، فإن معرفة نيلسون بأن ليف سيستفيق، ويُضطَرَّ إلى التعايش مع حقيقة أنه كان مسؤولًا عن تفكيك كونور في السوق السوداء، هي انتقام ألذ بكثير من صمت الموت الذي سيحرمه من الشعور باللذة.

لم يشعر نيلسون بالقلق الشديد من ذلك المرتعب الهارب من التفكيك الذي لا يزال يحرس البوابة. فالحارس الأول أطلق النار برعونة، وهو على ثقة من أن الثاني لا يعرف حقًّا بدوره كيف يستخدم بندقية تملأها الذخيرة الحية. كانا على الأرجح قد تدربا على رصاصات التهدئة التي ليس لها رد فعل ارتجاعي ومستوى تسديدها أكثر انخفاضًا. كان نيلسون -الذي يمكنه استخدام كليهما- مُسلَّحًا جيدًا لهذه المهمة. في الواقع، كان يؤمن بفكرة

رومانسية مفادها أنه ليأسر هدفه هذا، سيكون كمسلح من الطراز القديم، ينعكس هدفه الوحيد على قوة النيران. كان بحوزته ثلاثة مسدسات معدَّة للإطلاق، وبندقية نصف آلية معلقة على ظهره. كل المسدسات -باستثناء مسدس واحد- كانت خزائنها مملوءة بطلقات تخدير سريعة المفعول، وهي أكثر فعَّالية بكثير من الرصاصات الحية. يمكن للرصاصة أن تصيب هدفًا، وتضرب أحد الأطراف، أو حتى تصيب الجسم، ومع ذلك قد يظل الهدف قادرًا على تبادل إطلاق النار. في حالة رصاصة التهدئة، وبصرف النظر عن المكان الذي تصيبه من الجسم، فإنها تُخرِج الهدف من المعادلة على الفور. أما المسدس المملوء بالذخيرة الحية، فنيلسون يعتبره في الواقع بمنزلة بوليصة تأمينه.

كان على وشك فحص ليف للتأكد من أنه قد سدد ضربة دقيقة وفعَّالة، عندما أخذ الموقف منعطفًا جذريًّا لم يكن بإمكان أي حامل سلاح توقعه.

***

66 - حارس البوابة

لم يكنْ لدى الصبي الوحيد المتبقي عند البوابة أدنى فكرة عما تسبب في سقوط رفيقه. تتلخص وظيفتهما عادة في إعطاء التوجيهات لمن ضلُّوا طريقهم، لأن لا أحد يأتي إلى المقبرة عمدًا خلال الليل. ومع ذلك، فقد زرع ترايس الخوف في قلبيهما، والآن ها هو صديقه يستلقي على الأرض أمام البوابة، وربما يكون قد لقي حتفه.

أسرع إليه، متوقعًا تمامًا أن يُقتَل وهو في طريقه إليه. ورغم أنه سمع أصواتًا خارج البوابة، فإنها قد صمتتِ الآن. لم يطلق أحد النار عليه، وقد غمره الارتياح عندما اكتشف أن صديقه ما زال يتنفس.

التحذير الوحيد الذي تلقاه كان صوت محركات سيارات تقترب بسرعة. ثم فجأة، اصطدمتْ سيارة شرطة ذات مصابيح أمامية مطفأة بالبوابات بسرعة خارقة، نزعتْها من مفصلاتها، لتطير بعيدًا. غاص إلى أسفل، مبتعدًا عن الطريق في الوقت المناسب، وعندما نظر إلى الخلف، رأى صديقه فاقدًا الوعي، يتحول إلى قتيل على الطريق تحت عجلات السيارة التي صدمتْه، والتي تدفق من خلفها طوفان من سيارات شرطة الأحداث، وشاحنات مكافحة الشغب المدرعة، تلاها مشهد مخيف لشاحنات نقل المفككين، كما قال ترايس. كانت قوة إزالة كاملة!

وبمجرد تحطم البوابة، أضاءت مصابيح السيارات الأمامية، لتضيء الصحراء أمامها، وتجعل الطائرات البعيدة تلمع. بعد أن مرَّت آخر شاحنة نقل من البوابة، عبرت أيضًا شاحنة بنية اللون، وتبعتْ سيارات شرطة الأحداث، ثم اندفع صبي خلال البوابة المدمرة، راكضًا خلف الشاحنة.

فكر حارس البوابة: «ماذا سيأتي بعد ذلك؟ فيل؟».

عندما أدرك الصبي الراكض أنه لا توجد طريقة يمكنه من خلالها اللحاق بمقتحمي المكان سيرًا على الأقدام، رصد الحارس وركض نحوه. رفع الحارس بندقيته كرد فعل منعكس، لكنه أدرك أنه كالأحمق، يمسك بها مقلوبة رأسًا على عقب. بحلول الوقت الذي صحَّح فيه وضع سلاحه، كان الصبي قد وصل إليه، ونزعها منه، قائلًا: «لا تكنْ غبيًّا، أنا لستُ العدو». كان في وجهه شيء مألوف. ربما يكون قد رآه من قبل، لكنْ بشعر أقصر.

- ألديك سيارة «جيب» أو شيء من هذا القبيل؟
- خلف المقطورة...
- هذا جيد. أعطني المفاتيح.

كان صوت هذا الصبي الأصغر منه سنًّا آمرًا للغاية، فأطاع الحارس. مد يده إلى جيبه وسلَّمه المفاتيح.

قال الصبي: «استمع لي. توجد فتاة خارج البوابة. إنها مخدَّرة. أريدك أن تأخذها وتهرب. خذها إلى مكان آمن. هل تفهم؟».

أومأ الحارس برأسه، قائلًا: «نعم، بالتأكيد. مكان آمن».

- عِدْني أنك ستفعل ذلك.
- نعم، نعم.. أعدك.

كان هذا مُرضِيًا للصبي، فركب السيارة «الجيب»، وانطلق نحو الممر الرئيسي، حيث أمكنه سماع إطلاق النار فعلًا. كان من الواضح أنه لا يعرف كيف يقود سيارته، لكنَّ هذا لا يهم كثيرًا عندما لا يكون هناك طريق، مجرد صحراء صلبة فحسب.

بمجرد رحيله، استغرق الحارس لحظةً، ليرى بقايا رفيقه الذي سقط، ثم انطلق. في مكان ما في الأدغال خارج البوابة مباشرة، كانت هناك فتاة مُهدَّأة في مكان ما، لكنه لم يهتم. كل رجل مسؤول عن نفسه عند مداهمة شرطة الأحداث للمكان. وكل فتاة أيضًا. لذا فبدلًا من البحث عنها، أخذ يعدو بأسرع ما يمكن، تاركًا الفتاة لرجال شرطة الأحداث، أو الذئاب، من يأتي أولًا منهما.

***

67 - كونور

أرسل كونور نصف قوة دفاعه التطوعية المسلحة بالكامل -التي تبلغ في مجملها ستين صبيًّا تقريبًا- للاختباء خلف الطائرة «ريب»، أكبر سكن للأولاد. إنها طائرة شحن من طراز «سي-130» اقتلعتْ أجنحتها، وبطنها منخفض جدًّا على الأرض، ويمكن لميليشيا صغيرة الاختباء خلفها. قال لهم: «أنتم الجناح الأيسر للدفاع. افعلوا ما في وسعكم حتى تلفتوا انتباه شرطيي الأحداث، فيوجهوا نيرانهم نحوكم، وأبقوهم في الطرف الشمالي من الممر الرئيسي».

قال أحد الصبية: «ربما سنكون محظوظين ولو لمرة واحدة. ربما لا تحضر شرطة الأحداث في النهاية». حاول كونور أن يمنحه ابتسامة مطمئنة. لم يكن يعرف اسم الصبي. لقد بذل قصارى جهده ليحفظ أكبر عدد ممكن من الأسماء، ولكنه لم يستطعْ أن يحفظ الجميع. إذا قُتِلَ هذا الصبي، أو -الأسوأ من ذلك- فُكِّك، فمن سيتذكره؟ من سيتذكر أيًّا منهم؟ تمنى لو كان حكيمًا بما يكفي، ليجعل كلًّا من المراهقين ينقش اسمه أو اسمها على فولاذ طائرة الرئاسة القديمة، كدليل على حقيقة وجودهم. حتى لو لم يرَ تلك الأسماء أحد قطُّ، على الأقل كانت ستظل هناك. لكنَّ الأوان قد فات الآن.

أخذ كونور بقية قوته القتالية إلى طائرة الترفيه مباشرة من خلال الممر الرئيسي من «ريب»، وقال لهم: «سنقيم حاجزًا تحت الأجنحة، ونطلق النار من خلفه».

سألته إحدى الفتيات: «وأين ستكون أنت؟».

قال لها كونور: «بجانبك تمامًا يا كيسي»، كان سعيدًا لتذكره اسمها.

قال صبي آخر: «لا.. يجب ألا يوجد الملك في الخطوط الأمامية أبدًا. أعني أن هذا ما يحدث في لعبة الشطرنج».

أوضح كونور: «هذا ليس شطرنجًا.. إنها حياتنا».

قال: «نعم.. لكني أحب أن أتخيل نفسي حصانًا في لعبة الشطرنج».

قال كيسي: «في الواقع، لديك وجه أشبه بوجه الحصان». وضحك الجميع. كانت قدرتهم على الضحك في مواجهة هذا، تدل على شجاعتهم أكثر من أي شيء آخر.

أسرع كونور ومقاتلو جناحه الأيسر، لدفع الأرائك والطاولات وماكينات الألعاب الإلكترونية، وصفِّها على شكل متراس. ثم -فيما كان كونور يقلب طاولة البلياردو- علا صوت هايدن في سماعة أذنه.

- كونور، هناك خطأ ما. لا يمكنني التواصل مع الحرس عند البوابة، لا أحد يجيب.

- مستحيل! نحن لسنا مستعدين!

هنا قال الصبي ذو وجه الحصان: «لن نكون مستعدين أبدًا. لذلك أعتقد أن هذا يعني أننا مستعدون كما سنكون في أي وقت على الإطلاق».

صعد كونور إلى بوابة طائرة الترفيه، ونظر شمالًا خلال الصحراء المظلمة، ليرى حاجزًا من المصابيح الأمامية يقترب مثيرًا الهواء.. ويتسع. قال لهايدن: «أطلق جرس الإنذار.. فلتبدأ المعركة».

***

68 - الطائرات

عند النظر بالمواجهة إلى مقدمة طائرة، فقد ينتاب المرءَ شعورٌ غريبٌ بأن لها عينين. لا شكَّ أن طائرات المقبرة شهدتْ أشياءَ كثيرة، ولعلها الوحيدة التي حظيتْ برؤية واضحة للقتال والحماقة، في يوم غزو سلطة الأحداث.

كانت طائرة الألعاب الرياضية «جيمبو» النفاثة -الواقعة في أقصى الشمال على الممر الرئيسي- تتمتع بأفضل إطلالة على قوة شرطة الأحداث، وهي تقترب. ردَّد جسم الطائرة صدى الضجيج الرتيب للإنذار العام. على الأرض حولها، كان الصبية الذين يحاولون إنقاذ ما في وسعهم من ساحة تخزين الطائرات، فتركوا ما يفعلونه وأخذوا يعدون جنوبًا، كما قيل لهم. ما كان فوضى منظمة، أصبح الآن ذعرًا كاملًا حول صفوف الطائرات المتقاعدة القوية.

كانت الطائرة الطبية تحظى برؤية واضحة للطائرة «دريملاينر» ومحركاتها التي كانت في حالة تشغيل، استعدادًا للطيران. لو أمكن لكونور أن يرى ما تراه الطائرة الطبية، لربما كان ليُغيِّر خطته، ويدعو الجميع إلى الصعود على متنها قبل وصول شرطيي الأحداث، لكنه لم يكن يعلم شيئًا عن عودة طائرة الهروب إلى المشهد.

أما «الدريملاينر»، فكانت ترى ستاركي بوضوح، والذي لم يعد يكلف نفسه عناء إخفاء وجهه، وهو يستعد لمنح الإشارة للمنقولين للتخلي عن خطة كونور واتباعه. لكنَّ ترايس -الموجود في قمرة القيادة- كان مشغولًا للغاية في تحضير الطائرة، فلم يشارك الطائرة في ما تراه.

في اتجاه الطرف الجنوبي من الممر الرئيسي، كانت الطائرة «هاش بوبي» الشبح قاذفة القنابل، تراقب المكتملين المذعورين الذين يعدون تحت جناحيها وبطنها، وتوقفوا عندما سمعوا صوت تشغيل محركات «الدريملاينر».

صاحوا وسط دموعهم: «ما هذا؟ أسنغادر المكان جوًّا في النهاية؟» وبدلًا من العدو جنوبًا، ترددوا، وأصبحوا غير واثقين مما عليهم فعله.

وأخذت «دولوريس» -طائرة القصف في الحرب الكورية- تُحدِّق بهدوء إلى كونور، غير قادرة على إخباره بمدى قسوة الضربة التي سيتعرض لها بسبب التمرد. رغم كونه على اتصال لاسلكي مع هايدن في «الكومبوم»، الذي يراقب كاميرات الفيديو في جميع أنحاء المقبرة، فإن أيًّا من هذه الكاميرات لم تتمكنْ من رؤية ما تعرفه الطائرات فعلًا، وهو أن مقبرة الطائرات المفككة والمدمرة توشك أن تصبح مقبرة بشرية أيضًا.

انقسمتْ سيارات شرطة الأحداث إلى اليسار واليمين عند اقترابها من الممر الرئيسي، كاشفةً خلفها عن أربع شاحنات مصفحة لمكافحة الشغب، والتي كانت سوداء ولها زوايا مثل محركات الديزل. توقفتِ الشاحنات عند رأس الممر الرئيسي، وخرج منها عشرات من الضباط المسلحين بمعدات مكافحة الشغب البالستية.

في «الكومبوم»، كان هايدن يتنقل من كاميرا مراقبة إلى أخرى، على أمل أن يرى شيئًا جديدًا، قد يجعل الموقف يبدو أقل خطورة.

قال من خلال سماعة الرأس: «أترى هذا يا كونور؟ إنها ليست قوات شرطة الأحداث فحسب، لقد جلبوا فريقَ الأسلحةِ والخططِ الخاصةِ المذهلَ!».

- يمكنني أن أرى ذلك. سيارات الفريق تنقسم. إلى أين هم ذاهبون؟

انتظر.. (انتقل هايدن إلى كاميرا مختلفة) إلى الممرات على جانبيك. إنهم يحاولون محاصرتنا.

أمر كونور حفنة من الصبية من الجانبيْن الأيسر والأيمن باعتراض سيارات الفريق قبل أن تتمكن من تجاوزهم، لكنه أبقى الجزء الأكبر من قوته مختبئًا، في انتظار نصب كمين لفريق مكافحة الشغب، بمجرد أن يتوغل بما يكفي في الممر الرئيسي. ذكَّر كونور الجميع: «ليس علينا هزيمتهم. علينا فقط أن نشغلهم بقتالنا، بدلًا من ملاحقة الآخرين».

عندها فقط، خرج صبي مذعور من الظل، إلى الممر الرئيسي وقد أصابته رغبته في الهرب بالجنون. رفع شرطي مكافحة الشغب مسدسًا وصوبه، وبينما يسقط الصبي وسط الغبار، أمر كونور بالهجوم. تعرض فريق مكافحة الشغب من الجانبين لنيران كل الأسلحة التي يمتلكها فريق كونور. اتخذوا ساترًا، وتبادلوا إطلاق النار.

في تلك الأثناء -على الممرات الجانبية- كان الصِّبية الذين أرسلهم كونور يطلقون النار على سيارات فريق شرطة الأحداث، وهذا ما أدى إلى تفجير الإطارات وتحطيم الزجاج الأمامي. اتجهت إحدى السيارات إلى جهاز الهبوط الأمامي لطائرة مقاتلة قديمة وأشعلت فيه النيران.

صرخ هايدن، وقال لكونور: «أحسنتم! لم تتجاوز أي من سيارات الفريق الطائرة الثالثة في الممر، على الجانبين. إنهم يندفعون من سياراتهم ويطلقون النار في الظلام. كونور؟ كونور، هل تسمعني؟».

كان كونور يسمعه، لكنَّ دماغه عجز عن تكوين كلمات. فبجانبه، كانت كيسي مستلقية على ساق طاولة البلياردو المقلوبة، وقد تلقتْ رصاصة تهدئة في رقبتها، لكنَّ الأسوأ من ذلك كان ما حدث للصبي ذي وجه الحصان. لقد تلقى رصاصة حقيقية في جبهته.

صرخ أحد الآخرين: «يا إلهي! إنهم لا يهدئوننا فقط، إنهم يقتلوننا أيضًا!».

وكان ذعر ذلك الصبي، وذعر كونور نفسه، هو السبب في عجزه عن الرد على هايدن. إن سلطة الأحداث تريد بالتأكيد أن تنقذهم، لتفكيكهم، لكنَّ رصاصة في دماغ الصبي المجاور لك، تكفي لإثارة ذعر أي شخص، فيعدو على غير هدى، وقد فقد صوابه. لذلك بحث كونور في أعماقه عن الثبات، ووجد الشجاعة الكافية ليصمد على أرض المعركة، فاقتدى به الآخرون، وفعلوا مثله.

***

عند بداية سلم «الدريملاينر» الأمامي، حقن ستاركي نفسه بمورفين تحت الجلد، أحضره له مسعف من المنقولين. في ثوانٍ، بدأ يشعر بالدوار والتغييب، لكنه قاوم الدوار. صعد الدرج وانتظر عند باب الطائرة المفتوح. كانت يده مخدرة فعلًا بتأثير المورفين، ورغم أن مُسكِّن الألم القوي كان يدفعه إلى النوم، فإن اندفاع الأدرينالين لديه أخذ يقاوم. ما تبقى هو هدوء في خضم الفوضى التي تكاد تسود كل شيء. لا يمكن المساس به. رفع مسدس الإشارات المضيئة وأطلقه، فأضاءت السماء باللون الوردي المتلألئ. وبدلًا من العدو جنوبًا، خرج كل المنقولين الذين كانوا مختبئين، واندفعوا نحو «الدريملاينر»، متدفقين على سلميها.

***

في أقصى الجنوب، رأى الصِّبية الذين وصلوا إلى الطائرات الطرفية للمقبرة موجة من المكتملين تتدفق نحو طائرة الهروب.

- اسمعوا، هناك شخص ما في الطائرة! أحدهم سيطير بها! هيا بنا!

تضاعف عددهم مرة أخرى، واتجهوا نحو «الدريملاينر»، بدلًا من الركض جنوبًا، ومع رؤية المزيد من الصبية الهاربين الآخرين يُغيِّرون وجهتهم، سيطرتْ عقلية الغوغاء، فركض الجميع نحو الطائرة المنتظرة.

***

على جبهة القتال، تفوقتْ قوة كونور في العدد، وتفوقتْ عليها مهارات استخدام السلاح من جانب فريق مكافحة الشغب. لكنَّ هذا كان متوقعًا. هذا كله جزء من الخطة. تراجعٍ نحو ثُلث فريق كونور في الجانبين. لم يرغب في أن يعرف من تخدَّر، ومن قُتل.

أخبره هايدن: «استعد للمرحلة الثانية»، فاستعدَّ كونور ليأمر الجناح الأيمن بالتخلي عن موقعه، والعدو نحو ناقلات الوقود، وهذا ما يلفت انتباهَ الغزاة بعيدًا عن الصبية الذين يتوجهون جنوبًا.

قال له هايدن: «لا.. لا، انتظر. هناك خطأ ما!» وفجأة، لم تعدْ فرقة مكافحة الشغب مهتمة بكونور وقوات دفاعه. كانوا يتقدمون إلى الأمام، ويسرعون إلى نهاية الممر الرئيسي، والآن فقط، مع أصوات إطلاق النار المتبادل التي تصم الآذان، سمع كونور هدير المحركات النفاثة. استدار، ليرى الصبية يندفعون نحو طائرة الهروب.

- لا! ماذا يفعلون؟

ثم رآه كونور. ستاركي. كان يقف على قمة السلم الأمامي للطائرة، يرعى قطيع المنقولين، لكنْ لم يكنْ المنقولون فقط هم من يحاولون الصعود على متن الطائرة. ففي هذه اللحظة، اندفع حشد هائل من الصِّبية عند قاعدة السلميْن في ذعر. ربما كان كل سكان المقبرة يقاتلون بعضهم، للوصول إلى تلك السلالم الضيقة.

وقبل حتى أن تصل إليهم شرطة مكافحة الشغب، جاء شرطيو الأحداث على الجانبين، وبدأوا يُسقِطون الصبية برصاصات التهدئة، وتحوَّل المكان إلى ما يشبه ساحة رماية. لم يستطعْ كونور أن يفعل أي شيء، سوى مشاهدة خطته، وكل آماله، وهي تنهار على رمال الصحراء.

***

لمرة واحدة، جاء المنقولون أولًا. لمرة واحدة سينتصر المنقولون. وليذهب أي شخص آخر إلى الجحيم. لم يفعل العالم الذي تربى بين أبوين بيولوجيين أي شيء من أجل ستاركي. لكنه، سيفعل الآن. سيصبح هؤلاء الأطفال الذين تربوا بين أبويْن بيولوجييْن أهدافًا، وسيجذبون رصاصات شرطة الأحداث، في حين يركب المنقولون الطائرة.

لم تكنْ حركة الصعود على متن الطائرة بالسرعة أو السلاسة التي يريدها، لكنْ على الأقل كانت هناك حركة. كانت شرطة مكافحة الشغب لا تزال بعيدة، لكنَّ رجال شرطة الأحداث أنفسهم اتخذوا نقاط تمركز أقرب كثيرًا، وبدأوا في قنص أسراب الصبية المتقاتلين للوصول إلى سلم الطائرة. ومع ذلك، فإن معظم أتباعه المنقولين تمكنوا فعلًا من الصعود على متنها.

ثم استهدف شرطي أحداث أحد الأطفال الصاعدين على السلم، فتخدَّر، وسقط، متسببًا في إبطاء حركة المنقولين من خلفه. وطأوه وعَبَروا فوق جسده، وبدا كما لو كان قد اختفى تحت أقدام الجميع.

كانت آشلي -سلاح المنقولين السري- هي آخر منقولة تصعد سلم الطائرة، وهي تبتسم لستاركي، قائلة، وهي تمد يدها إليه ليساعدها على صعود درجات السلم القليلة المتبقية: «لقد فعلناها!».

لكنْ في تلك اللحظة بالتحديد، ضيَّق أحد رجال شرطة الأحداث عينه، وأحكم التصويب على ستاركي الذي فكر بسرعة، وسحب آشلي نحوه قليلًا، لتنغرز الرصاصة في ظهرها، بدلًا من صدره. أحكمت نظراتها عليه في صدمة.

- أنا آسف يا آشلي.

وقبل أن تتراخي فاقدة الوعي بين ذراعيه، دفعها بشكل استراتيجي إلى أسفل السلم، وهذا ما تسبب في سقوط الصِّبية من خلفها. منح هذا ستاركي وقتًا كافيًا لإغلاق الباب.

كان المراهقون في الداخل متحمسين ومذعورين. عندما رأوا الباب الأمامي يُغلَق، أغلقوا الخلفي أيضًا. نظرًا إلى إزالة المقاعد من الطائرة، لم يعرف أحد ماذا يفعل بالضبط. جلس بعض الصبية، ووقف البعض الآخر، وأخذتْ مجموعة أخرى تنظر من النوافذ.

ذهب ستاركي مباشرة إلى قُمرة القيادة، حيث وجد ترايس وهو يوجه كل تركيزه وتفكيره إلى إعداد الطائرة للإقلاع.

سأل ترايس: «هل صعد الجميع على متن الطائرة؟».

قال ستاركي: «نعم، نعم، الجميع هنا. انطلق!».

هنا فقط أدرك أن ستاركي هو المسؤول، فقال: «أهو أنت؟ أين كونور؟».

- لم ينجحْ في الوصول إلى الطائرة، فلنخرجْ من هنا الآن.

لكنَّ ترايس نهض، ونظر من النافذة، حيث رأى الذعر السائد في الخارج. كان الصِّبية ما زالوا يتدفقون على سلم الطائرة، على الرغم من إغلاق الأبواب، وبإلقاء نظرة سريعة على قُمرة الركاب، أصبح من الواضح من هم بالضبط الصبية الذين أُنقِذُوا، ومن لم يُنقَذوا.

- يا لكَ من فاسق!

لم يكن الوقت مناسبًا للجدال. أخرج ستاركي مسدسًا، لكنه بقي على مسافة، حتى لا يتمكن ترايس من استخدام إحدى مناوراته الرائعة لنزع السلاح، وقال: «كنتم ستنقذون أتباع كونور، وتتركون المنقولين، أليس كذلك؟ أقلعْ بهذه الطائرة، وإلا سأطلق النار».

- اقتلني ولن يغادر أحد هذا المكان.

لكنَّ ستاركي لم يخفض سلاحه، لأن تهديده لم يكن أجوفَ، وكان ترايس يعرف ذلك.

كان الشرر المتطاير من عينيْ ترايس يكفي لإذابة الحديد. عاد إلى مقعد قائد الطائرة، ودفع دواسة الوقود إلى الأمام، وقال: «عندما نهبط، سأقتلكَ بيديَّ العاريتين».

وكان ستاركي واثقًا بدوره أن هذا لم يكن مجرد تهديد أجوف.

***

تحركتِ «الدريملاينر» إلى الأمام، دافعة السُّلَّميْن المعدنييْن بعيدًا. تدافع المراهقون ورجال الشرطة للخروج من تحت عجلات الطائرة العملاقة، فيما تزايدت سرعتها، لتصل إلى ما يقرب من ثلاثين ميلًا في الساعة. كان كونور قد وضع الطائرة على مسار واضح إلى ممر الإقلاع، وحاول شرطيو الأحداث عبثًا اعتراض طريقها، لكنهم أخفقوا.

على الأرض، حاول الصبية الذين تقطعتْ بهم السُّبُل الانفصال عن الجمع، والعودة إلى الخطة القديمة التي تنصُّ على الهرب جنوبًا، لكنهم وجدوا أنفسهم

محاصرين، وهدَّأهم شرطيو الأحداث ومكافحة الشغب. لم يُضطَرُّوا حتى إلى التصويب، بل كانوا يطلقون النار على الحشد فحسب، فيسقط أحدهم.

***

راقب كونور في رعب، فيما يسير كل شيء بشكل خاطئ. أطلق شرطيو الأحداث النار عليه، فعكس كونور الرصاصة بعيدًا عنه، مستخدمًا بندقيته. قبل أن يتمكن الرجل من إطلاق النار مرة أخرى، هاجمه كونور، وأسقطه بضربة واحدة من مؤخرة بندقيته. عندما نظر كونور إلى أعلى، رأى أن «الدريملاينر» المليئة بالمنقولين قد بدأت تتسارع على ممر الإقلاع، لكنْ سرعان ما أدرك أن هناك مشكلة ما.

فبعيدًا، بعيدًا، كان على الممر كيان داكن مستطيل، بالكاد يمكن رؤيته ليلًا. كان على بعد ميل واحد تقريبًا، لكنْ مع زيادة سرعة الطائرة وتقليص المسافة، أضاءت مصابيحها الأمامية ذلك الكيان، لتبدو شاحنة مكافحة الشغب المدرَّعة التي اندفعت مباشرةً لتعترض مسار الطائرة، وهي لعبة تنطوي على التهور، في مواجهة طائرة نفاثة تزن 112 طنًّا.

في قُمرة القيادة، رأى ترايس ذلك، لكنَّ أوان إيقاف الإقلاع كان قد فات. وفي الشاحنة، أدرك السائق بعد فوات الأوان بلحظة واحدة أن هذه لعبة سيخسرها.

عندما ارتفعتْ مقدمة الطائرة عن الأرض، انحرفتِ الشاحنة، محاولةً الخروج من الطريق، لكنَّ السائق لم يكن بالسرعة الكافية، فاصطدم جهاز الهبوط -الذي يتخذ شكل نجمة- بالشاحنة، فتدحرجت كما لو كانت لعبة، وانفصل جزء كبير من جهاز الهبوط، في اللحظة نفسها التي ارتفعت فيها الطائرة عن الأرض. مالت «الدريملاينر» بشكل غير مستقر على أحد الجانبين، وأصبحتْ مهددة بالسقوط من السماء، لكنها استقرت بعد ذلك. أما جهاز الهبوط المعطَّل -الذي أصبح مشوهًا ومعدوم الفائدة- فقد تراجع ببطء داخل فراغ عجلة الطائرة.

في الأسفل، تناثر المئات من الصبية؛ خدَّرهم رجال شرطة الأحداث، وسحبوهم على الأرض، دون أن يجدوا خلاصًا ولا ملاذًا في الطائرات المعطلة التي لا تطير، والمنتشرة حولهم، بينما في أعلى، كانت الطائرة الوحيدة على الإطلاق التي بُعِثَتْ من المقبرة تحمل 169 روحًا في السماء: 169 روحًا بلا وسيلة متاحة للهبوط.

***

69 - ليف

حظي ليف بمزية كونه خلف الحدث. كان بوسعه رؤية جبهة المعركة، وتكتيكات قوة هجوم شرطة الأحداث، ولعدم وجود عيون في مؤخرات رؤوسهم، تمكن ليف من التحرك خلف المعركة، دون الإمساك به.

وكذلك فعل نيلسون.

حدث ذلك قبل أن تنطلق طائرة الهروب، عندما كان التركيز لا يزال على المسلحين من الهاربين من التفكيك تجاه الطرف الشمالي للممر الرئيسي. لاحظ ليف أن نيلسون قد ترك شاحنته عند ممرات المقبرة الغربية البعيدة، وأخذ يتحرك سيرًا على الأقدام. كان قرصان الأعضاء يرتدي في تلك اللحظة زيَّ أحد رجال شرطة الأحداث الذي لا بدَّ أنه قد حصل عليه من شرطيٍّ أحداث حقيقي، بعد أن هدأه. وبهذا تمكن من الامتزاج بهم، والمرور كواحد منهم. أما ليف فلم يكنْ بإمكانه أن يصبح جزءًا من المشهد، إلا كهارب من التفكيك، وهذا كفيل بإفقاده الوعي، ولا شيء غير ذلك. كان يعلم أنه عليه الحذر. حاول ليف تخمين مكان كونور في منطقة الحرب هذه، وفجأة أدرك أنه حتى لا يعرف كونور الحالي. كان كونور القديم مشغولًا فقط بإنقاذ نفسه، وكان يجيد ذلك. لكنْ هل بقي على هذا النحو، بعد أن أصبح مسؤولًا عن كل صبي هنا؟ كونور أنقذ رضيعًا ذات مرة، كما أنقذ ليف. لا، لن يهرب أو يختبئ. سيبقى هنا حتى اقتناص آخر هارب من التفكيك، وقد يكون هو نفسه هذا الأخير.

نيلسون لم يكن يعرف ذلك. كان يرى كونور من منظور واحد فقط: وضيعٌ هاربٌ من التفكيك. لم يكن ليبحث عن كونور على جبهة القتال، بل أخذ يبحث عنه على أطراف المقبرة؛ رآه ليف في الأماكن التي خدَّروا فيها الصبية الذين عجزوا عن الهرب. ومثل نسر ينقر الجيف، أخذ نيلسون يرفع رؤوسهم عن الأرض، وينظر إلى كل وجه من وجوههم، ثم يسقطها مرة أخرى، وينتقل إلى الرأس التالي.

تحرك ليف في الخفاء خلف نيلسون، وهذا ما منحه مجالًا واسعًا، وشقَّ طريقه مقتربًا من منطقة الخطر، حيث كان الصدام دائرًا بين شرطة مكافحة الشغب وهاربين من التفكيك يحملون السلاح. هذا هو مكان كونور، لكنْ كيف يمكن أن ينقذه ليف من نيلسون ورجال شرطة الأحداث؟

عندما خطر الجواب على ذهن ليف، ابتسم رغم المعركة الرهيبة من حوله. كان الجواب بسيطًا.. مرعبًا، ومستحيلًا، لكنه قد ينجح!

***

اقترب ليف من الممر الرئيسي في الوقت الذي بدأت فيه «الدريملاينر» تتحرك، وشرطة مكافحة الشغب تحرز تقدُّمًا في سحق المراهقين الذين لم ينجحوا قطُّ في الصعود على متن الطائرة.

على بعد مائة ياردة، على خط المواجهة الفاشلة، رأى ليف شخصًا يرتدي زيًّا مموهًا غير محدد اللون، يهاجم بلا خوف شرطيَّ أحداث أطلق النار عليه. تغلب الصبي على الشرطي، ليس برصاصة، ولكن بمؤخرة بندقيته، وكان في حركات هذا الصبي شيء مألوف.

قاوم ليف موجة الصبية المذعورين الهاربين الذين يركضون نحوه، متجاهلًا صوت إطلاق النار، وهدير المحركات النفاثة، وصوت تحطم المعدن، عند اصطدام «الدريملاينر» بشاحنة مكافحة الشغب في أثناء الإقلاع.

اشتعلتِ النيران في الشاحنة المقلوبة، في حين ارتفعت الطائرة في السماء، وأضاء وهج الانفجار وجه الصبي الذي يرتدي الزي المموه، وهنا عرف ليف أنه قد وجده.

- كونور!

لكنَّ عينيْ كونور كانتا مثبتتين على الطائرة الهاربة.

قال له كونور: «لا تقف مكانك فحسب، اهرب! كان من المفترض أن تهربوا جميعًا!».

- إنه أنا يا كونور! أنا ليف.

حتى عندما نظر كونور إلى ليف، لم يبدُ أنه قد تعرفه في البداية، وعرف ليف أن السبب أكثر من مجرد الشعر. لم يكن أي منهما الصبي نفسه الذي كان عليه منذ عام.

- ليف؟ ما الذي تفعله هنا؟ هل أصيب العالم كله بالجنون، وفقدتُ عقلي؟

- أثق أن كليهما صحيح، لكنني هنا حقًّا.

انحنى ليف وأخذ مسدس التهدئة من الشرطي الذي أفقده كونور الوعي، ثم قال: «جئتُ لإنقاذكَ».

- هذا هو أغبى شيء سمعتُه في حياتي!

- ربما يكون هذا صحيحًا أيضًا، لكن عليَّ أن أحذرك: هناك قرصان أعضاء يسعى خلفك.

- هذه أبسط مشكلاتي الآن!

أسرع صبي آخر يحمل بندقية آلية إلى كونور، قائلًا: «لقد نفدتْ ذخيرتنا! ماذا نفعل؟».

قال له كونور: «استخدموا العصي والحجارة وقطع غيار الطائرات. أو يمكنكم المجازفة بالهرب. ستاركي لم يترك لنا الكثير من الخيارات».

أسقط الصبي سلاحه المستهلك، قائلًا: «اللعنة على ستاركي.. حظ سعيد يا كونور»، وهُرِعَ مبتعدًا، محاولًا الاختفاء في ظلام الليل.

بعيدًا عنهما، كان الفوضويون -الذين حاولوا الصعود على متن «الدريملاينر»- تحت الأضواء الكاشفة لطائرة هليكوبتر تابعة للشرطة، وأصبحوا محاصرين بالكامل. ربما كان هناك أربعمائة طفل محتجزين وعاجزين، في حين تتحرك شاحنات نقل ضخمة في الممر الرئيسي، لتجميعهم ونقلهم من المكان.

قال ليف لكونور: «لا يوجد ما يمكنك عمله من أجلهم الآن».

- لن أتركهم.

- لهذا السبب أنا لا أمنحكَ خيارًا.

ثم رفع ليف مسدس التهدئة الذي أخذه من شرطي الأحداث فاقد الوعي، وأطلق النار على ذراع كونور.

اندفع كونور إلى الخلف من قوة الصدمة، ثم سقط، وسرى تأثير المخدر في ثوانٍ. أمسك به ليف وهو يسقط، فنظر إلى ليف بعنين نصف مفتوحتين تفقدانٍ بريقهما تدريجيًّا، وقال بضعف: «لم تنجح يا ليف.. خطتي لم تنجح».

قال ليف، وكان كونور يفقد وعيه: «أعرف.. لكنْ ربما تنجح خطتي أنا».

***

70 - نيلسون

لم تكنْ لديه أي فكرة عن عدد الصبية في مقبرة الطائرات، أو عن مساحة المكان، أو أين قد يكون هدفه في خضم الفوضى. أيًّا كان الأمر. إذا أدى شرطيو الأحداث عملهم -وبدا أنهم سينجحون في ذلك- فسيصبح كل مَن في عش الهاربين من التفكيك تحت الحصار، مخدرين بلا حول ولا قوة، وسيكون لاسيتر من بينهم. كان على نيلسون فقط أن يبقي عينيْه مفتوحتيْن ورأسه منخفضًا، لأن بعض هؤلاء الصبية كانوا مُسلَّحين، ومن صوت الأسلحة، بدا أنها قاتلة.

بشكل منهجي، أخذ يفحص الهاربين من التفكيك، ممن تخدَّروا فعلًا، وأسقط بنفسه القليل منهم، لمجرد أن يبدو حقًّا كشرطي أحداث يؤدي عمله. حافظ على مسافة آمنة من قلب المعركة، وهو يعلم أن إوُول آكرون سيفعل الشيء نفسه.

رآه أحد رجال شرطة الأحداث، وهو ينظر إلى وجوه الهاربين من التفكيك الذين سقطوا، وقال: «لا تضيع وقتك. سنهلك إذا أفلت منا أي من هؤلاء الصبية إلى الصحراء».

قال له نيلسون دون أن يفوته أي شيء: «أنا أبحث عن جارٍ لي هارب من التفكيك. إنه معروف طلبتْه مني زوجتي».

لكنَّ الشرطي اشتبه فيه، فسأله: «هل أعرفكَ؟ إلى أي وحدة تنتمي؟».

- الوحدة السادسة عشرة، القادمة من «فينيكس».

- لا توجد وحدة سادسة عشرة في «فينيكس».

قرر نيلسون أن الأمر قد خرج عن السيطرة بما يكفي، فخدَّر الشرطي، وخدَّر هاربًا من التفكيك رآه، وهو يفعل ذلك. ثم عاد إلى مهمة العثور على إوُول آكرون.

بدأ يشعر بالقلق فحسب، عندما رأى «الدريملاينر» تُقلِع. ما احتمالات وجود لاسيتر على تلك الطائرة؟ ثم أدرك أن فرقة مكافحة الشغب لا تخدر الصبية وتسحبهم إلى الشاحنات فحسب، بل يخالف رجالها الإجراءات المتبعة، ويحملون المشاغبين في شاحنات النقل، دون إفقادهم الوعي. لو صعد لاسيتر إلى إحدى الشاحنات، قبل أن يتمكن نيلسون من الوصول إليه، فسيكون الأمر قد انتهى. هنا شعر بالقلق. اقترب من الشغب الدائر، وأخرج منظارًا مقرِّبًا، وأخذ يفحص الوجوه التي كانت لمجموعة من المراهقين الخائفين. لاسيتر لم يكن بينهم. طبعًا، ربما يكون بين مَن ركبوا الطائرة، لكنْ إذا كان كذلك، فلن يتمكن نيلسون من العثور عليه. وضع المنظار جانبًا.

- سحقًا!

كان يعلم أن مع كل ثانية تمر، تتضاءل فرصه. مِن حولِه، كان الصبية إما يتحركون بمنتهى البطء للوصول إلى مكان الحشد، وإما أذكياء بما يكفي للابتعاد عن سباق الغوغاء المتعثر في جميع الاتجاهات للهروب. تلقى البعض رصاصات تخدير في أثناء الهرب، لكنْ كلما ابتعدوا عن الحدث الرئيسي، كانت فرصهم أفضل.

على مسافة بعيدة أمامه، رأى نيلسون ظلًّا معتمًا لصبي صغير الحجم، يكافح ليحمل على ظهره صبيًّا آخر أكبر عمرًا أصابته رصاصة تهدئة. ذكَّر مشهد ذلك الصبي نيلسون بالطريقة التي ينقل بها النمل مصابيه. لكنْ كان واضحًا أن هذا يتمتع بعقل أفضل من النمل، لأنه استسلم، مُسقِطًا الصبي الأكبر وسط الغبار، وانطلق يعدو وسط الظلال. كاد نيلسون ألا يتحقق من الصبي الساقط أرضًا. كاد يواصل مسيرته، متجاوزًا إياه، لأنه لم يرغب في أن يفوته وجه واحد يمر به في أثناء عدوه، لكنَّ أهم ما يميز نيلسون هو الدقة. قبض على شعر الصبي الغائب عن الوعي، رافعًا رأسه من وسط الغبار، ليصرخ فعليًّا بفعل مفاجأة الانتصار. كان هو! كان لاسيتر! جاء إليه كهدية أُلقِيَتْ في طريقه! لم يُضِع نيلسون الوقت. رفعه على ظهره، واعتدل واقفًا، وهو يشق طريقه بين الطائرات، متجهًا نحو شاحنته المنتظرة. وبينما يعبر ممرًّا خارجيًّا، رصده شرطي أحداث آخر. قال الشرطي: «انسَ أمره. اتركه

لرجال الصحة العامة والنقل. أوامرنا هي قنص الهاربين». ولتأكيد وجهة نظره، أطلق النار على فتاة تندفع هاربة بين طائرتين مقاتلتين، فتخدَّرت، وسقطت وسط الغبار.

قال له نيلسون، محاولًا تجاوزه: «توجد أوامر خاصة بشأن هذا الصبي»، لكنَّ الشرطي الآخر لم يتراجع.

- لماذا؟ أهو من أشعل النيران في المدينة؟

قال نيلسون «نعم.. إنه هو».

في هذه اللحظة حاول ثلاثة صبية خلفهم الوصول إلى الممرات الخارجية، فجذبتْ محاولة هروبهم انتباه الشرطي لمدة كافية، حتى تمكن نيلسون من تجاوزه. كلما ابتعد عن الممر الرئيسي، قلَّ عدد الهاربين من التفكيك، ورجال الشرطة. كانت شاحنات النقل موجودة فعلًا على أطراف المكان، حيث عملتْ على جمع من تجده من الصبية المخدرين، قبل نقلهم إلى المنطقة عالية الكثافة. كان عمال الصحة العامة والنقل يعاملون الصبية بعناية أكبر بكثير مما فعل شرطيو الأحداث، ويضعونهم في أكياس نقل مبطنة، أكياس نوم ضيقة -باللون الأزرق السماوي أو الوردي- تغطي أجسامهم بالكامل، ما عدا وجوههم، حتى تتوفر الحماية لأعضائهم الثمينة أثناء النقل.

وصل نيلسون إلى شاحنته، وألقى بكونور في كابينتها الخلفية، ثم قاد سيارته في الطريق الذي أتى منه، متجهًا نحو البوابة الشمالية، وهو يعلم أنه لم ينجُ بعد. عندما اقترب من البوابة، كان هناك تجمع صغير لسيارات فريق شرطة الأحداث، كما لو أن أيًّا من الصبية الهاربين من التفكيك سيكون غبيًّا بما يكفي لمحاولة الخروج من البوابة الرئيسية. أوقفوا نيلسون، فلوَّح لهم سريعًا بشارة مسروقة، قائلًا: «لديَّ أوامر بأخذ هذه الشاحنة إلى المقر الرئيسي، لمصادرتها كدليل».

- ماذا؟ أتمزح معي؟ هذا المكان اللعين كله قيد المصادرة كدليل! ألا يمكنهم انتظار شاحنة السحب؟

- منذ متى ينتظرون أي شيء؟

هز الشرطي رأسه، وهو يشير إلى نيلسون بالمرور: «رائع!».

بينما غادر نيلسون، تاركًا المقبرة خلفه، أشعل الراديو، وغيَّر المحطات، إلى أن وجد أغنية يعرفها، فأخذ يغني في بهجة نادرة.

سيدفع ديفان -تاجر السوق السوداء الذي يتعامل معه- ثروة، والدولارات التي تتراءى لنيلسون الآن، سيراها قريبًا بعيون إوُول آكرون. هذه هي المكافأة الحقيقية، وهي أهم بكثير من المال. لم يتذكرْ نيلسون حتى كيف تبدو عينيْ هذا الصبي، لكنَّ هذا لم يكن مهمًّا. مهما كان لونهما، مهما كانت حدة إبصارهما، ستكونان آخر زوج من العيون سيحتاج إليه نيلسون على الإطلاق. ستكونان مثاليتين!

كان لا يزال يفكر في عينيْ كونور، عندما سمع صوتًا مرتفعًا لإطلاق مسدس تهدئة، وشعر بألم حادٍّ مفاجئ في ساقه، ثم صوت إطلاق ثانٍ، فثالث.

مثقلتان بالرصاص، سقطت يداه فجأةً عن عجلة القيادة، وبما تبقى له من قوة قليلة، أجبر رأسه على الالتفاف، حتى يتمكن من رؤية مهاجمه.

كان ليف يقف خلفه في الشاحنة، راسمًا على وجهه ابتسامة كبيرة كالصحراء التي تحيط بهما.

قال ليف: «يا له من أمر مثير للشفقة، أن تتخدر بفعل مسدسك!».

***

71 - ليف

كان نيلسون قد استخدم ليف لمساعدته في العثور على كونور، والآن ردَّ له ليف معروفه. في وجود الكثير من رجال شرطة الأحداث، ومكافحة الشغب، كان إخراج أي شخص من المقبرة بمنزلة معجزة. ثم أدرك ليف أن نيلسون هو أعظم حليف له في الوقت الحالي على الأقل. كان لنيلسون وليف الهدف نفسه: إبعاد كونور عن شرطة الأحداث، وإخراجه من المقبرة حيًّا. لذلك حمل ليف كونور وهو فاقد الوعي، ومرَّ عمدًا في طريق نيلسون. خاطر ليف بكشف هُويَّته، لكنْ في وجود العديد من الصبية الذين يعدون، ومع كون الأضواء الوحيدة قادمة من المصابيح الأمامية والأضواء الكاشفة، كان من السهل إبقاء وجهه في الظل، ثم إسقاط كونور والعدْو مبتعدًا، وترك نيلسون يؤدي العمل الشاق لإخراج كونور من المقبرة.

بينما حمل نيلسون كونور، سبقه ليف مسرعًا، وتسلل إلى شاحنته، وظلَّ منخفضًا في باطن السيارة، على أمل أن انتباه نيلسون سيكون مشتتًا بفعل ما يحدث من حوله، وأن نشوته الكبيرة بصيده الثمين، ستجعله لا يلاحظ أبدًا أن ليف كان يختبئ في المقعد الخلفي.

وفي تلك اللحظة، على بعد نصف ميل من المقبرة، سقط نيلسون فاقدًا الوعي في مقعد السائق، فأسرع ليف يسيطر على عجلة القيادة، ويمنع الشاحنة من الجنوح بعيدًا عن الطريق. بعد ذلك، دفع نيلسون جانبًا، وضغط المكابح، فتوقفتِ الشاحنة.

بقي شيء واحد فقط.

غادر ليف الشاحنة، وأسرع عائدًا مرة أخرى إلى البوابة سيرًا على الأقدام. من موقعه على أرضية الشاحنة، لم يكنْ قادرًا على رؤية عدد رجال شرطة الأحداث الذين كانوا عند البوابة. لكن الآن، عندما اقترب، رأى أنه لا يوجد سوى

عدد قليل، وكل الباقين كانوا في منطقة المعركة. لم توفر له شجيرات البلوط القصيرة الموجودة في الصحراء غطاءً كافيًا لإخفائه، لكن كان عليه الاقتراب أكثر.

كان قد طلب من حارس البوابة أن يأخذ ميراكولينا ويصطحبها إلى مكان آمن. قال الصبي إنه سيفعل، لكنَّ ليف أراد أن يتأكد من ذلك.

أمام المكان الذي كانت ميراكولينا فيه، كانت هناك إحدى سيارات فريق شرطة الأحداث، متكئًا عليها شرطي، وهو يتحدث في جهاز اللاسلكي. في اللحظة التي نظر فيها شرطي الأحداث بعيدًا، اندفع ليف خلف السيارة، وظل منخفضًا إلى أسفل، وهو يفحص ما خلف الشجيرات الجافة.

لم تكن هناك.

تنهَّد في ارتياح صامت، ثم استدار، وأسرع عائدًا إلى الشاحنة. بمجرد وصوله، أخرج نيلسون منها، وتركه فاقد الوعي داخل حفرة. ثم بذل ليف قصارى جهده لقيادة الشاحنة على الطريق الضيق المكون من حارتين، والذي يختلف كثيرًا عن قيادة سيارة «جيب» على الطرق الوعرة، خلال الصحراء المفتوحة، وفكر: «كم سيكون الأمر غبيًّا، إذا مِتُّ أنا وكونور بعد كل هذا في حادث سيارة لأني لا أعرف كيف أقود؟» لم يسعْه إلا أن يشكر الله على استقامة الطريق.

لمرة، لقد حقَّق نجاحًا مثاليًّا، ورغم علمه أنه قد لا يرى ميراكولينا مرة أخرى أبدًا، وأنها في النهاية قد تخضع لتنفيذ نذر العُشر، فهو يعلم أنه فعل كل ما في وسعه لإنقاذها، وتحريرها.

قال لنفسه: «كوني بأمان يا ميراكولينا»، آملًا أنه بقول ذلك، قد تتحقق أمنيته، دون أن يعرف أبدًا أن الصبي حارس البوابة كان مهتمًّا فقط بإنقاذ نفسه، وأن ميراكولينا ما زالت فاقدة الوعي على بعد بضع أقدام فقط من الموقع الذي بحث فيه ليف.. لأنه لم يخطر على باله أن ينظر في المقعد الخلفي لسيارة شرطة الأحداث.

***

72 - ستاركي

- أخبرنا يا ستاركي، ماذا نفعل الآن؟
- إذا سألتِني مرة أخرى، فسأقطع رأسك اللعين.

اندفعتْ بام مبتعدةً في إحباط، فصرخ ستاركي في ظهرها: «على الأقل خرجنا من هناك! قد نكون نحن فقط من نجحوا في المغادرة!».

رغم أن هذا لن يعني الكثير إذا تحطمت الطائرة.

جلس الصبية في مجموعات على أرضية المقصورة الخالية من المقاعد، وأخذ بعضهم يبكي على المحنة التي تعرضوا لها، أو الأصدقاء الذين تركوهم خلفهم.

صرخ فيهم: «توقفوا عن البكاء! إننا من المنقولين، نحن أفضل من ذلك (ثم رفع يده المحطمة، التي أصبحتِ الآن منتفخة وأرجوانية، لدرجة جعلتها تكاد لا تشبه اليد على الإطلاق) أترونني أبكي؟» قالها وهو يدرك أن إصابة الحرب هذه قد أصبحت فعلًا رمزًا لقوته، وتعويذة احترام.

هدأ النحيب، لكنْ ليس بالكامل. الحقيقة أنه رغم حقنه بالمورفين المسروق من الطائرة الطبية، كانت يده لا تزال تتألم كثيرًا، لدرجة تمنعه من الصبر على أي شيء أو شخص.

سأل أحد الصبية: «إلى أين نحن ذاهبون؟».

قال ستاركي: «إلى مكان أفضل»، ثم أدرك أن هذا ما يقولونه عندما تموت. اقتحم قُمرة القيادة، وابتعد المنقولون عن طريقه. جلس ترايس أمام أجهزة التحكم، من دون مساعد طيار، وبدأ ستاركي حديثه بتهديد: «لو فكرتَ في لمس جهاز اللاسلكي، فسوف...».

نظر إليه ترايس باشمئزاز، ثم عاود النظر إلى لوحة التحكم، قائلًا: «لمجرد أنك الشخص الذي يقود هؤلاء الصبية، فهذا لا يعني أنني أريدهم أن يُفكَّكوا. أنا لم، ولن أبلغ أحدًا».

- أحسنتَ. قل لي ما الخطة. ما الذي خططتَ له مع كونور.

سيطر ترايس على أجهزة التحكم، للحفاظ على استقرار الطائرة التي كانت تتعرض لعوامل اضطراب. ارتفع المزيد من التذمر والنحيب من المقصورة. بمجرد أن هدأ الاضطراب الجوي، قال ترايس: «سنكون فوق المجال الجوي المكسيكي في خلال بضع دقائق، وهذا ما يوفر لنا الوقت، لأن جيشنا لا يمكنه مطاردتنا دون إذن، كما لن يطاردنا جيشهم إلى أن يروننا كتهديد. بعد ذلك، نطير على بعد ميل من طائرة أخرى متجهة شمالًا، ونتبادل التوقيعات[1]، وعندما تدخل تلك الطائرة الأخرى المجال الجوي الأمريكي، سيعتقدون أنها طائرتنا».

- هل بإمكاننا أن نفعل ذلك؟

لم يُجب ترايس حتى عن السؤال، بل قال: «كانت الخطة هي العودة إلى الولايات المتحدة الأمريكية، والهبوط في مطار مهجور في صحراء «أنزا بوريجو»، شرق «سان دييجو»، لكن توجد مشكلة في معدات الهبوط».

كان ستاركي يعرف هذا فعلًا. لقد شعروا جميعًا بالاصطدام؛ عندما حطَّمت الطائرة الشاحنة التي اعترضت في طريقها. سمع الجميع شيئًا ما ينفجر. لم يكن هناك شك في وجود ضرر، لكنْ من المستحيل معرفة مقدار هذا الضرر. كل ما لديهم هو ضوء أحمق على لوحة التحكم، يشير إلى وجود عطل في معدات الهبوط.

- ماذا نفعل إذن حيال ذلك؟

فكر ترايس للحظة: «نموت»، ثم قال: «يمكنني أن أحاول إسقاط الطائرة في مسطح مائي. أفكر في بحر «سالتون»».

- في «يوتا»؟

- لا، تلك «بحيرة الملح الكبرى» أيها المعتوه. أما بحر «سالتون»، فهو بحيرة ميتة ضخمة جنوب «بالم سبرينجز». هناك بلدة في ذلك الموقع

---

(1) توقيع الطائرة: هو أشعة يرصدها الردار، وتأتي بشكل أساسي من مصدرين: جسم الطائرة ونظام العادم. "المترجم".

تعتبر أغبى وأقذر مكان في العالم. ستكون مناسبة لك تمامًا». زمجر ستاركي في وجهه، ثم قرر أنه لا يستحق العناء.

- كم تبقَّى حتى يحدث ذلك؟

- لا بدَّ أن أعثر على طائرة عابرة، وأستبدل التوقيع أولًا. ساعة ونصف تقريبًا حتى نصل إلى هناك.

- حسنًا، سأخبر الآخرين.

استدار ليذهب، ثم توقف عند باب قُمرة القيادة، ناظرًا إلى الخلف حيث ترايس، وقال: «وإذا وصفتني بالمعتوه مرة أخرى، فسأنتزع مخك من رأسك».

التفت إليه ترايس، وقال مبتسمًا: «وبعدها يمكنك الهبوط بهذه الطائرة.. أيها المعتوه».

***

73 - ريسا

جلستْ ريسا في غرفة تبديل الملابس في استوديو تليفزيوني، وهي تحدِّق إلى شاشة العرض. أعلن البرنامج الإخباري -الذي يذاع في وقت متأخر من الليل، والذي هي وكام كانا على وشك الظهور فيه- بعض الأخبار العاجلة: اقتحام مخبأ ضخم للهاربين من التفكيك في ولاية «أريزونا»، والذي لم يكن سوى مقبرة الطائرات. الصبية في طريقهم الآن إلى مخيمات الحصاد.

قال المذيع: «من المعتقد أن هؤلاء المفككين الهاربين هم أنفسهم المسؤولون عن اندلاع أعمال عنف في مدينة «توكسون». وتأمل سلطة الأحداث أن تمنح هذه المداهمة الاطمئنان مرة أخرى لمواطني «توكسون»».

كيف يمكن أن يحدث هذا؟ بعد الأشياء المروعة كلها التي فعلتها ريسا خلال الشهرين الماضيين لمنع هذه الغارة، والحفاظ على أمان كونور وهايدن والجميع هناك، نفذت شرطة الأحداث الهجوم على أيِّ حال. ربما كان ذلك سيحدث رغم كل شيء، وكانت صفقة روبرتا كذبة منذ البداية. كيف كانت ريسا بهذا الغباء، ووثقت بأي شيء قالته تلك المرأة؟

طرق مساعد مدير المسرح الباب، قائلًا: «بقيتْ ثلاث دقائق يا آنسة وورد».

لم تعتبر ريسا نفسها فتاة عنيفة. طبعًا، كانت دائمًا أكثر من قادرة على الدفاع عن نفسها، لكنها لم تكن قطُّ من النوع الذي يبادر إلى ممارسة الهمجية، أو الاستمتاع بها. ومع ذلك. ففي تلك اللحظة، كانت تعرف أنها ستقتل روبرتا، إذا تمكنت من ذلك.

ثم أدركت أنها ليست مُضطَّرة لقتلها. فخلال أقل من ثلاث دقائق، ستخرج ريسا في بث مباشر لجمهور البلاد. ليست مضطرة إلى قتل روبرتا، عندما يمكنها تفكيكها...

***

ضوء ساطع غير طبيعي. استوديو تلفزيوني بلا جمهور. مذيع إخباري شهير، يرتدي حلة وربطة عنق، ويبدو أصغر حجمًا وأكبر سنًّا مما يبدو على شاشة التلفاز. ثلاث كاميرات، واحدة مسلطة عليه، والثانية على ريسا، والثالثة على كام. وبينما كانوا ينتظرون انتهاء الإعلانات وعودة البرنامج، لخَّص لهما رجل الأخبار ما سيحدث بعد الفاصل: «سأطرح الأسئلة على كليكما. أولًا عن قرار ريسا بدعم التفكيك، ثم عن عملية التجميع التي أدت إلى «ولادة» كام -إذا صح التعبير- وأخيرًا سأطلب منكما معلومات عن علاقتكما، وكيف عثرتما على بعضكما. أعلم أن كل هذه الأسئلة طُرحت عليكما من قبل، لكني آمل أن تتمكنا من منحي تصريحًا جديدًا».

قالت ريسا، بابتسامة لطيفة مبالغ فيها قليلًا: «حسنًا، سنبذل قصارى جهدنا بالتأكيد».

مال كام نحوها، هامسًا: «يجب أن تتشابك يدانا».

قالت ريسا موضحة: «لن تكون هناك لقطة واسعة. لن يرى أيدينا أحد».

- ينبغي أن نفعل ذلك على أيِّ حال.

لكنْ في هذه المرة لم يحصل كام على ما يريد.

عدَّ مدير المنصة تنازليًّا من خمسة، ثم اشتعل الضوء الأحمر على الكاميرا الأولى.

قال رجل الأخبار: «مرحبًا بكم مرة أخرى.. انطلاقًا من مهمة الشرطة الحالية في «أريزونا»، فإن ضيفينا الليلة لهما.. بريق معين، إذا صح التعبير. فهما مقاتلة هاربة من التفكيك، تحولتْ إلى مدافعة عنه، وشاب لم يكن ليوجد حتى، لولا التفكيك. إنهما ريسا وورد وكامو كومبري».

مضتْ لحظة ترحيب لطيفة، ثم بدأ يوجه أسئلته -كما وعد- إلى ريسا، لكنه فاجأها بسؤال مُصَمَّم لإفقادها توازنها.

- آنسة وورد، بصفتك هاربة من التفكيك سابقًا، ما رأيك في الغارة التي تمت في «أريزونا»؟ هل تؤيدين تفكيك هؤلاء الهاربين؟

لم يكن أيًّا من أسئلته قادرًا على إرباكها، لأنها تعرف فعلًا ما ستقوله بالضبط. استدارت ريسا لتنظر إلى الكاميرا الثانية، والتي أضاءت للتو.

استهلتْ ريسا حديثها، قائلة: «أشعر أنه من المهم أن أضع الأمور في نصابها الصحيح. أنا لست الآن -ولم أكن قطُّ- مؤيدة للتفكيك».

***

74 - روبرتا

لو كانت روبرتا منتبهة، لربما سارت الأمور بشكل مختلف، بمعنى أنها لم تكنْ لتنهار على الإطلاق. يُحسَب لها أن صفقتها مع ريسا كانت صادقة، وإن كانت شديدة التلاعب. أجرتْ بضع مكالمات، وحركتْ بعض الخيوط، وتمكنتْ من الحصول على تأكيد من سلطة الأحداث بعدم وجود غارات وشيكة مخطط لها على مقبرة الطائرات. في حالة تغيُّر هذا، كان من المفترض منح روبرتا تحذيرًا سابقًا بشكل كافٍ، وهذا ما يعني متسعًا من الوقت لتحريك المزيد من الخيوط، ومنع مثل هذه الغارة. لم تكنْ روبرتا تسعى إلى الخداع قطُّ، بل كانت تسعى خلف النتائج.

ومع ذلك، فقد انخرطتْ في الحملة الإعلامية لجعل كام معشوق العصر الحديث، فلم تعلم شيئًا عن المنازل التي أُضرِمَتْ فيها النيران في «توكسون»، والشاب الوقح الذي أشعلها، مُدعيًا أنه المنتقم لكل المنقولين. نعم، كان من المفترض أن تُخطِر سلطة الأحداث روبرتا بالمداهمة من خلال شركائها في «المواطنة الاستباقية». لكنْ مثل أي منظمة تشبه العنكبوت، فإن أنياب «المواطنة الاستباقية» لا تعرف ما تفعله المغازل. بمجرد وصول الأخبار إلى موجات الأثير، بدأ هاتفها طبعًا يرن في جيبها، لكنها كانت قد سئمت من الكثيرين ممن يريدون الكثير من وقتها للرد عليهم.

وهكذا، لم تعرف روبرتا شيئًا عن الغارة، إلى أن بدأت المقابلة مع ريسا وكام. وبحلول ذلك الوقت، كان الأوان قد فات.

***

جلستْ روبرتا في القاعة الخضراء، غرفة الاستوديو الصغيرة المجهزة والمبهجة؛ المليئة بالأطباق الدنماركية التي لا معنى لها والقهوة الضعيفة،

وأخذت تشاهد شاشة تبث من الاستوديو أسفل القاعة. كان تعبير الرعب الذي ارتسم على محيَّاها، قادرًا على تخثير الكريمر الخالي من الألبان.

قالت ريسا: «أنا لستُ الآن -ولم أكن قطُّ- مؤيدة للتفكيك. قد يكون التفكيك هو العمل الأكثر شرًّا على الإطلاق الذي فرضه الجنس البشري».

للحظة، تلعثم الصحفي -المشهور بقدرته على الهدوء في مواجهة التصريحات النارية- ثم قال: «لكنَّ كل إعلانات الخدمة العامة التي قدمتِها...».

- إنها أكاذيب. كنتُ أتعرض للابتزاز.

انطلقتْ روبرتا كالصاروخ، خارجة من الغرفة الخضراء إلى القاعة، واندفعتْ نحو باب الاستوديو. كان الضوء الأحمر مضاءً. يُفترض أن يكون هذا تحذيرًا بعدم الدخول، لأن الكاميرات تعمل، لكنها لم تكن تنتوي قطُّ الانتباه لمثل هذا التحذير.

في الممر من حولها، كانت هناك مجموعة من الشاشات تبث تصريحات ريسا. كان وجهها يظهر على كل شاشة، وينظر إلى روبرتا من ستة اتجاهات مختلفة.

- لقد تعرضتُ للتهديد والابتزاز من قبل مجموعة تسمى «المواطنة الاستباقية». تذكرتُ، إن لهم الكثير من الأسماء الأخرى، مثل اتحاد دافعي الضرائب المعنيين، والجمعية الوطنية للصحة المتكاملة، ولكنَّ كل ذلك مجرد دخان ومرايا.

قال الصحفي: «نعم، أنا أعرف «المواطنة الاستباقية»، لكنْ أليست مجموعة خيرية؟ منظمة خيرية؟»

- خيرية بالنسبة إلى من؟

بمجرد اقتراب روبرتا من باب الاستوديو، اعترضها حارس أمن، قائلًا: «أعتذر يا سيدتي، لا يمكنكِ الدخول الآن».

- دعني أدخل، وإلا أعدكَ أنك ستصبح عاطلًا عن العمل بحلول الصباح.

كان رده هو الوقوف أمامها بحزم، وطلب الدعم، لذا اتجهت روبرتا إلى غرفة التحكم بدلًا من الاستوديو.

وواصلتْ ريسا تصريحاتها: «يزعمون أنهم يُسيطرون على سلطة الأحداث.. يزعمون أنهم يتحكمون في الكثير من الأشياء. ربما يكون ذلك

صحيحًا، وربما لا، لكنْ صدقوني، «المواطنة الاستباقية» لا تهتم سوى بمصالحها الخاصة».

ركزتِ الكاميرا بلقطة مقربة على كام، الذي بدا مذهولًا، أو غبيًّا فحسب؛ ثم عادت إلى الصحفي.

- إذن، فإن علاقتكِ بكامو...

أكملتْ له ريسا: «ليست سوى حيلة دعائية.. حيلة دعائية خططتْ لها «المواطنة الاستباقية» بعناية لتساعد كام على أن يصبح مقبولًا ومحبوبًا».

اقتحمتْ روبرتا غرفة التحكم، حيث يعمل مهندس في غرفة التحرير، بينما يضطجع منتج العرض في مقعده، وهو في غاية السعادة، وقال لمهندسه: «هذا رائع.. أميرة التفكيك تعضُّ اليد الخفية التي تطعمها! لا يمكن أن يكون هناك ما هو أفضل من هذا!».

قالت روبرتا بلهجة آمرة: «أوقفِ المقابلة! أوقفها الآن، وإلا سأحمِّلك أنت وشبكتك المسؤولية عن كل ما تقوله!».

قال المنتج دون أن ينزعج: «أرجو المعذرة.. من أنت؟».

- أنا... مديرتها، وهي غير مصرح لها بقول ما تقوله.

- في الواقع يا سيدتي، إذا كان ما تقوله مرؤوستك لا يروق لكِ، فهذه ليست مشكلتنا.

قالت ريسا: «يجب أن يسأل مشاهدوكَ أنفسهم هذا السؤال.. من أكثر المستفيدين من التفكيك؟ أجب عن هذا السؤال، وأعتقد أننا سنعرف من يقف وراء «المواطنة الاستباقية»».

وهنا أتى حارس الأمن من خلف روبرتا، ليخرجها بخشونة من الغرفة.

هبطت روبرتا إلى القاعة الخضراء إلى أن تنتهي المقابلة، ويتوقف البرنامج لبث الإعلانات.

وعندما انتهت المقابلة، منعها الحارس -الذي لا يزال في وضع «التحذير بوجود دخيل»- من المرور، قائلًا: «لديَّ أوامر بإبعادك عن الاستوديو».

- إنني ذاهبة إلى دورة المياه.

دفعتْه، ومرتْ، لتقتحم الاستوديو. كانت ريسا وكام قد غادرا، وجارٍ تزويد الضيوف التالين بالميكروفونات.

تجنبتْ روبرتا الحارس -الذي أدركتْ أنه على استعداد تام لتخديرها- فاتخذتْ ممرًّا جانبيًّا إلى غرف تبديل الملابس. كانت غرفة ملابس ريسا فارغة، لكنَّ كام كان في غرفته. رأت معطفه وربطة عنقه متناثرين على الأرض، وكأنه لم يطقِ الانتظار ليتحرر منهما. كان يجلس أمام طاولة الزينة، ورأسه بين كفيه.

- أسمعتَ ما قالته عني؟ أسمعتَ؟ أين هي؟

- رأس في الرمال! سلحفاة في قوقعتها! اتركيني وحدي!

- ركز انتباهكَ يا كام! كانت على المنصة معك. أين ذهبت؟

- هربتْ. قالت إن الأمر قد انتهى، وأنها راحلة، ونزلتْ من سلم الطوارئ.

- سينتهي أمرها فعلًا، عندما أتعامل معها.

نزلت روبرتا من سلم الطوارئ. كان الاستوديو في الطابق الثاني، والمكان الوحيد الذي يمكن لريسا الذهاب إليه هو الخروج إلى ساحة انتظار السيارات التي تكون في الغالب خالية في هذا الوقت من الليل. لا يمكن أن تكون لها الأسبقية بأكثر من خمس عشرة ثانية، لكنها لم ترها في أي مكان. الشخص الوحيد الذي كان في الجوار هو سائقهم الذي كان يتكئ على سيارته الليموزين، وهو يأكل شطيرة.

سألته روبرتا: «هل رأيتها؟».

أجابها: «رأيت من؟».

وبدأ هاتف روبرتا يرن، كأنه لن يتوقف أبدًا.

***

75 - كام

عادتْ روبرتا من بحثها الفاشل عن ريسا. التقاها كام في الغرفة الخضراء، حيث كان ينتظرها اثنان من حرس الأمن المتشوقين إلى مرافقتها إلى الخارج. كانت تتحدث في الهاتف، وقد أصبحت فعلًا في خضم محاولة السيطرة على الأضرار.

قال كام: «أنتاركتيكا. كان يجب أن أقول شيئًا ما هناك، لكني تجمدتُ».

قالت: «ما حدث قد حدث. (ثم تذمرتْ عند انقطاع المكالمة) فلنخرج من هنا».

قال لها كام: «سألتقيكِ في السيارة. أغراضي ما زالت في غرفة الملابس».

اصطحب الحرس روبرتا بشكل رسمي إلى خارج المبنى، وعاد كام إلى غرفة الملابس. ارتدى معطفه الرياضي، ولفَّ ربطة عنقه بحذر ووضعها في جيبه. ثم -عندما تأكد من مغادرة روبرتا للمبنى- قال: «لا بأس، لقد ذهبت».

انفتح باب الخزانة، لتخرج ريسا، قائلة: «شكرًا لكَ يا كام».

رفع كام كتفيه في لا مبالاة، قائلًا: إنها تستحق ما حدث. (استدار لينظر إليها. كانت لاهثة الأنفاس، كما لو أنها كانت تركض، لكنه كان يعلم أنها كانت تركض خلف أفكارها فقط) هل سيُفككونهم جميعًا؟ أصدقاؤك الهاربون من التفكيك؟».

قالت له: «ليس على الفور. لكنْ نعم، هذا ما سيحدث لهم».

- يؤسفني ذلك.

- إنه ليس خطأك.

لم تنظرْ إليه وهي تقولها، ربما كانت تعتقد أنه خطأه بشكل ما. كأن وجوده نفسه يجعله مذنبًا.

قال لها: «لا حيلة لي في ما أنا عليه».

- أعرف... لكنك أظهرت لي اليوم أنك واسع الحيلة بالنسبة إلى ما يمكنك فعله.

ثم مالت إلى الأمام وطبعت قبلة على وجنته. شعر كأن قبلتها صدمة كهربائية سرت في كل مواضع التحام وجهه. استدارت لتذهب، لكنه لم يستطع أن يتركها. ليس دون أن يقول: «أحبك يا ريسا».

نظرت إليه مرة أخرى، دون أن تمنحه أكثر من ابتسامة اعتذار، وقالت: «وداعًا يا كام».

وذهبتْ.

لم يبدأ الغضب في التصاعد بداخله، إلا بعد رحيلها. لم يكنْ مجرد ارتفاع، بل انفجار، ولا مجال للتنفيس عنه. أخذ المقعد، وقذفه نحو مرآة طاولة الزينة، محطمًا إياها. ألقى بكل ما يمكن كسره على الجدران، ولم يتوقف إلى أن اقتحم حرس الأمن المكان، وتكالبوا عليه. تطلَّب الأمر ثلاثة من الحرس لكبح جماحه، لكنه ظل الأقوى. كان يمتلك أفضل العناصر في جسده، كل مجموعة عضلية، كل رد فعل معقد. تخلص من الحرس، واندفع نازلًا على سلم مخرج الطوارئ، حيث التقى روبرتا في السيارة الليموزين.

- ما الذي استغرق منك كل هذا الوقت؟

قال: «العزلة. كنت بحاجة إلى بعض الوقت بمفردي».

قالت فيما انطلقت السيارة مبتعدةً: «كل شيء على ما يرام يا كام. سوف نتجاوز هذا».

- نعم، أثق أننا سنفعل.

لكنه كان يحتفظ بأفكاره الحقيقية لنفسه. لم يكن كام ليتقبل قطُّ وداع ريسا. لن يتركها تختفي من حياته. سيفعل كل ما يتطلبه الأمر ليحصل عليها، ليحتضنها، ويحتفظ بها. لديه كل موارد روبرتا في متناول يده ليحصل على ما يريد، وسيستخدمها.

بين المكالمات الهاتفية، ابتسمتْ له روبرتا مطمئنة، فبادلها الابتسام. في الوقت الحالي، سيلعب كام اللعبة. سيكون الصبي المُجمَّع الطيب الذي تريده روبرتا أن يكونه، لكنْ مِن هذه اللحظة فصاعدًا، ستكون لديه أهداف جديدة. سيحقق حلم ريسا، ويقضي على «المواطنة الاستباقية» اللعينة، قطعة.. قطعة.

وبعد ذلك لن يكون أمامها خيار، سوى أن تحبه.

الجزء السابع

الهبوط

يواجه بلدنا تحديات في الداخل والخارج.. إرادتنا هي التي تُختَبر، وليست قوتنا.

- الرئيس جونسون متحدثًا عن فيتنام والاحتجاجات على الحرب في حرم المدرسة عام 1968.

أؤمن إيمانًا كاملًا بأن هذا الصراع الوطني المدمر سيجد حلًّا، وأن الاتفاق بين الجانبين سيكون أيضًا بمنزلة حل نهائي لمشكلة المراهقين المعادين للمجتمع. لكنْ حتى ذلك اليوم المجيد، أفرض حظر التجول من الساعة الثامنة مساءً، لمن تقل أعمارهم عن ثمانية عشر عامًا.

- الرئيس موس في «حرب الجوهر»، قبل أسبوعين من اغتياله على يد انفصاليي «نيوجيرسي» المتشددين.

76 - «دريملاينر»

في جنوب «كاليفورنيا» -أقصى الجنوب من بريق هوليوود وأقصى الشرق من امتداد ضواحي «سان دييجو- يوجد بحر داخلي منسي وغير محبوب، مثل نزلاء ملاجئ الدولة الهاربين من التفكيك، أو الصبية المنقولين في مخيمات الحصاد. منذ مئات الآلاف من السنين، كان هذا البحر هو الامتداد الشمالي لبحر «كورتيز»، قبل أن يكون لهذا البحر اسم. لكنه الآن أكثر بقليل من بحيرة مالحة عملاقة غير ساحلية، تجف ببطء في الصحراء. شديد الملوحة بشكل لا يناسب حياة الفقاريات؛ ماتت جميع أسماكه، وعظامها تغطي الشواطئ كالحصى.

قبل منتصف الليل بعشر دقائق، كانت طائرة أُعلِن عنها ذات يوم كـ «حلم الطيران» -قبل أن تُستبدل بها أحلام جديدة- تتجه نحو بحر «سالتون». كان يقودها طيار عسكري شاب يتمتع بثقة بنفسه، أكبر بكثير من الخبرة. بعد أن تجاوزت بالكاد الجبال المحيطة بالبحيرة، أقدمت الطائرة النفاثة على ما تسميه شركات الطيران بسخرية «الهبوط على الماء».

لكنَّ الأمر لم يكن يسير جيدًا.

***

مكتبة
t.me/soramnqraa

77 - ستاركي

لا أحزمة أمان ولا مقاعد. لم تكن هناك وسيلة للاستعداد لهبوط تصادمي. قال لهم ستاركي: «شبِّكوا مرافقكم معًا! شبكوا سيقانكم ببعضها. سنكون بمنزلة أحزمة أمان لبعضنا».

أطاعه المنقولون، فتجمعوا، وشبكوا الأطراف، وحوَّلوا أنفسهم إلى مستعمرة متشابكة من اللحم والعظام. ولجلوسهم على أرضية الطائرة، لم يستطع أحدهم رؤية النوافذ ليعرفوا مدى اقترابهم من البحيرة، لكنْ هنا أتى صوت ترايس خلال جهاز الاتصال الداخلي، وقال: «عشرون ثانية تقريبًا». ثم تغيرت زاوية هبوطهم، عندما سحب هو مقدمة الطائرة إلى أعلى.

قال ستاركي: «أراكم على الجانب الآخر»، ثم أدرك مرة أخرى أن هذا ما تقوله عندما توشك أن تموت. أخذ ستاركي يحصي العشرين ثانية الأخيرة في رأسه، لكنْ لم يحدث شيء. هل كان يعد بسرعة شديدة؟ هل أخطأ ترايس في تقدير المدة؟ إذا كان ما مرَّ عشرين ثانية، فهي الأطول في حياته. ثم حدثتْ أخيرًا هزة قوية، أتبعها هدوء. فقال أحد الصبية: «أهذا كل شيء؟ هل انتهى الأمر؟».

هنا حدثت هزة أخرى، ثم ثانية وثالثة، كل واحدة تلي سابقتها بفارق طفيف، فأدرك ستاركي أن الطائرة تندفع بشدة محتكة بسطح الماء، كما يحدث عند إلقاء حجر أفقيًا. مع الاحتكاك الخامس، انغمس الجناح في الماء، فجعل الطائرة تنقلب لتشكِّل خطًّا مستقيمًا متعامدًا على الماء، وفجأة، أصبحت نهاية العالم. فقد بدأت «الدريملاينر» تنقلب رأسًا على عقب -كعربة خشبية اختلَّ توازنها- على سطح البحيرة الذي لا يرحم. في الداخل، اندفع حشد الأطفال الملتحم على الأرضية، لتُفكِّكه قوة الطرد المركزي، فانفصلوا إلى مجموعتين اندفعت كل منهما إلى طرفي المقصورة الرئيسية. في الواقع،

أنقذ تشابك الأذرع العديد منهم؛ كانت الأجساد المحيطة بهم بمنزلة وسائد امتصَّت الصدمة، لكنَّ أولئك الموجودين على الطرف الخارجي من تشكيل الصبية المتدحرجين -أولئك الذين كانوا بمنزلة وسائد- أصبحوا الضحايا.

قُتِلَ الكثير منهم عندما ارتطموا بالأسطح الصلبة «للدريملاينر».

كما أن مخزون الأسلحة -الموجود في مساحات التخزين العلوية- تحرر أيضًا، وتطايرت الأسلحة، حيث تفككت تلك الخزائن، وانفتحتْ. وبهذا أصبحت المسدسات والبنادق والمدافع الرشاشة والقنابل اليدوية مدفوعة بقوة الجاذبية، وهذا ما تسبب في وقوع إصابات، دون إطلاقها.

كان ستاركي في الجزء الأمامي من الأجساد الملتحمة، فشعر أن رأسه اصطدم بشيء صلب، وهذا ما خلَّف جرحًا على جبهته، لكنَّ هذا كان لا يقارن بالألم المتفجر في يده المحطَّمة.

وأخيرًا، استقرتِ الطائرة الساقطة. كانت أصوات الصياح والنحيب أشبه بالصمت، مقارنة بضوضاء الاصطدام. ثم في مكان ما تجاه الجزء الخلفي من المقصورة، حدث انفجار: قنبلة يدوية فقدتْ دبوس أمانها، صانعةً ثقبًا في جانب الطائرة، وبدأ الماء يتدفق. وهنا تعطل النظام الكهربائي، فغرقوا في الظلام.

نادت بام: «هنا!». سحبت رافعة ضخمة، لتفتح الباب الأمامي الجانبي للمقصورة. انتفخ قارب نجاة مطاطي تلقائيًا وانفصل، ثم سقط في الماء، فصاحت بام «وداعًا»، وقفزت خلفه على الفور.

غريزة ستاركي أنبأته بضرورة الخروج الآن.. لكنْ إذا كان يريد أن يُنظر إليه بصفته حامي المنقولين، فلا بدَّ أن يكون ذلك فعلًا، وليس بمجرد الكلمات. لذا انتظر. ودفع الصبية إلى الخروج من الباب، ليصبح واضحًا أنه لم يكن أول من خرج، لكنه لم يكن يخطط لأن يكون الأخير.

داخل الطائرة المنهارة، فتح الصبية مخارج الجناح المفتوح وبوابة في الوسط، لكنْ فقط على الجانب الأيسر. فعلى اليمين، اشتعلتْ بقعة من وقود الطائرات في الماء واحترقتْ خارج النوافذ.

صرخ ستاركي: «الأسلحة! خذوا الأسلحة! ما زال علينا الدفاع عن أنفسنا!».

وهكذا التقط الصِّبية كل الأسلحة التي أمكنهم العثور عليها، وألقوا بها على قوارب النجاة المطاطية، قبل أن يقفزوا عليها هم أيضًا.

وفَّرت النار بالخارج ضوءًا كافيًا لستاركي، ليرى التجاويف البعيدة للمقصورة الرئيسية، وتمنى لو أنه لم ينظر. كان الموتى في كل مكان، والدم اللزج السميك يلطخ الأسطح. لكنْ كان الأحياء أكثر من الموتى، وصِبية يركضون، أكثر ممن يزحفون. في هذا المكان، وتلك اللحظة، قرَّر ستاركي أن ينقذ فقط أولئك الذين يمكنهم الخروج بمفردهم. فالمصابون بجروح خطِرة لن يكونوا سوى أعباء تثقل الباقين.

تغيرت زاوية الأرضية بسرعة؛ بدأت الطائرة في الغرق بداية من الذيل. غمرت المياه المقصورة الخلفية فعلًا، وارتفع منسوب المياه بمعدل ثابت لا هوادة فيه تجاوز الحاجز المركزي. ثم سمع ستاركي صوتًا مكتومًا من مقدمة الطائرة.

- أنا بحاجة إلى المساعدة هنا!

شقَّ ستاركي طريقه إلى باب قُمرة القيادة، وفتحه. كان الزجاج الأمامي مُحطَّمًا، وقُمرة القيادة بأكملها فوضى من المؤشرات المحطمة، والعوارض المفتوحة، والأسلاك المكشوف، في حين انحشر مقعد الطيار في الأمام، وهذا ما جعل ترايس مثبتًا في مكانه.

هذا الوضع، جعل ستاركي في موقف مثير للاهتمام. قال ترايس بارتياح: «ستاركي.. أريدك أن تسحبني وتخرجني من هنا. لا أستطيع أن أفعل ذلك بنفسي».

قال ستاركي: «نعم، هذه مشكلة». لكنْ هل هي مشكلته؟ لقد احتاجوا إلى ترايس للوصول بهم إلى هذه المرحلة، لكنهم لم يعودوا في حاجة إلى طيار بعد الآن.. ألم يكن ترايس يهدد فعلًا بقتله؟ إذا نجا ترايس، فمن الآن فصاعدًا لن يمثل سوى تهديد، وتهديد خطِر.

قال ستاركي: «لم أمتلكِ الشجاعة قطُّ لتجربة الهروب الكبير من المياه. لقد قتل هذا هوديني[1]، لكنني واثق أن الأمر سيكون سهلاً بالنسبة إلى بوف عظيم مثلك». ثم تراجع خارج قُمرة القيادة، وأغلق الباب.

---

(1) هاري هوديني: أمريكي من أصل مجري، وهو أشهر ساحر في التاريخ، وأستاذ في فن الوهم. عمل ممثلًا ومخرج أفلام. يعتبر من أكبر الأسماء في فن الإيحاء والتخلص من القيود، اكتسب شهرة عالمية، بسبب عروضه المذهلة التي أثارت اهتمام الجماهير. توفي عام 1926 عن عمر يناهز 52 عامًا. "المترجم".

صرخ ترايس: «ستاركي!» ستاركي، يا ابن العاهرة!».

لكنَّ قرار ستاركي كان نهائيًّا، وبينما عاد إلى البوابة الرئيسية، تلاشى صوت ترايس المكتوم، مع ارتفاع صوت المنقولين المذعور. بقي نحو اثنى عشر صبيًّا: البطيئون، والمصابون، ومن يخافون القفز، لأنهم لا يستطيعون السباحة.

قال أحدهم، وهو يئن: «ما هذه الرائحة البشعة؟ ماذا يوجد بالخارج؟».

كان على حق، فاحت رائحة كريهة لهذه البحيرة، كحوض للأسماك تُرِكَ ليتعفن، لكنَّ هذا كان أقل مشكلاتهم. فالمياه تجمعت فعلًا عند أقدامهم، ومالت الأرض بمقدار ثلاثين درجة.

تخطى ستاركي الصِّبية الباقين، قائلًا: «القفز أو الغرق، ليس لديكم خيار آخر، وأنا لن أنتظر المتأخرين». ثم ألقى بنفسه من الباب ليسقط في بحر «سالتون»، الذي هو محلول ملحي كريه الرائحة.

***

78 - ترايس

لم يلبِّ أحد نداءات ترايس لطلب المساعدة، وفي حالة إحباط غاضب، ضرب الكونسول ودفع المقعد، لكنه لم يستجب. كان ملتصقًا بشدة بقُمرة القيادة، ولا يمكن حتى لبوف في مثل قوته انتزاعه من مكانه. أجبر نفسه على الهدوء، ومراجعة خياراته. كل ما استطاع أن يسمعه عندئذٍ هو تضاؤل أنين ونحيب الصبية المصابين بشدة، فلم يتمكنوا من الهروب، وطبعًا كان يسمع صوت اندفاع المياه بلا هوادة. وهنا أدرك أنه لم تعد لديه خيارات بعد الآن. لقد حرص ستاركي على التأكد من ذلك.

بدأت مياه البحيرة تتدفق من خلال نافذة قُمرة القيادة المكسورة في سرعة لم تترك له وقتًا لإعداد نفسه. رفع ترايس رقبته، محاولًا إبقاء رأسه فوق الماء لأطول مدة ممكنة. ثم أخذ جرعة واحدة عميقة من الهواء، وكتمها، وهو تحت الماء. وفجأة ساد صمت في كل مكان حوله باستثناء أصوات قرقعة المعدن في أثناء غرق الطائرة.

استهلك جسده آخر قَدْر من الأكسجين، ثم استسلم ترايس لمصيره، ولفظ أنفاسه الأخيرة، على هيئة فقاعات ابتعدت عنه في الظلام، وبدأ جسده يغرق. كان أمرًا مروعًا -كما تخيله في أي وقت مضى- لكنه كان يعلم أنه لن يدوم طويلًا. خمس ثوانٍ أو عشرة. بعدها لم يعد الظلام في الوضع كله مهمًّا بعد الآن. وبينما ينسحب آخر ما تبقى من وعيه، تمسك ترايس بالأمل في أن يكون اختياره للقتال في صفوف الهاربين من التفكيك، بدلًا من سلطة الأحداث كافيًا لدفع ثمن عبوره إلى مكان أفضل حقًّا.

***

79 - ستاركي

كان مذاق الماء أشبه بالمطاط والعفن. لم يكن الماء دافئًا ولا باردًا، بل فاترًا، مثل الشاي الذي يُترَك لينقع لمدة ساعة. اختفى آخر أجزاء الطائرة تحت السطح، دون أن يترك سوى فقاقيع مائية بيضاء تتدفق وسط المحلول الملحي وبقع الوقود المشتعلة التي كادت تنطفئ. نظر ستاركي حوله ليرى صبية في الماء، وآخرين على قوارب النجاة، إضافة إلى أولئك الذين انجرفوا بعيدًا للغاية، فلا يمكن رؤيتهم على الإطلاق، وهم ينادون، طلبًا للمساعدة. كان على بعد بضع مئات من الأمتار فقط شاطئ مهجور. كان ترايس -لروحه السلام- ذكيًّا بما يكفي، فأسقطهم بالقرب من الجانب غير المأهول من البحيرة الضخمة. ومع ذلك، سيكون هناك أناس شاهدوا الحادث، وسيأتون لتقصِّي الأمر. عليهم الابتعاد عن المشهد في أسرع وقت ممكن، لأن جذب انتباه السكان المحليين هو آخر ما يرغبون فيه.

قال لهم ستاركي: «من هنا!»، وبدأ يسبح، ويسحب نفسه إلى الأمام بيده السليمة. جدَّف الصبية على القوارب المطاطية، وسبح الآخرون، وفي غضون دقائق قليلة، خرجوا من الماء النتن، إلى شاطئ إسفنجي من عظام السمك المسحوقة.

أمر ستاركي بام بإحصاء الرؤوس، فأخبرته أنهم 128 رأسًا. لقد فقدوا 41 صبيًّا في الحادث. حاول الناجون من حوله تحديد هوية الأشخاص المفقودين بالضبط، وهذا ما أثار غضب ستاركي. الجلوس هنا لن يفعل شيئًا سوى التسبب في أَسْرهم. كان يعرف أنه ماكر بما يكفي لينجو بمفرده؛ لكنْ بطريقة ما، عليه أن يستخدم ذكاءه لمد مظلَّة النجاة، حتى تشملهم جميعًا.

- فلينهضِ الجميع! لا يمكننا أن نضيِّع وقتنا في لعق جراحنا والحداد على الموتى. علينا الخروج من هنا.

سألته بام: «أين تقترح أن نذهب؟».

- في الوقت الحالي، فلنذهب إلى أي مكان ما عدا هنا.

كان ستاركي يعرف أنه يحتاج إلى توجيه هؤلاء الصبية، ومنحهم دافعًا. الآن بعد أن تحرروا من البقاء كالغنم في حظيرة المقبرة، عليهم تغيير أولوياتهم. ربما كان كونور سعيدًا بإبقاء المراهقين أحياء، لكنْ على ستاركي أن يجعل هذا الأمر أكثر من مجرد نجاة من الموت. تحت قيادته، يمكن للمنقولين أن يصبحوا قوة لا يستهان بها. ذهب إلى أقرب الصِّبية إليه الذين يحصلون على بعض الراحة بعد الإرهاق، وأمسك بهم من أطواق قمصانهم، ليقفوا على أقدامهم، وقال: «لنتحرك! سنحصل على الراحة عندما نكون بأمان».

سأل أحدهم: «ومتى سيحدث ذلك؟». لم يُجِبْ ستاركي، لأنه كان يعلم أنهم لن يصبحوا آمنين أبدًا. لكنَّ هذا جيد. لقد كانوا راضين عن أنفسهم لمدة طويلة. كونهم على حافة الخطر، سيبقيهم في حالة انتباه وتركيز.

بينما استجمع المنقولون قوتهم للانطلاق في رحلة غير مؤكدة الوجهة سيرًا على الأقدام، أخذ ستاركي يبحث بينهم، حتى وجد جيفان، وشعر بالارتياح لكونه أحد الناجين.

- سنحتاج إلى نوع الإعدادات التي استخدمتَها في «الكومبوم» يا جيفز، لكنْ على الهاتف المحمول. أريدك أن تكون أعيننا وآذاننا، وأن تجمع المعلومات الاستخباراتية التي تصل إليها من سلطة الأحداث.

هز جيفان رأسه في حالة من عدم التصديق الممتزج بالذعر، وقال: «كانت هذه كلها برامج عسكرية مُتطوِّرة. لم تعد لدينا الآن. ليس لدينا حتى جهاز كمبيوتر!».

قال ستاركي: «سنستولي على العدد الذي تحتاج إليه من أجهزة الكمبيوتر. وأنت ستعمل على نجاح الأمر».

أومأ جيفان برأسه في توتر: «أمرك يا سيدي».

قبل حتى مغادرتهم الشاطئ، بدأت خطة ستاركي الكبرى تتبلور. سيُصعِّد حملة الثأر التي بدأها في «توكسون»، لكنْ هذه المرة لن يكونوا مجرد حفنة من المنقولين المنتقمين، بل سيشارك الجميع: جيش صغير مُكوَّن من 128 مقاتلًا قويًّا، يعاقب كل مَن يريد تفكيك المنقولين. سوف تنمو أعدادهم مع كل منقول ينقذونه. كان واثقًا أن في الوقت المناسب، سيمكنهم هدم مخيمات

حصاد بأكملها. وبعد ذلك، لن يكون إوُول آكرون سوى هامش سفلي مؤسف، في صفحة مجده.

مستمدًّا القوة من رؤيته النافذة، قادهم ستاركي إلى الجبال، شرق بحر «سالتون». ستتمثل حيلته الأولى في إخفائهم جميعًا، لكنَّ هذه ستكون البداية فقط. من هذه اللحظة فصاعدًا، لن تكون هناك نهاية للسحر.

***

80 - ميراكولينا

شعرت ميراكولينا بدوار يكتنف رأسها، في أثناء استيقاظها. هذا ما جعلها تعرف أنها كانت مُخدَّرة. هذه هي المرة الرابعة التي يخدرونها فيها، فأصبحت تعرف كيف تسير الأمور. ذكريات الأحداث التي سبقت ذلك كانت تعود، لكنْ ببطء وبغير ترتيب. قاومت إحساسها بالغثيان، ووضعتْ على عاتقها مهمة تحديد ظروفها الحالية، وتشتيت انتباهها عما تشعر به. شعرتْ بالحركة، فعرفتْ أنها في سيارة. كانت تسافر مع ليف؛ أهي في مؤخرة الشاحنة؟ لا. أهي في مقصورة الأمتعة في الحافلة؟ لا.

كان الوقت ليلًا، وهي في المقعد الخلفي للسيارة. هل ليف معها؟ لا، لم يكونا في سيارة في نهاية وجودهما معًا، أليس كذلك؟ كانا يسيران على الأقدام بالقرب من سياج ما.. نحو قاعدة جوية قديمة. هل هناك المزيد؟ لا بدَّ من وجود المزيد، لكنْ مهما حاولت، لم تتذكر أي شيء بعد السير نحو البوابة.

ورغم علمها أن ذلك سيجعلها تشعر كما لو أن دماغها يريد الهرب من خلال أذنيها، فقد جلست. كان هناك حاجز زجاجي سميك بينها وبين المقعد الأمامي. أهي سيارة شرطة؟ نعم.. اثنان من رجال شرطة الأحداث كانا يجلسان في المقعد الأمامي. من المفترض أن تكون هذه أخبارًا جيدة بالنسبة إليها. هذا يعني أنها قد خرجتْ أخيرًا من العالم السفلي الذي جرَّها إليه ليف. ومع ذلك، لم تشعر بالارتياح على الإطلاق، والسبب لم يكن مجرد عمليات التهدئة التي تعرضتْ إليها. كان وجودها في سيارة فرقة شرطة الأحداث لا يبشر بالخير في ما يتعلق بليف، ولم يعد بإمكانها إنكار أنها تهتم بما يحدث له، رغمًا عنها. حدَّق شرطي الأحداث الذي يقود السيارة إلى مرآة الرؤية الخلفية، ولاحظ نظراتها، فقال مسرورًا: «انظروا من استيقظ!».

- أيمكنكِ إخباري بما حدث؟

أصابها صوتها نفسه بالصداع.

قال الشرطي: «الشرطة شنت حملة على ساحة إنقاذ الطائرات. لكنكِ تعرفين هذا فعلًا، أليس كذلك؟».

- لا، لقد هدأني أحدهم خارج البوابة. (ثم أضافت) كنتُ في نزهة على الأقدام.

كان هذا أغبى شيء يمكن أن تقوله، مع الأخذ في الاعتبار مدى انعزال ذلك الطريق.

قال الشرطي الراكب بجوار السائق: «نحن نعرف من أنت يا ميراكولينا».

دفعها سماع ذلك إلى الاستلقاء على الجلد اللزج للمقعد الخلفي، لكنها مالت بشكل خاطئ، لينتهي بها الأمر مصطدمةً بباب السيارة.

سألته، وهي لا تستطيع أن تتخيل أن ليف قد أعطى اسمها طواعية إلى شرطة الأحداث: «أهو من أخبرك؟».

قال: «لم يخبرنا أحد. (ورفع جهازًا إلكترونيًّا صغيرًا) إنه اختبار الحمض النووي. إنه إصدار قياسي تستخدمه شرطة الأحداث منذ حادث مخيم «هابي جاك»».

قال الشرطي الذي يقود السيارة: «أودُّ أن أعرف من الذي تتحدثين عنه».

حسنًا، إذا كانا لا يعرفان، فلن تخبرهما. لو أن ليف لم يُقبَض عليه، فهذا يعني أنه لم يكن معها عندما أسروها. لكنْ هل تركها فحسب؟ إن ليف مزيج مختلط من الأخلاق المتناقضة، لا يمكنها التأكد. لكنْ لا، إنها كذبة.. نوع الكذبة نفسه الذي كانت تقوله لنفسها حتى تراه كشيطان فحسب. كانت تعرف في أعماقها أنه لم يكن ليتركها طواعية. لو أنه قد فعل ذلك، فلا بدَّ أنه لم يكنْ لديه خيار آخر. ومع ذلك، لم يكن هناك ما يدل على كونه حرًّا أو أسيرًا.

سأل الشرطي الراكب بجوار السائق: «ما أريد أن أعرفه هو كيف انتهى بكِ الأمر خارج البوابة، وليس بالداخل مثل بقيتهم».

قررتْ ميراكولينا إخبارهما بنسخة منقَّحة من الحقيقة، لأنهما لن يصدقاها على أيِّ حال. قالت لهما: «لقد هربتُ من قرصان أعضاء مع صديق. كنا نبحث عن مكان آمن».

نظر الشرطيان إلى بعضهما.

- لم تكنْ لديكِ إذن أي فكرة أن مقبرة الطائرات كانت معقلًا للهاربين من التفكيك.

- لقد أُخبِرنا أن نذهب إلى هناك، وأننا سنكون في مأمن من قرصان الأعضاء.

- من أخبرك بذلك؟

قالت: «شخص ما»، وهو ما بدا كما قد يقوله أي طفل، للتهرب بشكل فعَّال من السؤال.

- كيف حصلتِ على رصاصة التهدئة؟

عندما لم تجبْ، نظرَ السائق إلى شريكه، قائلًا: «ربما يكون مبتدئًا يسعده ضغط الزناد». فهز شريكه كتفيه في لا مبالاة فحسب.

- حسنًا، أنتِ هنا، وفي أمان. هل كان صديقكِ عُشرًا أيضًا؟

اضطُرَّتْ ميراكولينا إلى إخفاء ابتسامتها، وهي تقول: «نعم. كان عُشرًا». كانت مسرورة، لأن بإمكانها أن تكذب عليهما بصدق تام، ففي النهاية هذه هي أفضل وسيلة.

قال الراكب بجوار السائق: «في الواقع، لم يُسلِّم أي عُشر نفسه. ربما اصطحبوه مع الباقين».

- الباقون؟

- كما ذكرنا، كانت إحدى عمليات الشرطة. أمسكتْ بعش ضخم للهاربين من التفكيك. بضع مئات منهم على الأقل.

مرة أخرى، شيء كان يمثل يومًا بشرى سارة لميراكولينا -العدالة السائدة، واستعادة النظام- لم يجلبْ لها الآن سوى الكآبة.

سألت، وهي تعلم أنه إذا قُبِضَ على ليف أو صديقه إوُول آكرون، فسيكون ذلك خبرًا مهمًّا، وسيعرفه الجميع: «هل هناك أي شخصيات بارزة بين من قُبِضَ عليهم؟».

- لا توجد شخصيات بارزة بين الهاربين من التفكيك يا حلوتي. إنهم جميعًا نكرات. وإلا لما كانوا حيث هم الآن.

مرة أخرى تنهَّدت بارتياح، فافترض الشرطيان أن هذا من الأعراض الجانبية للمخدر.

- استلقي يا عزيزتي. ليس لديكِ ما يدعو إلى القلق. قراصنة الأعضاء لا يمكنهم الوصول إليكِ الآن.

لكنها ظلتْ منتصبة، ولم ترغب في الاستسلام لحالة الاسترخاء التي تعقب التهدئة. كان في الطريقة التي يعاملونها بها شيء غريب. ففي النهاية، إنها مفككة تتلو قصةً مشكوكًا في صحتها، ورغم أنها من الأعشار، فإنها لم تعرف قطُّ أن رجال شرطة الأحداث يكونون بهذا اللطف مع الصبية الموشكين أن يُفككوا. فكما قالا، إنهم يرون المفككين كنكرات. أنت لا تنادي نكرة بألفاظ مثل «عزيزتي» و«حلوتي».

مع اقترابهم من مقر شرطة الأحداث المحلي، بدأتْ تتساءل عما سيحدث الآن. قالت لهما: «كان من المفترض أن أذهب إلى مُخيم حصاد «الغابة الجوفاء»، فهل ما زلتُ سأذهب إلى هناك، أم إلى معسكر في ولاية «أريزونا»؟».

قال السائق: «لا هذا ولا ذلك».

- عفوًا؟

أوقف السيارة، واستدار إليها، قائلًا: «من واقع ما أفهمه، لم يوقِّع والداك قطُّ أمر التفكيك».

عند سماع هذا القول، عجزت ميراكولينا عن الحديث.

لم يوقِّعاه قطُّ. في هذه اللحظة، تذكرتهما وهما يخبرانها بذلك، وهي تقف عند الباب، لكنها قالت لهما إن خيارها هو الذهاب، وركبتِ الشاحنة على أيِّ حال.

- حتى لو كنتِ قد وصلتِ إلى «الغابة الجوفاء»، لكانوا سيعيدونك إلى المنزل، بمجرد مراجعتهم الأوراق مرة أخرى. لا يمكن تفكيكك دون أمر.

ضحكتْ من سخرية القدر. هذا الوقت كله كانت تقاتل لتنفيذ نذر العُشر في نهاية الأمر، لكنَّ الأمر استعصى على الحدوث، بل لن يحدث أبدًا. أرادتْ أن تغضب، لكنْ كيف يمكن أن تلوم والديها لأنهما أحباها لدرجة عدم التخلي عنها؟ تساءلت كيف كانت الأمور ستختلف لو أنها عرفت. هل كانت ستقوم برحلة غربًا مع ليف، بعد الهروب من قرصان الأعضاء؟ هل كانت ستبقى معه لمدة كافية لتسامحه، وتمنحه ذلك الغفران الذي كان في أمسِّ الحاجة إليه؟ لدهشتها كان الجواب بالنفي. لو كانت تعلم أن نذر العُشر لن ينفذ

أبدًا بالنسبة إليها، فإن تلك المكالمة التي أجرتها مع والديها لم تكن لتصبح مجرد رسالة مفادها أنها حيَّة، بل كانت ستصبح استنجادًا بهما حتى يأتيا لاصطحابها. كانت ستدع ليف يُنهي رحلته بمفرده، وحيدًا وغير مغفور له.

قال الشرطي المجاور للسائق في تعاطف: «أنا أعرف كيف يشعر الأعشار. لو أن هذا هو ما تريدينه حقًّا، فيمكنكِ مناقشة الأمر مع والديكِ عندما يصلان إلى هنا».

ورغم أن هذا هو ما تريده، فقد تصالحتْ مع خيبة الأمل المصاحبة للبقاء مكتملة.

قالت: «شكرًا لكما. شكرًا جزيلًا». لكنهما لم يكونا من تُوجِّه لهما الشكر حقًّا.

إما أن تحدث الأشياء لسبب ما، وإما أنها تحدث دونما سبب على الإطلاق. إما أن تكون حياة المرء خيطًا في سجادة رائعة، وإما تكون الإنسانية مجرد عقدة متشابكة ميؤوس منها. لطالما آمنت ميراكولينا بنظرية السجادة، وقد شعرت في هذه اللحظة بأنها محظوظة لأنها تلقتْ لمحة من أصغر ركن فيها. أدركتِ الآن أن رغبتها في أن تكون عُشرًا لم يكن الهدف منها إدخالها في حالة منقسمة، بل كانت لدفعها إلى المكان المناسب في الوقت المناسب، لتكون لها يد في إنقاذ الصبي الذي كان سيفجر نفسه.

من كان ليتصور أن مسامحتها إياه هدية أقْيم من مائة جزء منها؟

لذلك ستعود إلى أحضان والديها العاطفييْن للغاية، وستعيش الحياة التي يحلمان بها لها، إلى أن تجد حلمها الخاص. لم تحظَ بحفل لنذر العُشر، لكنها قررتِ الآن أن تقيم لنفسها احتفالًا يومًا ما. ربما احتفال بستة عشر عامًا من عمرها قضتْها في سعادة. وستجد ليف، أينما كان في العالم، وتطلب منه حضور الحفل، ولن تقبلَ رفضَه دعوتَها. وفي الحفل، سترقص معه.. أخيرًا.

***

81 - هايدن

على حد علم هايدن، كانوا هم آخر من تبقى. كان هناك أربعة عشر شخصًا آخر معه في «الكومبوم»، كلهم صبية من العاملين في الاتصالات بالمقبرة، ويؤمنون به أكثر من أي شخص آخر، وهو ما صدم هايدن. لم يكن يعلم بوجود أي شخص يتطلع إليه. صبي واحد لوحظ غيابه. قبل انقطاع التيار الكهربائي عن الكاميرات، رأى هايدن جيفان يدخل «الدريملاينر» مع المنقولين الآخرين، وذراعاه مُحملتان بالأسلحة المسروقة.

كان كونور قد توقف عن الاستجابة لرسائله في منتصف المعركة، وفصل شرطيو الأحداث مُولدات الطاقة واحدًا تلو الآخر، وأغرقوا «الكومبوم» -والطائرتات الأخرى- في الظلام. بحلول منتصف الليل كان الأمر قد انتهى. من خلال نوافذ «الكومبوم»، رأى هايدن وسائل النقل الثقيلة، وأداة تحطيم الأبواب الخشبية، وشاحنات مكافحة الشغب، ومعظم سيارات فرقة شرطة الأحداث وهي تنسحب: لقد تمت المهمة.

ظنَّ هايدن أن المقتحمين ربما نسيوا أمرهم، وأن بإمكانه ومن معه البقاء لبضع ساعات أخرى، ثم الهرب والحصول على حريتهم. لكنَّ سلطة الأحداث كانت أذكى من ذلك.

صاحوا من خلال بوق: «إننا نعلم أنكم هناك.. اخرجوا، ونعدكم ألا يصاب أحد بأذى».

سأل الصبية من حوله: «ماذا نفعل؟».

قال هايدن: «لا شيء. لن نفعل شيئًا».

لأن «الكومبوم» كانت مركز الاتصالات وعقل المقبرة، فهي واحدة من الطائرات القليلة التي احتفظتْ بجميع أبوابها الخارجية في أماكنها، وفي

حالة جيدة. كانت أيضًا إحدى الطائرات القليلة التي لا يمكن فتحها إلا من الداخل. عندما بدأت المعركة، أقفل هايدن الباب محكم الغلق، لينعزلوا بداخل الطائرة، وينفصلوا عما حولهم، كما يحدث في الغواصات. وسائل دفاعهم الوحيدة كانت عزلتهم، ومدفع رشاش أصرَّ كونور أن يحمله هايدن. لكنه لم يكن يعرف حتى كيف يطلق النار.

صاح شرطيو الأحداث خلال مكبرات الصوت: «أنتم في وضع يائس. ستجعلون الأمور أسوأ بالنسبة إليكم فحسب».

سألت ليزبيث: «ما الذي يمكن أن يكون أسوأ من تفكيكنا جميعًا؟».

ثم قال تاد الذي بقي منذ البداية بالقرب من هايدن، كما لو كانا توأمين ملتصقيْن: «لن يفككوك يا هايدن. أنت في السابعة عشرة».

قال هايدن: «تفاصيل، تفاصيل.. لا تزعجني بالتفاصيل».

قال نسيم محذرًا: «سيجتاحون مقرنا! لقد شاهدتُ أمرًا مشابهًا في التلفاز. سيفجرون الباب ويطلقون علينا الغاز المسيل للدموع، ثم يسحبنا فريق الأسلحة والخطط الخاصة إلى الخارج!».

نظر الآخرون بتوتر إلى هايدن، مترقبين ما سيقوله. فقال هايدن موضحًا: «شرطة مكافحة الشغب غادرتِ المكان فعلًا. لسنا بتلك الأهمية، ليقتحموا مقرَّنا. الأمر يتعلق بإخلاء المكان فحسب. أراهن أنهم قد تركوا فقط رجال شرطة الأحداث البدينين والأغبياء لينتظروا خروجنا».

ضحك المراهقون لقوله. كان سعيدًا لأنه لا يزال قادرًا على إضحاكهم. بصرف النظر عن معدل الذكاء وكتلة الجسم، فإن رجال شرطة الأحداث لن يرحلوا.

أعلنوا في مكبرات الصوت: «حسنًا.. يمكننا الانتظار لأطول مدة ممكنة».

وقد فعلوا.

عند الفجر، كانوا لا يزالون هناك، ثلاث سيارات تابعة لفرقة شرطة الأحداث، وشاحنة نقل صغيرة رمادية اللون. مراسلو وسائل الإعلام الذين أبقاهم رجال الشرطة في الخلف خلال الغارة، أصبحوا الآن يُخيِّمون على بعد خمسين ياردة فقط، فيما ترتفع هوائياتهم وأطباق استقبال الأقمار الصناعية.

قضى هايدن ورفاقه المكتملون الليل في حالة من النعاس. الآن، منح مشهد وسائل الإعلام بعضهم نوعًا من الأمل السريالي.

قال تاد: «إذا خرجنا، فسنظهر في الأخبار. سوف يرانا آباؤنا. ربما يفعلون شيئًا ما».

سألت ليزبيث: «مثل ماذا؟ توقيع أمر تفكيك ثانٍ؟ يكفيك واحد فقط».

في الساعة السابعة وخمس عشرة دقيقة، أشرقت الشمس على الجبال، مُتسبِّبة في قيظ آخر، وبدأت «الكومبوم» تتحول إلى فرن شديد الحرارة. استطاعوا تدبير عدد قليل من زجاجات المياه، ولكنها لم تكن كافية لخمسة عشر صبيًّا، بدأوا فعلًا يفرزون عرقًا أكثر من الماء الذي تناولوه. وبحلول الساعة الثامنة، وصلت درجة الحرارة إلى مائة درجة، وأدرك هايدن أنهم لن يصمدوا. لذا عاد إلى سؤاله المفضل، لكنْ هذه المرة بلا بلاغة.

قال لهم: «أريدكم جميعًا أن تستمعوا لي، وتفكروا في إجابتكم عن هذا السؤال. (انتظر حتى يتأكد من أنه يحظى بكل اهتمامهم، ثم قال) هل تفضلون الموت.. أم التفكيك؟».

نظر الجميع إلى بعضهم. وضع البعض رؤوسهم بين كفيهم. البعض بكى بدموع جافة، لأنهم جميعًا كانوا يعانون الجفاف، لدرجة لا تسمح لهم بالبكاء. عدَّ هايدن بصمت حتى عشرين، ثم طرح السؤال مرة أخرى، وانتظر الإجابات.

إسمي -أفضل هاكر في المكان يخترق كلمات المرور السرية- كانت أول من اخترق جدار الصمت، قائلة: «الموت.. بلا شك».

وقال نسيم: «الموت». وقالت ليزبيث: «الموت».

وبدأت الإجابات تتوالى بشكل أسرع: «الموت».

- الموت.

- الموت.

كانت هذه هي إجابة الجميع، ولم يخترْ أي منهم التفكيك.

قالت إسمي: «حتى لو كان هناك شيء يسمى «العيش في حالة منقسمة»، فإن تفكيكنا يعني فوز فريق شرطة الأحداث. لا يمكننا السماح لهم بالفوز».

وهكذا، مع ارتفاع درجة الحرارة إلى ما يتجاوز 110 درجات، تراجع هايدن نحو الجدار، وفعل شيئًا لم يفعله منذ أن كان صغيرًا. تلا صلاة. من الغريب أن بعض الأشياء لا تنساها أبدًا.

«أبانا الذي في السماوات...»

سارع تاد والعديد من الآخرين ينضمون إليه في صلاته: «ليتقدَّس اسمك...».

بدأ نسيم يدعو الله بالصيغة الإسلامية، وأغمضتْ ليزبيث عينيها، ورددت صلاة باللغة العبرية. الموت -كما يقولون- لا يُقرِّب بين العالم أجمع فحسب، بل أيضًا يُوحِّد كل الديانات.

سأل تاد: «هل تعتقد أنهم سيتركوننا نموت فحسب؟ ألن يحاولوا إنقاذنا؟».

لم يرغبْ هايدن في الرد عليه، لأنه كان يعلم أن الإجابة هي لا. من وجهة نظر شرطة الأحداث، إذا ماتوا، فإن الخسارة تقتصر على صبية لا يريدهم أحد على أيِّ حال. كل ما سيخسرونه هو أعضاؤهم. اقترحت ليزبيث: «في وجود عربات شبكات الأخبار بالخارج، ربما يصبح لموتنا معنى. سيتذكر الناس أننا فضَّلنا الموت على التفكيك».

قال هايدن: «ربما.. هذه فكرة جيدة يا ليزبيث. تمسكي بها».

أصبحت الحرارة 115 درجة. بحلول الساعة 8:40 صباحًا، أصبح هايدن يواجه صعوبة في التنفس، تزداد تدريجيًّا، وأدرك أن الحرارة قد لا تتسبب في موتهم على الإطلاق. قد يؤدي نقص الأكسجين هذا الدور. تساءل أيهما يقع في مرتبة أدنى في قائمة الطرق السيئة للموت.

قالت فتاة على الجانب الآخر منه: «أشعر أنني لست على ما يرام».

كان هايدن يعرف اسمها منذ خمس دقائق، لكنه لم يستطع التفكير بوضوح كافٍ لتذكره. أدرك أنها مسألة دقائق فقط، وسينتهي أمرهم. بجانبه، بدأ تاد يثرثر، بعينين نصف مفتوحتين. كان يقول شيئًا ما عن عطلة. شواطئ رملية وحمامات سباحة.

- فقد أبي جوازات السفر، وأمي غاضبة حتى الجنون.

أحاطه هايدن بذراعيه، واحتضنه كأخ صغير، فيما تاد يقول: «دون جوازات السفر.. دون جوازات السفر.. لا يمكنني العودة إلى الوطن».

قال هايدن: «لا تحاول العودة حتى يا تاد. أينما كنت، ابقَ هناك، فيبدو أنه المكان المناسب لك».

سرعان ما شعر هايدن بالدنيا تظلم من حوله، وذهب بدوره إلى أماكن أخرى. منزل عاش فيه عندما كان طفلًا، قبل أن يبدأ والداه في الشجار. ركب دراجته على منحدر قفْز، فلم يستطع السيطرة عليها، وانكسرت ذراعه في الخريف. ماذا كان يدور في ذهنك يا بني؟ شجار خاضه والداه حول حضانته، وسط احتدام معركة طلاقهما. ستحصل عليه، حسنًا! لن يحدث ذلك إلا على جثتي، وكان هايدن يضحك ويضحك فحسب، لأن الضحك كان دفاعه الوحيد ضد احتمال انهيار أسرته. وبعد ذلك، سمع مصادفة قرارهما بتفكيكه، بدلًا من منح الطرف الآخر حق الحضانة. لم يكنْ قرارًا إلى حد كبير، بل وصولًا إلى طريق مسدود، بعد إخفاق المفاوضات.

- حسنًا!

- حسنًا!

- فليكن، إذا كانت هذه هي رغبتك! إذا كانت هذه هي رغبتك! لا تحمِّلني مسؤولية هذا!

وقَّعا أمر التفكيك نكاية في بعضهما فحسب، لكنِ اضحك، اضحك، اضحك يا هايدن، لأنك إذا توقفتَ عن الضحك، فقد تمزقكَ فعلتهما، بشكل أسوأ مما سيفعل مرأب التفكيك.

الآن أصبح بعيدًا، يطفو بين السحاب، يلعب «سكرابل» مع الدالاي لاما، لكنكَ لا تعرف ذلك، كل البلاطات في التبت. ثم اتضحت رؤيته للحظة، وعاد إلى المكان والزمان. اتضحتْ رؤيته بما يكفي ليدرك أنه في «الكومبوم»، حيث ارتفعت درجة الحرارة إلى مستوى لا يمكن تخيله. نظر حوله. كان الصبية واعين بالكاد. تراجعوا في الزوايا، ورقدوا على الأرض.

قال أحدهم بضعف: «كنت تتحدث عن أشياء.. واصل حديثك يا هايدن. لقد راق لنا».

ثم مدَّت إسمي يدها، ولمست رقبة تاد لتجس نبضه. كانت عيناه ما زالتا نصف مفتوحتيْن، لكنه لم يعد يثرثر بشأن الشواطئ الاستوائية.

- لقد مات تاد يا هايدن.

أغلق هايدن عينيه. بمجرد أن يذهب أحدهم، أدرك أن الباقين سيلحقون به عما قريب. نظر إلى المدفع الرشاش بجانبه. كان ثقيلًا، وممتلئًا بالذخيرة. لم يعرف حتى أكان بإمكانه حمله بعد الآن، لكنه حمله فعلًا، ورغم أنه لم

يستخدمه مطلقًا، فإن الأمر لم يكن يتطلب عالِم صواريخ ليعرف كيف يطلقه. كان هناك صمام أمان، يمكن إزالته بسهولة، وزناد.

نظر إلى الصبية الذين يعانون حوله، وتساءل عن ترتيب «نيران المدافع الرشاشة» في قائمة الطرق السيئة للموت. الموت السريع هو بالتأكيد أفضل من الموت البطيء. أخذ يفكر في خياراته لحظةً أخرى، ثم قال: «سامحوني يا رفاق. أعتذر لأنني قد خذلتكم، لكن لا يمكنني فعلها».

ثم وجه المدفع الرشاش نحو قُمرة القيادة، وفجر الزجاج الأمامي، ليغمر «الكومبوم» بهواء بارد ونقي.

***

82 - كونور

استيقظ ليجد نفسه في سرير مريح، داخل غرفة مريحة، بها جهاز كمبيوتر، وتلفزيون حديث الطراز، وملصقات رياضية على كل الجدران. كان يشعر بالدوار بما يكفي ليعتقد أنه قد يكون في الجنة فعلًا، لكنَّ شعوره بالغثيان الشديد، جعله يدرك أنه ليس هناك.

- أعلم أنك غاضب مني يا كونور، لكنني اضطُرِرْتُ إلى ذلك.

استدار، ليرى ليف جالسًا في الزاوية، على مقعد مطلي برسوم كرات القدم وكرات التنس، ليتناسب مع ديكور الغرفة.

- أين نحن؟

- إننا في منازل «صنست ريدج»، النموذج رقم ثلاثة: «جزر الباهاما».

- هل أحضرتَني إلى نموذج منزل؟

- اعتقدتُ أن كلينا يستحق فراشًا مريحًا، لليلة واحدة على الأقل. إنها خدعة تعلمتُها من أيامي التي قضيتها في الشوارع. الدوريات الأمنية تبحث عن اللصوص، وليس عن واضعي اليد. يمرُّون بنماذج المنازل، لكنهم لا يدخلونها أبدًا، ما داموا لم يروا شيئًا مريبًا أو يسمعوه. لذا ما دمت لا تغطُّ بصوت مرتفع، فأنت بخير. (ثم أضاف) طبعًا، علينا أن نخرج من هنا بحلول الساعة العاشرة؛ فهذا موعد فتح المكان وبدء العمل. لقد بقيتُ ذات مرة لوقت متأخر جدًّا في أحد نماذج المنازل، وكاد أحد سماسرة العقارات أن يموت من الخوف عندما رآني.

سحب كونور جسده إلى حافة السرير. كان على شاشة التلفاز تقرير إخباري يُعرض. نتائج وتحليل الغارة التي شنتها شرطة الأحداث على مخبأ الهاربين من التفكيك في مقبرة الطائرات.

قال له ليف: «أنباء هذه الغارة تذاع في الأخبار منذ ليلة أمس. ليس بالكثافة الكافية لتتفوق على الإعلانات، وما شابهها، لكنْ على الأقل لم تُخفِ شرطة الأحداث الأمر».

قال كونور: «لِمَ قد يخفون ذلك؟ إنها لحظة مجدهم النتنة».

على شاشة التلفاز، أعلن متحدث باسم سلطة الأحداث أن عدد الهاربين من التفكيك الذين قُتِلوا قد بلغ ثلاثة وثلاثين مراهقًا. أما من قُبِضَ عليهم أحياء، فهم 467 مراهقًا. وقال المتحدث: «في وجود الكثيرين منهم، سنُضطَرُّ إلى تقسيمهم على مخيمات حصاد مختلفة»، تحدث الرجل، دون أن ينتبه إلى السخرية في استخدام كلمة «تقسيم».

أغلق كونور عينيه، وهذا ما جعلهما تلتهبان. ثلاثة وثلاثون قتيلًا، و467 شخصًا أُلقي القبض عليهم. لو أن ستاركي قد هرب مع نحو مائة وخمسين صبيًّا، فإن هذا يعني أن خمسة وستين شخصًا تقريبًا تمكنوا من الفرار سيرًا على الأقدام. هذا ليس كافيًا.

- كان ينبغي ألا تأخذني يا ليف.

- لماذا؟ هل كنت تفضل أن تكون جائزة، يضموها إلى مجموعتهم من المفككين؟ إذا اكتشفوا أن إوُول آكرون ما زال حيًّا، فسيصلبونك. صدقني، أنا واثق من هذا.

- من المفترض أن يغرق القبطان مع السفينة.

- ما لم يطردْه رفيقه الأول، ويلقي به في قارب نجاة.

حدَّق كونور إليه فحسب.

قال ليف: «حسنًا.. أتريد أن تلكمني؟».

ضحك كونور من قوله، ونظر إلى ذراعه اليمنى، قائلًا: «احذر بشأن ما تطلبه يا ليف. إن قبضتي قوية للغاية هذه الأيام». ثم أظهر الوشم أمام ليف.

- نعم، لقد لاحظتُ ذلك. لا بدَّ أن خلف هذا الأمر قصة. أعني.. لقد كنتَ تكره رولاند، أليس كذلك؟ فلماذا حصلتَ على الوشم نفسه؟

هنا ضحك كونور بصوت عالٍ. كان من الصعب أن يتخيل أن ليف لا يعرف حتى، لكن كيف كان سيعرف؟

قال: «نعم، هناك قصة. ذكِّرني أن أخبرك بها يومًا ما.

على الشاشة، قطعوا البرامج، لإذاعة بث مباشر من المقبرة، للكشف عن «الواقعة الدرامية» التي تحدث هناك. تمكنت دفعة أخيرة من الهاربين من التفكيك من صد هجوم فريق شرطة الأحداث، متحصنة داخل قاذفة قنابل قديمة من الحرب العالمية الثانية.

- إنها «الكومبوم»! لقد صدَّ هايدن هجومهم طوال الليل!

في نظر كونور، كان هذا أشبه بالنصر.

انفتح باب «الكومبوم»، وخرج هايدن حاملًا بين ذراعيه صبيًّا مصابًا في ساقه. تبعته مجموعة من الصبية الآخرين، لم يكن أيٌّ منهم في حالة جيدة. اقترب شرطيو الأحداث، وكذلك وسائل الإعلام.

- إننا نشهد القبض على آخر المفككين الهاربين.

لم يقترب المراسلون بما يكفي، لوضع الميكروفونات بالقرب من وجه هايدن، لكنْ لم تكنْ هناك حاجة إلى ذلك. فرغم محاولة رجال شرطة الأحداث دفعه إلى داخل عربة النقل، صرخ هايدن بصوت مرتفع بما يكفي ليسمع الجميع.

- إننا لسنا مجرد هاربين من التفكيك! لسنا مجرد أجزاء! إننا جميعًا بشر، وسينظر التاريخ إلى هذه الأيام في خزي!

دفعوه هو والصِّبية الآخرين إلى الشاحنة، لكنْ قبل أن يغلقوا الباب، صرخ هايدن: «هلمُّوا إلى انتفاضة المراهقين الجديدة!».

ثم حملتهم الشاحنة مبتعدة.

قال كونور: «أحسنتَ يا هايدن.. أحسنتَ!».

تحدثتِ الأخبار بإيجاز عن الطائرة التي أفلتت، لكنْ لمَّا كان هذا يمثل إحراجًا لشرطة الأحداث، لم يُذكر الكثير. في البداية أجبروا طائرة على الهبوط في «دالاس»، معتقدين أنها «الدريملاينر» طائرة الهاربين من التفكيك، لكنِ اتضح أنها رحلة ركاب قادمة من «مكسيكو سيتي». كانت هناك تقارير غير مؤكدة عن سقوط طائرة في إحدى بحيرات كاليفورنيا، لكنْ لم يُذكَر أي شيء آخر. شك كونور أن الطائرة التي سقطت هي «الدريملاينر»، وبقدر ما كان يود أن يرى ستاركي في قاع البحيرة، أمِل كونور أن يكون المنقولون قد نجوا من الحادث. فهذا سيعني أن المزيد من الهاربين من التفكيك قد أفلتوا من شرطة الأحداث.

اللعنة على ستاركي! لقد جذب انتباه شرطة الأحداث إليهم، ثم أخذ نصف الأسلحة، وخطف وسيلة الهروب الوحيدة، وترك الجميع بلا أي وسيلة مساعدة. ومع ذلك، وبقدر ما أراد كونور إلقاء اللوم على ستاركي في كل شيء، فلم يسعْه إلا أن يلقي الكم الأكبر من اللوم على نفسه. كان هو من وثق بستاركي في البداية، وهذا ما سمح له بالحصول على المزيد من القوة بين المنقولين.

عندما أصبح واضحًا أن الأخبار قد انتقلت إلى موضوعات أخرى، مثل حالة الجو، والمشاهير الذين يسيئون التصرف، أغلق كونور التلفاز، قائلًا: «إنها التاسعة والنصف. لقد اقترب وقت الرحيل».

- في الواقع، يوجد شيء آخر أريد أن أريك إياه، قبل أن نذهب.

ذهب ليف إلى كمبيوتر الغرفة، واستخرج منه -من بين كل الأشياء- موقعًا إلكترونيًّا لأحواض الاستحمام الساخنة.

- هه... آسف يا ليف، أنا لا أرغب في شراء جاكوزي.

للحظة، بدا ليف كمن تواجهه عقبة ما، إلى أن لاحظ كونور الخطأ، فقال: «لقد كتبتَ كلمة «يوتيوب» بشكل خاطئ في محرك البحث، هناك حرف ناقص في نهاية الكلمة».

«أسرع ليف يكتب الكلمة مرة أخرى، قائلًا: «أها.. لم أُجِدْ قطُّ الكتابة على لوحة المفاتيح».

حاول مجددًا، وفي هذه المرة كتبها بشكل صحيح. نقر ليف مقطع فيديو، وكاد قلب كونور يتوقف. كان لقاءً متلفزًا آخر مع ريسا.

مدَّ كونور يده لإغلاق الفيديو، قائلًا: «لا أريد أن أراه».

لكنَّ ليف أمسك بمعصمه، ليمنعه، قائلًا: «بل سترغب في مشاهدته بالتأكيد».

ورغم أن آخر شيء أراد كونور رؤيته هو عرض ترويجي آخر للتفكيك، فقد استسلم، واستعدَّ لما سيشاهده، أيًّا كان. أمكنه أن يكتشف على الفور من النظرة على وجه ريسا أنها تمتلئ بإصرار لم تمتلكه في المقابلة الأخرى التي شاهدها. أخذ يشاهد بذهول، وفي أقل من دقيقتين، كانت قد دمَّرت «المواطنة الاستباقية»، وشرطة الأحداث، والتفكيك تمامًا، ولم يعد هناك أي شك في أي جانب هي، تاركة مقدم البرنامج، وهو لا يعرف كيف يسيطر على الأمر.

اغرورقت عينا كونور بالدموع، وهو يقول: «كانوا يبتزونها!».

كان يعلم في قرارة نفسه أن هناك تفسيرًا حتمًا لتصرفاتها السابقة، لكنه كان قد أُنهِكَ للغاية من كل الناس، وكل شيء، وكان مؤهّلا وقتها للاعتقاد بأن ريسا قد اختارت شفاءها، على حساب الجميع. والآن أصبح يخجل من نفسه، لسوء ظنه بها.

قال ليف: «لقد أصدرتِ المواطنة الاستباقية فعلًا بيانًا ينفي ذلك. إنهم يزعمون أنها هي من استغلتهم».

- حسنًا، دعنا نأمل ألا يكون هناك أحد غبي بما يكفي لتصديقهم.

- البعض أغبياء، والبعض الآخر ليس كذلك.

نظر كونور إلى ليف وابتسم، مدركًا أن تخديره قد قلَّل من تأثير لمِّ شملهما، فقال: «رؤيتك تسعدني يا ليف».

- إحساسي نفسه.

- ماذا حدث لشعرك؟

هز ليف كتفيه، قائلًا: «مجرد إطلالة مختلفة».

سمعا صوت سيارة توقفتْ في ساحة انتظار مكتب المبيعات.

لقد حان وقت الذهاب.

سأل ليف: «أخبرني، ماذا نفعل الآن؟ إنني هارب من التفكيك، وعضو في المقاومة ضد الانقسام».

- المقاومة أصبحتْ معدومة الفائدة. إذا كان أفضل ما يمكنهم فعله هو ترك الهاربين من التفكيك كلقمة سائغة لشرطة الأحداث، فهذا يعني وجود قصور ما. على أحدهم إعادة التفكير في الأمور.

اقترح ليف: «لِمَ لا تفعل أنت...؟».

عارضه كونور: «لم لا نفعلها معًا...؟».

فكَّر ليف في قوله، ثم أجاب: «في الواقع، أنت شهيد وأنا قديس، لا أستطيع التفكير في أي شخص أفضل منا! من أين نبدأ إذن؟».

إنه سؤال كبير. من أين تبدأ بتغيير العالم؟ ظنَّ كونور أنه ربما يكون لديه الجواب، فقال: «هل سمعت من قبل عن جينسون راينشيلد؟».

***

83 - نيلسون

قبل حتى أن يستعيد وعيه بالكامل، أدرك أن شيئًا ما قد سار بشكل خاطئ للغاية. فتح عينيه على ضوء النهار الحارق. كان يرقد في حفرة. جسده يؤلمه. شعر كأنما أحد جانبيْ وجهه مشتعل.

لقد خدَّره أحدهم. ليس مرة واحدة فقط، بل مرارًا وتكرارًا، وبمسدسه اللعين! أطلق عليه أحدهم كمًّا من المواد المخدرة الكافية لإبعاده عن العالم ربما لمدة اثنتيْ عشرة ساعة. كان من العجيب أن حيوانات الصحراء الضارية لم تأكله حيًّا، لكنْ بالنظر إلى الألم في ساقه اليسرى، والثقوب الدموية في زيه الرسمي المسروق، كان من الواضح أن أحد الحيوانات قد حاول التهامه فعلًا. تساءل نيلسون كم من الوقت بقي تحت الشمس. لا بدَّ أنه مكث هناك وقتًا طويلًا، بما يكفي ليتورم نصف وجهه ويلتهب من حروق الشمس من الدرجة الثانية.

لقد وضع يده عليه! كان يسيطر على كونور لاسيتر، والآن لم يعد بحوزته سوى الملابس الممزقة من الظهر. العُشر هو من هاجمه! كيف استطاع نيلسون أن يكون مُهمِلًا للغاية! كان يجب أن يقتل ليف عندما سنحت له الفرصة.

وها هي نتيجة الطيبة.

لا بدَّ أن الاثنين قد ابتعدا فعلًا عن هذا المكان، وأخفيا مساراتهما. كان حاسبه المحمول يحمل الأكواد التي يتعقب ليف من خلالها. من دون حاسبه، تصبح تلك الأكواد معدومة الفائدة. لن يستسلم نيلسون. سيعثر عليهما. لطالما كان التتبع من اختصاصه، أما عن هذه الانتكاسة، فهي لا شيء! كل ما ستفعله هو أنها ستزيده إصرارًا، وتجعله يحقق هدفه بلا رحمة.

تسلَّق خارجًا من الحفرة، وسار -بساقين ضعيفتين، لَكنْ بإرادة قوية، كالموتى الأحياء- نحو «توكسون». سيمسك بإوُول آكرون، ويسلمه إلى ديفان، وسيكون هناك ليشهد تفكيكه، لكنَّ العُشر لن يلقى مثل هذه النهاية الرحيمة. عندما يعثر نيلسون على ليف، سيصب عليه غضبًا رهيبًا سيجعل الأرض نفسها ترتجف. كان نيلسون واثقًا من هذا. مجرد التفكير في الأمر، ملأه بالبهجة، ومنحه الدافع الكافي ليقطع الطريق الطويل المؤدي إلى توكسون، ويواجه الأقدار المظلمة التي تنتظر خلفه.

***

84 - كونور

قال ليف: ««فلاجستاف» لا تشبه جنوب أريزونا كثيرًا، بل تبدو أكثر مثل «دنفر»، أو شيء من هذا القبيل».

قال له كونور: «دنفر لا تشبه دنفر. ذهبتُ إلى هناك مرة. ليست بها مناظر جبلية جنونية كما قد تظن. المناظر هنا أفضل». بعد قضاء وقت طويل في صحراء جنوب أريزونا، شعر كونور بالامتنان للتغيير الدراماتيكي في المشهد. مع الجبال المغطاة بالأبيض في اتجاه الشمال، ووفرة أشجار الصنوبر، علم أنهما لا يبعدان كثيرًا عن مدينة «هابي جاك» ومخيم الحصاد المميت، لكنه حاول ألا يفكر في ذلك، فالماضي قد انتهى.

توقفا عند أحد المطاعم على الطريق 66 التاريخي، وبدافع من جنون العظمة الذي أصابتهما به أحداث العام الماضي، تناولا العشاء على مرأى ومسمع من أي شخص قد يهتم بملاحظتهما. لكنْ لا أحد اهتم.

كانا يتحركان بسيارة «هوندا» باللون البيج، ولا تحمل أي علامات مميزة؛ كان كونور قد سرقها من فينيكس، وتمكّن من تشغيلها بتوصيل الأسلاك بدلًا من المفتاح، بعد أن تخلى عن السيارة «الفورد» التي حصل عليها بالطريقة نفسها في توكسون، عقب التخلي عن شاحنة نيلسون. لو حاول أحدهم تعقبهما، سيواجه صعوبات شديدة في تعقب السيارات التي تنقّلا بينها.

يفتخر مطعم «راين فاللي» بأنه «يقدمِ أفضل برجر في الجنوب الغربي». لم يتناول كونور طعامًا لذيذًا كهذا منذ المدة التي سبقتْ توقيع والديه أمرَ تفكيكه، وانقلاب حياته رأسًا على عقب. كان يرى أن مطعم «راين فاللي» لديه أفضل أنواع البرجر في العالم.

أمسك شطيرة البرجر التي يأكلها بيد، وبالأخرى، أخذ يجمع بعض المعلومات مستخدمًا كمبيوتر نيلسون المحمول، الذي كان قرصان الأعضاء لطيفًا بما يكفي ليتركه لهما في شاحنته.

سأل ليف: «هل اكتشفتَ أي شيء جديد؟».

- يبدو أن ريسا قد اختفتْ بعد البث الليلة الماضية، و«المواطنة الاستباقية» تريد رأسها. لا يريدون تفكيكها، بل قتلها فحسب. إنها في خطر.

عبَّر ليف عن اشمئزازه بهمهمة سريعة.

- وهايدن متهم بكل ما أمكنهم اتهامه به.

- على الأقل لا يمكنهم تفكيكه.

- لكنْ يمكنهم تفكيك الآخرين الذين قُبِضَ عليهم.

أثار ذكر المكتملين المأسورين في نفس كونور موجات من الغضب، يلاحقها الحزن الذي يهدد باختراقه، واحتلال المناطق المظلمة بداخله.

- كان عليَّ أن أكون قادرًا على إنقاذهم.

ذكَّره ليف: «لقد فعلتَ ما بوسعك، إضافة إلى أنهم لم يُفكَّكوا بعد. ربما ما نفعله الآن يمكن أن يشكل فارقًا بالنسبة إليهم».

أغلق كونور الكمبيوتر المحمول، قائلًا: «ربما.. لكنْ ماذا سنفعل الآن؟».

جلسا في صمت طويل غير مريح، دون أن يفعلا شيئًا سوى تناول الطعام، لأن ذلك أسهل من الإجابة عن السؤال. لم تكن لديهما خطط، ولا وجهة، ولا فكرة عن الاتجاه الذي يجب أن يسلكاه من مكانهما الحالي، ناهيك ببعد ذلك. أول ما تبادر إلى كونور غريزيًّا كان العثور على ريسا، لكنه كان يعلم أنها -مثله- سيصعب تعقبها تمامًا. لن يعرف حتى من أين يبدأ البحث.

اقترح ليف: «يمكنني اصطحابك إلى «قصر كافينو». ستكون في أمان هناك».

- من اللطيف الشعور بالأمان لمرة، لكنَّ هذا لن يحدث. إلى جانب أنكَ هربت من هناك، أليس كذلك؟

- بلى، في الواقع، إذا عدتُ مع القائد الأوحد إوُول آكرون، أعتقد أنهم سيغفرون لي.

نظر كونور حوله، قائلًا: «اخفض صوتك!».

لقد اختارا مقصورة منعزلة نسبيًّا في الزاوية، لكنَّ المطعم نفسه لم يكن كبيرًا، والأصوات تنتقل.

- ربما علينا البحث عن المكان الذي طالعناه على محرك البحث، والحصول على حمام ساخن، والتعرض للبخار الحار، إلى أن نتحول إلى ثمرتين من البطاطس المسلوقة. إننا نستحق بعض الاسترخاء.

كان يعرف أن ليف يمزح، لكنَّ شيئًا ما في قوله أثار عقله للتفكير. كانت فكرة صغيرة في البداية، لكنها أخذت تنمو بسرعة. أصبح التلميح حدسًا، ثم فكرةً، فكشفًا، فأشعل كونور اللابتوب مرة أخرى، وأخذ ينقر لوحة مفاتيحه ويكتب بقوة.

سأل ليف: «ما الأمر؟».

- جينسون راينشيلد.

- لكنك أخبرتني فعلًا أنه قد مُحيَ من الوجود الرقمي، فما الفائدة من البحث؟

واصل كونور العمل على محركات البحث، ملوثًا لوحة المفاتيح بدهون البطاطس المقلية، وقال: «لقد منحتَني فكرة».

- أنا؟

- موقع حوض الاستحمام الساخن. الخطأ المطبعي.

- أستسخر من مهاراتي في الكتابة على لوحة المفاتيح مرة أخرى؟

قال له كونور: «لا. يجب أن تكون لديك مهارات، حتى أسخر منها! على أيِّ حال، لقد اكتشف هايدن أن على شبكة الإنترنت فيروسًا كوديًّا يلتهم أيَّ إشارة إلى اسم جينسون راينشيلد، لكنه يبحث فقط عن اسمه مكتوبًا بشكل صحيح.. لذلك سأدخل كل خطأ إملائي محتمل في اسمه».

ابتسم ليف، قائلًا: «سأترك لك مهمة تحويل خطأ شخص آخر إلى ذهب».

طلب كونور شطيرة برجر ثانية، وقضى عشرين دقيقة في كتابة الاسم بشكل خاطئ. في آخر قضمة من شطيرة البرجر، كان على وشك أن يفقد الأمل، وفجأة لمع ذلك الذهب الذي كان ليف يتحدث عنه، واتضح أنه المنجم نفسه.

- ليف، ألقِ نظرة على هذا!

جاء ليف إلى جانبه من المقصورة، ونظرا إلى مقال إخباري يرجع تاريخه إلى أكثر من ثلاثين عامًا. كان المقال مأخوذًا من جريدة محلية صغيرة في مكان ما في «مونتانا» حيث عاش راينشيلد يومًا. من الواضح أنهم قد احتفظوا بصفحات على الإنترنت عن أحد أبنائهم المفضلين، لكنهم أخطأوا دائمًا في كتابة اسمه، ليصبح «رونشيلد».

قرأ كونور وليف المقال في ذهول. كان راينشيلد باحثًا ومخترعًا مهمًّا حاز قدرًا من الشهرة، إلى أن مُحِيَ هذا الاسم كفرعون منبوذ أُزيل اسمه من على مسلة مصرية.

قال كونور: «يا إلهي! هذا الرجل كان رائدًا في الترابط والتجديد العصبي، وهي التكنولوجيا التي جعلت التفكيك ممكنًا! دون راينشيلد، ستعود عمليات زرع الأعضاء ودمج الأجزاء إلى العصر الحجري!».

- إذن فقد كان هو الوحش الذي بدأ هذا!

- لا، كان هذا في بداية الحرب، قبل حتى أن تطرأ فكرة التفكيك على ذهن أحد.

شغَّل كونور مقطع فيديو داخل المقال، وشاهدا مقابلة مع راينشيلد، وهو رجل في منتصف العمر يرتدي نظارة وشعره خفيف، وهما علامتان واضحتان على أن هذا كان قبل استحداث التفكيك.

قال راينشيلد في حماس أكثر شبابًا من مظهره: «لا يمكننا حتى أن نبدأ في معرفة استخدامات هذه التكنولوجيا.. تخيل عالمًا لا يموت فيه الأحباء -الذين فقدوا حياتهم في عمر مبكر- فعليًّا، لأنه يمكن التبرع بكل جزء منهم، لتخفيف معاناة شخص آخر. أن تكون متبرعًا بالأعضاء هذا شيء، وأن تعرف أن كل جزء منك سينقذ حياة شخص ما، هذا شيء آخر. هذا عالم أريد أن أعيش فيه».

ارتجف كونور، ملاحظًا لأول مرة الهواء البارد الشديد المنبعث من مكيف هواء المطعم. العالم الذي وصفه راينشيلد هو الذي يريد كونور العيش فيه أيضًا.. لكنه ليس العالم الذي انتهى بهم المطاف بالعيش فيه. واصل راينشيلد حديثه: «ستكون هناك طبعًا مسائل أخلاقية، ولهذا السبب أسستُ منظمة لدراسة القضايا الأخلاقية المرتبطة بهذا النوع من التقدم الطبي. «المواطنة

الاستباقية» -كما أسميتُها- ستكون جهة رقابة للتأكد من عدم إساءة استغلال هذه التكنولوجيا. ستكون بمنزلة ضمير لضمان عدم حدوث أي خطأ».

أوقف كونور الفيديو محاولًا استيعابه بالكامل، وقال: «يا للهول! إذن فقد أسس «المواطنة الاستباقية» لحماية العالم من صنيعته!».

- وفعلًا، تحوَّل ابتكاره إلى الوحش ذاته الذي كان يخشى منه.

تذكر كونور شيئًا تعلمه في المدرسة.. أوبنهايمر هو الرجل الذي صنع أول قنبلة نووية، وقد انقلب ضدها في النهاية وأصبح أكبر معارض لها.

ماذا لو أن راينشيلد قد مرَّ بالظروف نفسها، عندما أعلن معارضته للتفكيك، أسكتوه -أو الأسوأ من ذلك- أن يكونوا قد أخرسوه قبل حتى أن تتاح له الفرصة للتحدث. حتى الأدميرال لم يتذكر الرجل، وهذا ما يعني إما أن راينشيلد كان قد اختفى فعلًا، وإما مُنع من التحدث علانية ضد اتفاقية التفكيك.

مد ليف يده وبدأ تشغيل الفيديو مرة أخرى، كانت هناك بضع ثوانٍ أخرى أظهرت فرحة راينشيلد، وهو يتأمل بسذاجة المستقبل الباهر الذي تصوره، قائلًا: «هذه ليست سوى البداية. إذا تمكنَّا من تجديد الأنسجة العصبية، فيمكننا تجديد أي شيء، إنها مسألة وقت فحسب».

انتهت المقابلة بوجهه المبتسم، أما كونور، فلم يستطع منع إحساسه بالحزن الشديد على هذا الرجل، الأب السري للتفكيك، الذي مهَّد الطريق إلى مكان أفظع من الجحيم بنواياه الحسنة.

قال ليف: «هذه معلومات جديدة تمامًا، لكنْ كيف يمكنها أن تساعد على وقف التفكيك؟ أليس هذا ما قلته، أن اكتشاف حقيقة هذا الرجل، يمكن أن يغير الحياة كما نعرفها، أو شيء من هذا القبيل؟ حتى لو علم الجميع بأمره، فلن يغير ذلك شيئًا».

هز كونور رأسه مُحبَطًا، وقال: «لا بدَّ من وجود حلقة مفقودة».

مرَّر صفحة الموقع إلى أسفل حتى نهاية المقال، حيث وجد صورة لراينشيلد وزوجته في أحد المختبرات، وبدا أنهما كانا يعملان كفريق. عندما قرأ كونور المكتوب أسفل الصورة، انقبضتْ معدته فجأة، وظنَّ أنه قد يفقد شطيرتي البرجر الأفضل في مطعم البرجر الغربي.

- مستحيل!

- ماذا تقصد؟

لم يستطعْ كونور التحدث للحظة. أخذ ينظر إلى الكتابة أسفل الصورة مرة أخرى، وقال: «زوجته. اسمها سونيا!».

لم يفهم ليف.. وكيف له أن يفهم؟ لم يذهب قطُّ إلى ذلك المخبأ الأول مع كونور وريسا. سونيا هو اسم العجوز التي كانت تديره. على مر السنين لا بدَّ أنها قد أنقذتِ المئات -وربما الآلاف- من المفككين الهاربين.

كبَّر كونور الصورة البادية على الشاشة، وكلما نظر إلى السيدة راينشيلد، كان يزداد ثقة.

كانت سونيا نفسها التي يعرفها!

ماذا قالت له؟ «نتنقَّل بين الظلام والنور طوال حياتنا. يسعدني الآن أن أكون في النور». لم يكنْ كونور يعرف أيَّ شيء عن الحِمل المظلم الذي اضطُرَّتْ إلى حمله طوال هذه السنوات.

قال لليف: «أنا أعرف تلك المرأة. والآن، أعرف إلى أين يجب أن نذهب. سنعود إلى «أوهايو»».

شحب وجه ليف عند سماع هذا الاقتراح، وردد: «أوهايو؟».

التفكير في ولايتهم الأم أثار في نفسيهما شعورًا معقدًا وسامًّا، لم يكن أيهما مستعدًّا لها، لكنَّ متجر سونيا للتحف يقع في «آكرون». إذا كان هناك المزيد إلى جانب هذه الصورة، فهي الوحيدة التي يمكنها منحه إياهم.

دقتِ الأجراس المعلقة فوق الباب الأمامي للمطعم، ودخل ببطء ضابط شرطة ذو وجه حجري، وأخذتْ عيناه تفحصان القاعة على الفور. في الوقت الذي كان فيه كل تركيز كونور وليف منصبًّا على المقال الإخباري، توقفتْ سيارتا دورية شرطة أمام المطعم، وأحاط الضباط بالسيارة «الهوندا» المسروقة. همس كونور إلى ليف: «تبدو كظبي صغير مذعور».

- كفَّ عن السخرية مني.

- لا يمكنني منع نفسي من ذلك.

خفض ليف رأسه حتى يتدلى شعره على وجهه، لكنَّ هذا جعل عينيه تبدوان بوضوح كعينيْ الظبي.

وكما هو متوقع، استهدفهما الضابط، وتوجه إليهما مباشرة خلال قاعة المطعم، لكنْ لدهشة كونور، توجهتِ النادلة إلى الطاولة أولًا، وقالت: «لقد أجهزتَ على شطيرتيِ البرجر يا تومي! لو واصلتَ التهام الطعام بهذه الطريقة، سيتمزق سروالك الجينز، ويتدلى لحمك منه».

ارتبك كونور قليلًا عند وصول الضابط، لكنَّ ليف تخلص من حالة الجمود والخوف، وقال: «نعم، يا لك من خنزير يا تومي! ستصبح سمينًا، تمامًا مثل والدك».

قالت النادلة: «السمنة مرض وراثي ينتقل خلال الجينات. (وبأداء يخلو تمامًا من الأخطاء واصلت) من الأفضل توخي الحذر!».

استدار الضابط إلى النادلة، متسائلًا: «أتعرفين هذين الصبيين يا كارلا؟».

- نعم، هذا ابن أخي تومي، وصديقه إيفان.

قال ليف: «إيثان. إنكِ دائمًا تذكرين اسمي بشكل خاطئ».

- حسنًا، على الأقل كنت أعلم أنه يبدأ بحرف «الألف».

أومأ كونور بأدب إلى الضابط، ونظر إلى النادلة، قائلًا: «البرجر هنا عالي الجودة يا عمتي كارلا. لذلك، إذا أصبحتُ سمينًا، فهذا خطأك».

بعد أن استخلص وجود شخص آخر مسؤول عن كونور وليف، التفتَ الضابط إلى كارلا، وسألها: «هل تعرفين أي شيء عن تلك السيارة هناك؟».

نظرت كارلا من النافذة وقالت: «أوقفها هنا صبيان، ربما منذ ساعة. كانا فتى وفتاة. لقد لاحظتُهما لأنهما بديا في عجلة من أمرهما».

- هل دخلا المطعم هنا؟

- لا. لقد انطلقا هاربيْن على الفور.

- لستُ متفاجئًا، فقد سُرِقَتِ السيارة من فينيكس.

- أتظنهما ممن يسرقون السيارات للتنزه بها، ثم تركها؟

- ربما. وقد يكونان هاربيْن من التفكيك. لقد فرَّتْ مجموعة منهم من تلك القاعدة الجوية القديمة في توكسون. (دوَّن أقوالها في دفتر ملاحظاته) لو تذكرتِ أي شيء آخر، احرصي على إبلاغنا به.

بمجرد رحيل الضابط، غمزتْ كارلا بعينها إلى كونور وليف، قائلة: «حسنًا يا تومي وإيثان، وجبتكما على نفقة المطعم اليوم».

قال كونور: «شكرًا لكِ. شكرًا على كل شيء».

غمزتْ له، قائلة: «هذا أقل ما يمكنني عمله من أجل ابن أخي المفضل (ثم مدت يدها في جيبها، ولدهشته، وضعتْ أمام كونور سلسلة مفاتيح مصنوعة من قدم أرنب[1]، وبها مفاتيح سيارة) لِمَ لا تصنعْ لي معروفًا، وتقود سيارتي «إلى المنزل» بدلًا مني اليوم. إنها بالخارج خلف المطعم».

نظر ليف إلى كونور في دهشة، بشكل لا يختلف كثيرًا عن نظرة الظبي الصغير المذهول. ظنَّ كونور للحظة أنها قد تعرَّفتهما، لكنه أدرك أن هذا لم يكن السبب، بل هو لطف عشوائي من شخص غريب.

همس كونور: «لا يمكنني أخذ هذه المفاتيح».

خفضتْ كارلا صوتها ليناسب صوته، وقالت: «بل يمكنكَ الحصول عليها. وعلى أيِّ حال، فأنت ستصنع لي معروفًا وتخلصني من هذه القطعة من الخردة. وهناك ما هو أفضل من ذلك.. لِمَ لا تدمرها عندما تنتهي من استخدامها؟ فأنا في حاجة إلى أموال التأمين».

أخذ كونور المفاتيح من فوق الطاولة. لم يعرف حتى كيف يشكرها على شيء كهذا. لقد مرَّ وقت طويل للغاية منذ أن بذل أي شخص قصارى جهده لمساعدته.

قالت كارلا: «عليكَ أن تعرف أن ليس كل الناس أعداءك. الأمور تتغير. الناس يتغيرون. قد لا يكون كل هذا واضحًا، لكنه يحدث، وأراه كل يوم. الأسبوع الماضي فحسب، جاء سائق شاحنة، وكان يتفاخر بما فعله العام الماضي، حيث التقط ذلك الصبي إوُول آكرون من إحدى الاستراحات على الطريق، وأوصله إلى وجهته. قُبِضَ على الرجل المسكين بسبب ذلك أيضًا، لكنه ظل يتفاخر بما فعل، لأنه علم أن هذا كان الشيء الصحيح الواجب عمله».

أخفى كونور ابتسامته. كان يعرف سائق الشاحنة الذي تتحدث عنه. إنه جوسياس ألدريدج، صاحب خدعة إخفاء أوراق اللعب في ذراعه المصابة. اضطُرَّ كونور إلى إغلاق فمه بإحكام، ليمنع نفسه من إخبارها بكل شيء عن ذلك.

---

(1) في بعض الثقافات، يحمل الناس قدم الأرنب المحنَّطة، كتميمة لجلب الحظ السعيد. ينتشر هذا المعتقد في أنحاء مختلفة من العالم. "المترجم".

- هناك أناس عاديون يقومون بأشياء استثنائية. (ثم غمزتْ لهما مرة أخرى) والآن لقد أتحتما لي الفرصة لأكون إحدى هؤلاء الأشخاص الاستثنائيين/ العاديين، لذلك يجب أن أكون أنا من تشكركما.

فرك كونور قدم الأرنب بين أصابعه، على أمل أن يتغير حظه في النهاية، وقال: «سيكون الأمر مثيرًا للشك للغاية، إذا لم تبلغي عن سرقتها».

قالت كارلا: «سأفعل.. في نهاية الأمر. (ثم نهضت، وبدأتْ تجمع أطباقهما الفارغة، وأضافت) أؤكد لكما أن التغيير في الطريق. لقد أصبح كثمرة خوخ كبيرة، ناضجة وعلى وشك السقوط من الشجرة. (ثم منحتهما ابتسامة دافئة، قبل أن تعود إلى الطاولات التي تنتظر الطعام) والآن، اذهبا وتوخيا الحذر».

قضى كونور وليف بضع لحظات لجمع أفكارهما، ثم خرجا من المكان، وتوجها إلى الخلف، ليجدا سيارة «تشارجر» حمراء كلاسيكية، تعاني بعضَ التلف في الرفرف. لم تكن بالضبط سيارة الأحلام، لكنها لم تكن خردة أيضًا. ركباها، وشغَّل كونور المحرك، فأصدرت السيارة زئيرًا مهتزًّا، كما لو كانت أسدًا يستيقظ. كانت تفوح من السيارة رائحة الورد المنبعثة من معطر الجو، كما وُجِدَتْ في كل مكان إكسسوارات تستخدمها النساء في منتصف العمر، لكنْ لا بأس، فكونور لم يمانع في وجود ما يُذكِّره بكارلا، الإنسانة العادية / الاستثنائية.

بينما ينطلقان على الطريق، نظر ليف إلى كونور، متسائلًا: «أوهايو؟ أعلينا حقًّا الذهاب إلى أوهايو؟».

ابتسم كونور، قائلًا له: «نعم. وعندما نصل إلى هناك، فإن أول شيء سأفعله، هو أن أجعلك تقص شعرك».

ثم انطلقا على الطريق 66، متجهين شرقًا، إلى عالم أصبح مستعدًّا لإنقاذه.

***

انتهى الكتاب الثاني

شكر وتقدير

لم أحلم قطُّ بأن تتحول رواية «مُفكك» (Unwind) إلى سلسلة دِستوبيا، لكنني لم أستطعِ الهروب من العالم الغريب الذي يحيط بها. أنا مدين بالامتنان المستمر لديفيد جيل، ونافاه وولف، وجوستين تشاندا، وآن زافيان، والجميع في قسم التحرير في «سيمون آند شاستر» (Simon & Schuster). وكذلك بول كريشتون وليديا فين، لتنظيم الدعاية وجولات الكتاب، وميشيل فضل الله وفينسا ويليامز لعملهما في مؤتمرات المدارس والمكتبات، وكاترينا جروفر في إدارة التحرير، وتشافا وولين في الإنتاج، وكلوي فوجليا في التصميم.

أشكر أطفالي على صبرهم اللامتناهي، في حين يغوص والدهم في أعماق أفكاره، ومساعِدتي الاستثنائية مارسيا بلانكو التي تحافظ على صحتي العقلية وبطريقة ما تبقيني منظمًا! شكرًا جزيلًا لويندي دويل وهيدي ستول على عملهما الدؤوب في نشرة «شُسترمانيا» (Shustermania) الإخبارية. أشكر كذلك ويندي، وابني جارود، لمحاولتهما تحويل أفكار قصتي المرتبكة إلى كلمات مكتوبة، كلما وجدتُ نفسي في مرحلة ديكتاتورية رقمية. شكرًا لمجموعتي النقدية (The Fictionaires)، للمساعدة على توجيه كلماتي، وخصوصًا ميشيل نولدين، لتعاوننا الرائع في القصة القصيرة (UnStrung)، وأختي الكبرى باتريشيا، لالتقاطي عندما أسقط.

إنني مدين لعدد لا يُحصى من المعلمين الذين يجدون طُرقًا لتوظيف كتبي بشكل تعليمي في فصولهم المدرسية، والعديد من المعجبين الذين يخبرونني كيف تؤثر كتبي في حياتهم؛ معجبون مثل فيرونيكا كنيش التي أسال بريدها الإلكتروني الدموعَ من عينيَّ وجعلني أتذكر السبب الذي دفعني إلى الكتابة.

شكرًا لأندريا براون، وتريفور إنجلسون، وشيب روزنمان، ولي روزنباوم، وستيف فيشر، وديبي ديوبلي هيل الذين يديرون مجتمعين مسيرتي المهنية بيد مستنيرة (ويمنعونني من تدميرها!). كما أُعرِب عن امتناني أيضًا لمارك بيناردوت وكاثرين كيميل وجوليان ستون وشارلوت ستاوت الذين سينتج عن إيمانهم الراسخ بروايتي «مُفكك» (Unwind) و«ناقص» (UnWholly) فيلمًا رائعًا بالتأكيد!

وأخيرًا أشكر والديَّ -ميلتون وشارلوت شُسترمان- على وجودهما الدائم، حتى عندما لا يستطيعان ذلك.

مكتبة
t.me/soramnqraa

منقوص
UNWHOLLY

ماذا حدث لكونر وليف وريسا، بعد انتفاضتهم الشهيرة في مخيم حصاد «هابي جاك»؟

قد يكون تخليص المجتمع من المراهقين المزعجين -وفي الوقت نفسه، توفير الأعضاء التي تشتد الحاجة إلى زرعها- أمرًا مُريحًا، لكن هل ينجح أبطالُنا في إثارة تساؤلات الناس حول مدى أخلاقية التفكيك، الذي أصبح عملًا تجاريًا كبيرًا، وهناك جهات عُليا وشركات قوية ترغب في استمراره، وتتوسع أيضًا في تفكيك المساجين والفقراء؟

سنلتقي هنا بكام؛ مراهق فريد من نوعه، جاء كنتاجٍ للتفكيك، وهو بمنزلة نسخة عصرية من فرانكنشتاين. إنه مُجمَّع بالكامل من أجزاء مراهقين آخرين تفككوا، لكنه ينجح في تشكيل شخصيته المميزة، ويعاني في رحلة البحث عن هويته ومعنى وجوده، ويسعى خلف الحب، فهل يحصل عليه؟ وكيف يرتبط مصيره بشكل لا ينفصم بمصير كونر وريسا وليف؟

غلاف: عبد الرحمن الصواف

مكتبة
t.me/soramnqraa

عصير الكتب

aseeralkotb.com
contact@aseeralkotb.com
AseerAlkotb
AseerAlkotb
AseerAlkotb